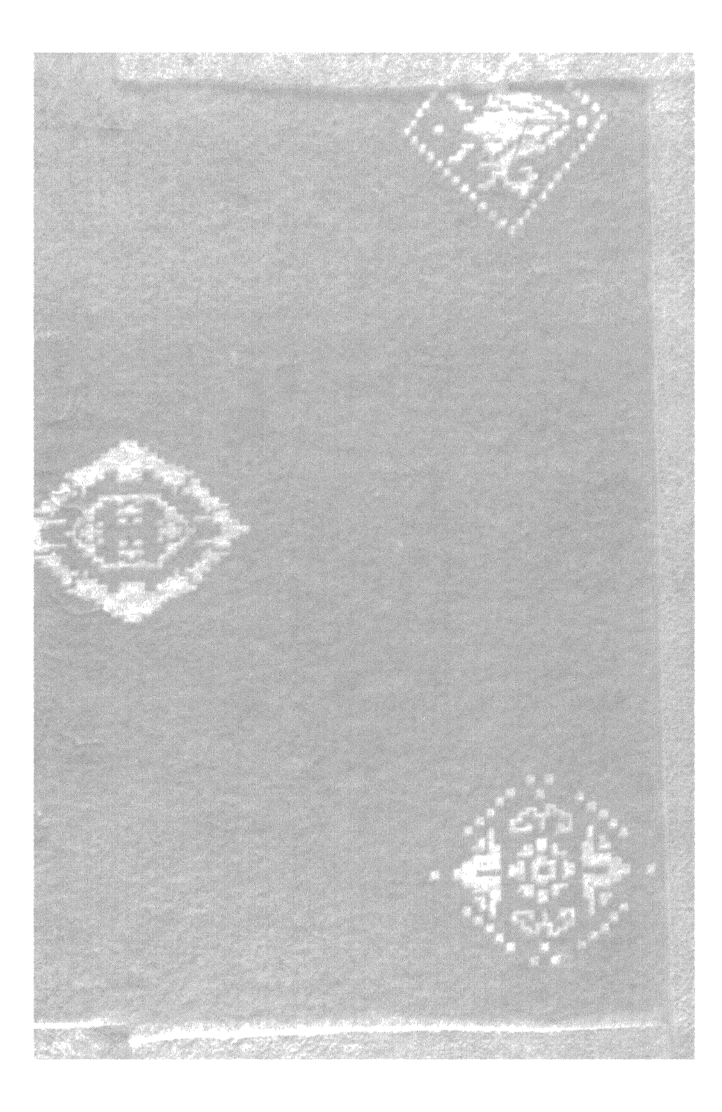
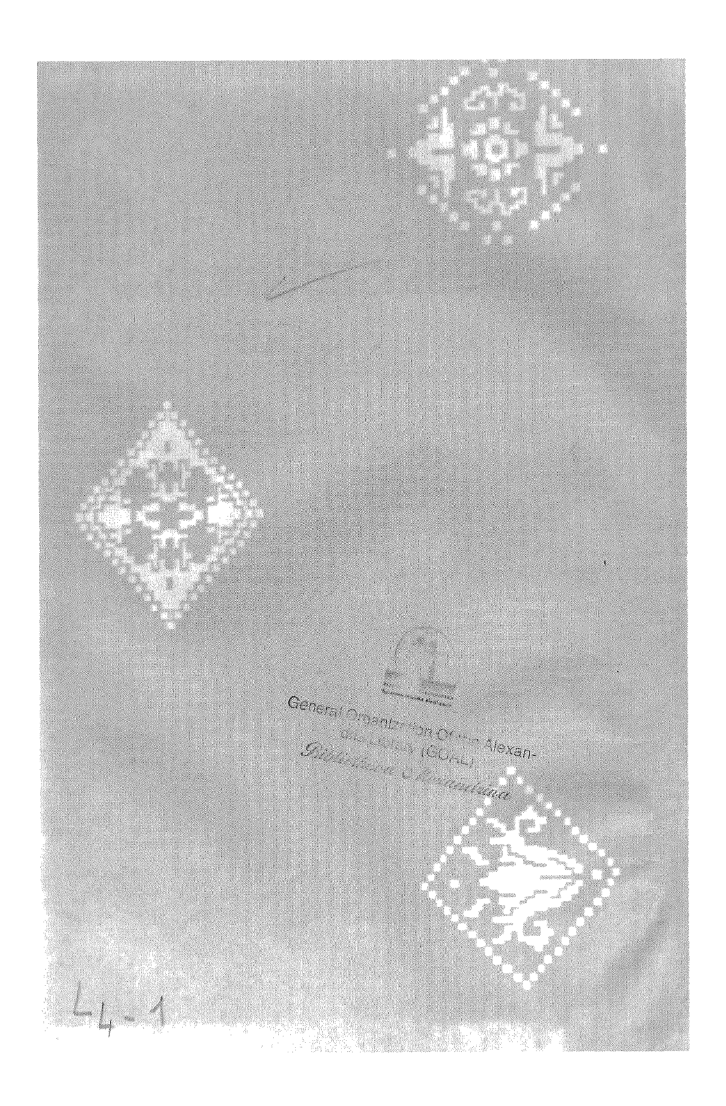
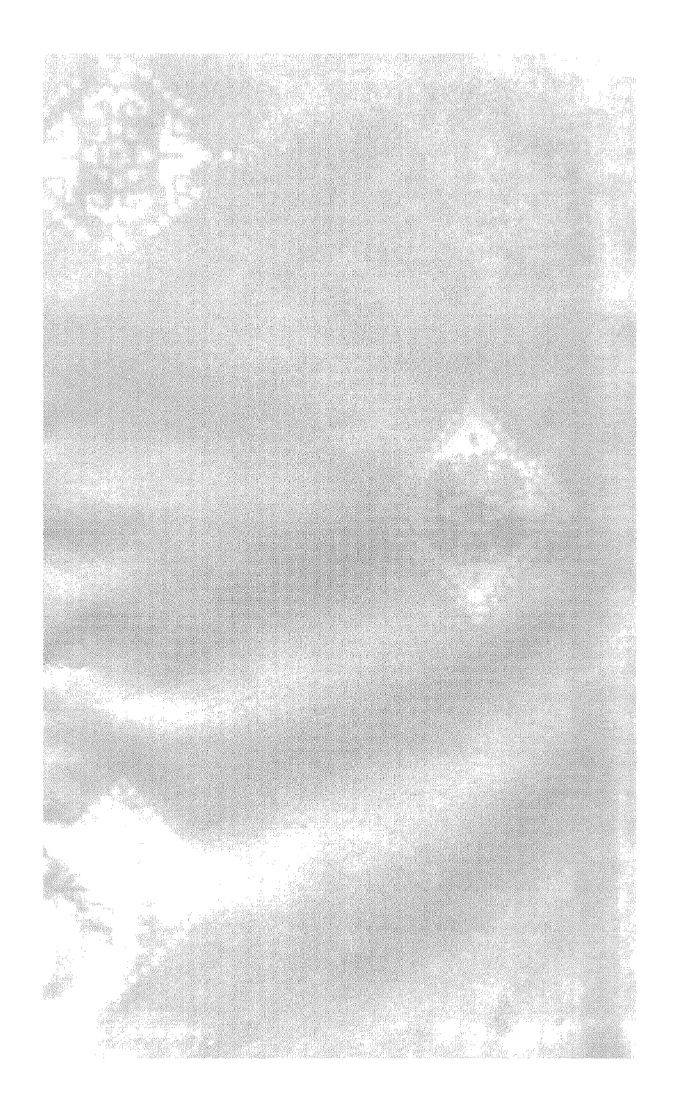






General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

L4-1

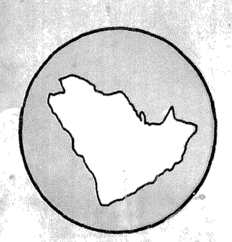


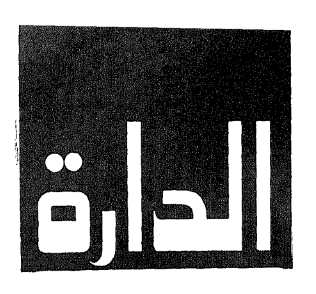




مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الثالث/ للسنة السادسة/ جماد ثاني ١٤٠١هـ/ ابريل ١٩٨١م

من محتويات العدد





مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير
عبد الله بن خميس
الدكتور منصور الحازمي
عبد الله بن ادريس
عبد الله الماجد

العدد الثالث/للسنة السادسة

جماد ثاني ١٤٠١هـ/أبريل ١٩٨١م

الرياض — ص.ب ٢٩٤٥
المملكة العربية السعودية — تلفون ٤٠٣٨٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتـــويات

رقم الصفحة

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا أو ما يعادل خمسة عشر ريالا للسنة • في جمهورية مصر العربيـة خمسة وعشرون قرشـــا • تونس ٣٥٠ مليم • المغـرب ٣ درهــم • في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة •

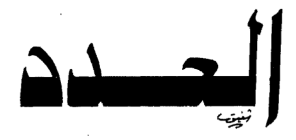
رقم الصفحة

ترسل الاشتراكات باسم أمين عـــام الدارة أما المقـالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير ـ الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العـدد يخضع لأسباب فنيـة لا علاقة لهـا بمكانة الكاتب . آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجـلة



إفتتاحية

وحين يتحدث المسئول عن أي عمل يشكر نعمة الله عليه ينبغي ألا تساء به الظنون فلا يوصف بالتنفج والفخار ، ولا تشير اليه الأصابع بأنه حين تحدث عن الشكر انما أراد أن يستجدي ثناء والعمل الذي أنا مسئول عنه هو كوني رئيسا لتحرير مجلة الدارة فلله الشكر على توفيقه فقد كانت الظنون ألا تنجح وأساءت ظنون أخرى تعجب كيف نجحت بقلة من العاملين بها كانت كثيرة بكثرة العاملين لها فجهاز أمانة الدارة حرصت وتفضل معالي رئيس مجلس الادارة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ بدعم المجلة بأن جعل جهاز الأمانة كلها جهازا للمجلة فالحرص مني على ذلك والدعم منه أعطى القلة الكثرة فتخطت بذلك العقابيل وارتفعت عن الارجاف بالأقاويل ولا أراني اليوم الا مطمئنا الى أن تكون أمانة الدارة والمجلة ليست جزءا مستقلا عن جزء وانما كلها مؤسسة واحدة تنتظم أعمالها بمجلس الادارة ورئيس المجلس والأمين العام للدارة فقد كان كما عرفته وكما هو الآن جديرا بأن



يعطي الأمانة والمجلة الكرامة التي تليق به من أسرة وارثة لعقيدة السلف وارفة بما أعطت فلا أخاله بحكم الوراثة لأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب شيخ الاسلام الا أن يكون صاحب يد لا يأخذ بها الا ما يكرمه ، ولا يعطي بها الا ما يحفظ الكرامة لأمين يدير مؤسسة اسمها يحمل اسم أشرف الرجال بعصرنا الحديث وأقوى الرجال وأعظم الرجال الملك البطل عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود تغمده الله برحمته ٠

هذا الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز هو الأخ الصديق الشيخ عبد الملك آل الشيخ أرتفع به لأنه لا ينخفض باهدار القيمة والقيم ٠

والله ولي التوفيق ؟

محمد حسين زيدان



مؤتمر القمة الإسلامي الثالث في مكة والطائف

بقلم : علي طه عيسى أبو حسين

بدارة الملك عبد العزيز



بدعوة كريمة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المفـــدى (عاهل المملكة العربية السعودية) انعقـــد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث تحت شعار دورة فلسطين والقــدس الشريف ، بمكة المكرمة فيما بين ١٩ و ٢٢ ربيع أول ١٤٠١هـ الموافق للمدة من ٢٥ الى ٢٨ يناير ١٩٨١م ٠

فمع مطلع القرن الهجري الخامس عشر وفي الشهر الذي شهد ميلاد محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ تطلعت أنظار العالم الاسلامي بل والعالم أجمع الى مكة حيث انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث وقد تميز بفضل من الله سبحانه وتعالى بانعقاده في رحاب المسجد الحرام وبجوار الكعبة المشرفة . فكان محفوفا بجلال هذا الموقع القدسي وبعظمة



ذلك الظرف التاريخي الخاص مما خلع على جلسته الافتتاحية طابع الخشوع والهيبة وجعل قادة الأمة الاسلامية يستشعرون عظمة موقفهم ذلك في رحاب الكعبة المشرفة ويصطفون صفا واحدا للصلاة ويتوجهون بدعاء واحد الى الله سبحانه وتعالى متوسلين اليه أن يوفقهم على تحمل المسؤوليات الثقيلة الملقاة على عاتقهم في عالم محفوف بالمخاطر والتحديات وأن يهديهم الى سبيل التضامن والالفة والرشاد وأن يعينهم على نبذ دواعي الفرقة والشقاق حتى تعود الأمة الاسلامية كما أرادها الله « خير أمة أخرجت للناس »

وقد أبرز جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المفدى في خطابي الافتتاح ما تمتاز به الأمة الاسلامية في مطلع هذا القرن من صحوة مباركة لا عداوة فيها ولا انحياز تبشر بمجتمع جديد يؤمن للانسان المسلم تطلعاته الى الكرامة والعزة ويحقق للانسانية ما تصبو اليه من أمن وسلام وتقدم ٠ وقد كان خطابا جلالة الملك خالد في الافتتاح في مكة والطائف بمثابة الانطلاقة والصحوة الاسلامية الجديدة ٠ واعتبر الخطابان من وثائق المؤتمر لتضمنهما ضرورة تحرير العالم الاسلامي من الولاء لغير الله ومن التخلف والتبعية ونبذ الاختلافات العرقية والمذهبية والطبقية ٠

وقد حضر المؤتمر ملوك ورؤساء وأمراء الدول الاسلامية التالية : الجزائر ـ البحرين ـ بنجلاديش الشعبية ـ الكاميرون ـ جيبوتي ـ الامارات العربية المتحدة ـ الجابون ـ جامبيا ـ غينيا الشعبية ـ غينيا بيساو ـ فولتا العليا ـ جمهورية القمر الاسلامية ـ اندونيسيا ـ العراق ـ الاردن الكويت ـ لبنان ـ ماليزيا ـ مالديف ـ مالي ـ موريتانيا الاسلامية ـ المغرب النيجر ـ سلطنة عمان ـ أوغندا ـ باكستان ـ قطر ـ المملكة العربية السعودية ـ فلسطين ـ السنغال ـ السودان ـ سوريا ـ تشاد ـ الصومال الديمقراطية ـ تونس ـ تركيا ـ اليمن الشمالية ـ اليمن الديمقراطية الشعبية ٠٠ وقد تغيب عن المؤتمر كل من : ايران وليبيا ٠

ويمكن ايجاز قرارات المؤتمر فيما يلي : ـ

١ ـ الالتزام بتحرير القدس العربية لتكون عاصمة للدولة الفلسطينية ٠

٢ ـ اعتبار قضية فلسطين جوهر مشكلة الشرق الأوسط وقضية الأمة الاسلامية الأولى ٠

٣ ـ المطالبة بانسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان ومضاعفة الجهد لتظل دولة اسلامية ـ والحث على توفير المساعدة للاجئين الأفغان ٠

٤ ـ تنسيق الجهود والتضامن بين الدول الاسلامية الأعضاء وأهمية التعايش السلمي بينهم على أساس العدل والمساواة ـ والعمل على تدعيم هذا التضامن حسب تعاليم الاسلام ٠

٥ ـ العمل على اعلان دعوة الفهد للجهاد المقدس لانقاذ القدس الشريف ونصرة الشعب الفلسطيني ـ واعطاء الجهاد مفهومه الاسلامي الذي لا يحتمل التأويل واساءة الفهم ٠

٦ ـ العمل على انهاء النزاع العراقي الايراني ومناشدة البلدين الاسلاميين بتقبل الوساطة الاسلامية وتسهيل مهمة لجنة المساعي الحميدة ـ وانشاء قوة اسلامية من أجل تطبيق وقف اطلاق النار ٠

٧ ـ حل مشاكل دول ساحل غرب افريقيا بمشاركة هذه الدول المتضررة بالجفاف مأساتها عملا بمفهوم التضامن الاسلامي ومساعدة عاجلة لحل مشاكل المجاعة واتخاذ المبادرات لذلك ٠

٨ ـ العمل على ايجاد حل عادل بالنسبة لمشكلة جزيرة مايوت القمرية وعودتها الى المجتمع الوطني لجزر القمر بدعوة فرنسا لاستئناف العمل الذي بدأ من أجل ذلك ٠

٩ ـ دعا المؤتمر الى ايجاد حل عادل وسلمي للقضية الأريترية وتأييد كل ما يبذل من مساع للتوصل الى مثل هذا الحل وتشكيل لجنة مؤلفة من السنغال وغينيا لاجراء الاتصالات التي تراها لازمة ولتتبع الجهود السلمية .

١٠ ـ موافقة المؤتمر على انشاء محكمة عدل اسلامية ودعوته الى عقد اجتماع لخبراء من الدول الأعضاء لوضع نظام أساسي لها ورفع النتائج الى المؤتمر الاسلامي القادم لوزراء الخارجية .

١١ ـ اعلان المؤتمر عن التأييد الكامل للسكان المسلمين المضطهدين في القرن الافريقي ودعوته الى بذل الجهود المشتركة بين أطراف الصراع للتوصل الى حل عادل ومطالبته بالانسحاب الكامل وغير المشروط لجميع القوى الأجنبية من القرن الافريقي وبروح التضامن الاسلامي تقدم المساعدات للسكان المعنيين وبوجه خاص اللاجئين منهم .

ومن الواضح أن المؤتمر لم يترك مشكلة واحدة من المشاكل الساخنة وغير الساخنة التي تهم المسلمين سواء بين دولهم بعضها البعض أو بينها وبين الدول الأخرى دون أن يجد الحل الناجع لها وقد لا تظهر نتائج بعض هذه الحلول فورا الا أنه اذا سادت بين المسلمين الروح التي تجلت بين قادتهم أيام المؤتمر فلابد أن هذه المشاكل ستحل باذن الله في القريب العاجل .

وبعد فقد حقق المؤتمر ما كان مرجوا منه وبحث كل المشاكل التي تقف في طريق الأمة الاسلامية ـ ويعزى الفضل في نجاح المؤتمر الى اخلاص القيادة السعودية وشعبها وقد تجلى هذا الاخلاص في شخص خالد بن عبد العزيز الذي أدار افتتاح الجلسة الأولى للمؤتمر ثم عهد برئاسة المؤتمر الى الفهد بعد موافقة الوفود ـ فأدار بقية الجلسات بحنكة وحكمة .

- **بعض الأقوال من وقائع الجلسة الختامية للمؤتمر : ـ**

- **الفهد** : ستظل نتائج مؤتمر مكة منارات هدى لنا جميعا .
- **الحسن الثاني** : الحضور في رحاب مكة كان التزاما بأن نخوض المعركة التي جندنا أنفسنا وطاقاتنا لها بدون تقاعس .
- **نائب رئيس وزراء ماليزيا** : قادة المملكة أعمدة للحكمة وملجأ للمسلمين .
- **رئيس جمهورية النيجر** : المؤتمر حدث تاريخي للأمة الاسلامية .

مصادر تاريخ السلطنات الإسلامية في السودان الشرقي
١٤٥٠م - ١٨٢٠م

د. يوسف فضل حسن

شهد القرنان الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تغييرات سياسية واجتماعية كبرى في المنطقة الواقعة جنوب مصر والتي تشمل مملكتي النوبة وعلوة المسيحيتين . ففي القرن الخامس عشر انتهت موجة الهجرات العربية التي تدفقت من الجزيرة العربية ومصر عبر الصحراء الشرقية ومحازية شواطيء النيل ، وامتد أثرها حتى عم كردفان ودارفور وما وراءها . وقد أدى تسرب هذه المجموعات الكبيرة من القبائل العربية الى غلبة الثقافة العربية وانتشار الاسلام .

وقد كانت الحملات العسكرية التي بعثها سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) من أهم العوامل التي أضعفت السياج السياسي لمملكة النوبة المسيحية ومن ثم مهدت الطريق لغلبة المهاجرين العرب الذين استطاع روادهم من بني الكنز ، وهم فرع من ربيعة اختلطت بالنوبيين وصاهرت الأسرة الحاكمة ، اعتلاء عرش النوبة في سنة ١٣٢٣م . وقد تحقق ذلك بفضل نظام الوراثة عن طريق الأم وبتأييد المجموعات النوبية المستعربة والقبائل العربية التي صاحبت الجيوش المملوكية ، فانتقلت السلطة في الأسرة الحاكمة من فرع نوبي مسيحي الى فرع نوبي مستعرب مسلم . وبانتهاء النفوذ السياسي لمملكة النوبة المسيحية انهار الحاجز المنيع الذي

كان يحول دون توغل العرب في حوض وادي النيل الأوسط ومن ثم تدفقت القبائل العربية في مجموعات كبيرة سعيا وراء سهول المراعي ٠

وفي ظروف لا نعرف عن تفاصيلها الكثير تمكن العرب من القضاء على مملكة علوة المسيحية في أواسط القرن الخامس عشر وقد بذرت نواة التكوينات القبلية العربية وأرست دعائم العقيدة الاسلامية في الفترة التي تلت سقوط مملكة النوبة المسيحية (١٣١٧م) وقيام سلطنة الفونج الاسلامية وامتداد نفوذها (في حلف مع العبدلاب) حتى شمل معظم وادي النيل الأوسط ٠ والى جانب أهمية هذه الفترة في تاريخ السودان الحديث فانها تعتبر من أكثر الحقب التاريخية غموضا في تاريخ هذه البلاد ٠

ولكن ما أن وضحت غلبة الاسلام وشيوع الثقافة العربية وانتشار القبائل العربية واختلاطها بالوطنيين وتمثلهم لأنساب القبائل العربية في أجزاء كبيرة من الجزء الشرقي من بلاد السودان ، حتى ظهرت سلسلة من السلطنات الاسلامية في الفترة الواقعة بين منتصف القرن الخامس عشر ومنتصف القرن السابع عشر ، وأهمها ممالك العبدلاب والفونج وتقلى والمسبعات والفور ٠

وكانت أولى هذه الممالك ظهورا هي مملكة العبدلاب التي ورثت مملكتي علوة والمقرة : مهد الحضارات السودانية المعاصرة لعهد الأسرات في مصر ، ومركز الثقل السياسي الحضاري في العهد المسيحي ٠ وقد تعرضت هذه المنطقة الى قدر كبير من المؤثرات العربية حتى غلبت عليها سمات الثقافة العربية كما ازدهرت فيها المؤسسات الدينية والعلمية حتى صارت مصدر اشعاع اسلامي وحضاري لباقي أقاليم السودان ٠ فلما تهيأ لاقليم العبدلاب الزعامة الدينية والثقافية بدأت هجرة العلماء والمتصوفة الى المناطق حديثة العهد بالاسلام حاملين لواء الاسلام والثقافة العربية ٠

وعند نهاية القرن الخامس عشر ظهرت قوة سياسية جديدة بزعامة الفونج استطاعت أن تهزم العبدلاب في سنة ١٥٠٤م وتمكنت من بسط نفوذها على معظم وادي النيل الأوسط ٠ وظل العبدلاب يمثلون الشريك الأصغر في اطار سلطنة الفونج الاسلامية حتى سقوطها في سنة ١٨٢١م ٠ وقد اكتنف نشأة هذه الدولة كثير من الغموض ومازال أصل الفونج يمثل واحدة من كبريات المشكلات التاريخية التي تواجه السودانيين ٠ ويرجعهم معظم الباحثين الى أحد هذه الأقاليم : بلاد الحبشة أو بلاد البرنو أو دار الشلك على النيل الأبيض ٠ وتفضل الروايات السودانية بلاد الحبشة بينما يرجع النسابون السودانيون الفونج الى أصل أموي ٠ ونلاحظ أن كلا من بلاد

الحبشة والبرنو قد وقعت تحت مؤثرا تاسلامية قبل قيـــام سلطنة الفونج الاسلامية ٠

وعلى الأطراف الغربية من بلاد السودان الشرقية نشـــأت في أواسط القرن السابع عشر سلطنة الفور الاسلامية ، وهي تمثل واحدة من سلسلة السلطنات الاسلامية التي انتشرت في أواسط بلاد السودان ٠ وعند جبـــل مرة ، موطن الأسرة الحاكمة ، يلتقي عدد من الطرق التجارية ٠ وكانت هذه الطرق مصدر هجرات قبلية ومؤثرات ثقافية أثرت في الكيان السياسي لذلك الموضع النائي ٠ وقبل قيام سلطنة الفور شهد ذلك الاقليم تسلط التنجور والداجو وهجرة القبائل العربية وانتشار بعض مظاهر الثقافة الاسلامية ٠ وتضطرب الروايات عن أصل الأسرة الحاكمة وتميل بعض الأخبار الى ربطهم ببعض العناصر العربية المسلمة الوافدة من وادي النيـــل ٠٠ ويرجح أن الميلاد الحقيقي لهذه الدولة المسلمة قد اقترن بسليمان سولونج (أي الأحمر أو العربي) ، وظل أحفاده يحكمون دارفور حتى ٢٤ أكتوبر ١٨٧٤ عندما هزمها الزبير باشا رحمة ، ولكنها ما فتئت تعاود الظهور المرة تلو الاخرى ، حتى ضمت الى السودان الانجليزي المصري في عام ١٩١٦ ٠

وفي دارفور كما كان الحال في مملكة الفونج وتقلي وغيرهما من الممالك الصغرى كانت تتواتر ظاهرة قدوم رجل غريب حـكيم من منطقة متحضرة ويكون غالبا (فردا أو جماعة) عربيا أو مسلما يتزوج من الأسرة المحلية الحاكمة ثم ينجح في أن يرث أبناؤه الملك ، ويكون ذلك كله منطلقا لقيام دولة اسلامية ذات صلات تجارية واسعة ٠

وشـــهد اقليم كردفان الواقع بين سلطنتي الفـــور والفونج نشأة « دولتين » صغيرتين هما تقلي والمسبعات ففي منطقة جبال النوبة نجح الفقيه محمد الجعلي ، الوافد من ديار الجعليين ، في جذب قلوب المواطنـين بورعه وحسن سـلوكه لدرايتـه ببعض المهـارات ، كما تزوج بنت ملك تقـلى ومن ثم ورث أبناؤه العرش وذلك في عام ١٥٧٠م ٠

أما المسبعات ، ابناء عمومة سلاطين الفور ، فلم يرثوا تنظيما سياسيا ذا كيان محدد بل سعوا منذ أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر لتحقيق مطامع آسيوية لانشاء دولة مســتقلة ٠ وقد قارب المسـبعات النجاح في عهد السلطان هاشم المسبعاوي ، ولكن مطامع الفور لم تترك لهم فرصة للانفراد بالسلطة في ذلك الاقليم الاستراتيجي ٠

استعرضنا خلال هذه المقدمة بعض السمات الرئيسية لتاريخ الممالك الاسلامية في بلاد السودان الشرقية ، وقد ظهر فيها جليا دور الاسلام والثقافة العربية في نشأة هذه الممالك • كما أن اعتناق الأغلبية العظمى من شعوب هذه الممالك للعقيدة الاسلامية وتمثلهم للثقافة العربية أدى الى خلق نوع من التماسك والترابط بين شعوبها ، كما أسهم في وضع اللبنات الأولى لوحدة وطنية وسياسية أكثر شمولا •

ومع وجود هذه المقومات الأساسية فان الصلة بين هذه السلطنات كانت ضئيلة ، ولعل سبب ذلك سعة رقعة هذا الاقليم وصعوبة المواصلات في داخل البلاد والى الخارج • مما جعل هذا الاقليم يعيش في عزلة ثقافية كبرى • وحقيقة الأمر أن هذه الدويلات ظلت حبيسة محليتها ولم تتأثر كثيرا باي مؤثرات خارجية بعد غلبة الثقافة العربية الاسلامية ، الا بعد الفتح التركي المصري في عام ١٨٢١م • وبهـذا الغزو ، في رأيي ، تؤرخ بداية العصر الحديث في سودان وادي النيل ، ولقد أدت هذه العزلة الثقافية مضافا اليها تفشي الأمية وتخلف البلاد النسبي الى ضآلة الانتاج الفكري المحلي وضحالته عموما • وقد أثر هذا كله على درجة « الوعي التـاريخي » ومن ثم قلت المؤلفات التاريخية السودانية وغير السودانية •

وازاء هذا الشح في المصادر التاريخية فليس غريبا أن تظل كثير من التساؤلات دون اجابة • وسأحاول في هذه الدراسة تخطي النظرة التقليدية التي تهتم بدراسة المصـادر الأولية والتي تنحصر عادة في محيط الوثائق الديوانية الرسمية وما شابهها • فان قلة أو ندرة ما سطر عن هذه الممالك تجعلنا نهتم بكل ما كتب ثم نخضعه لدراسة علمية دقيقة بل لابد أن يلجأ الباحث لقلب الأمة أو مكنوزها من التراث يستشف منـه بعض المعلومات التاريخية التي يتوارثها الناس على هيئة قصص أو أشـعار أو روايات شفوية • وستشمل هذه الدراسة نماذج من المخطـوطات ، ووثائق تمليك الأرض ، كتب التاريخ المعاصر وأدب الرحلات وأشجار النسب والروايات الشفوية •

وساقسم ملاحظاتي الى أربعة أقسام : أولا الهجرة العربية وأثرها على السودان الشرقي ، ثانيا ممالك العبدلاب والفونج وتقلى ، ثالثا سلطنتا الفور والمسبعات ، رابعا أهمية الروايات الشفوية •

وبما أن كثيرا من هذه المصادر تتعرض لأكثر من مملكة في وقت واحد فستكون دراستي متداخلة وربما اكتفيت بالاشارة لها في موضـع واحد ، وأعتذر عما يحدثه هذا من خلل في التقسيم الجغرافي والتسلسل التاريخي •

البـاب الأول
الهجـرة العربيـة وأثرهـا

هنالك مجموعتان من المؤلفات التي تناولت موضوع الهجرة العربية الى السودان وأثرها ٠ الأولى هي المصادر العربية المعـاصرة والأخرى هي أوراق النسب المنتشرة عند كثير من السودانيين ٠ والمصادر العربية تعكس العلاقات بين بلاد النوبة وما وراءها والامبراطورية الاسـلامية في الفترة الواقعة بين القرنين التاسع والخامس عشر ٠ ومع أن ما كتب في أواخر هذه الفترة يمس بلاد النوبة عرضيا ، الا أن جملة ما كتب من أخبار وسير يكون خلفية تاريخية لا غنى عنهـا لأي باحث في تاريخ الممالك الاسـلامية في السودان الشرقي ٠

المصادر العربية المعـاصرة :

ومع هذه الأهمية القصوى للمصادر العربية فان ما ورد فيها مقتضب في جملته ، بل لا أبالغ اذ قلت أنه لم يفرد واحد من المؤلفين العرب كتابا متكاملا عن ذلك الاقليم الشاسع سوى المقتطفات التي وردت في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (١) من كتاب أخبـار النوبة ٠ والمقرة وعلوة والبجة والنيل الذي ألفـه عبد الله بن أحمد بن سـليم الأسواني (٩٩٦) الداعية الفاطمي الذي زار بلاد النوبة وعلوة وسجل فيه ما شاهده أو سـمعه ٠ ولكن الكتاب مفقود ولم يبق منـه الا ما أورده المقريزي (١) ٠

وتضم المصادر التي عالجت موضوع الهجرة العربية ما يزيد عن الستين مصنفا مطبوعا ومخطوطا ٠ وقد جمع الاستاذ الدكتور مصطفى محمد مسعد مقتطفات من نحو أربعين كتابا أسماها المكتبة السودانية العربية (٣) ٠ وقد فرغ الأب الدكتور جيوفاني فانتيني من دراسة مماثلة جمع فيها كل ما كتبه العرب عن السودان الشرقي في العهد المسيحي قبل نهاية القرن الخامس عشر ٠ وتحوي هذه الدراسة هوامش مستفيضة وترجمة للغة الانجليزية (٤) ، وقد أعد كاتب هذا المقال دراسة تحليلية عن أهم هذه الكتب عند دراسته لدخول العرب في السودان (٥) ٠

ويكفي أن نذكر طرفا من هذه المصادر وأهمها كتب التاريخ مثـل فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (٨٧١) وفتوح البلدان لأحمد بن يحيى

البلاذري (ت ٨٩٢) ، وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت ٩٣٢) وتاريخ ابن واضح لليعقوبي (ت٨٩٧) وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت١٤٠٥) وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، وكتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (ت١٤٤٢) ، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبي المحاسن بن تغري بردي (ت١٤٦٩) . ومن المصادر الهامة كتب التراجم مثل تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع (عاش في القرن العاشر) . ومن كتب السيرة تشريف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور والروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر لابن عبد الظاهر (ت١٢٩٢) ومن دوائر المعارف نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (ت١٣٣٢) ، مسالك الابصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ت١٣٤٨) ، وصبح الأعشى في صناعة الانشاء للقلقشندي (ت١٤١٨) . كما يمثل أدب الرحلات مصدرا هاما لدراسة تاريخ هذا الاقليم ، ولعل أهم هذه الكتب كتاب ابن سليم الأسواني الذي نوهنا به من قبل ، وهو مزيج من التاريخ والجغرافيا ، وسفر نامة للرحالة الفارسي ناصري خسرو (ت١٠٨٨) ورحلة ابن جبير (ت١٢١٧) للرحالة الأندلسي الذي زار ميناء عيذاب ، كما أفرد ابن بطوطة (ت١٣٧٧) جزءا من رحلته تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لميناء سواكن والمنطقة الساحلية . ومن كتب الجغرافيين الذين أفردوا جزءا للسودان الشرقي كتاب الادريسي (ت١١٦٥) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس وكتاب ابن حوقل (ت٩٥٦) صورة الأرض ، والمسعودي (ت٩٥٦) مروج الذهب ومعادن الجوهر . ومن الدراسات الفريدة التي تبحث في أصول الرقيق ومميزات كل فئة واستعدادها رسالة في شرى الرقيق وتقليب العبيد لابن بطلان (ت ١٠٦٣) ، ومن الدراسات الهامة التي تلقي ضوءا على تاريخ القبائل العربية قبل الهجرة الى السودان ومواطن اقامتها والتي تساعد في مراجعة ما ورد على لسان النسابين السودانيين عن أصولهم العربية كتاب « البيان والاعراب عما في أرض مصر من الأعراب » للمقريزي ، و نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، للقلقشندي .

ومع وجود بعض المصادر السودانية الخاصة بالمخلفات الأثرية فان دراسة تاريخ العهد المسيحي وبداية توغل النفوذ الاسلامي تعتمد اعتمادا أساسيا على المصادر العربية التي استعرضنا جانبا منها . ولكن مما يؤسف له أن اهتمام الكتاب المسلمين بالسودان الشرقي قد انتهى بانقطاع العلائق السياسية التي كانت تربط مصر ببلاد النوبة . وبدأت فترة جديدة امتدت حتى أواسط القرن التاسع عشر لم يفرد فيها مصنف واحد عن هذا الاقليم الشاسع الا عندما صدر كتاب « تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان » لمحمد بن عمر التونسي (ت١٨٥٧) . وازاء هذا الضمور في المصادر العربية

فان المصادر الوطنية صارت تمثل المرتكز الأساسي لدراسة تاريخ هذا الاقليم ، مضافا اليها ما خلفه الرحالة الاوربيون الذين أخذوا مكان وصفائهم العرب والمسلمين ، وقد ازداد عددهم منذ أوائل القرن السادس عشر (٦) ٠

أشجار النسب :

هذه مجموعة من كتيبات النسب وهي في الأغلب عبارة عن قوائم تؤرخ لنسب اسرة أو قبيلة أبا عن جد حتى تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أو عمه العباس أو بعض أجلة الصحابة ، وقد تمتد كما هو الحال عند سائر العرب الى قحطان أو عدنان ٠ ويهتم السودانيون ، خاصة العرب منهم ، أو من تمثلوا الثقافة العربية تمثلا كاملا ، بهذه الأنساب اذ أنها تقرر ، كما يعتقد البعض منهم ، صراحة نسبهم ٠ أو قل أنها تمنحهم الاطمئنان على عراقة أصولهم خشية أن يعدوا في زمرة من اختلطوا بهم في الموطن الجديد ٠ وهو سلوك يدل على الشعور بالتميز عند هؤلاء العرب ٠ ومن تمثلوا ثقافتهم ، دون غيرهم ٠ ومن ثم تعكس أشجار النسب في الموطن الجديد تمييزا ثقافيا وليس عرقيا كما يظن من ارتضوها لأنفسهم ٠ فأشجار النسب تهتم بذكر الآباء دون الأمهات وفيها يهمل دور المجموعات الوطنية في التلاحم ٠ وبكلمات أخرى فأشجار النسب ترمز الى تميز ثقافي وليس عرقيا ، وربما كان التمسك بها تعبيرا لغلبة الثقافة العربية التي انتظمت السودان الشرقي في أواخر القرن السادس عشر ٠

وأشجار النسب لا تخلو من أن تكون سجلا جافا لآباء أسرة معينة تتوارثه خلفا عن سلف ، وبعضها يحوي بعض القرائن التي ترجعها الى القرن السادس عشر ٠ ولكن الراجح أن معظم ما وصلنا من مخطوطات يرجع الى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ٠ وتختلف هذه الكتيبات طولا وقصرا وتشمل أحيانا بعض الروايات التي يأتي ذكرها عرضا ، كما تشمل بعض الأخبار عن قريش وغيرها من القبائل العربية ولكن ما فيها من أخبار يفتقد الدقة ٠ ويزعم معظم أصحاب هذه الكتيبات أنهم قد نقلوها عن كتاب الأنساب للامام السمرقندي ، وهو شخصية شبه أسطورية ربما عاشت عند نشأة سلطنة الفونج ٠ ولا شك أن معرفته بالأنساب العربية عامة وصلات القبائل العربية والمجموعات المستعربة بعضها ببعض مكنت هذا المؤلف أن يصير حجة يتكيء عليها القاصي والداني في سائر البلاد ٠

وقد جمع السير هارولد ماكمايل ، السكرتير الاداري لحكومة السودان قدرا كبيرا من أوراق النسب هذه خلال العقدين الأولين من هذا القرن وقام بدراستهما واعداد ترجمة موجزة لها في كتابيه :

The Tribes of Northern and Central Kordofan, Cambridge (أ)
1912;

A History of the Arabs in the Sudan, Cambridge, 1922. (ب)

وهو مكون من جزئين ـ ويعد الكتاب الثاني حجة في تاريخ القبائل العربية في السودان • وقام كاتب هذه السطور بدراســـة « الوثائق » التي جمعها ماكمايل بعد ان قارنها ببعض المؤلفات العربية المعاصرة ونشرها في كتابه The Arabs and the Sudan, Khartoum, 1974 ومن شاء الاستزادة في هذا الموضوع فليرجع الى تلك المؤلفات ، وكذلك المقال الذي كتبه عن مصادر تاريخ السودان في فترة ما قبل المهدية ، في كتابه « دراسات في تاريخ السودان » ، الجزء الأول ، الخرطوم ، ١٩٧٥ ، ١٠٩ ـ ١٤٥ • ومع أنه يصعب أن نصدر حكما عاما على القيمة التاريخية لسائر أوراق النسب الا أنه يمكننا الاستفادة منها لأخذ بيانات تاريخية حتى ولو كانت بعض مزاعمها الظاهرة لا أساس لها ، وفي الوقت نفسه يجب أن نأخذ هـــذه البيانات التاريخية في شيء من الحذر وأن نخضعها لدراسة نقدية وتحليلية • وحقيقة الأمر أن الأخبار التي ترد في كتب النسابين السودانيين تلقي ضوءا على بعض مظاهر استكمال الاستعراب وتوضح طبيعة العلائق التي تربط بين الوافدين والوطنيين ، ولهذا تعتبر مصـــدرا هاما لتاريخ السودان القبـــلي وكيانه الوجداني والنفسي •

ومن الطريف ان نهج الامام السمرقندي في التأليف مازال مثلا يحتذى عند كثير من الكتاب الذين يؤرخـون لسائر القبائل العربيـــة في السودان او بعضا منها • ومع أن كثيرا مما ورد في هذه المؤلفات فيه تكرار لما جاء في كتب النسابين السابقين ، الا أنها تشمل بعض التفاصيل أو الاضافات التي نتجت من اتساع رقعة الأرض التي تحتلها القبيـــلة أو ازدياد عـــدد من انضوى تحت لوائهـــا ، معتمدين في ذلك كله على الأخبار الشـــفوية التي ينقلونها خلفا عن سلف • مثـــال ذلك كتاب « تاج الزمان في تاريخ عرب السودان » وهو موســـوعة كبيرة أعدها الشريف يوسف الهندي ، والكتاب مازال مخطوطا • وكتاب ســـهم العروبة ، حول التاريخ وقبـــائل العرب بالسودان الخرطوم ، ١٩٤٩ ، الجزء الأول ، للشيخ عثمان حمد الله • وله مخطوطة أكثر تفصيلا في نفس الموضوع • وكتب الشـــــيخ عبد الوهاب الهاشمي دراسة تفصيلية عن تاريخ قبيلة العمراب مبينا صلتها بالجعليين ، وموضحا فروعها الصغيرة ، ونشر الكتاب بالخرطوم حديثا • وللشيخ الفحل الفكي الطاهر ، دراسة أكثر تفصيلا عن « تاريخ وأصول العرب بالسودان » ، الخرطوم ، ١٩٧١ • وفي هذا الكتاب يسرد المؤلف أنساب القبائل العربية

بالسودان وأصولها • وربما تكمن أهمية الكتاب في أنه يحتوي على بعض الأخبار القيمة عن تاريخ تلك القبائل كان المؤلف قد استقاها من بعض الوثائق التي ضاعت أصولها • خاصة مما كان يحفظ في بلاط ملوك الجعليين بشندى • ويتفق المؤلف ، وهو لا يقرأ الفرنسية ، مع بعض ما أورده الكاتب الفرنسي دى كادلافين عن ملوك الجعليين في بارا عندما تعرض لهذا الموضوع في نحو عام ١٨٣٦ •

ولقد ابتدرت شعبة أبحاث السودان في ١٩٦٥ (والتي يضم مناشطها حاليا معهد الدراسات الافريقية والآسيوية) بجامعة الخرطوم برنامجا علميا لرصد الروايات الشفوية من التاريخ والقصص والشعر والأنساب التي مازالت متوارثة عند الأفراد والمجموعات ، بقصد اعدادها للنشر حفاظا لها من الضياع • وقد نشرت هذه الذخيرة من الروايات في سلسلة « التراث الشعبي » ، وصدر منها عن الرباطاب والفادنية والحمر والحمران ، والمسبعات والشايقية والمناصير والعبدلاب •

الباب الثاني

مصادر تاريخ ممالك العبدلاب والفونج وتقلى

بما أن تاريخ مملكتي العبدلاب والفونج متداخل فسأقرن ملاحظاتي عنهما ، وهذا الاجراء سيشمل أيضا مملكة تقلى وذلك لقربها من وادي النيل ولكثرة صلاتها السياسية والتجارية به •

المصادر الوطنية :

يمكن تقسيم المصادر الوطنية الخطية غير أوراق النسبة الى نوعين هما الكتب ووثائق عقود تمليك الأرض • ونلاحظ أن معظم ما كتب عن هذه الممالك قد تم انجازه في أواخر عهد الفونج وخلال القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين •

الكتب :

ولعل أقدم هذه المخطوطات هو « تاريخ الملوك الفونج ببلد صنار ، وهي وثيقة صغيرة مكونة من ست صفحات أحضرها الرحالة الاسكتلندي

جيمز بروس من سنار في سنة ١٧٧٢ ، وتحفظ حاليـــا بمكتبة بودليان باكسفورد • وتحتوي الصفحة الأولى منها غير البسيطة على عبارة « تاريخ ملوك الدولة الفنجية بمدينة سنار المحروسة المحمية بعد المملكة النوبية • اول من نزل لسنار السلطان عمارة بن عدلان عام تسع مائة وعشر سنين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم » ثم تعطى نبذة مقتضبة عن تسـلسل ملوك الفونج • وربما كان أحمد سيد القوم ، رئيس شئون القصر في سنار في ذلك العهد ، هو مؤلف هذه الوريقات •

وتعتبر « مخطوطة كاتب الشونة » أو « تاريخ ملوك سنار » امتدادا وتطويرا لوريقات بروس • وقد وصلتنا نسخ عديدة من هذا المخطوط الهام تختلف اختلافا واضحا في حجمها وفي ما تؤرخ له وفي أسلوبها • والسبب في ذلك أن الكتاب قد لمسه أكثر من قلم بالتأليف والتهذيب والاضافة • والراجح أن النواة الأولى لهذا الكتاب القيم من وضع الشيخ أحمد بن الحاج أبو علي كاتب الشونة (١٧٨٥ ـ بعد عام ١٨٣٨) وهو سوداني • وكان يعمـل موظفا بالادارة التركيـة المصرية في الخرطوم • ويعالج الكتاب موضوعين رئيسيين : تاريخ سلطنة الفونج ثم العهد التركي المصري حتى عام ١٨٣٨ • وجاء في مقدمة الكتاب « فاني رأيت تواريخ للأقدمين في عـدد سنى الملوك السابقين وأحببت أن أجمع الى ذلك شيئا من ابتداء عمارة سنار المحروسة •• وأذكر ما كان فيها ومن ملوكها وعلى ما سمعته الاذن وشوهد في آخر ملكهم الأمين » • ويعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لتاريخ مملكتي العبدلاب والفونج (وتقلى الى حد ما) • اذ يضم قوائم ملوكهم بالاضافة الى قدر يسير من التعليقات • ويمتاز الجزء الأخير منه بتفصيل ما اجتاح دولة الفونج من اضطرابات حادة في آخر عهدها •

وقد تعهد هذا الكتاب ثلاثة من العلماء ، الذين عاشوا في كنف الحكم التركي المصري بالسودان بالتهذيب والتنقيح والاضافة ، ولكن جوهر اضافتهم لم يمس الفترة التي نحن بصددها • وقد اهتم الشيخ الزبير بن عبد القادر ود الزين بتهذيب أسلوب المؤلف كما أضاف اليه مادة جديدة تشمل الفترة المنتهية في عام ١٨٦٣ • وأسهم الشيخ ابراهيم بن عبـد الدافع بشيء من الحذف والاضافة وامتدت مادة الكتاب حتى عام ١٨٧١ على يد الشيخ الأمين الضرير •

وللكتاب طبعتان محققتان أولاهما للبروفسير مكي شبيكة وقد نشرت بعنوان « تاريخ ملوك سنار » الخرطوم ، ١٩٤٧ ، والثانية للأستاذ الشاعر بصيلي عبد الجليل بعنوان « مخطوطة كاتب الشونة ، أو تاريخ السلطنة

السنارية » والادارة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣ · ويعمل الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم وكاتب هذه السطور على نشر تحقيق جديد يشمل النسخ الخطية التي اكتشفت حديثا ·

أما كتاب « الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان » ، لمحمدين النور ضيف الله (١٧٢٨ ــ ١٨٠٩) ، المشهور بود (أي ولد) ضيف الله ، فيمثل صرحا هاما في تاريخ الممالك الثلاث · فقد نشأ المؤلف بحلفاية الملوك مقر ملوك العبدلاب · وهنالك درس العلوم الدينية وتأثر بالجو الصوفي الغالب على البلاد في ذلك الحين · ويذكر ود ضيف الله أنه ألف هذا الكتاب استجابة لرجاء من أصدقائه : « بأن أورخ لهم ملك السودان ، وأذكر مناقب أوليائها الأعيان · فأجبت سؤالهم ··· مع أنه لم يكن لأسلافنا وأسلافهم وضع في هذا الشأن الا أن أخبارهم متواترة عند الخاص والعام ، منها ما بلغ حد التواتر عندهم فأحببت أن أذكر ما تواتر واشتهر » · والكتاب يشمل ترجمات ذاتية لسير سبعين ومائتين من العلماء والأولياء ويحتوي على معلومات من الحياة السياسية والاجتماعية والدينية · ويضم بين دفتيه العديد من الحكايات الشعبية ويزخر بمادة لغوية لا غنى عنها لأي باحث في اللغة العامية السودانية كما يشمل نماذج من شعر المديح والرثاء · وقد جمع المؤلف كل هذه دون نقد أو تعليق ولكنه اختار منها ما اشتهر وتواتر في ذلك العهد · واعتمد المؤلف في جميع هذه المادة على ثلاثة روافد أولها ما تواتر من الأخبار أي الروايات الشفوية المتداولة بين الناس أو خلاصة الموروث الشعبي الذي يمثل ذاكرة الأمة وتناقلته الأجيال كابرا عن كابر · وثانيها ما ورد في بعض المصادر الخطية التي ضاع أصلها مثل الاجازات والتاوى والأحكام الشرعية وما نقله من بعض المؤلفات · وثالثها ما رواه كشاهد عيان · وقد كتب الكاتب بلغة مبسطة يمزج فيها المؤلف بين الفصحى والعامية السودانية ·

وقد وصلنا هذا الكتاب في صورة بضع مخطوطات ليس بينها خلاف جوهري ، وقد نشرت ثلاث مرات خلال هذا القرن آخرها وربما أقربها لهيئة الكتاب الاولى الطبعة التي نشرتها جامعة الخرطوم ، في عام ١٩٧١ (٧) ·

قبل بضع سنوات عثرت على مخطوطتين متشابهتين عن تاريخ العبدلاب من تأليف عبد الله بن الارباب بن شارو سليل ملوك العبدلاب · وترجع أقدم المخطوطتين الى سنة ١٩١٥ وعنوانها « مقدمة تاريخ ملوك العبدلاب المقيمين بمدينة قرى المحروسة ونواحيها » · وتتكون هذه المخطوطة من خمس وثلاثين صفحة · وذكر المؤلف أنه كتبها بناء على توجيه من لا يسعه مخالفته ــ ولعله

السيد علي الميرغني : واعتمد في تأليفها على كلمات سمعها من الكبار المتقدمين • أما المخطوطة الثانية « واضح البيان في ملوك العرب بالسودان » ، فلا يعرف تاريخ تأليفها • وتتكون من احدى وعشرين صفحة • وذكر المؤلف أنه استفاد كثيرا من روايات والده البالغ من العمر تسعين سنة ، وكان والده هذا على صلة وثيقة بالعالم ابراهيم بن الشيخ عبد الدافع أحد منقحي مخطوطة كاتب الشونة • والمخطوطة الأخيرة تكاد تكون صورة طبق الأصل للروايات التي نشرها المستر بن بالانجليزية في سنة ١٩٣٤ • وهاتان المخطوطتان لم تحققا بعد تحقيقا علميا (٨) • وتشمل المخطوطتان على سجل كامل للملوك العبدلاب ومنجزاتهم وصلاتهم بملوك الفونج • ورغم أن هاتين المخطوطتين تعتمدان اعتمادا كليا على الروايات الشفوية المتواترة عند أبناء تلك القبيلة في أول هذا القرن ، فان ما جمعته شعبة أبحاث السودان حديثا لا يختلف كثيرا عن مادة هاتين المخطوطتين • ولا شك أن هذه المادة تحتاج الى غربلة ودراسة تحليلية (٩) •

وثائق تمليك الأرض :

وتمثل وثائق تمليك الأرض مصدرا من الوثائق هاما ، بل تمثل مرتكزا أساسيا لدراسة تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقي • فهي فوق أنها توضح العلاقات القائمة حول تمليك الأرض بين الدولة والمواطنين ، خاصة رجال الدين ، فانها تساعد في شرح كثير مما يرد في المصادر الخطية الاخرى • ويمكن عن طريقها المراجعة والضبط لما تحويه تلك المصادر من أنباء • ومعظم هذه الوثائق قد صدرت عن سلاطين الفونج والعبدلاب وعن دولتهم ونظامهم الحاكم • وكان أول من نبه الى قيمتها التاريخية الدكتور أ•ج أركل في دراسة له عن أصل الفونج نشرت سنة ١٩٣٢ (١٠) ثم تبعه الأستاذ الصادق النور الذي نشر خمسة عقود تمليك في مجلة كوش في عام ١٩٥٦ • وفي سنة ١٩٦٧ ابتدر الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم دراسة رائدة في فحص مجموعة مكونة من ست وثلاثين وثيقة • وكل هذه الوثائق محررة باللغة العربية ويرجع تاريخها الى الفترة الواقعة بين سنة ١٧٢٩ و ١٨٢٠ • وقد بين الدكتور أبو سليم طبيعة هذه الوثائق وأهميتها ، كما تعرض لتعريف الوظائف والألقاب الواردة فيها • وتكشف الوثائق عن الأساليب الديوانية التي كانت سائدة في الحكم ، وتبين طريقة فض المنازعات وطريقة اقطاع الأرض للأسر الدينية وللأفراد • ومع أن كثيرا من الوثائق مازالت في طي الكتمان ، الا أن دار الوثائق المركزية بالخرطوم قد كشفت النقاب عن كثير من هذه العقود في المديرية الشمالية ومديرية النيل ، وكردفان ودارفور ، ومازالت توالي جهودها (١٣) •

هذه باختصار المصادر الخطية الوطنية وأعتقد أنه يمكننا الكشف عن بعض المخطوطات ذات القيمة التاريخية اذا واصلنا البحث عند الأسر الدينية . كما أن هناك مجموعة من المؤلفات الدينية التي لم أتعرض اليها ولكنها دون شك تلقى بعض الضوء على الحالة الدينية للبلاد آنذاك . ولا شك أنه في غياب كمية جوهرية من المصادر الوطنية المكتوبة عن السودان الشرقي فلابد من الاعتماد على الروايات الشفوية وهذه نقطة آمل أن أعود اليها في آخر هذه الدراسة .

أدب الرحلات :

تشكل تقارير الزوار والرحالين الذين زاروا السودان الشرقي ابان هذه الفترة مصدرا من المصادر الهامة التي يمكن أن تكمل بعض الجوانب . التي خلفتها قلة المصادر الوطنية . ونلاحظ أن معظم هؤلاء الزوار من أصل اوربي وقد جاءوا للسودان ، كغيره من الأقطار الافريقية في اطار عملية الاستكشاف التي بدأتها أوربا ولمعرفة خصائصه الجغرافية . وبغية التمهيد لفتح الطريق للحبشة المسيحية .

وكان المقامر اليهودي داود روبيني أول من زار سلطنة الفونج ، وكان في طريقه من اليمن الى أوروبا . ومكث في سنار قرابة السنة بين عامي ١٥٢٢ و ١٥٢٣ . ومع أن بعض الباحثين يتشككون في صدق ما كتبه روبيني ، الا أن ما كتبه ذو أهمية فريدة ، لما حوى من معلومات تفصيلية عن الفونج عند نشأة دولتهم . وقد نشرت رحلة داود روبيني مترجمة الى الانجليزية في كتابين (١٤) .

وربما كان الرحالة التركي أوليا شلبي ثاني من زار السودان في عام ١٦٧٢ وقد طاف أوليا شلبي عددا من الأقطار في شمال أوربا وآسيا وافريقية . وخلف مادة كبيرة ضمنها عشرة مجلدات وقد كتب في الجزء العاشر (١٥) أخبار رحلاته في مصر والسودان والحبشة ، وبما أن كتاباته لا تخلو من شيء من المبالغة والاغراق فان بعض الباحثين يميلون الى أن ما كتبه عن السودان ربما أستقاه عن التجار الذين كانوا يترددون على تلك البلاد . ولم تحقق أو تنشر مادة الجزء العاشر نشرا علميا ، كما أنها لم تترجم بعد للغة العربية . وقد ترجم الجزء الخاص بالسودان الى اللغة الايطالية (١٦) . وقد أخبرني البروفسير رتشارد هل قبل بضعة أعوام أن ما نشر من هذه الرحلات في سنة ١٩٣٨ بحروف لاتينية لا يطابق محتويات المخطوط التي كان قد اطلع عليها وكتبت بالتركية العثمانية (١٧) . وازاء هذه الاعتبارات فلابد من أخذ محتويات رحلة أوليا شلبي بشيء من الحذر .

وشهد مطلع القرن الثامن عشر قدوم جماعة من المبشرين الذين ينتمون الى طائفتي اليسوعيين والفرنسيسكان الذين اتخذوا من مدينة سنار نقطة انطلاق لنشاطهم التبشيري في بلاد الحبشة المسيحية التي كانوا يؤملون أن يصير أهلها من أتباع الكنيسة الكاثوليكية في روما . وقد خلف هؤلاء المبشرون مذكرات وتقارير قيمة ، كما بعثوا ببعض الرسائل الى ذويهم وقد وجدت هذه الخطابات طريقها الى المكتبات الايطالية . وحوت هذه التقارير مادة متنوعة عن البلاد وأحوالها السياسية والاجتماعية . وفي كتاب تاريخ مملكة الفونج السنارية استعرض كرفورد عددا من مؤلفات هؤلاء القساوسة (١٨) . وقد اطلعت مؤخرا على مخطوطتين لدراستين لهذا الموضوع في شيء من التفصيل للأب الدكتور جيوفاني فانتيني (١٩) .

ويحتل كتاب شارلز بونسيه مركزا هاما في هذه القائمة . ففي عام ١٦٩٨ وصل مدينة مشو التي تقع على الحدود الشمالية لسلطنة الفونج ومنها تابع النيل حتى بلغ مدينة سنار التي أقام فيها ردحا من الزمن وقد ترك وصفا دقيقا لكل ما شهده (٢٠) . وقد اتسمت أوصافه بالدقة .

وكان ثيودور كرمب ثاني القساوسة الذين خلفوا وصفا لرحلتهم ، وقد أقام كرمب زمنا طويلا في بلاط ملوك العبدلاب وسلاطين الفونج ورغم كبر حجم ما خلفه من وصف الا أنه يفتقد العمق وقوة الملاحظة . ومن المصادر الهامة في هذا المجال تاريخ الارسالية الفرنسيسكانية في الصعيد والفونج والحبشة ١٦٨٦ ـ ١٧٢٠ للأب يعقوب دي البانو الذي نشره الأب جبرائيل جامبراديني (٢١) . وكذلك سلسلة أثيوبيا الفرنسيسكانية الجزء الأول والثاني (٢٢) .

ومن أهم الرحالة الأوربيين الذين زاروا مملكة الفونج المكتشف الاسكتلندي جيمس بروس الذي قضى معظم عام ١٧٦٢ في سنار عند عودته من الحبشة . وقد تعرف فيها بروس على طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية ، واستقى كثيرا من الأخبار عن تاريخ تلك الدولة وضمنها في كتاب رحلاته (٢٤) . الا أن ما ذكره بروس في ذلك الكتاب رغم غزارته وطرافته فانه يحتوي على الكثير من عنصر المبالغة وربما روح المغامرة والبطولة التي يضفيها بروس على كل منجزاته في تلك الرحلة التي انتهت باكتشاف منابع النيل الأزرق الذي ظل يفيض بالماء الوفير منذ بدء الخليقة وقد خط بروس مذكرة يومية سجل فيها معظم ما شاهده وسمعه ، فلما عاد الى موطنه كتب تفاصيل رحلاته من هذه المذكرات . وذكر الاسكندر مري مؤلف سيرة حياة بروس في خطاب لأحد معارفه « أن كتاب بروس بالرغم من أنه قيم وعجيب

فقد كتب باهمال » • ويذكر مري أنه بعد اضطلاعه على مذكرات بروس وجد فيها بعض الروايات التي لا تمت للحقيقة بصلة (٢٥) وقال عنه Benjamin Latrobe وهو ممن عرفوه عن قرب : « لم يكن يوحي بالدقة ناهيك بالموضوح وكان عفويا فيما يختص بالتفاصيل ولا شك أن مذكرات بروس رغم تناقضها أحيانا فانها تمثل مصدرا هاما لأصل الفونج (٢٦) •

وعلى نقيض بروس نجد الرحالة النمساوي جون لويس بروكهارت الذي زار السودان حتى بلغ مدينة شندي وميناء سواكن خلال عامي ١٣ ــ ١٨١٤ منتدبا من الجمعية الافريقية بلندن للكشف عن داخل أفريقيا • وكان لويس بروكهارت هذا يجيد العربية ، يقظ العقل ، قوي الملاحظة ، دقيق العبارة ، أمينا وصبورا • وقد تركت كل هذه الصفات آثارها على رحلاته في بلاد النوبة (٢٧) • اذ أنه وصف طبيعة البلاد وأعطى صورة دقيقة للحياة الاجتماعية والاقتصادية خاصة تجارة الرقيق في العقد الثاني من القرن التاسع عشر •

وليس هناك نهاية لقائمة مؤلفات الرحالين الأوروبيين الذين زاروا السودان وكتبوا عنه خاصة بعد الفتح التركي المصري وتعرضوا للحديث عن تاريخ تلك البلاد ، ولكن اهميتها تتضاءل كلما ابتعدنا عن عهد الفونج • ونجد أسماء هذه الكتب في كتاب كروفورد (٢٨) وفي كتاب الممالك السودانية (٢٩) • وفي طبقات ود ضيف الله المحقق حديثا (٣٠) • وعلى رأس هذه المجموعة كتب كايو (٣١) ولينانت دي بلفوند (٣٢) ودي كادلافين ودي بيفوري الذي آمل أن أعلق عليه عند حديثي عن المسبعات (٣٣) •

ومن المصادر المفيدة مجموعة من الكتابات تحدثت عن الطرق التي تربط اثيوبيا بالبحر الأحمر (٣٤) • وتشمل هذه بعض المؤلفات البرتغالية التي كتبت عن الحبشة في تاريخ معاصر لمطلع هذه الدراسة • وللمزيد من المعلومات عن العلاقات السودانية الاثيوبية والمصادر الاثيوبية في هذا الموضوع أنظر مقال مرد ولد أرقي وسيرقور هيل سلاسي (٣٥) • ويشتمل كتاب فانسليب عن مصر في القرن السابع على بعض الحقائق عن العلائق بين اقليمي وادي النيل (٢٦) •

واثبتت دراسة البروفسير جنكيز أورهونلو عن « ولاية الحبشة » أن المكتبات التركية تحتوي على مجموعة طيبة من الوثائق التركية التي تتعرض لمناطق مصوع وسواكن ، وآمل أن تتجه أنظار الباحثين لهذا المصدر الهام

وخاصة عن سلطنة الفور في القرن التاسع عشر • وقد نشر البروفسير أورهونلو عددا من الوثائق التركية في كتابه « ولاية الحبشة » (٣٧) •

الباب الثالث

مملكتي دارفور والمسبعات

لا تختلف نوعية المصادر التي تؤرخ لمملكتي الفور والمسبعات عما استعرضناه من مصادر المنطقة النيلية الا أنها أقل وفرة كما أنها باستثناء القليل منها لا تقدم معلومات مفصلة •

المصادر المحلية :

ليس في كل ما كتب عن هذا الاقليم ما يضاهي مخطوطة كاتب الشونة أو طبقات ود ضيف الله ، ولكن الروايات الشفوية المتداولة عند المواطنين والتي دونت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تمثل مصدرا هاما لا يمكن اغفاله • فقد جمع ماكمايكل شذرا من هذه الروايات في كتابيه « تاريخ العرب في السودان » و « قبائل شمال وأواسط كردفان » اللذين أسلفنا الاشارة اليهما (٣٨) • كما أن مجلة السودان بها رسائل ومدونات تحوي العديد من المقالات التي تعتمد أصلا على قدر كبير من الروايات الشفوية ــ مثل مقالات ج٠أ٠ أركل عن تاريخ الفور • وقد أثرى السيد أركل المكتبة السودانية بحفظه لأصول كثيرة من هذه الأخبار بالصورة التي جمعها فيها ابان اقامته الطويلة في دارفور بين عامي ٢١ ــ ١٩٢٦ ثم بين عامي ٣٢ ــ ١٩٣٧ • وتوجد هذه المذكرات التي تشكل معلومات ثرة عن مملكة الفونج في مكتبة معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن • ومن هذه الوثائق قانون دالي الذي يعتبر أساس التشريع والعرف القانوني عند سلاطين الفور ، كما تشمل وريقات عن أنساب القبائل واشارات مختصرة عن تاريخ بعض القبائل ، وقوائم بأسماء السلاطين • وتحتوي أيضا على ما جمعه أركل من أفواه الرواة أثناء تجواله في تلك المديرية (٣٩) • وتشكل أوراق أركل مصدرا رئيسيا لتاريخ سلطنة الفور •

وفي العهد التركي المصري (١٨٧٤ ــ ١٨٨٥) جمع سلاطين Slatin باشا مادة مشابهة ونشرها في كتابه « النار والسيف » (٤٠) • كما أفرد

نعوم شقير ، وكان يعمل في المخابرات المصرية ، حيزا كبيرا من كتابه الهام « تاريخ السودان » لنفس الغرض (٤١) ، وقد جمع كثيرا من معلوماته هذه من الشيخ محمد الطيب امام مسجد السلطان علي دينار ٠ ونجد في مؤلفات المؤرخ السوداني محمد عبد الرحيم صدى للروايات الشفوية في كتاباته عن تاريخ الفور والمسبعات (٤٢) ٠

عقود تمليك الأرض :

تمثل هذه مصدرا من الوثائق هاما لتاريخ سلطنة الفور نسبة لقلة المدونات المحلية وخلافا لما كان يظن فقد عثر على قدر كبير من هذه الوثائق السلطانية ٠ وربما كان أول من نبه اليها المؤلفان جوزيف وماري جوس تبيانا عندما صورا خمس عشرة وثيقة ، في دور الواقعة شمال دارفور ، عام ١٩٦٥ ٠ وفي منتصف عام ١٩٧٠ اكتشف الدكتور ركس شين أوفاهي مزيدا من عقود التمليك هذه في مدينة الفاشر وضواحيها ٠ وفي رحلات أخرى مماثلة تم الحصول على مزيد من الوثائق تشمل وثائق التمليك وغيرها من الوثائق مثل سندات بيع الرقيق ورخص تجارية وطلب اعفاء من الضرائب ٠ وترجع أقدم هذه الوثائق الى عهد السلطان أبي القاسم (١٧٦٤ ـ ١٧٦٨) الا أن معظمها يعود الى عهد السلطان علي دينار الذي قتل في سنة ١٩١٦ ٠ وقد نشر الدكتور أوفاهي بمعاونة الدكتور عبد الغفار محمد أحمد جزءا من هذه الوثائق في كتابين بعنوان « وثائق من الفور » (٤٣) ٠ ومازال هناك مجال لجمع وثائق أكثر اذا ما ضوعف الجهد ، وهذا التنقيب يتطلب السرعة اذ أن الزمن ليس في صالح الباحثين بسبب الآفات مثل الارضة وربما الحرائق التي تتلف الكثير من هذه الوثائق ٠ كما أن من يستطيعون شرح ما غمض من محتويات هذه الوثائق يتناقص عددهم عاما بعد عام (٤٤) ٠

واخيرا قام الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم بدراسة كل ما اكتشف من هذه الوثائق في بحث مماثل لكتابه « الفونج والأرض » درس فيه تسعا وعشرين وثيقة بعد أن نقل نصوصها نقلا حرفيا ٠ ومن المواضيع التي درسها في كتابه « الفور والأرض » ، من خلال هذه الوثائق ، وضع المزارع وسياسة السلاطين نحو الأرض والعطايا والملكية للحاكورة (وجمعها حواكير) أي استعمال الأرض دون أن يكون للمزارع حق الملكية المطلقة عليها (٤٥) ٠

آداب الرحلات :

زار هذا الاقليم رحالون ثلاثة هم التونسي وبراون وناختيقال ٠ كما

تشمل كتابات الرحالين الذين زاروا الأقاليم المجاورة أو كتبوا عنها في ذلك الوقت بعض الأخبار عن اقليم الفور ٠

أما محمد بن عمر التونسي (١٧٨٩ ـ ١٨٥٧) فينتمي الى أسرة تردد بعض أفرادها على سنار والفاشر ووادي بقصد التجارة ، وتدريس العلوم الدينية ٠ وفي عام ١٨٠٣ قدم التونسي الى الفاشر باحثا عن والده ، ومكث هناك قرابة ثماني سنوات ، كما زار مملكة واداي وفي أثناء اقامته في دارفور تجول في أقاليمها المختلفة وألم بأحوالها السياسية والاجتماعية والتاريخية ٠ وقد مكنه صفاء ذهنه وقوة ملاحظته من اختزان كثير من المعلومات عن تلك البلاد ، وفي عام ١٨٣٢ سجل التونسي هذه المادة بتشجيع من المستشرق الفرنسي بيرون ، ونشرت في طبعة على الحجر باسم « تشحيذ الأذهان بسير بلاد العرب والسودان » (٤٦) ، ونشرت في طبعة محققة عام ١٩٦٥ (٤٧) ٠ وفي هذا الكتاب خلف لنا التونسي أوفى وصف عن هذا الاقليم ٠ ومع أن هذا المؤلف يعتبر امتدادا طبيعيا لمؤلفات الرحالة العرب الذين زاروا السودان مثل ابن سليم الأسواني وابن بطوطة في محتواها ـ الا أنه أول مؤلف عربي يتحدث عن بلاد السودان الشرقي منذ القرن الخامس عشر ، وربما كان تشحيذ الأذهان (ووصفه عن واداي) آخر مساهمة عربية جادة كتبت عن تجربة رحلة مباشرة لأواسط القارة الافريقية ٠

وترسم خطى التونسي ، رحالة تونسي آخر ، يسمى زين العابدين ؛ ففي نحو عام ١٨١٨ ذهب الى السودان حيث مكث فيه عشرة أعوام زار خلالها سنار وكردفان ودارفور وواداى ، واشتغل بالتدريس ٠ وقد ضاع الأصل العربي لمذكراته عن تلك الرحلة الا أن ترجمة تركية لها قد نشرت في عام ١٨٤٦ ، وأخرى المانية طبعت بعد عام واحد (٤٨) ٠ وقيل أن الكتاب يضيف بعض المعلومات على ما أورده التونسي عن دارفور الا أنه أقل قيمة من كتاب تشحيذ الأذهان ٠

وفي عام ١٧٩٣ استطاع الرحالة الانجليزي و٠ق٠ براون أن يصل الى دارفور حيث مكث فيها حتى عام ١٧٩٦ ، وتمكن خلالها رغم « الحجر » المفروض عليه من جمع معلومات غنية عن تلك البلاد خاصة في الشئون التجارية ، وقد ضمنت في كتابه « أسفار في أفريقيا » (٤٩) ٠ وزار الرحالة الألماني جوستاف ناختيفال الفاشر ، سنة ١٧٧٤ ، بعد رحلة طويلة زار خلالها أقاليم تيبستي ، وكانم وواداي ٠ ومكث في الفاشر نحو ستة أشهر ٠ جمع خلالها كثيرا من الأخبار الثرة عن وضع تلك البلاد ، وتاريخها السياسي والاجتماعي وقدم وصفا تفصيليا لبعض العادات وكان مصدره في هذا كله ،

الى جانب مشاهداته بعض الرواة · ونشر الجزء المتعلق بواداي ودارفور بالألمانية في الجزء الثالث وفي ترجمة بالانجليزية في الجزء الرابع (٥٠) ·

ويجد الباحث كثيرا من الاشارات القيمة في معظم ما كتب عن الممالك الاسلامية الشرقية المعاصرة للمملكتي الفور والمسبعات · كما يجد الباحث أيضا بعض الاشارات المفيدة في دراسات هنري بارث مثل رحلات واكتشافات في أفريقيا الشمالية والوسطى (٥١) ·

ولعل من أهم الكتب المعاصرة كتاب مصر والنوبة للمؤلفين دي كادلافين ودبروفيري (٥٢) خاصة الجزء المتعلق باقليم كردفان (سلطنة المسبعات) · ويؤرخ هذا الجزء لتاريخ كردفان من القرن الخامس عشر وحتى أوائل القرن التاسع عشر · وقد زار هذان الكاتبان مصر ثم تابعا النيل حتى مدينة دنقلا ثم جبل البركل · وقد اعتمدا في كتابة هذا الجزء على مستشرق فرنسي ، كان يعيش في مصر ومنها تردد على السودان مرات كما زار مدينة الأبيض · ويبدو أنه قد حصل على مخطوطة في احدى زياراته تلك من أحد أفراد أسرة المسبعات (٥٣) · وهذه الصفحات خير ما وصلنا عن تاريخ سلطنة المسبعات ·

وثائق سجلات المحاكم في القاهرة :

وقد اكتشف الدكتور ت· ولتز عند دراسته للتجارة بين مصر وبلاد السودان ١٧٠٠ ـ ١٨٢٠ ـ وثائق هامة في بعض المحاكم الشرعية في القاهرة ، وتوجد معظم هذه الوثائق في مصلحة الشهر العقاري · وتحتوي على مجموعة من الدفاتر يرجع تاريخها الى سنة ١٥٢٧ · وتشمل هذه السجلات أسماء كثيرة عن التجار الذين كانوا يتاجرون مع أجزاء متفرقة من القارة الافريقية · وذكر الدكتور ولتز أنه وجد فيها مادة غزيرة كانت ذات فائدة عظمى في دراسته هذه · وبين أن أصول هذه الوثائق توجد في محكمة القسمة العربية ومحكمة القسمة العسكرية ومحكمة الباب العالي ، والمحكمة الصالحية النجمية · كما تشمل هذه الوثائق على عقود الأوقاف ووثائق البيع وايصالات التسليم وعقود التوكيل وغيرها من الوثائق ذات الصبغة التجارية ولا شك أن مثل هذه الوثائق قد تفتح آفاقا جديدة في البحث العلمي (٥٥) ·

الباب الرابع

التراث الشفوي وأهمية جمعه

ذكرت في اكثر من مناسبة في هذه الدراسة أن بعض المؤلفات كمخطوطة « كاتب الشونة » كانت في أصلها مجموعة من الأخبار التاريخية المتداولة عند الناس ثم جمعت ودونت في كتب • وهذا القول ينطبق على كثير من تلك المؤلفات بل أن معظم ما جمعه الرحالة ينبع من هذا الرافد • وفي أول هذا القرن كان كثير من الاداريين البريطانيين يملأون أوقات فراغهم بتوجيه أسئلة للمواطنين عن بعض الظواهر الاجتماعية أو الروايات التاريخية المتداولة • وأصبحت كل هذه الأخبار تمثل ذخيرة تاريخية هامة يهتدي بها الكتاب عند دراستهم لتاريخ هذه البلاد • وفي وقتنا هذا بدأت شعبة أبحاث السودان (ومن بعدها معهد الدراسات الافريقية والآسيوية) بجامعة الخرطوم بجمع الروايات الشفوية المتداولة بين سكان منطقة معينة وخير مثال لذلك « تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية » « والتراث الشعبي لقبيلة المسبعات » • ومازال هناك مجال واسع لكل الباحثين في هذا المضمار • فقد جمع كاتب هذه السطور بعض الأخبار الهامة عن تاريخ سلطنة الفونج ، في أعالي النيل الأزرق ، بعد توجيه أسئلة محددة ، وفق منهج علمي ارتضاه لنفسه ، وكانت النتيجة مشجعة جدا • هذا لا يعني أن نترك الباب مفتوحا لكل شخص دون تدريب علمي على جمع مثل هذه المادة • فاذا لم نفعل ذلك فسيتعذر علينا ملء كثير من الثغرات التي أهملها المعاصرون ممن كتبوا عن تاريخ هذه البلاد • وأرجو أن أنبه أن منهج جمع هذه الروايات الشفوية ، في مجتمع ظل بعض أهله يجيدون القراءة والكتابة منذ أمد بعيد يختلف كثيرا عن الضوابط التي وضعها البروفسير جان فانسينا في منهجه الرائد ، ووصفها في كتابه « التقاليد الشفوية » (٥٦) •

ومهما يكن من أمر المنهج الذي نتبعه في جمع الروايات الشفوية فيبدو لي أنه مع قلة المصادر المكتوبة لابد من الاسراع بجمع هذه الروايات قبل موت حفظتها ، في وقت أخذ الاعتماد على الكلمة المكتوبة يزداد يوما بعد يوم • وأرى أن موضوع الروايات الشفوية كمصدر من مصادر التاريخ ، يستحق العناية والدراسة من الباحثين • ولابد من ربط زيادة حصيلتنا من الروايات الشفوية بالبحوث المنتظم داخل السودان وخارجه عن الوثائق والمؤلفات التي مازالت في طي الكتمان • وقد برهنت التجربة أن مثل هذه المحاولات قل أن تفشل •

وختاما اسمحوا لي أن أنهي هذه الدراسة بقائمة ببعض الدراسات الحديثة التي تحتوي في ثبت مصادرها على قدر من عناوين كل ما كتب عن بلاد السودان الشرقي ، خاصة في الدوريات ـ التي تشكل في يومنا هـــذا مصدرا لا غنى عنه لكل باحث (٥٧) .

المصادر والهوامش

1. O. G. S. Crawford : The Funj Kingdom of Sennar, Gloucester.

2. Yusuf Fadl Hasan, The Arabs & the Sudan, Khartoum 1974 3rd edition.

3. R. L. Hill A bibliography of the Anglo-Egyptian Sudan. from the earliest times to 1937, London 1939.

٤ ـ محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات في خصوص الأوليــــاء والصالحين والعلماء والشعراء ، تحقيق يوسف فضل حســـن ، الخرطوم ، ١٩٧٤ .

٥ ـ مصطفى محمد مسعد ، المكتبة السودانية العربية مجموعة الوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

6. Abd El-Rahman El Nasri, A Bibliography of the Sudan 1938 - 1958. London, 1963.

7. R. S. O'Fahey : The Growth and Development of the Keira Sultanate of Darfur, Ph. D London, 1972.

8. J. L. Spaulding, Kings of Sun and Shadow : A History of the Abdallab Provinces .... 1500 - 1800 A D Ph. D

٩ ـ قاسم عثمان نور ، مصادر الدراسات الســودانية ، الخرطوم ، ١٩٧٣ .

١٠ ـ يوسف أسعد داغر ، الاصول العربية للدراســات السودانية ، بيروت ، ١٩٦٨ .

١ ـ احمد بن علي المقريزي ، كتاب المواعظ والاعتبـــــار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق فييت ـ القاهرة ، ١٩٢٢ ، ج٣ ، ٢٥٢ ـ ٢٧٨ ٠

٢ ـ واورد ابن عبد السلام فصلا في كتابه الفيض المديد في اخبار النيـــل السعيد ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٢٩ تاريخ ، وابن اياس في نشق الازهار في عجائب الاقطار ، مخطوطة ـ المتحف البريطاني ـ لندن ٠

٣ ـ مصطفى محمد مسعد ، المكتبة السودانية العربية ، مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢ ٠

٤ ـ نشر هذا الكتاب في وارسو ببولندا ، ســـنة ١٩٧٨ ، ولكني لم ار نسـخة منـــه بعـــد ٠

5. Yusuf Fadl Hasan, The Arabs and the Sudan, Edinburgh 1967, PP. 182 - 213, 258 - 264.

٦ ـ يرجى ان يعثر الباحث على بعض المصادر في مكتبات مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة ، واليمن ٠ فهذه المكتبات لم تفحص محتوياتها بعد ، فحصا دقيقا ـ ويامل المؤلف ان يرجع الى مكتبات الحجاز في هذا الشان ٠

٧ ـ الطبقات لابن ضيف الله ، تحقيق وتعليق وتقديم يوسف فضل حسن ، الطبعـة الاولى ١٩٧٠ ، الطبعة الثانية ١٩٧٤ ٠

8. A. E. D. Penn, "Traditional stories of the Abdullab Tribe" "Sudan Notes and Records" XVII, (1934) 58 - 82.

٩ ـ احمد عبد الرحيم نصر ، تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ـ شعبة ابحاث السودان ، الخرطوم ، ١٩٦٩ ٠

10. A. J. Arkell, "Funj Origins" Sudan Notes and Records" X V (1932) P. 9, and 248 - 50.

١٣ ـ محمد ابراهيم أبو سليم : الفونج والأرض : وثائق تمليك : شعبة ابحاث السودان ، الخرطوم ١٩٦٧ ، انظر أيضا يوسف فضل حسن ، دراسات في تاريخ السودان ص ١٢٠ ـ ١٢٢ والمصادر المذكورة هناك ٠

14. E. N. "David Reubeni", Jewish, Trevellers, London, 1930 251 - 328; S. Hellilson, David, Reubeni, an early visitor to Sennar, Sudan Notes and Records, XVI, 1933, 55 - 66.

15. Evliya Celebi, Seyahamesi Misr Sudan, Habes 1672 - 1680 Istanbul, 1938.

16. Maria Tereza Pette Suma, "Il viaggio in Sudan di, Evliya Celebi 1671 - 1672" Annali Del Istitute Universtario orientale, (Naples) N. S. XIV, II, 1964.

35. F. Alvarez, The Prester John of the Indies .... ed C. F. Beckingham and G. W. B. Huulingford, Hakluyt Society No. CXV, Cambridge, 1961. Merid Wolde Aregay, and Sergew Hable Selassie, "Sudanese Ethiopian Relations before the Nineteenth Century" in Sudan in Africa, ed Yusuf Fadl Hasan, Khartoum, 1971.

36. J. M. Wansleben, The Present state of Egypt, or a new relation of a Late Voyage into that Kingdom, London 1678, J. M. Vansleb, Nouvelle relation en forme de Journal d'un voyage fait en Egypte .... Paris, 1677.

37. Genciz Orhonlu, Habes Eyaleti, Istanbul, 1974.

٣٨ ـ انظر صفحة ٧ اعـلاه ٠

٣٩ ـ وقد وصف اوفاهي مجموعة اوراق اركل في دراسة تفصيلية بعنوان :
R. S. O'Fahey, "The Sudan of the Re V. A. J. Arkell, Sudan notes and Records, LV (1974) 172 - 74.

40. R. Von Slatin, Fire and Sword in the Sudan, London, 1896.

٤١ ـ تاريخ السـودان القـديم والحديث وجغرافيته ، القـاهرة ، ١٩٠٣ ، ح١١١/٩ ـ ١٤٨ ٠

٤٢ ـ ابطال السودان ، مخطوطة تعدها للنشر دار الوثائق المركزية بالتعاون مع معهد الدراسات الافريقية والآسيوية و « مملكة المسبعات » مجلة ام درمان ، العـدد الثاني ، (٣٠ سبتمبر ١٩٣٦) ٠ ٧٩ ـ ٨١ ٠

43. Rex S. O'Fahey and Abdul-Ghaffar Mohammed Ahmed, Documents from Dar fur, Fascilo No. 1 - 2.

44. R. S. O'Fahey A plea for the collection and study of non literacy public & Private Records,. Bulletin of Information Fontes Historic Africane, Accra, 1976. 6 - 12 and 26 - 30.

٤٥ ـ محمد ابراهيم ابو سليم ، الفور والارض وثائق تمليك ، الخرطوم ١٩٧٥ ٠

٤٦ ـ باريس ١٨٥٠ ، وترجمها بيرون الى الفرنسية بعنوان :
Voyage au Darfur par le Cheykh Mohamed Ebn Omer El Tonnsy, Paris.

١٧ ـ لعل البروفسير هل يشير الى المخطوطة المحفوظة بمكتبة السليمانية في استنبول ، وقد رايتها وهي بحروف عربية واضحة ٠

18. O. G. B. - Grawford, The Funj Kingdom of Sennar, G; picester, 1951, PP 196 - 236.

19. The Franciscan Travellers in Nubia and Sennar between 1680 - 1720.

20. C. J. Poncet, Avoyage to Ethiopia made in the years 1698, 1699, 1700 describing particulary that famous Empire as also the Kingdom of Dongola, Sennar, London. 1709.

21. The Krump, Hoher und Fruchtbarer Palm Baum ...., Angsburg, 1710.

22. Ciacomo D'ALBANO, Hisoria Della Messione Francescana in alto Egitto Fungi-Etiopia, 1686 - 1720, ed by G Giamberardini, Cairo, 1961, Viraggiatori Franciscani attraverso la Nubia dal 1698 al 1710.

23. Etiopia Francesca, ne Documenti der secoli XVII E XVIII, ed T. S. di Hetole, 1638, 16 - 43, Quaracchi, Vol 1. Ethiopia Francesca ...., ed by G. M. Montano, Quaracchi, 1948 Vol II.

24. James Bruce, Travels to Discover the Sources of the Nile, 1804 - 5, 7 volumes, Edinburgh, 2nd edition.

25. Alexander Murray, Account of the life and writings of James Bruce Kinnaird, Edinburgh, 1808.

26. J. Bruce, Travels to discover the sources of the Nile .., Selected and edited by G.F. Beckingham, Edinburgh, 1964, 16.

27. J. L. Burckhardt, Travels in Nubia, London, 1822.

28. O. G. S. Crawford, The Funj Kingdom, of Sennar Gloucester, 1951.

29. R. S. O'Fahey and J. L. Spaulding, Kingdoms of the Sudan, London, 1974.

٣٠ ـ محمد النور بن ضيف الله ، كتاب الطبقات ، تحقيق يوسف فضل حسن ، ١٩٧٤ .

31. F. Cailliaud, Voyage a Meroe au Fleuve blanc .... fait dans les annees 1819, 1820, 1821 et 1822 4 Vols, Paris 1826.

32. L. de Bellefonde, .. Journal D'un Voyage a Meroe dans les annes 1821 et 1822 - ed M. Shinne, Khartoum 1954.

33. E. de Cadalvene, J. de Breuvery, Egypte at la Nubie, Paris, 1839 Vol 1.

34. O. G. S. Crawford, ed., Ethiopian Itineraries circa, 1400 - 1524 .... Hakluyt Society, 2nd series, No. cix Cambridge, 1953.

٤٧ ـ حققه الاستاذان خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

48. Zein El abdin, Das Bush des Sudan, translated by G. Rosen, Leipzig, 1847.

49. G. W. Browne, Travels in Africa, Egypt, and Syria for the years : 1792 - 1796, London, 1799.

٥٠ ـ (وبالانجليزية) :

G. Nachtigal, Sahara und Sudan, Leipzig, 1967, III, Sahara and Sudan; Wadi and Darfur, 1971, translated by A. G. B. Fisher and J. J. Fisher, with R. S. O'Fahey.

51. H. Barth, Travels and Discoveries in Northern and Central Africa 5 Vols, London, 1857.

52. E. de Cadalvene and J. de Breuvery L'Egypte te Nubie, Vol 11, Paris, 1838.

53. R. S. O'Fahey, "Kordofan in the eighteenth Century" Sudan Notes and Records, LIV (1973), 32 - 42.

٥٥ ـ انظر المصدر السابق صفحات : XII - XVI

56. Jan Vansina, Oral Tradition, A study in Historical Methodology, London, 1965.

٥٧ ـ قبل فترة بدا كاتب هذه الدراسة في اعداد ببلوغرافية مفصلة عن تاريخ الممالك الاسلامية في سودان وادي النيل ٠

الطائف ووج

وما بها من آثار النبي صلى الله عليه وسلم والمساجد الأثرية

بقلم : دكتورة سعاد ماهر محمد

الطائف مدينة عريقة في القدم وهي تلي مكة المكرمة من حيث الأهمية واتساع العمران ورفاهية السكان ، ونقل القرآن مقالة الخصوم من قريش فقال : « وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » (١) ٠

وقد كانت الطائف في العصر الجاهلي مستقر عبادة اللات التي يشترك معظم العرب في تقديسها ، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى تلك اذاً قسمة ضيزى » (٢) ٠

وكانت اللات عبارة عن صخرة مربعة بالطائف عليها بناء ولها حي وحرم يقصده العرب ويقدمون لها الذبائح (٣) ، وكان حجابها من بني مغيث من ثقيف (٤) يحاولون أن ينافسوا باللات كعبة قريش بمكة ٠ ويقابل اللات عند ثقيف هبل عند قريش ، وهو عبارة عن صنم على صورة انسان كان مصنوعا من العقيق ، وقد كسرت ذراعه فأبدله القرشيون بذراع من ذهب ٠

وكان أهل الطائف أصحاب أملاك وبساتين وثراء ورخاء أورثتهم الكبر والبطر (٥) وجعلتهم مصداقا لقوله عز وجل « وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها ، انا بما أرسلتم به كافرون ، وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين » (٦) ٠

وقد كثرت القصص والأساطير في تفسير اسم الطائف ، فمن قائل (٧) بأنها كانت في القديم للعمالقة ثم نزلها ثمود ثم سكنها ثقيف ، وهي الآن دارهم سميت به لأنها طافت على الماء في الطوفان ٠ وفي رواية ثانية ، أن الجبريل عليه السلام طاف بها على البيت او أنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه السلام » ويضيف الأرزقي فيقول : ان ابراهيم عليه السلام لما قال : ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم (٩) ، بعث الله عز وجل لدعوته جبريل من ليلته واقتطع الطائف من الشوم من تخوم الأرض (١٠) بعيونها وثمارها ومزارعها وامره أن يغرس الطائف وكان لها اسم غيره فطاف بها على البيت سبعا ووضعها في مكانها ٠

وفي رواية أخرى (١١) ، وأصل الطائف ، أن جبريل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لأصحاب الصريم باليمن فسار بها الى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها ٠ ويضيف البغوي في تفسيره فيقول : « وكانت جنة أصحاب الصريم بستانا دون صنعاء بفرسخين وصاحبها رجل صالح اسمه ضروان وقيل جود » ٠

أما الرواية الرابعة (١٢) فهي أقرب الروايات للعقل والمنطق وهي تقول « أن رجلا من الصرف أصاب دما بحضرموت ففر الى (وج) وحالف مسعودا بن مالك بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف (١٣) وكان له مال عظيم ، فقال هل لكم في أن أبني طوفا عليكم يكون لكم ردأ من العرب فقالوا نعم فبناه وهو الحائط المطيف به (١٤) ، وجاء في القاموس (١٥) المحيط في تفسير معنى الطائف في مادة (طاف) : الطائف بلاد ثقيف أول قراها القيم وآخرها الوهط وهو من أرض الحجاز ٠

أما (وج) التي يقرن اسمها دائما باسم الطائف فهي كما يقول العجمي (١٦) ، اسم لحصون الطائف ، أما ابن فهد فيقول نقلا عن أهل اللغة « انه اسم لبلد الطائف كلها » ولكن الصحيح هو ما ورد في القاموس « انه اسم واد بالطائف ما بين جبل المحرق والاصيحرين » ٠

أما عن تفسير اسم (وج) فيقول ابن فهد (١٧) : ان وجا كان رجلا من العمالقة فحوط مواليه القرية التي سميت باسمه فضبطوا واديها ما بين الصخور وشيدوا بها القصور وغرسوها أشجارا وفجروها أنهارا ٠ وكان رجلا نجدي الأصل غير أنه اذا رجعت الابل وقت الصيف تطلب المياه ، جاء

هو بأمواله فأنزلها مضاحي نجد بقرب (وج) ويتمتع هو أيام الثمر بقرية (وج) . ثم يضيف ويقول : واسم أب وج هذا عبد الحق .

ولعل من أهم الأسباب التي أعطت وج أهمية خاصة بحيث أصبح اسم وج يقرن دائما بالطائف ، ما رواه ابن هشام (١٨) في سيرته ، قول الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه لثقيف لما قدم عليه وفدهم « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى المؤمنين أن عضاة وج (١٩) وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، فان تعدى ذلك فيبلغ به النبي محمد وان هـذا أمر محمد رسـول الله ، وكتب خالد ابن سعيد بأمر رسول الله محمد بن عبد الله فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

وقد شاركت الطائف في العصر الاسلامي في بناء صرح الدولة برجالها الأفذاذ الحجاج بن يوسف الثقفي ، ومحمد بن القاسم الثقفي فاتح السند والطفيل بن عمرو الروسي ،ا لذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم فصار النور في سوطه ، فهو معروف بذي النور (٢٠) . وأقام الطفيل في بلاده الى عام في شوال من السنة الخامسة من الهجرة ثم قدم في سبعين أو ثمانين رجلا من قومه مسلمين (٢١) .

هذا وقد كان لمدينة الطائف أهميتها وخطرها عند خلفـاء الدولة الأموية والعباسية حتى أن الخلفاء كانوا يجعلون عليها ولاة ثقاة من بطانتهم ، وفي ذلك يقول الفاكهي (٢٢) : كان للطائف خطر عند الخلفاء فيما مضى وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ولا يجعل ولايتها الى صاحب مكة .

كما كان الخلفاء يتمنون المصيف بها فمن ذلك قول معاوية بن أبي سفيان لسعيد مولاه « أنعم الناس عيشا يقيظ بالطائف ويشتي بمكة » .
بمكة » .

وقد استحوذت الطائف على أفكار المؤرخين ووجدان الشعراء فصنعوا في تاريخها المؤلفات ونظموا في وصف جمالها القصائد ، ففي اعتدال مناخها صيفا يقول الشاعر الأموي عمر بن أبي ربيعة :

تشتو بمكة نعمة   ومصيفها بالطائف

كما تغنوا بجمال واديها (٢٣) (وج) وتحـدثوا عن ذكرياتهم في جنباته من مثل قول عروة بن حزام :

أحقـــا يا حمـــــامة بطن وج بهـــذا النـــوح أنك تصـــدقينا
غلبتك بالبـــكاء لأن ليـــــلي أواصـــله وأنـــك تهجعينـــا
وأني ان بكيت بكيت حقـــا وأنـــك في بكائك تكذبينـــا
فلســـت وان بكيت أشد شوقا ولكـــــني أســـر وتعلنينـــا
فنـــوحي يا حمـــامة بطن وج فقد هيجت مشـــتاقا حزينـــا

★★★

ولعل من أقدم الآثار العمرانية المؤرخة التي تثبت ما كان للطائف من أهمية منذ فجر الاسلام ، ذلك السد الذي أقامه الخليفة معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٨هـ على بعد تسعة وعشرين ميـلا الى الشرق من الطايف ، وما يزال باقيا حتى اليوم ، والذي يعرف باسم (سد ساي سد) ٠ كما يؤكد هذا السد بالدليل المادي مبلغ ما كانت عليه الحضارة الاسلامية في ذلك الوقت المبكر من تقدم وازدهار واهتمامها بالقيام بمثل هذه المشروعات العمرانية في استنباط المياه واقامة السدود لحجزها ٠ والسد مبني من صخور جرانيتية يبلغ طول الجزء الباقي منـه الآن (٨٥) مترا ويتراوح ارتفاعه ما بين (١٠ر٢٥) مترا الى (٨ر٥) مترا ٠

وبالقرب من الطرف الجنوبي للسد توجد كتابة كوفية بسيطة ، في اعتقادي أنها أقدم كتابة ، وجـــدت حتى الآن على أثر عمراني (٢٤) في العصر الاسلامي ونص الكتابة كما يلي :

١ ــ هذا السد لعبد الله معوية (معاوية)
٢ ــ أمير المؤمنين نبه (بناه) عبد الله بن خلد (خالد)
٣ ــ باذن الله لسنه ثمن (ثمان) وخمسين ا
٤ ــ للهم اغفر لعبد الله معويه (معاويه) أ
٥ ــ مير المؤمنين ذنبه وانصره ومتع ا
٦ ــ لمؤمنين به كتب عمرو بن حيان



لوحه رقم (١) **تبين سد الطائف الذي بناه معاويه بن ابي سفيان سنة ٥٨هـ**

وقد نشر هذا النص من قبل الدكتور (جـورج مايلز) أمين قسم النميـــات بنيويورك بالولايات المتحـــدة الأمريكية ، الا أنه قد جانبـــه الصواب في قراءة باني السد فقد قرأه (عبد الله بن صقر) والصحيح هو (عبد الله بن خالد بن أسير بن أبي العبسي القرشي) والي مكة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فقد جاء في تاريخ معاوية أنه عندما حج حجته الأولى ـ بعد توليه الخلافة ـ سنة أربع وأربعـــين للهجرة طلب من والي مكة عبد الله بن خالد بن أسير بناء هذا السد بالطائف الذي تم سنة ثمان وخمسين في عهد نائب أمير مكة عمرو بن حيان ٠

كذلك حظيت الطائف وواديها (وج) ببعض الآثار والمشاهد والمساجد التي يرجع تاريخها الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هجرته الى المدينة المنورة ٠ فمن المعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لما مات عمه أبو طالب اشتد البلاء عليه فعمد لثقيف (٢٦) رجاء أن يؤووه ، فوجـد ثلاثة نفر ، هم ســادة ثقيف وهم أخوة : عبد ياليـــــل بن عمرو وحبيب

بن عمرو ، ومسعود بن عمرو (٢٧) ، فعرض عليهم نفســــه ، واعلمهم بما لقي من قومه فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟ وقال الثالث : لا أكلمك بعد مجلسك هذا ولان كنت رسول الله لأنت أعظم حقا من أن أكلمك ، ولان كنت تكذب على الله لأنت شر من أن أكلمك (٢٨) ٠ وهزأوا به وأفشوا في قومهم ما راجعوه به وأقعدوا له صفين ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم جعلوا لا يرفع رجلا ولا يضع أخرى الا رضخوها بحجارة قد كانوا أعدوها حتى أدموا رجليه صلى الله عليه وسلم ٠

فلما خلص منهم عمد الى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب تسيل قدماه بالدماء ٠ واذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما رآهما كره مكانهما لما يعــلم من عداوتهما له ٠ فلما راياه أرسلا اليه غلاما لهما يقــــال له عداس وهو نصراني من أهل نينوى بالموصل ، ومعه عنب ٠ فلما أتاه عداس قال له رسول الله صلى الله عليــه وســـلم ، من أي أرض أنت يا عداس ، قال من نينوى ، فقــــال النبي صلى الله عليه وسلم ، مدينة الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس ما يدريك من يونس بن متى ٠ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالة ربه فقال أنا رسول الله ، فلما أخبره بما

أوحى الله اليه من شأن يونس ، خر عداس ساجدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان دما ٠

فلما أبصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا ، فلما ، أتاهما قالا : ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ، قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله عز وجل يدعى يونس بن متى ٠ فضحكا منه وقالا له : اياك أن يفتنك عن نصرانيتك فانه رجل خـــــداع فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ٠

موقف الرسول أو مسجد الكوع :

ومن الأماكن التي يستحب فيها الدعاء في الطائف موقف (مكان) بجبل أبي زبيدة في طريق الذاهب الى (وج) من جبل يقال له قرين (٣٢) ، وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد الموقف أو كما يطلق عليه الآن أهل قرية الخدام (٣٣) ، مسجد الكوع ٠ وقد جاء في تحفة الطائف (٣٤) : « ومنها موقف عند وج يقال انه وقف عنده صلى الله عليه



لوحه رقم (٢)
موقف الرسول صلى الله عليه وسلم او مسجد الكوع

وسلم وعنده شجرات سدر وشجرة ذكار وحماط · والى ناحية هذا الموقف بئر يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من مائها · وبجانب الموقف حظيرة يقال أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بها » ·

ووج التي عندها موقف الرسول صلى الله عليه وسلم واد بالطائف (٣٥). وينقل العبدري في كتابه بهجة المنهج عن أبي الصيف اليمني في وصـــفها فيقول : ثم يدخل قرية وج ، ويقال أنه صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التي في وسط القرية » · ومن نواحي وج الهـــامة (الخبزة) ، « وهذا الوادي ونواحيه جميعها محرم كحرم مكة لا ينفر صيده ولا يعضد شجره » ·

ومسجد الموقف أو الكوع مايزال موجودا حتى الآن بوادي وج وقد زرته حديثا في سنة ١٣٩٨هـ ، وان كان بناؤه يرجع الى عهد حديث لعله يرجع الى القرن الماضي ، ولكنه أقيم في نفس الموقف الذي أشارت اليـــه المراجع السابقة ·

وهو عبارة عن زاوية صغيرة تبلغ مساحتها ثمانية أمتار طولا وسبعة

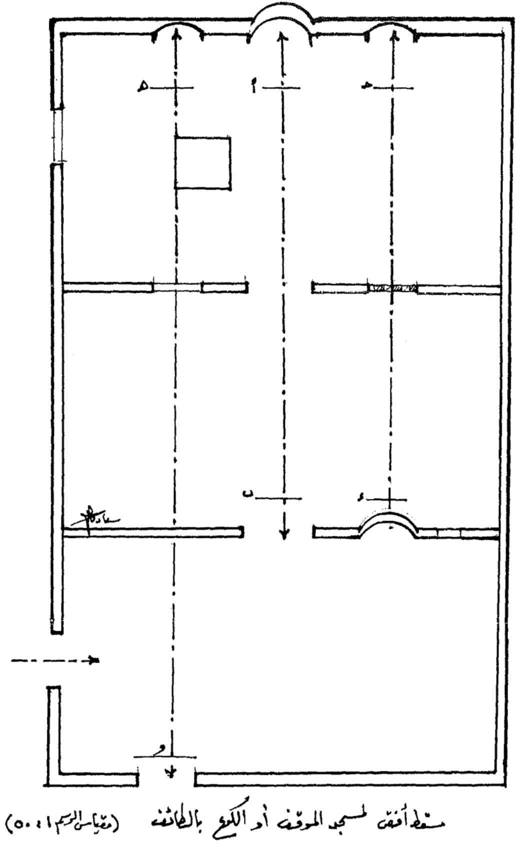
عرضا ويتقدمها ساحة مكشوفة تبلغ مساحتها سبعة أمتار طولا واربعـــة عرضا · وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولا في أربعة عرضا · وتتكون الزاوية من قسمين متساويين يبلغ مساحة كل منهما سبعة أمتار طولا في أربعة أمتار عرضا بينهما جدار مبني يتوسطه باب معقود تبلغ سعته مترا وارتفاعه مترا يكتنفه نافذتان صغيرتان معقودتان ، الشرقية منهما سدت حديثا · والجزء الجنوبي من الزاوية يحتوي على مدخل الزاوية ، الذي يقع هو والباب المعقود في الجدار الفاصل بين القسمين السابق الاشارة اليه وكذا محراب الزاوية على محور واحـــد · ويحتوي الجدار الجنوبي للمسجد من الخارج على حنية عميقة بعض الشيء تقع الى الشرق من المدخل الرئيسي للمسجد · وفي اعتقادي أنها محراب خارجي يمكن استعماله اذا ما ضاق المسجد بالمصلين وصلوا في الساحة التي تتقدمه · والى جانب المحراب الخارجي من الجهة الشرقية توجد نافذة صغيرة مربعة الشكل · ويحيط بالساحة التي تتقدم المسجد سور صغير يبـــلغ ارتفاعه مترا مكون من أربعة مداميك من الحجر الجيري المأخوذ من الجبال المجاورة · ويحتوي السور على فتحتين احداهما في الضـــلع الجنوبي منه والثانية في الضلع الغربي ، يصعد اليهما بمجموعة من الدرجات حيث أن المسجد على سطح جبل قريب من أسفله ·

أما القسم الثاني الذي يقع الى الشـــمال من الجزء الأول فيوجد في وسط ضلعه الشمالي محراب المسجد · ويتكون المحراب من تجويف عميق نسبيا ويكتنفه حنيتان صغيرتان تقعـــــان على محور النافذتين في الجدار الفاصل بين القسمين اللذين سبقت الاشارة اليهما · ويوجد في الضـلع الغربي لهذا القسم نافذة معقودة · ويغطي المسجد سقف مسطح من أعمدة والواح خشبية حديثة الصنع · ويرتكز السقف على دعامة مربعـــة يبلغ طول ضلعها (٨٠ سم) وارتفاعها ثلاثة أمتار وهو ارتفـــــاع جدران المســــجد ·

وعلى الجملة فان المسجد بسيط وخلو من الزخرف ولكنه يحتوي على كل مقومات المساجد من الناحية المعمارية ·

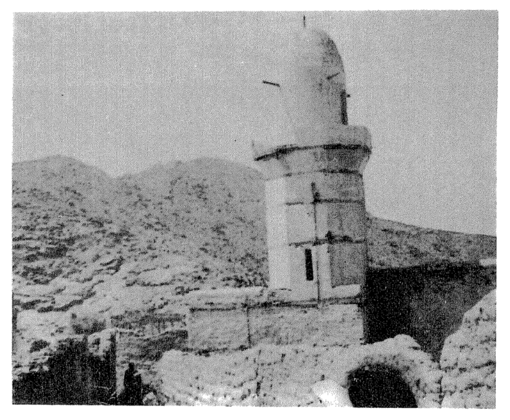
مسجد الخبزه :

ويقع هذا المسجد عند شجر سدر (بوج) محاذية للخبزة ومن ثم أطلق عليه أهل المنطقة الآن اسم مسجد الخبزه · ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس تحتهـــا حين أتاه عداس بطبق العنب (٣٧) · ويعلق



مسقط أفقي لمسجد الموقف أو الكوع بالطائف (مقياس الرسم ١ : ٥٠)

العجمي (٣٨) على تاريخ المرجاني فيقول : « وفيه نظر ، فقد تقدم عن أهل السيرة أن النبي صلى الله عليه وسلم عمد الى ظل نخلة فأتاه عداس بالطبق ، ولكنه يحتمل أنه جلس في ظلال ثم تحول الى السدرة المذكور ويضيف العجمي على ذلك فيقول : وخبر السدرة هذا ان صح فهو دليل على أنه البستان الذي عندها حائط ابني ربيعة الذي دخله صلى الله عليه وسلم ٠ على أن هذه السدرة لم أجد (أي العجمي) من يعلمها ، ولعلها السدرة الموجودة بالمثناه عند العين ، ففد قيل أنها من عهده صلى الله عليه وسلم وان المسجد الذي عندها هو الذي جلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عداس » ٠



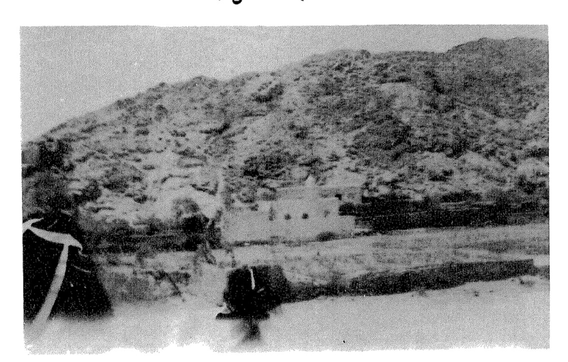
لوحه رقم (٣)
مسجد الخبزة ومئذنته

ويقع المسجد الآن (سنة ١٣٩٨هـ) في بساتين في وج عنـــد اقدام (أم خبر) وهو مربع الشكل تقريبا طول ضـــلعه (١٢) مترا ٠ ويحيط بالمسجد من جهتين فقط صحن مكشوف ، الجهة الشرقية والجهة الجنوبية ويبلغ عرضه ثلاثة أمتار ٠ ومكان الصلاة مربع الشكل كذلك يبلغ طول

ضلعه تسعة أمتار . والمحراب في الضلع الشمالي للمسجد ويبرز عن سمت الحائط الخارجي بمقدار متر تقريبا . وهو مسجد جامع اذ يحتوي على منبر على يمين المحراب ، كما يحتوي على مئذنة تقع في الركن الجنـــوبي الشرقي للجامع على يمين المدخل الرئيسي للجامع . وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات الأولى مربعة والثانية مثمنة والثالثة مستديرة تنتهي بطاقية ، فهي بذلك تشـــبه طراز المآذن التي بنيت في مصر واليمن في القرن السابع الهجري ، وليس من المستبعد أن يكون الجامع قد أعيد بنـــاؤه في العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكي .

ويقع المدخل الرئيسي للجامع في الضلع الجنوبي قريبا من الركن الشرقي للجامع ، ويعلوه عقد ذو ثلاثة فصوص وتعلو عتبه كتابة محصورة في (بحر عريض) زالت الآن .

مسجد عداس :



لوحه رقم (٤)
مســـجد عداس

يقع على الأطراف الغربية لبساتين (وج) عند سفح جبل يقال له ابو الأخيلة ، وكان في الأخيلة معبد لعداس ، وهو مسجد المثناه ، وأثر الموقف ظاهر في صخرة بركن المسجد المشهور بمسجد عداس .

والمسجد الآن (سنة ١٣٩٨هـ) مسجد جامع اذ يحتوي على منبر الى

يمين المحراب كما يحتوي على مئذنة ، والجامع مجدد حديثا ٠

والى الغرب من مسجد عداس وبالقرب منه جامع آخر يقع على سفح جبل قرين يرجع الى العصر العثماني ويطلق عليه مسجد المثناه ٠

مسجد عبد الله بن العباس :

لأهل الطائف اعتزاز كبير بوجود قبر عبد الله بن عباس ومسجده في أرضهم ٠ ولا غرو فابن عباس علم من أعلام الاسلام فهو كما وصفه (٤١) علماء الفقه والشريعة ، الخبر البحر ترجمان القرآن ، مفسر الصحابة وعالمهم بدقائق كلام الله تعالى ٠ ولد عبد الله بن العباس بشعب بني هاشم حين حصرتهم قريش قبل الهجرة بثلاث سنين ، فحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه وأذن في أذنه اليمنى واقام في اليسرى ومسح راسه وضمه اليه وسماه عبد الله واخبره أنه من خيار هذه الأمة ، ودعى له بالفقه والحكمة والعلم بكتاب الله تعالى وتأويله وأن يزيده فهما وعلما ويبارك فيه وينسر منه ويجعله من عباده الصالحين ٠ وهو أحد الستة المكثرين للرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الآلاف في الحديث وهم : أبو هريره وابن عامر وجابر وابن عباس وأنس وعائشة (٤٢) ٠

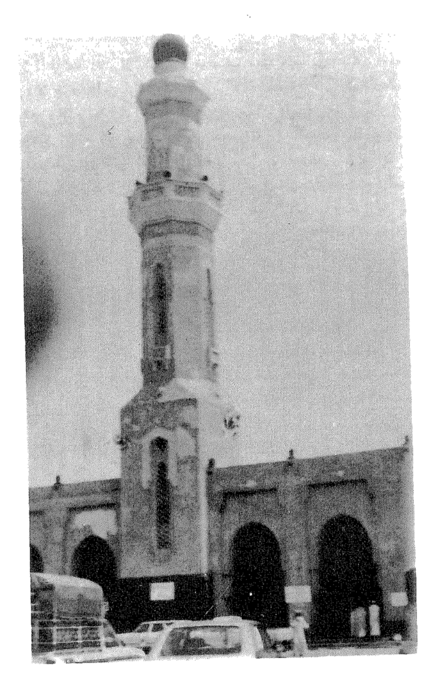
وقد كان لابن عباس عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة أو خمسة عشرة سنة فروى عن جماعة من الصحابة وروى عنه منهم جماعة منهم أنس بن مالك وأبو أمامة بن سهل وخلق من التابعين (٤٣) ٠ وكان سعد بن أبي وقاص يقول عنه « ما رأيت أحدا أحضر فهما ولا الب ولا أكثر علما ولا أوسع حلما من ابن عباس رضي الله عنهما » ويضيف سعد فيقول : « ولقد رأيت عمر رضي الله عنه يدعوه للمعضلات فيقول : قد جاءتك معضلة ثم لا يجاوز قوله وان حوله لأهل بدر أنت لها ولأمثالها » (٤٤) ٠

وكان علي رضي الله عنه يقول في ابن عباس :

« انه لينظر الى الغيب من ستر رقيق لعقله وفطنته » (٤٥) ٠ وقد أمره علي بن طالب على البصرة فكان اذا خرج منها يستخلف أبا الأسود الدؤلي على الصلاة وزياد بن أبي سفيان على الخراج وكان أهل البصرة مضبوطين به يفقههم ويعلم جاهلهم ٠ ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم (٤٦) ٠ ثم فارق عبد الله بن عباس البصرة بعد مقتل علي رضي الله عنه ٠

عاش ابن عباس بعد علي رضي الله عنهما خمسة وثلاثين عاما متفرغا

لنشر العلم وكان يقول انا من الراسخين في العلم الذين يعلمونه تأويله (٤٧) . وفي ذلك يقول الذهبي : « روى أنه لم يكن على وجه الأرض في زمانه أحد أعلم منه » . ويقول مسروق (٤٨) : « كنت اذا رأيت ابن عبـــاس قلت أجمل الناس واذا نطق قلت أفصح النـــــاس واذا تحدث قلت أعـــلم



لوحه رقم (٥)
مسجد عبد الله بن العباس

الناس » (٤٩) وقال طاووس (٥٠) : « أدركت خمسين أو سبعين صحابيا اذا سئلوا فخالفوا ابن عبـــاس لا يقومون حتى يقـــولوا هو كما قلت أو صدقت (٥١) ٠

وكان ابن عباس رضي الله عنه أبيض الوجه وسيما جسيما مشربا بصفرة طويلا صبيح الوجه له وفرة خضبت بالحناء ٠ وكان رضوان الله عنه يلبس الخز ويعتم بعمامة سوداء يرخيها شبرا ٠ وقال (٥٢) ابن عطاء في وصفه : « ما رأيت القمر ليلة البدر الا تذكرت وجه ابن عباس رضي الله عنهما » ٠ وكان جوادا كريما متواضـــعا صـــبورا على الأذى يصـــوم الاثنين والخميس ولا يترك قيــــام الليل حتى في الســـــفر ٠ قال ابن أبي مليكة (٥٣) : صحبت ابن عباس من مكة الى المدينة فاذا نزل قام شطر الليـــــل فيرتل القرآن ويكثر من النحيب) وعن أبي رجاء (٥٤) قال : « رأيت ابن عباس وأسفل عينيه مثل الشراك البالي من البكاء » ٠

وكان ابن عباس رضي الله عنه يجلس في كل يوم لنوع من العلوم وكان يقول مذاكرة العلم ساعة خير من احياء ليلة ٠ وقد كف بصره رضي الله عنه في آخر عمره وكان ينشد :

ان يأخـذ الله من عيني نورهمـــا ففي لســاني وقلبي منهما نور
عقلي صـــحيح ورأي غير ذي خلل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقد خرج ابن العباس رضي الله عنهما من مكة عندما دب الخلاف بين عبد الله ابن الزبير وبين الدولة الأموية عندما رفض ابن الزبير مبايعـة يزيد بن معاوية وطلب الخلافة لنفسه ، فجاء الى ابن العباس وطلب منـه مبايعته ولكن ابن عباس توقف عن المبايعـــــة وقال : « لا أبايعك حتى تجتمع البلاد وتتفق الناس » فغضب ابن الزبير وأخرج ابن العباس من مكة فذهب الى الطائف فسكنها وبقي بها حتى توفى سنة ثمان وستين وقيل احدى وسبعين من الهجرة (٥٥) وقد خرج لهـــــذا السبب أيضا محمد ابن الحنفية (٥٦) بن علي بن أبي طالب وتوفي وقبر بالطائف كذلك سنة احدى وثمانين للهجرة وقيـــل ثلاث وثمانين وقيل ســـنة اثنين أو ثلاث وتسعين (٥٧) ٠

المسجد العباسي :

هو أكبر مساجد الطائف ومن أقدمها ، بني مكان مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام الذي أقيم بعد غزوة الطائف بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين ٠ فقد نزل عليه الصلاة والسلام بقرب الطائف (٥٨)

بواد يقال له العقيق فتحصنت ثقيف في حصونهم التي لا مثيل لها في حصون العرب فحاصرهم النبي عليه الصلاة والسلام بضعا وعشرين ليلة وكان معه عليه السلام امرأتان من نسائه هما : أم سلمة وزينب فضرب لهما قبتين ثم صلى بينهما طوال حصاره الطائف ·

وفي ذلك الموضع اقيم أول مسجد بالطائف ، تولى بنيانه عمرو بن أميه ابن وهب بن معتب بن مالك الثقفي لما أسلمت ثقيف · ذكره أهل السير وقالوا : « كانت فيه سارية لاتطلع الشمس عليها مدى الدهر الا أياما (٥٩) ويضيف العجيمي (٦٠) على ذلك فيقول : « وقد فقدت هذه السارية بل لم ير ذاكر لها أو متحدث عنها » · وقد ذكر تقي الدين الفاسي (٦١) ان أول من عمر مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالطائف هي السيدة زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر العباسية وأنه وجد (أي في القرن التاسع الهجري) بخارج الجدار القبلي من المسجد العباسي حجر مكتوب فيه : (أمرت السيدة أم جعفر بنت أبي الفضل أم ولاة عهد المسلمين أطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف وذلك سنة اثنتين وتسعين ومائة) · وبجوار مسجد الرسول قبتان مبنيتان في موضع خيمتي زوجتي الرسول صلى الله عليه وسلم السالفة الاشارة اليهما وهما زينب وأم سلمة رضي الله عنهما وقد ذكرهما المؤرخون حتى القرن السابع للهجرة الا أنهم لم يتعرضوا جميعا لذكر اسم بانيهما (٦٢) ·

فلما توفى شهداء غزوة الطائف رضي الله عنهم وهم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش : سعد بن سعيد بن العاص وعطرفة وعبد الله بن أميه بن المغيرة وعبد الله بن المغيرة وعبد الله بن عامر بن ربيعه والسائب وعبد الله ابنا الحارث بن ربيعة وجليحة بن عبد الله وأربعة من الأنصار وهم : ثابت بن الجذع والحارث بن سهيل بن أبي صعصعة والمنذر ابن عبد الله ورقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد وواحد من ثقيف وهو عروة ابن مسعود الثقفي قتلته ثقيف مسلما ودفن جميعهم عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والقبتين ·

فلما توفى ابن العباس سنة ثمان وستين دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره كما دفن بجوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره كما دفن محمد بن الحنفية · وقد أقام على قبر ابن العباس الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله في سنة سبع وأربعين وخمسماية بنيانا

وقد أثبت هذا في لوحة من الخشب رآها المرجاني (٦٣) سنة أربع وخمسين وسبعماية • ويتكون بنيان القبر الذي أمر بعمله الخليفة المقتفي لأمر الله من بناء يبلغ طوله ستة أمتار وعرضه بطول القبر عشرة أشبار وقد كسى القبر بخشب الساج •

وقد جدد بناء هذه المقبرة وأقام عليها قبة ، الخليفة العباسي أحمد ابن المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد العباسي • وتقع هذه القبة في الركن الأيمن القبلي من المسجد •

وأول من بنى مسجد العباس المجاور لقبته ولمسجد الرسول ولآثار النبوية وكذا مقابر الصحابة وشهداء غزوة الطائف هو الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد ابن المستضيء (٦٤) • ويؤيد ابن فهد (٦٥) هذه الرواية بقوله : « انه شاهد بخط العلامة قاضي الحنيفة رضي الدين أبي حامد محمد بن أحمد بن ضياء القرشي أنه وجد مكتوبا على القبر في المسجد الشريف (يعني مسجد عبد الله بن العباس) ما صورته :

« أنه عمل باسم المستضيء بأمر الله العباسي سنة اثنتين وتسعين وخمسماية » •

وقد جددت أروقة المسجد وجدرانه بعد ذلك ولكنها كانت عمارة ضعيفة ، الأمر الذي جعل الملك المظفر يوسف بن رسول صاحب اليمن يعيد تجديدها وعمارة القبة والمنارة كذلك كما تدل على ذلك الكتابة الموجودة على باب القبة والتي جاء فيها : « أمر بتجديد ما نقب أو (تعب) من هذا المسجد من المنارة وغيرها الملك المظفر في سنة خمس وسبعين وستماية » (٦٦).

ثم توالت يد التجديد والترميم والاضافة الى مسجد عبد الله ابن العباس خلال العصور فقد ذكر العجيمي (٦٧) الذي جمع تاريخ هذا المسجد أنه وجد بخط الشيخ محمد الخادم المشهور (بعمامة) أنه في عام سبعة وأربعين بعد الألف أمر أمير الحاج المصري رضوان بك بتبييض قبة سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وبناء المنارة الموجودة الآن على باب المسجد (أي في سنة ١١٣هـ) وبذل في ذلك مالا ، والقائم على ذلك شركس بن عبد الملك الشاووش الطائفي حاكم الطائف والنائب عنه أحمد ابن عيسى أبو حنيش الخادم والمعلم أحمد بن سواكن من أهل مكة وكان الفراغ من عمارتها في شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة •

ثم جدد عمارة المسجد وجدرانه وأروقته الأربعة على ما كان عليه ، الشريف زيد بن محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي سنة احدى وسبعين بعد الألف وكان القائم على تلك العمارة القائد أحمد بن ريحـــان حاكم الطائف ، وقد كانت القبور قد زادت وكثرت حتى امتلأ نصف صحن المسجد بها ، لذلك أمر الشريف زيد بن محسن ببناء جدار في مؤخر المسجد يفصل بينه وبين القبور ، كما نهى الشريف عن الدفن فيه ٠

ويقول ابن فهد (٦٨) : « وليس بهذا المسجد جمعـــة ولا جماعة والظاهر أنهما كانا فيه قديما لوجود المنبرية ويضيف على ذلك فيقول : (فاني لما زرت الطائف في المرة الأولى سنة خمس عشرة وتسعماية لم أر بها جمعة » ٠ ثم زارها مرة ثانية في السنة التي بعدها فوجد الجمعة في غير المسجد الكبير الذي فيه قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك لأنه منفرد عن القرى وسط البرية ويصعب على أهل البلاد التوجه اليــه لبعده عن بعضهم وكونهم لا يسمعون النداء فلله الأمر من قبل ومن بعد) ٠ واستمر انقطاع الجمعة بمسجد العباس الى ســــنة ١٠٥٤هـ حين جاء الى الطائف الشريف زيد بن محسن صاحب مكة في جمع من أهل مكة واعيانها بحيث ضاق عليهم مسجد الجمعة الكائن بقرية السلامة فأمر باقامتها فيه ، فاقيمت في ثالث جمادى الاولى من السنة المذكورة ٠ وفي سنة خمس وستين أمر الشريف زيد الشيخ حنيف الدين المرشــدي مفتي مكة بمباشرة خطبة عيد الفطر فباشرها على أسلوب خطباء العيد بمكة وأمر بذلك أيضا في سنة ست وستين القاضي عبد الجواد الحنفي فباشرها كذلك ٠

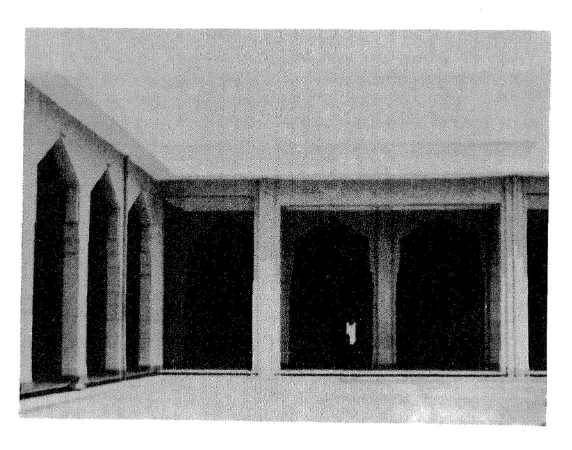
وقد أعيد بناء المسجد حديثا في عهد آل سعود على غرار المســـاجد الجامعة في عواصم المدن الاسلامية ، فشمل رقعة كبيرة احتوت جميع أرض الجبانة ومسجد الرسول صلى الله عليه وســـلم والقبتين وغيرها من المآثر النبوية ٠

ويتكون المسجد الآن من صحن مربع مكشوف تحيط به الأروقة من جميع الجهات عن الجهة الشرقية حيث تشغل جزءا منها مقبرة الصحابة ومكان القبتين وكذا مسجد الرسول ٠ وفي كل من الضلعين الجنوبي والغربي للمسجد ثلاثة أروقة مكونة من دعائم مربعة الشكل تعـــلوها عقود ذات زوايا ٠ أما الجانب الشمالي للمسجد فيحتوي على ثلاثة عشر رواقا موازية لحائط القبلة مكونة من دعائم تعلوها عقود ذات زوايا ويتوسط هذا الجانب مجاز يقطع الأروقة المستعرضة الى نصفين ويكون عموديا على محراب القبلة ٠

وفي الضلع الشمالي للمسجد محراب مجوف تكتنفه حنيتان تستعمل اليمنى فيهما منبرا ويصعد اليها بدرج ، أما الثانية فتستعمل دولابا حائطيا لحفظ المصاحف وغيرها من الكتب الدينية ٠

والمدخل الرئيسي للمسجد في الضلع الغربي منه وهو عبارة عن باب كبير معقود يكتنفه بابان صغيران معقودان كذلك ، وتتقدم هذا المدخل سقيفة ذات أعمدة ٠ والمسجد مرتفع عن سطح الشارع ٠

ولما كان الشارع منحدرا كذلك ، فانه يصعد الى الجامع بدرج يختلف عدد حطاته من مكان الى آخر من أجزاء المسجد ، كما توجـــد مجموعة من الأبواب غير المدخل الرئيسي في أضلاعه الشرقية والجنوبية والغربية حتى يسهل خروج المصلين منه ٠



لوحه رقم (٦)
صحن جامع عبد الله بن العباس

الهـــوامش

١ ـ سورة الزخرف آية رقم (٣١) •
٢ ـ سورة النجم آية رقم (١٩) •
٣ ـ ابن الكلبي : الأصنام ص ١٣ ـ ١٥ •
٤ ـ المسعودي : مروج الذهب جـ٢ ص ٥٠ •
٥ ـ الندوي : السيرة النبوية ص ١٠٨ •
٦ ـ سورة سبأ آية رقم (٣٤ ، ٣٥) •
٧ ـ حسن بن علي العجيمي : اهداء اللطائف من اخبار الطوائف ص ٢٨ [تحقيق : يحيى محمود ساعاتي] •
٨ ـ الأزرقي : تاريخ مكه جـ٢ ص ٢١٧ •
٩ ـ سورة ابراهيم آية رقم (٣٧) •

١٠ ـ ويحدد علي بن محمد بن علي بن عراق في كتابه نشر اللطائف في قطر الطائف (مخطوطة) الموضع الذي اقتطع منه الطائف بالشام فيقول : وقد روي أن جبريل عليه السلام لما اقتلعها من الشام لاقاه ملك قيل له ميكائيل وأمره أن يحمل بدلها الى مقتلعها ، قال وما أحرى هذا الموضع البدل أن يكون المسمى بالغور الذي بحوران من أرض الشام • ويحدد الفيروزبادي في كتاب (فضل الدرر من الخدرة في فضل السلامة على الخبزة) الموضع فيقول (انه منخفض بين القدس وحوران مسيرة ثلاثة أيام في عرض فرسخين) •

١١ ـ يؤيد هذه الرواية العبدري في كتابه (بهجة المنهج في بعض فضائل الطائف ووج (ورقة ٤) ، وابن فهد في كتابه (تحفة اللطائف في فضائل الجر بن عباس ووج والطائف) ، وابن عراق في كتابه (نشر اللطائف) والعسطلاني في في (المواهب اللدنية) •

١٢ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٣٨ •
١٣ ـ تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام ص ٢١٣ •
١٤ ـ الروض الآنف جـ٢ ص ٣١٠ •
١٥ ـ القاموس المحيط جـ٣ ص ١٧٥ •
١٦ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٤٠ •
١٧ ـ تحفة اللطائف ص ١١ •
١٨ ـ ابن هشام جـ٢ ص ٥٤٣ •
١٩ ـ ابن كثير جـ٥ ص ٣٤ ، العبدري : بهجة المنهج (ورقة ٤) •
٢٠ ـ ابن عبد البر : الدرر في اختصار المغازي • السير ص ٦٨ •

٢١ ـ واقام الطفيل في بلاده الى عام الخندق ثم قدم في سبعين أو لمانين رجلا من قومه مسلمين ومازال طفيل بين قومه ودعاهم الى الاسلام فتبعه بعضهم ، ومازال بينهم حتى هاجر بعد غزوة الخندق في أثناء فتح الرسول صلى الله عليه وسلم خيبر ، فقدم عليه بها فيما بين السبعين والثمانين بيتا من قومه وقد أبلى في حروب الردة بلاء حســــنا وقتل باليمامة شهيدا •

٢٢ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف ص ١٠ •

٢٣ ـ يقول ابن ابي الصيف اليمني في كتابه زيارة الطـــائف : ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم شرب من البئر التي وسط القرية •

٢٤ ـ وجـــــدت كتابة على شاهد قبر بمدينـــة اسـوان يرجع الى ســنة ٣١هـ ٠ (سعاد ماهر : مدينة أسوان ص ١٣) كما وجدت كتابة على مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة مؤرخ سنة ٢٤٨هـ ، وكان يعتبر الى ما قبل اكتشاف سر الطـــائف القدم اثر عمراني مؤرخ ٠

(Creswell. Vol. II.)

25. Dr. George C. Miles, Curator of the American Numismatic Society of New York (in the Journal) of Near Eastern Studies.

٢٦ ـ وكان هذا الخروج الى الطائف في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ٠ (ابن هشام جـ٢ ص ٦٠ ، ابن سعد جـ١ ص ١٤١ ، الطبري جـ٢ ص ٣٤٤ ، ابن كثير جـ٣ ص ١٣٥ ، النويري جـ ١٦ ، ص ٢٧٩ ، ابن حزم ص ٦٧ ، ابن سيد النـــاس جـ١ ص ١٣٤ ، السيرة الحبية جـ ١ ص ٤٧١ ٠

٢٧ ـ هو عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وكانت عند احد هؤلاء الاخوة امراة من قريش من بني جميح ٠ ولعل ذلك هو السبب في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للقائهم والحديث اليهم ودعوتهم للاسلام (ابن عبد البر ص ٦٦ هامش «ا») ٠

٢٨ ـ ابن هشام نقلا عن ابن اسحق ٠

٢٩ ـ ابن سيد الناس نقلا عن موسى بن عقبة ٠

٣٠ ـ رضخوها : دقوها ورموها ٠

٣١ ـ الحائط : البستان عليه جدار ٠

٣٢ ـ ابن العجمي : من أخبار الطائف ص ٨٢ ٠

٣٣ ـ هي اليوم حي من احياء الطائف ٠ وكانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسم قرية تعرف بام خبز ، ثم عرفت بعد ذلك باسم قرية الخدام لســـكن خدام ضريح سيد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهي في جبل وتحتها مزارع وبساتين وآبار (الزركلي) ٠

٣٤ ـ تحفة اللطائف في فضائل ابن عباس ووج والطائف تاليف محمد بن عبد العزيز ابن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي المكي ٠ مخطوطة رقم (١٥) في مكتبة الحرم المكي ، ونسخة اخرى بدار الكتب بالقاهرة رقم (٨١٠٣) ٠

٣٥ ـ القاموس جـ١ ص ٢١٨ ، العجيمي : من اخبار الطائف ص ٨٩ عن تاريخ المرجاني ٠

٣٦ ـ العبدري : بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج عن مخطوطة (زيـــارة الطائف) ٠

٣٧ ـ تاريخ المرجاني ٠

٣٨ ـ العجمي : في تاريخ الطائف ص ٨٣ (المتوفى سنة ١١١٣هـ) ٠

٣٩ ـ العجمي : في اخبار الطائف ص ٨٢ ٠

٤٠ ـ ابن فهد : تحفة الطائف ٠

٤١ ـ الشيرازي ص ٤٨ ، الاصابة لابن حجر جـ٢ ص ٣٣١ ، المجمع : نور الدين الهيتمي جـ٩ ص ٢٧٦ ، احمد الطبراني باسانيدهما ٠

٤٢ ـ صحيح البخاري جـ٣ ص ٤٩ (باب غزوة الطائف) ٠
٤٣ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٦٢ ٠
٤٤ ـ شذرات الذهب جـ١ ص ٧٥ ٠
٤٥ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٢ ٠
٤٦ ـ ابن كثير : البداية والنهاية جـ٨ ص ٣٠٤ ٠
٤٧ ـ المرجع السابق جـ ٨ ص ٣٠٣ ٠
٤٨ ـ مسروق بن الأجدع الهمداني تابعي توفى سنة ٦٣ هـ ٠
٤٩ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٣ ، البداية والنهاية جـ ٨ ص ٣٠٢ ٠
٥٠ ـ طاووس بن كيسان اليماني : تابعي توفى سنة ١٠٦هـ ٠
٥١ ـ الاصابة جـ٢ ص ٣٣٣ ٠
٥٢ ـ عطاء بن أبي رباح : تابعي من رجال الحديث توفى سنة ١١٤هـ ٠
٥٣ ـ هو أبو بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان القرشي قاضي مكة زمن ابن الزبير توفى سنة ١١٧هـ ٠
٥٤ ـ أبو رجاء عمران بن ملحان البصري العطاري تابعي توفى سنة ١٠٥هـ ٠
٥٥ ـ تذكرة الحفاظ جـ ص ٤٠ ٠
٥٦ ـ وهي أمة خولة بنت جعفر من ذرية حنفية بن لجين (عن وفيات الأعيـــان جـ ٣ ص ٣١٢) ٠
٥٧ ـ طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٢ ٠
٥٨ ـ انظر في غزوة الطائف ابن هشـــام جـ٤ ص ١٢١ ، الواقدي ص ٤٢٢ ، ابن سعد جـ٢ ص ١١٤ وصحيح مسلم بشرح النووي جـ١٢ ص ١١٢ ، البخـــاري جـ١٢ ص ١١٢ ، ســـنن ابن داود جـ٢ ص ٢٨ ، الطبري جـ٣ ص ٨٣ ، ابن حزم ص ٢٤٢ ، ابن سيد الناس جـ٢ ص ٢٠٠ ، النويري جـ ١٧ ص ٣٣٥ ، ابن كثير جـ٤ ص ٣٤٥ ٠
٥٩ ـ ابن هشام جـ٢ ص ٤٨٣ ٠
٦٠ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٦٠ ٠
٦١ ـ تقي الدين : شفاء الغرام جـ ص ٩٠ ٠
٦٢ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف ص ٦٧ ٠
٦٣ ـ العجيمي : في أخبار الطائف ص ٦٧ ٠
٦٤ ـ تاريخ المرجاني ، تقي الدين الفاسي : شفاء الغرام جـ١ ص ٩٠ ٠
٦٥ ـ ابن فهد : تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ص ٦٥ (توفى ابن فهد سنة ٩٥٤ هـ) ٠
٦٦ ـ تحفة اللطائف ص ٦٥ ٠
٦٧ ـ العجيمي : من أخبار الطائف ص ٧٤ ٠
٦٨ ـ ابن فهد : التحفة ص ٦٧ ، ٦٨ ٠

شعر الجزيرة العربية في قرنين ١١٥٠ - ١٣٥٠هـ
(نجد والحجاز والاحساء والقطيف)

د. عبدالله الحامد

بين الانتماء لعصر الانحطاط والانتماء لعهد النهضة

- ١ -

هل كان الشعر في الجزيرة خـــــلال هذين القرنين امتدادا لشعر عصور الانحطاط ، أم امتدادا للنهضة الأدبية ؟ ..

سيكون جواب كثير من الباحثين دون « شك » أنه امتداد لعصور الانحطاط ، الا أننا سنترك النصوص تتحدث عن نفسها .

فما هو شعر الانحطــــــاط أو شعر القرون الوسطى لنستطيع الموازنة بينه وبين هذا العصر في السمات المتفقة والمختلفة . ان العصـــور الوسطى تنقسم الى فترتين :

١ ـ العصر المغولي أو المماليــكي ويبتدىء بسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) (١) وفي هذا العصر ضعف الأدب ، وسقطت الفصاحة ، وعاش الأدباء أسارى الصور والمعاني والأساليب الموروثة .

٢ ـ العصر العثماني ويمتـــــد من ظهور الدولة العثمـــانية ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وينتهي بحملة نابليـــون الى مصر عـــــام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) .

واذا كان الأدب في العصر المماليكي ضعيفا فانه في العصر العثماني أشد ضعفا ، لأن عاصمة العثمانيين غير عربية ، ولأنهم جعلوا التركية لغـــة الحكومة ، ولم يكن لهم من الأدب مايجعلهم مقصـــد الأدباء بخلاف العصر المماليكي (٢) ولذلك نجد انحطاطا أعمق في العصر العثماني ، فالموسوعات والمجاميع وحركة التاليف التي شهر بها العصر المملوكي تحولت في العصر العثماني الى شروح وحواش للشروح والمختصرات (٣) ٠

ومن شعراء العصر المماليكي التلعفري والشاب الظريف ، والتلمساني ، وابن نباتة ، وابن حجة الحموي ، وشهاب الدين الحجازي ، وصفي الدين الحلي ، وابن عرب شاه ٠ وغيرهم من الشعراء الذين نجدهم يتناقصون في العصر العثماني ، يقل عددهم ، ويضمر شعرهم ٠

ومن شعراء العصر العثماني عائشة الباعونية وماميـــة الرومي ، وعبد الرحمن الحميدي ، وشـــهاب الدين النابلسي ، وشـــمس الدين الصالحي ، ودرويش الأرتقي ، وعبد الله الشبراوي ، ومحمد سعيد السمان ، وابن سلامة الأدكاوي ، وفتح الله النحاس (٤) ٠

ويمكن أن نجمل الظواهر التي شاعت في العهد المماليكي ، ثم عمت في العصر العثماني كما يلي :

ظهور المدائح النبوية ، والاكثار منهـــا سواء المدائح العـــادية ، أم المدائح التي تتضمن أسماء فنون البديع ، ويسمونها « البديعات » ٠

وكثرة الشعر الاخواني ، وما يتصل به من مباسـطة ومطارحة ، في التهاني والتعازي ، والعبث ٠

وكثرة معارضة شعراء هذا العصر لشعراء العصور الماضـية خاصة القصائد المشهورة ، وما يتصل بها كالاجازة والمجاراة وتحول القصيدة الى معجم ثقافي يحاول فيه الشاعر أن يبرز ثقافته وعلمه بالتاريخ ، والأيام ، والأنساب فيضمن الأمثال والحكم ، ويقتبس من القرآن والحديث ويضمن أيضا الشعر ٠

وشيوع شرح الشعر بالشعر كما أسميه مما يســـمونه التخميس والتشطير ٠

وقد ظل الشعر مشدودا الى الأدب القـــديم لا يخرج عنـــه الى روح العصر قيد أنملة ، في صوره وأفكاره وتعبيراته ٠

وغلبت على أفكاره السطحية والضحالة وأصبحت الأخيلة قريبة تقليدية ، لا ابتكار فيها ولا تجديد ، لضيق آفاق التفكير ، وضحالة الثقافة ·

وشرق الشعر بالتعلق بصناعة البديع والزخارف اللفظية والمعنوية ، حتى أصبحت هذه الصناعة هدفا يقصد بذاته ، ولو لم تؤد معنى ·

وشيوع الفحش والمجون والعبث الذي كان في العصر العباسي مقصورا على شعراء محدودين ، وان كان في آخره قد ازداد ، لكنه في هذا العصر جمع بين الفحش والبذاءة التي زاد من حدتها فراغ الشعراء ، وابتعادهم عن مواقف الجد ·

وشيوع الأوزان العامية ، كالزجل ، والمواليا ، والموشحات ، والمربعات ، والمخمسات ، مواكبة زحف الأدب العامي على الفصيح بعد أن فقد الشعر الفصيح جمهور مستمعيه ·

وازداد امتطاء صهوات الشعر للأغراض العلمية كنظم المتون ، والفتاوي وتقييد المسائل ، وحوادث التاريخ ، والمعميات والأحاجي ·

- ٢ -

وحين نعرض لانعكاس هذه الظواهر في شعر القرنين ، نجد شدا وجذبا ، وجزرا ومدا بين رياح ثلاثة تأثر بها الشعر : عصور الانحطاط ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والنهضة الحديثة في الشام ومصر ·

وحري بالاشارة أن ظواهر الانحطاط كانت اكثر وضوحا في سائر الأقاليم ، وان خفت وخفتت في الشعر في ظلال الدعوة الاصلاحية ·

فقد وجدت المعارضة لأشعار القرون السابقة واضحة فنرى ابن عثيمين يعارض بائية أبي تمام والحداد وعبد الله بن عبد القادر يعارضان تائية ابن الفارض ، وعبد الله بن عبد القادر يعارض أبيات طرفة بن العبد حول الثلاث اللواتي هن من لذة الفتى ، وكما في مجاراة أحمد بن مهدي لقصائد ابن أبي الحديد ، التي عارض بها ابن أبي الحديد معلقات الجاهلية ·

وفي التضمين أيضا نجد عبد الله بن عبد القادر يضمن بيتا للمعري حول تجريب الدهر وأهليه ، وعبد الحق العثماني يضمن بيت :

·· لا يدرك الشوق الا من يكابده ··

وابن عثيمين يستدل على جواز ورود الغزل في الشعر مضمنا بيتا لحسان بن ثابت ٠

وصورة أخرى من صور التضمين نجدها في ما يسمى التشطير والتخميس ، كما في تخميس عبد الله بن عبد القادر لأبيات عزة العمري ، وكما في تخميس عبد الحق العثماني في الغزل ، وكما في تخميس منصور الجشي لتائية دعبل الخزاعي ٠ ونجد هذه العاهة تصبح معقدة حين يأخذ الشاعر يشطر ويخمس شعره كما فعل عبد الله بن عمير ٠

وتحول القصيدة الى سجل للأمثال والشوارد وتضمينها ، أو الاقتباس منها نجده عند الأسكوبي في رائيته التي هي أبرز شعره يقول فيها (٥) ٠

أتأمنـون لمـوتورين ديـدنهم أن لا يروا منكم فوق الثرى حرا

تمالئـوا فغذوا حـذرا فانهم يرون ابقاءكم بين الـورى ضرا

فما على من رأى لحما على وضـم يجتره غيره لوم اذا اجـترا

★★★

اتركنـون لمن دب الضراء لـكم ومد عنقـا يغادى سرحكم عقرا

دون الدنيـة ايثـار المنيـة في قوم من البغض ودوا محوكم مكرا

٠٠ أن تنصروا الله ينصركم فكم فئة قليـلة غلبت اضعافها كثـرا

وكذلك امتطى الشعراء والعلماء صهوات الشـعر لنظم المتون ، والفتاوى وتسجيل المسائل للحفظ ، والأيام ، كما نجد في شعر ابن مشرف في التاريخ والأخلاق وكما في شعر أبي بكر الملا والعلجي ، ومحمد الحفظي وابن سحمان ، وكذلك استمرت ظاهرة التاريخ الشعري امتـدادا لسيطرة العلم على الأدب ٠

ونظموا الشـعر في الأحاجي والألغاز ، والنكات العلميـة كما قال أحمد بن عبد القادر يسأل عن فاعل نال (٦) :

الح في العذل ولم يرعـو في عاشق يبكي الدمى [ب] سالدما

اقصرف [اني] لسـت بالمرعـوي لو نلت ما أصغى وربى السـما

ومثل ذلك يقال عن الأوزان العامية سواء منهـا الأوزان البغدادية كالمواليا وفنونها ، أم الموشحات الأندلسية ، أم الزجل ، وكل تلك الفنـون

وجدت رواجا خاصة في الحجاز ، على يدي عبد الرحمن المكي ، ومحمد قابل الجمال .

وقد استطاع الشعراء تطوير الأوزان العامية بادخال أوزان أخرى هي أقرب الى بيئتهم من غيرها ، ليجاوبوا حاجات الذوق العامي ، ويحتفظوا بشيء من فصاحتهم نجـــد ذلك في الأوزان المســـماة « الفرعي » و « المجرور » و « اليماني » التي امتطاها الشعراء ، وكما في شعر عبد الله العمير الذي حاول نفس المحاولة فجاء بشعر ذي قافيتين فيه شيء من الفصاحة ، بينما وزنه ونمطه أقرب الى الألحان النجدية والعراقية التي شاعت عند الشعراء العوام (٧) :

ناحت الورقاء يومـا في فـنن تندب الأقران في ماضي السنين

هيجت قـــلبي بنـوح ما سكن ذكرتني سادة لي بعـــد حـين

اعـــذروني يـا رعابيب الوطن الثـم المبسم منـــكم والجبن

★★★

- ٣ -

أما الصنعة اللفظية ، وما فيها من توشية ونقوش وزخرفة ، فقـــد أصبحت سمة للشاعر المجيد ، يقتنصها اقتناصا ولو تكلف ما لا طاقة له به ، وأضاع المعنى ، ويمكن أن نقسم الصنعة الى نوعين الصنعة المعروفة في كتب البلاغة التي تمتد من الجناس والسجع والمزاوجـــة ، الى التورية والمقابلة والطباق ونحوها والصنعة المعقدة التي أخذت تنمو منـــــذ أواخر العصر العباسي كقراءة البيت طردا وعكسا ، وترديد حروف معينة في كل القصيدة ، وكتابة قصيدة خالية من النقط (الاعجام) أو معجمة كلها ، وما يتصل بذلك من التطريز والتشجير ، والتدوير ، وسائر التعقيد مما أسميته « الطلاسم الأدبية » .

فالنوع الأول شاع في الحجاز والأحساء ووجدت طبقة في الأحساء أجادت استخدامه ،وأبرز من ظهر في ذلك عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك الذي كان يأتي به على البديه ، وعلى الروية ، سواء في شعره المرتجل ، وكذلك شعراء الأحساء بعامة ، فهل كانت الطبيعـــة هي التي أكثرته أم الفراغ أم مزاحمة الصنعة المعقدة له في الحجاز هي ما أخر الحجاز عن الأحساء .

أما الصنعة المعقدة والتي هي أبعد الأشياء عن الابداع فقـــد نمت وترعرعت في الحجاز ، وكان من شعرائها الأسكوبي ، وأبرز من ظهر فيهـا

وبجانب الصنعة وجد شعر المباسطات والمطارحات والمفاكهات ، مما ينشد في مجالس السمر ويتبادل بين الشعراء ، ويتناشد بين النـــاس فيه روح العبث ، وهو بعد ذلك كله نتاج الفراغ ٠

ومن ثم كان لابد له أن يتصل بشعر المجون والسخف والفحش ، لأن هذه أغراض متواكبة يأخذ بعضها برقاب بعض ، ويدعو اليهـا الفراغ ، والعزلة عن حياة المجتمع ، والابتعاد عن مواقف الجد ٠

وقد كان الفحش ظاهرا في الشعر الحجازي كما ذكروا عن شعر الأشرم ، ولا يكاد يوجد في الأحساء ، ومن الحق أن نوضح أن شيوع شعر الفحش في الحجاز لم يكن بالدرجة القوية ، التي نجدها في الشعر العثماني الذي سبق هذا العصر ، أو عاصره في العراق والشام ومصر ، ومرد ذلك الى الحرية الشخصية ، والحياة اللاهية في تلك الأقطار التي امتزجت فيهـا العناصر الأجنبية بالعربية ، وضعف فيها الرقيب الديني ، واذا كان هذا الغرض في نجد معدوما ، وفي الأحساء والقطيف ضاويا فان بروزه في الحجاز يعـود لارتباط هذا الاقليم بالأقطار الأخرى أكثر من غيره وكثرة الوافدين عليه للحج والتجارة والسياحة ٠ وامتزاج العناصر العربية بالافريقية والهندية والتركية ٠

وشـيوع الرقة والسهولة في الشـعر أثر من الفراغ ، أو من لين الطبيعة ، ورخاء العيش وقد وجدت الرقة في الشعر الحجازي والأحسائي خاصة ، وهي امتداد يقرن بظاهرة المطارحات والنكات ، والمباسـطات التي تأثر فيها الشعراء بشعراء العصر العباسي والمماليكي والتركي ٠ وخاصة شعراء الرقة كالبهاء زهير وابن مطروح ، وهي ظاهرة واضـحة الارتباط بشعر عصر الانحطاط ، ولذلك نجدها تنعدم في الشعر في ظلال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشعر النجدي ، وبمقارنة شاعر نجدي من شعراء الدعوة كابن سحمان أو ابن عثيمين بشـاعر حجازي أو احسائي كالأشرم أو عبد الله بن عبد القادر يتضح الفرق بين الأسلوبين ٠

- ٤ -

وفي عمود الشعر درج الشعراء على المزاوجة بين الاحتفـاظ بالمقدمة الغزلية ، والمطالع الموضوعية وهو نهج عرف منذ العصر العباسي ، وان جاءت فيه محاولات لتغيير الغزل بوصف الخمر كما فعل أبو نواس :

عاج الشقي على ربع يسائله وعجت ابحث عن خمارة البلد

وقد أهمل الشعراء وصف الخمر في المطلع كما أهمله العباسيون ومن بعدهم ، لمجافاته للذوق الاسلامي الذي ازداد قوة في شعراء القرنين ٠

ولكنهم حاولوا التجديد فيه بادخال وصف القهوة في مقدمة القصيدة ، وقد جاءت هذه المحاولة في شعر الأحســاء كما في قول عبــد اللطيف بن عبد العزيز المبارك (٨) ٠

قم فاسقني البن صرفا واملأ القدحا فان زند الهنا والسـعد قد قدحا

لكن هذه المحاولة لم تجد ذيوعا وشيوعا في البيئات الأخرى ، لأن الشعر في نجد كان يحاول تخطي كل المقدمة كما يتضح في شعر ابن سحمان ، ولأن الشعر في الحجاز كان غارقا في تتبع خطى العصر العثماني ، ومعاصريه في الشام ومصر ٠

وتابع الشعراء سابقيهم العثمانيين ختام القصــيدة بما بدئت به ، واهتموا خاصة بختم القصيدة بالصلاة على النبي المصطفى ، ولعلهم اولعوا بها ولوعا أكثر من سابقيهم خاصة شعراء الدعوة الاصــلاحية كابن مشرف وابن عثيمين اللذين لا يكادان يتركانها ٠

أما الهيكل الأسلوبي فقـــد ظل كما هو في العصر العثماني حبيس الأخيلة القديمة ، والاستعارات المحنطة ، والصور الباهتة ، يعيدون فيهـا ويبدئون ، ويطوفون حولها دون أن يجدوا مخرجا الى فضاء فسيح يقــول ابن غنام (٩) :

أو الفجر الا ما بدا من جبينهــــا أو الورد الا ما جلاه احمرارها

أو الليـــل الا من معسعس شعرها أو الخمر الا ظلمها لا عقارها

مهاة تريك الشمس طلعـة وجهها اذا اسفرت يجــلو الظلام نهارها

★★★

والفجر والليل والخمر والشمس والورد هي نفسها الصور القديمة ، تماما مثل الدمى والقنا والنبال والأسود والمها عند الأسكوبي (١٠) ٠

خود كامثـــال الدمـــى يبرزن في حلل الجمـــال
فقـــدودهن من القنـــا وجفـونهن من النبـــال
فانهـــا أخـــت المهـــا او انهـــا أخـــت الغـــزال
فهنـــاك تلعب بالأســـو د البيض ربات الحجـــال

★★★

اضافة الى ترديد التراكيب القديمة والأساليب المتوارثة سواء بالنقل الحرفي كما في الاقتباس والتضمين ، والتشطير والتخميس ، أو بالاستيحاء في الأحضان القديمة كالمعارضة والمجاراة ، وسياق الأمثال .

لكن هذه التبعية تخف كلما جد الشعراء في الحديث عن حرب أو فتح او نضال ويسري هذا النفس في الشعر في ظـــــــلال دعوة الشيخ محمـــــد ابن عبد الوهاب أكثر من غيره ، يقول ابن عثيمين :

ليت الذي ســـكن الثرى ممن مضى من أهل بدر والبقيع المنـــــــور
نظروا صنيعك في المدينـــة والتي يأوى اليهـــا كل أشعث أغبـــر
كي يشـــهدوا أن الفضائل قسمت بالفصل بين مقـــدم ومؤخـــر
وليشـــهد الثقـــلان من أوليتهم من أمنهم من بعد خوف أعسر
ظفر الحجـــاز من الزمان بغبطة بعد النبي وصـــحبه لم تخبـــر

لكن الأفكار بعامة لم تتعد السطحية الى العمق ، لضيق آفاق التفكير ، وضحالة الثقافة .

★★★

- ٥ -

واستمرت ظاهرة الأدب الصوفي امتدادا لشطحات ابن عربي ، وسرحات ابن الفارض خاصة في الحجاز وتهامة وجبل عسير لوجود الزوايا والأربطة التي ظلت تغذيها وتنميها ، حتى وجدنا بعض الشعراء كالحداد يقصر شعره على هذا اللون ، وخفتت في الأحساء ، وعدمت في نجد لأن الدعوة الاصلاحية ضد هذا المسلك .

وكذلك ظاهرة المدائح النبوية سواء على شكل البديعات ، أم على شكل العادي ، امتدت في الحجاز وتهامة وجبل عسير ، ولكنها اقل منها في الشعر العثماني السابق أو المعاصر للقرنين • ولعل مرد ذلك الى أن المدائح النبوية يبعثهما الحنين والشوق ، الذي يولده البعاد عن مكة والمدينة • وهذا نفس السبب في ادمان الشريف الرضي على ذكر الحجـــاز في حجازياته ، وادمان الأبيوردي على ذكر نجد في نجدياته ، لأنه في أقصى ديار العجم ، واذا كان المثل الشعبي يقول مامعناه « أعزف الناس عن مكة هم أهل بطحـــائها » ، ومعناه أن شوقهم للحج ونحوه ليس كشـــــوق الآتين من أقاصي الديار ، فانه صحيح الدلالة على قلة شعر المدائح النبوية • أن الشاعر الغزل الذي يطفيء شوقه الى المقدسات بزيارتها والطواف عليها ، والذوبان في هالاتها كلما أراد ، لا يحتاج الى لغة الشعر ، أما عدمها في الشعر في ظلال حركة الشيخ ابن عبد الوهاب فهو ناتج عن روح الجد التي أخذت على الشعراء كل مذهب ، ومعروف أن المدائح النبوية والبديعيات انما هي شـــعر وجد في العصور الوسطى •

وقد يطيب للذين لا يعرفون حقيقة الدعوة الاصلاحية أن يعزوا ذلك لتقصير أهل الدعوة في حب المصطفى عليه السلام ، والحقيقة أن حنين أهل الدعوة الى الأرض المقدسة تحول الى عمل ، وحبهم للمصطفى صلى الله عليه وسلم تحول الى اقامة للفروض التي نادى بها ، لا الى طقوس وزفرات ، واذا كانوا يردعون الذين يغلون في حبه عليه السلام فذلك صيانة منهم لحمى التوحيد كي لا يكون الرسول معبودا كما عبد النصارى عيسى بن مريم ، وان من السمات البارزة في شعر الدعوة تمسك الشعراء بختام القصـــيدة بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم تمسكا لم نجد مثـــله في بيئات الجزيرة الأخرى التي عنينا بدرسها •

وغرض الوصف غرض كثير واسع سواء في الشعر العثماني أو ما قبله أو ما بعده في الأقطار العربية كالشام ومصر والعراق ، لما فيها من قصور وعمران ، ومرايا للطبيعة والجمال ، من جنان تمتد امتداد الطرف ، وأنهار عذبة ، ومناخ معتدل ، اذا قورنت بما في الجزيرة من مناخ قاري ، وبساطة في المعيشة والمسكن ، وموام مقفرة ، وصحار مجدبة ، تمتد مع البصر لا ترى فيها الا أكمة أو جبلا ، أو رمالا حمرا ، أو سرابا في قيعان ألفها الشعراء حتى لم تعد تثير فيهم ساكنا ، وذلك سبب ضمور الوصف في نجد ، وعـــدم كثرته في الحجاز والاحساء اللتين وجد فيهما بمقدار ما فيهما من طبيعة ومراء متواضعة •

والخلاصة أن ثمة سمات استمرت في شعر القرنين امتدادا لشعر القرون الوسطى كشعر المباسطة والاخوانيات ، اضافة الى الأغراض التقليدية ، والرقة التي تمتزج بالضعف ، والصناعة البديعية ، والمعارضات والتضمين ، ودخول الاسلوب العلمي على ساحة الشعر ، والشعر الصوفي . وسمات زادت وتطورت في شعر القرنين كالأوزان المستحدثه ، وختام القصيد بالصلاة على المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وسمات قلت وضمرت كشعر المجون ، والمدائح النبوية ، والوصف .

- ٦ -

أما تأثير الدعوة الاصلاحية على الشعر فقد كان على طائفتين من الشعراء الذين ذادوا عنها ، والشعراء الذين خاصموها ، والطائفة الثانية تأثرت بصورة غير مباشرة يعنينا هنا أن نثبت أثر الدعوة الاصلاحية الوهابية بعامة ، والذي ينطبق بصفة خاصة على شعرائها وليس هذا مجال الحديث المفصل عن سمات الشعر في ظلال الدعوة (١٢) . نكتفي بايرادها موجزة بقصد مقابلتها بتأثير العصر العثماني على الشعر .

فأولا نجد في شعر الدعوة أغراضا وسمات انعدمت وفقدت وهي : الوصف لغير المعارك ، والمدائح النبوية والمجون ، والأوزان المستحدثة ، والرقة والشعر الصوفي ، وشعر العبث والمفاكهة ومجلس الأنس .

وثانيا أغراض وسمات ضمرت وقلت وهي المحسنات البديعية ، والغزل ، والهجاء الشخصي ، وشعر المراسلات الاخوانية ، والمعارضة والاقتباس والتضمين والشعر الذاتي والوجداني .

وثالثا أغراض وسمات كثرت واتسعت وهي الشعر الحربي والحماسي والسياسي ، وشعر المديح ، والجزالة والفخامة . ودخول الأسلوب الديني والعلمي الى ساحة الشعر . واهمال المطالع الطللية والغزلية .

ورابعا أغراض وسمات أدبية وفكرية جدت على روح عصر الانحطاط : وهي روح القوة والحماسة ، وروح التدين ، والالتزام الأدبي بقضايا الأمة والوطن ، ومواكبة أحداث العصر ، وكثرة شعر النقائض والمهاجاة ، وكثرة شعر النقاش العقيدي والملاحاة ، وكثرة شعر البكاء والرثاء والشكوى وكونه بكاء غيريا أكثر منه ذاتيا ، وطول القصائد ، واختيار البحور الطويلة ، والدعوة الى العودة الى منابع الدين الأصيلة ، والهجوم القوي على مظاهر

التخلف الديني ، والفكري كالاعتقاد بالأولياء والمذاهب الصوفية ، والطواف حول القبور ، والحملة على روح التقليد للقرون السابقة ، والدعوة الى الاجتهاد بما يلائم روح العصر والدعوة الى التحرر من الحكم العثماني واثارة الروح الوطنية والعربية والاسلامية في وجه الاستبداد والفساد العثماني ·

وقد سبق شعراء الدعوة الاصلاحية شعراء النهضة المعاصرة الى التخلص من رسوم الديباجة في العصور الوسطى ، الى مجاراة روح العصر ·

ولكي تتضح قضية سبق شعراء الدعوة نحاول أن نقارن بين أبرز شعراء النهضة الحديثة (البارودي) ، وأحد شعراء الدعوة (ابن مشرف) ·

يعد البارودي رأس المدرسة الحديثة ، والرائد الذي بدأ حركة الاحياء للشعر الحديث ، وخطابه الخطوات الأولى على طريق البعث فتأثر به الرعيل الذي تابع المسيرة من بعده من أمثال أحمد شوقي ، واسماعيل صبري وحافظ ابراهيم وعلى الجارم وغيرهم · وهو بهذه الصورة شاعر فحل مجيد ، من شعراء القمم ، وقد تجلت نقلته الشعر الحديث من قيود عصر الانحطاط في قوة أسلوبه ، ومتانة صياغته وتحرره من الصـــنعة · وان قال الأغراض القديمة وأفاض فيها ، وبدأ بعض قصائده بالوقوف على الأطلال ، وعارض الشعراء القدامي وأخذ صورهم وأخيلتهم · وقد ولد عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٨م) وتوفى عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) ·

أما ابن مشرف فقد توفى عام ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) وأقدم شعر مؤرخ قاله في نكبة الدرعية عام ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) وبين هذه القصـيدة ووفاته اثنتان وخمسون سنة · وقد قال الشعر اذن قبل أن يولد البارودي بأكثر من عشر سنين ، وقد أدرك سن الشيخوخة قبل أن يشتد للبارودي عود أو يظهر له صوت · وقد اهتم بالموضوعات الجادة ، وبرز في شعر السياسة والمديح ، وشعر النقاش الديني ، وهو أقل الشعراء التفاتا الى حلى البديع ، ولم يعن بما عنى به المتأخرون من معارضة أو تشطير أو تعجيز ، ولكنه بدأ بعض قصائده بوصف المرأة والأطلال ، وظهرت في شعره النغمة الدينية في شعر الجدل العقيدي ·

وبذلك فهو قد سبق البارودي في الحياة والممات ، وصحيح أن البارودي شاعر قمة ، وابن مشرف شاعر سفح ، وهذا شاعر ضعيف وذلك شاعر فحل الا أننا نود أن نعرض بعض شعره الذي يؤكد سبق الشعر في ظلال دعوة ابن عبد الوهاب الى تخليص الشعر من ديباجة عصر الانحطاط ، يقـــول الشاعر في وصف الأعراب (١٣) :

وكم قد أغاروا في الدروب وكم عثوا		وكم قطعوا سبل الحجيج وخوفوا
فقال أدخلوا في السلم طرا واسلموا		والا فحرب وعده ليس يخلف
واقسم لا تعطي على ديننا الرشا		وما عندنا الا حسام ومصحف
فمن لم يقومه الكتاب اقامه		حدود الظبا والسمهري المثقف
فهل يستقيم الدين الا بدعوة		الى الله يتلوها سنان ومرهف
.. فلما أبوا الا الخلاف تمردا		رماهم بما يؤذي النفوس ويتلف
بجيش لهام حشوه الخيل والقنا		تهب رياح الموت منه وتعصف

ويقول يعرض بتخاذل الامام فيصل عن دحض شوكة الأعراب ، وقد كنى عن ذلك في أول القصيدة بصورة حبيبته النجدية التي قطعت علاقتها به ، لأنها لا تريد أن تزوره في الأحساء حيث الفتنة قد مدت رواقها ، وقالت له (١٤) :

انا في ربى نجد وأنت ببلدة		أحاطت بها الأعداء من كل جانب
يغيرون في أطرافها وسروحها		جهارا ولا يخشون سوطا لضارب
يقولون سيروا ان ظفرتم بنهبة		على رسلكم لا تحذروا درك طالب
وان تسفكوا فيها الدماء فانها		لكم هدر لا تحذروا من معاتب
.. فياليت شعري هل سراة حماتها		نيام فهم ما بين لاه ولاعب
أم الحد منهم كل أم زندهم كبا		أم القوم غروا بالأماني الكواذب
لقد كان تخشى باسهم اسد الشرى		فصارت بهم تعثو صغار الثعالب
... واني يحوط الملك الا سميدع		يخوض لظى الهيجاء ليس بهائب
ولا دين الا بالجهاد قوامه		ولا أمن الا بعد عدل القواضب
ولا مجد الا بالشجاعة والندى		وجر العوالي فوق مجرى السلاهب

هذه ديباجة ابن مشرف ديباجة شاعر عالم ليس من شعراء القمم ، وليست تقارن البتة بديباجة البارودي :

نصحت قومي وقلت الحرب مفجعة   وربما تاح أمر غير مظنون
فخالفوني وشبوها مكابرة   وكان أولى بقومي لو أطاعوني
تاتي الأمور على ماليس في خلد   ويخطيء الظن في بعض الأحايين
حتى اذا لم يعد في الأمر منزعة   وأصبح الشر أمرا غير مكنون
أجبت اذ هتفوا باسمي ومن شيمي   صدق الولاء وتحقيق الأظانين

البارودي أجزل وأفخم وأقوى لكنهما مع ذلك يشتركان في السلامة من آثار عصر الانحطاط وما فيه من تشويه ، ولا ندعي أن محاولة ابن مشرف في اعادة الديباجة كانت تماثل حركة البارودي ، لكننا نؤكد سبق الشاعر الى اعادة الديباجة رغم عدم فحولته (١٥) ، ولذلك لا نستغرب أن يجيء خلفه ابن عثيمين بالديباجة القوية مقاربة لما جاء به البارودي ، ويبدو أنه لم يتأثر بالبارودي أو غيره من شعراء النهضة ، لكنه امتداد لشعراء الدعوة الذين جدوا بالخروج من ربقة الانحطاط ·

ونصل من ذلك الى أن أثر شعر الانحطاط في الشعر في ظلال الدعوة ضعيف جدا سواء في الشكل والصورة أم الفكرة والخيال أم النهج والديباجة ، أم الموضوعات والمضامين ، بخلاف الأقاليم الأخرى كالحجاز والأحساء والقطيف ، ورغم تأثر شعر القطيف بشعر الانحطاط بقوة ووضوح الا أنه أقل من شعر الأحساء والحجاز انتماء لأدب العصور الوسطى ، بصورة ضئيلة لا تكاد تبين ، ومن سماته التي تخالف سمات الانحطاط : عدم كثرة شعر المباسطات ، وعدم الرقة ، وعدم الايغال والاكثار من المحسنات ، والاكثار من شعر البكاء والمديح الديني ، ومن أسباب هذه المباينة انشداده بالألم المأسوي الشيعي الذي يتجدد في كل مناسبة · وتأثره بالحركات الأدبية بالعراق أكثر من غيره وقد وجد في العراق شعراء مجيدون كعبد الجليل البصري ، وما عرف عن الشيعة من عناية بالأدب خاصة الأدب العقيدي كنهج البلاغة وشروحاته وأن بيئتهم ظلت من أقوى البيئات عناية باللغة العربية والبيان ·

ولكي نعرف أثر النهضة الحديثة في الشعر فان من المناسب ذكر أهم خطوطها ·

فقد انتهى العصر العثماني بحملة نابليون على مصر عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) أو بحكم محمد علي لمصر (١٨٠٥م) (حوالي ١٢٢٠هـ) وهذه

البداية سياسية أكثر منها أدبية ، شأنها شأن كل تحديدات عصور الأدب لا تحدث نقلة وطفرة من أول وهلة ٠

وقد مر الأدب بعدها بأدوار نذكر منها ما يتصل بهذا الموضوع ٠
الدور الأول من حكم محمد علي الى ولاية اسـماعيل (١٨٠٥م ــ ١٨٦٣م) حوالي ١٢٢٠هـ ــ ١٢٨٠هـ ٠ ورغم أن الشعر دائما أسـبق الفنون الى الظهور فان هذا الدور ظل امتدادا أمينا للعصر العثماني ، لأن عوامل المدنية لم تكن قد تمكنت (١٦) ومن شعراء هذا الدور أحمد البربير المتوفى ١٢٢٦هـ (١٨١١م) واسماعيل الخشاب المتوفى ١٢٣٠هـ (١٨١٥م) وأمين الجندي المتوفى ١٢٥٧هـ (١٨٤١م) وشهاب الدين المصري المتوفى ١٢٧٤هـ (١٨٥٧م) وقد قالوا الشعر في الأغراض التقليدية ، والمراسلات ، والبديعات ، والمواليا والموشحات والأزجال (١٧) كما فعل الذين من قبلهم.

والدور الثاني من ولاية اسماعيل الى الاحتـلال الانجليزي لمصر (١٨٦٣ ــ ١٨٨٢م) حوالي ١٢٨٠هـ ــ ١٣٠٠هـ وفي هذه الحقبة أخذ بعض الشعراء يتخلصون من القيود التي تشين القصيدة سواء في المطلع ، أو الأسلوب ، وتخلصوا من المحسنات ، وبدأوا المديح والرثاء دون مقدمات ، لكن الكثرة الغالبة منهم ظلت تقلد أساليب القدماء (١٨) ٠

ومن شعراء هذه الفترة عبد الغفار الأخرس العراقي المتوفى ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) وعلي أبو النصر المنفلوطي المتوفى ١٢٩٨هـ (١٨٨٠م) وقد أكثر الشاعران من المديح (١٩) ٠ وفرنسيس مراش الحلبي المتـوفى ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) يعتبر من أقدم النازعين الى روح العصر ، وقد نبهـه الى ذلك اختلاطه بالافرنج (٢٠) ٠

لكن الجدير بالذكر أن هذا الشاعر لم يستطع أن يؤثر تأثيرا واسعا وأن سجل بداية الاقتباس من الغرب ، لنفرة الأذواق من التـأثير ، ولأن الشاعر بانتمائه المسيحي أبعد عن الدخول في الأذهان ، ولأنه لم يكن من النوابغ ٠

ولذلك نجزم بالقول بأن شعر الجزيرة خـلال الفترة التي عاصرت الدور الثاني لم يتأثر بأي أثر ٠

ويبتدىء الدور الثالث ببداية الاحتـلال الانجليزي عام (١٨٨٢م) حوالي ١٣٠٠هـ ٠

وشعراء هذا الدور هم شعراء الطليعة في الشعر الحديث الذين تمكنوا من التجديد ، ومواكبة روح العصر ومنهم خليل اليازجي المتوفى ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) وعلي الليثي المتوفى ١٣١٣هـ (١٨٩٦م) ونجيب الحدود المتوفى ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) وعائشة التيمورية المتوفاة ١٣٢٠هـ (١٩٠٢م) والبارودي المتوفى ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) (٢١) ٠

وهذه الطبقة قد عاصرت أواخر الطبقة الثانية من شعراء القرنين ، كما عاصرت أوائل الطبقة الثالثة ٠

وقد عرضنا من قبل لتأثر أحمد الحفظي الثاني المتوفى ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) وهو من شعراء الطبقة الثانية ، هذا التأثر الذي برز بالمناداة بوحدة الأمة ، وابعاد نوازع التفرقة ، ووضحت في أسلوبه العبارات والتراكيب الحديثة كالقوى ، واتحاد ، والأرض واحدة يقول (٢٢) :

ما كنت يوما أجوب الأرض في سفري ... لغير مجد واني غير ممتهن

قد طفت في الأرض أعواما وخضت لما ... فيها بحورا على البابور والسفن

سبعون شهرا بارض الروم كاملة ... ومثلها من ربى نجد الى عدن

وأسمع الناس نصحا قبل قارعة ... تهد ركن القوى من فعلنا الخشن

عسى اتحاد لنا فالأرض واحدة ... والدين محترم عن فعل كل دني

وله شعر يأتي فيه هذا التأثر كما في عبارة « قدم العرض » (٢٣) ٠

وقدم العرض لكن ما أستجيب له ... وحقه في ملوك الأرض قد وجبا

وقد اتضح تأثر الشعراء اللاحقين لهذه الطبقة والذين عاشوا الفترة ما بين (١٣٠٠هـ ــ ١٣٥٠هـ) بشكل أكبر كما في شعر عبد العزيز ابن عبد اللطيف المبارك السياسي ، والعمري ، ويمكن أن نجمل ذلك في ما يلي :

اهمال المقدمة الغزلية كما وضح من شعر صحيفة القبلة ، العودة الى الديباجة العباسية كما في مديح العمري ، التجاوب مع أحداث العصر كما في شعر الأسكوبي ، وعبد العزيز المبارك ، والتأثر بأفكار حديثة كالدعوة الى الوحدة الاسلامية ، أو المزج بينها وبين الوحدة العربية كما نلمح في شعر الحفظي وكما في شعر القبلة ، والدعوة الى الأخذ بالعلم والصناعة ،

والاقتباس من الغرب والهجــوم على المتزمتين الذين يرفضــون أسـلوب التعليم الجديد ٠

والشعر السياسي الذي ألقي كنصائح للعثمـانيين ، بأن لا يبعدوا العرب ، ويهملوا الدين والشعر السياسي الذي هاجم الاستعمار ٠

لكن هذا التأثر لم يكن كبيرا ، ولا سائدا فقد ظــل أكثر الشعراء على طريقتهم الأولى سواء منهم الشعراء الذين انتموا للعصر العثمـاني ، وتأثروا بعصر الانحطاط ، أم الشعراء الذين حاولوا النهوض بأغراض الشعر دون أن يتأثروا بالنهضة الحديثة كشعراء الدعوة الاصلاحية ٠

د٠ عبد الله الحــامد

الهــوامش

١ ـ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ١٢١/٣ ٠
٢ ـ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢٩٠/٣ ٠
٣ ـ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢٩١/٣ ٠
٤ ـ راجع تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢٩٣/٣ ـ ٣٠٣ ٠
٥ ـ الموسوعة ٤/١ ـ ٩ ٠
٦ ـ شعراء هجر ٤٥ ٠
٧ ـ شعراء هجر : ١٣٠ ٠
٨ ـ تاريخ الأحساء : ١٣٣/٢ ٠
٩ ـ مختارات آل عبد القادر : ١٧٠ وتاريخ الأحساء : ٦٩/٢ ٠
١٠ ـ الموسوعة : ٣/١ ـ ٤ ٠
١١ ـ الديوان : ١١٥ ٠
١٢ ـ أنظر هامش كتاب « الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب » لكاتب السطور ٠
١٣ ـ ديوانه : ٨٣ ٠
١٤ ـ التذكرة : لابراهيم بن عبيد : ١٠٩/١ ـ ١١٠ ٠
١٥ ـ يركز كثير من الباحثين في رصد ظواهر الشعر على شعراء القمم ، وذلك يغفل مايرسم الشعراء الصغار من صور واتجاهات قد لا توجد في شعر القمم ٠
١٦ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : ١٦٥/٢ ٠
١٧ ـ راجع تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٠٩/٤ ـ ٢١٢ ٠
١٨ ـ أنظر تاريخ آداب اللغة العربية : ٢٠٥/٤ ٠
١٩ ـ أنظر تاريخ آداب اللغة العربية ٢١٦/٤ ـ ٢١٧ ٠
٢٠ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : ١١٥/٤ ٠
٢١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : ٢١٨/٤ ـ ٢٢٤ ٠
٢٢ ـ نفحات من عسير : ١٨٦ ودني تسهيل لكلمة دنيء ٠
٢٣ ـ نفحات من عسير : ١٥٠ ٠

مراسلات متبادلة
بين الشريف غالب بن مساعد
وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق

د. محمد زكريا عناني

مهما اختلفت الأحكام حول الحملة الفرنسية على مصر والشرق (١) (١٢١٣ ـ ١٢١٦هـ ، ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م) ، فالذي لا ريب فيه أن هذه الحملة أثرت تأثيرا عميقا في الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في الشرق ، وكانت عاملا فعالا في القضاء على نفوذ المماليك ، وفتح المجال أمام محمد علي لكي يؤسس دولة مصر الحديثة ٠

ومهما قست آراء المؤرخين ، وهي تتناول دور الشريف غالب ابن مساعد (٢) ، فالثابت أن الرجل كان في عصره قوة لا يستهان بها ، وبحسبنا أن نسوق هنا ما قاله عنه الجبرتي في « عجائب الآثار » ، في حوادث سنة ١٢٣١هـ :

« ومات الأجل المكرم الشريف غالب بسلانيك ، وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة ، وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز ، فكانت امارته نحوا من سبع وعشرين سنة ، فانه تولى بعد الشريف سرور ، في سنة ثلاث ومائتين وألف ، وكان من دهاة العالم ، واخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين ، ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا (يقصد محمد علي) ، فلم يزل يخادعه حتى تمكن منه ، وقبض عليه ، وارسله الى بلدة سلانيك ، وخرج من سلطنته وسيادته الى بلاد الغربة ، ونهبت أمواله ، وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو في هذه السنة » (٣) ٠

وقد وصلت الحملة الى الشرق ، والشريف غالب في أوج نفوذه وقوته ، ومن الطبيعي ـ والأمر كذلك ـ أن نرى نابليون بونابرت يحرص أشد الحرص على توطيد الصلات به ، والحق أن أسباب هذا الحرص من جانب نابليون لها مبرراتها السياسية والحربية والدينية المتعددة ، وهذه الأسباب تتلاحم وتتشابك ، على نحو ما تكشف عنه الرسائل التي ننشرها اليوم ، ـ وهي واضحة الدلالة في هذا الصدد ـ ، فقد كان نابليون يعلم جيدا أن لا قبل لبلاده على التصدي للأسطول البريطاني الذي يشدد الخناق على الحملة ، ويسعى جاهدا ليقطع عنها كل سبل المونة والاتصال بفرنسا ، ومن ثم كان لزاما عليه ، وعلى كل من كليبر ومينو اللذين توليا القيادة من بعده ، أن يجدوا لهم أعوانا في المناطق الأخرى المجاورة ، وأن يهيئوا وسائل اتصال غير مباشرة تربطهم بالسلطة العليا في باريس (وتكشف الرسائل التي نقوم اليوم بنشرها أن شريف مكة كان أحد هذه الوسائل) ٠

وفضلا عن ذلك فان مصر ما كانت لتستطيع الاستغناء عن متاجر الهند وأفريقيا واليمن ، التي كانت تأتي اليها عن طريق البحر الأحمر ، وكان لشريف مكة دور فعال في نقل هذه المتاجر الى ميناء السويس ٠

على أن الاعتبار الديني كان يحتل منزلة الصدارة من بين هذه العوامل ، فقد كان نابليون بونابرت يعلم جيدا أن العقبة الكبرى التي تواجهه هي عقبة الدين (٤) ، ومن ثم بذل قصارى جهده من أجل تملق مشاعر الأمة ، على نحو ما يتضح من المنشور الأول الذي بدىء في طبعه على ظهر الباخرة « أوريان » ، قبل وصول الحملة للاسكندرية بأيام ، ووزعت منه ألوف النسخ :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، لا ولد له ولا شريك له في ملكه ٠ من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية ٠٠٠ » وفي آخره يدعو الأهالي أن يلتزموا السكينة لأنه ما جاء الا ليؤدب المماليك ، ويحثهم على « أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك ، قائلين بصوت عال : أدام الله اجلال السلطان العثماني أدام الله اجلال العسكر الفرنساوي ، لعن الله المماليك ٠٠٠ » (٥) ، ومن دلائل ذلك ما كتبه نابليون الى الشيخ محمد المسيري ، أحد علماء الاسكندرية في رسالة بعث بها من القاهرة :

« لقد سرني ما علمته من الجنرال كليبر عن مسلككم ، وأنك تعلم مدى احترامي لك منذ عرفتك ، وأتعشم أن يجيىء الوقت الذي أستطيع أن أجمع عقلاء البلاد وعلماءها ، وأن أضع نظاما موحدا مؤسسا على مبادىء القرآن ، تلك المبادىء الصحيحة التي تكفل للناس سعادتهم » (٦) ٠

وقد بلغت هذه السياسة أوجها عند جاك مينو ـ الذي كان حاكما على ثغر رشيد ، قبل أن يتولى القيادة العامة عقب مصرع كليبر ، فقد تظاهر باعتناق الدين الحنيف ، وتسمى ب « عبد الله جاك منو » وسعى حتى تزوج بامرأة مسلمة ، وجاء في عقد الزواج : « بعد أن أقر واعترف منو باشا ساري عسكر بالقطر المصري حالا بصريح لفظه وفصيح نطقه بكلمتي الشهادتين وهما أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، عارفا معتقدا معناهما ، ومصدقا بمضمونهما ، تاركا لدين النصرانية والأديان الرديئة على الترتيب والولاء واعادة التشهد واستيفاء الشروط المعتبرة فيهما شرعا طائعا مختارا من غير اكراه ولا اجبار ، وبمقتضى ذلك صار له ما للمسلمين ، وعليه ما عليهم ، وظهر منه الرغبة والحب للمسلمين والميل اليهم ، وسمى نفسه عبد الله باشا ... » (٧) .

وهناك ـ في هذا الصدد ـ وثائق واجراءات ومواقف عديدة لم تلبث أن رفعت راية الجهاد ، وأعلنت غضبها المرة بعد الأخرى ، الى أن ارتحلوا عن البلاد (٨) .

وقد سعينا لجمع أكبر قدر من نصوص الرسائل المتبادلة بين الشريف غالب بن مساعد ، وبين نابليون بونابرت ورجال حملته على الشرق من مصادر عربية وفرنسية ، بعضها عزيز الوجود ، وبيانها كالتالي :

● مجلد ضخم يضم قرابة خمسين وثيقة مما طبع بالقاهرة بمطابع الحملة الفرنسية ، وهذا المجلد ـ المحفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس ـ يحمل الآن العنوان التالي :

" Recueil des arretes et proclamation de L'autorite francaise en Egypte pendant L' occupation "

« مجموعة القرارات والبيانات التي أصدرتها السلطة الفرنسية في مصر في أثناء الاحتلال » ، وهي محفوظة تحت رقم : Gr. fol. L. h. 4117

● « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لعبد الرحمن الجبرتي ويضم نص رسالة تبودلت بين الشريف غالب و « مدبر الحدود بوسليك » ، وكان مسئولا عن ادارة الشئون المالية للحملة .

● افادة الأنام (مخطوط) لعبد الله غازي . وفيه نص رسالة بعث بها نابليون بونابرت للشريف غالب . وقد نقلناها عن كتاب « تاريخ مكة » للأستاذ أحمد السباعي (٩) .

● Oeuvres de Napoléon Bonaparte

« أعمال نابليون بونابرت » ، طبعة سنة ١٨٢١م (باريس) وفيها بعض رسائل موجهة للشريف غالب •

● F. Rousseau, " Kleber et Menou en Egypte depuis le depart de Bonaparte ", Paris, 1900

روسو : « كليبر ومنو في مصر منذ رحيـــــل بونابرت » ط٠ سنة ١٩٠٠ (باريس) •

وبالكتاب نص رسالة أرسلها منو للشريف غالب ، لم ترد في كل المراجع السابقة •

هذه هي المؤلفات التي عثرنا فيها على مراســــلات بين شريف مكة ورجالات الحملة الفرنســية ، ولا شـــك أن المزيد من التنقيب كفيل بأن يضيف جديدا في هذا المضمار (١٠) •

★★★

[] الرسائل مرتبة ترتيبا تاريخيا ، مع تعريب للرســـائل المدونة بالفرنسية •

الرسالة الأولى

وترد في نصها الفرنسي ضمن « أعمال نابليــون » ، وقد كتبت في ٢٥ أغسطس سنة ١٧٩٨م (ربيع الأول من سنة ١٢١٣) فاذا علمنا أن الفرنسيين نزلوا غرب الاسكندرية في ١٨ محرم سنة ١٢١٣هـ (٢ يوليو ١٧٩٨م) ، وأن نابليون انتصر على المماليك في واقعة امبـــــابة (معركة الأهرام) في ٧ صفر ١٢١٣هـ (٢١ يوليو ١٧٩٨م) عرفنـــا أن نابليون بونابرت بعث برسالته هذه للشريف غالب ، بعد دخوله القاهرة بنحو شهر من الزمان ، وفي هذا دليل على مدى الأهمية التي أولاها لهذا الأمر ، فقد كانت تحيط به متاعب شتى ، منها — على سبيل المثال — تحطم أسطوله في في موقعة أبو قير (أول أغسطس سنة ١٧٩٨م) واشتعال المقاومة في أنحاء متعددة ، ورغبته في احداث تنظيمات ادارية عاجلة يسير بها شئون مصر :

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة ، في ٨ فريكتيدور من العام ٦ (٢٥ أغسطس ١٧٩٨)

الى شريف مكة

انني اذ أخطركم بدخول الجيش الفرنسي مصر أعتقد أنه من الواجب أن أطمئنكم على عزمي الوطيد على أن أحمي بكل السبل رحلة الحجيج الى مكة ، وستظل المساجد وكل الأوقاف التي لمكة والمدينة في مصر في حوزتهما كما كانت في الماضي · أننا أصدقاء للمسلمين ولعقيـــدة الرسول ، ونحن راغبون في القيام بكل ما من شأنه أن يسركم ويكون في صالح الدين ·

واني لأرغب في أن تعلنوا في كل مكان أن قافلة الحج لن تعاني من أي توقف ، ولن تخشى شيئا من الأعراب ·

بونابرت »

★★★

الرسالة الثانية

وتأتي هذه الرسالة بعد يومين فحســــب من تاريخ كتابة الرسالة السابقة ، وتحمل تفصيلات أكثر عن طبيعة العلاقات بين الشريف غالب وبونابرت :

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة في ١٠ فريكتيدور من العام ٦ (٢٧ أغسطس ١٧٩٨)

اليــه نفســه

انني أبادر بأن أعرفكم بوصولي على رأس الجيش الفرنسي للقاهرة ، وبالاجراءات التي اتخذتها للحفاظ على ما للمساجد المقدسة في مكة والمدينة من الدخول التي كان مستوجبة لها ·

وسيبين لكم ، عن طريق الرسائل التي ستصل اليـــكم من الديوان ومن مختلف التجار في هذا البلد ، مدى الرعاية التي أكرسها لرعاية العلماء والأشراف وكل رجال الشريعـــة · وســـترون كذلك أني عينت كذلك مصطفى بك (١١) ، كتخدا سيد أبي بكر باشا وحاكم القاهرة ، وسيقوم بمرافقة الموكب مع قوة تكفل لها الحماية من غازات الأعراب ·

واني لجد راغب في أنكم ، عن طريق ردكم ، تعرفوني عما اذا كنتم تودون أن تقوم فرق تابعة لي بحماية القافلة ، أو يكتفى بفيلق خيالة من أهل البلاد ، ولكن في جميع الأحوال بلغوا جميع التجـــار والمؤمنين بأنه لا يوجد للمسلمين من هو أكثر مني صداقة لهم ، وكذلك للأشراف وكل الذين يكرسون وقتهم وطاقاتهم لتعليم الشعب ، فليس لهم أشد غيرة على

حمايتهم ، وبأن التجارة لن تكون فحسب بمنأى عن الخطر ، بل ستكفل لها حماية خاصة • وبانتظار ردكم مع رجوع البريد •

لتبلغني كذلك عن الضرورات التي تحتاجون اليها من قمح أو أرز وسامتم بأن ترسل كلها اليكم •

بونابرت »

الرسالة الثالثة

وهذه الرسالة بعث بها الشريف غالب بن مســـاعد شريف مكة الى نابليون بونابرت • ولا تحمل الرسالة تاريخا ، ولكن محتواها يدل على أنه من الممكن اعتبارها بمثابة رد على الرسالة السابقة •

والنسخة التي نقدم نصا لها مطبوعة بالقاهرة ، بالمطبعة الوطنية ، اي بتلك المطبعة العربية التي حملها الفرنسيون معهم • ولعل نسخا من هذه الرسالة ، بحجمها هـــذا الذي طبعت به (٢١ × ٢٩ سم) أو بحجم اكبر (١٢) ، علقت في بعض المواضع الرئيسية بالقاهرة ، ليطلع عليهــا الأهالي ويظهر الفرنسيون ، على ضوئها ، في مظهر الحريصين على اقامة الشعائر الدينية ، ويبين أنهم على علاقات طيبة مع شريف مكة •

وطبع في أعلى الرسالة بالحرف الغليظ :

Lettre Du Cherif De La Mekke Au General En Chef Bonaparte

(خطاب من شريف مكة الى القائد العام بونابرت)

وفي ذيل الوثيقة :

Au Kaire, De L,impremerie Nationale

(القاهرة ، بالمطبعة الوطنية) •

نص الرسالة (١٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آلة وصحبه أجمعين •

محل الخاتم ومكتوب في وسطه عبده غالب مساعد ١٢١٣ من الشريف غالب بن مســـاعد شريف مكة المشرفة ، الى أمير الجيـــوش الفرانساوية بوبابارته (!) ساري عسكر الكبير في الأقاليم المصرية ، يجري الله الخير على يديه •

LETTRE

DU

CHERIF DE LA MEKKE,

AU

GENERAL EN CHEF BONAPARTE.

بسم لله الرحمن الرحيم والصّلوة والسّلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ۞

محل الخاتم ومكتوب فى وسطه عبده غالب مساعد ١٢٠٢

من الشريف غالب ابن مساعد شريف مكة المشرفه الى امير الجيوش الفرانساويه بوبابارته ساري عسكر الكبير فى الاقاليم المصريه يجرى الله الخير على يديه .

بعد السلام عليكم فقد وصل كتابكم وفهمنا كامل ماحواه خطابكم ومادكر عن التماسكم لمصطفي اغا كتخدا والى مصر امارة حجّاج المسلمين فهو عين الصّواب وذكرتوا انكم عازمين على ارسال حجّاج المسلمين الي بيت رب العالمين بطلبا امّنيتهم من طرفنا فلامانع لهم وعليهم امان الله من جميع المخاوف ولا صادّ لهم عن بيت الله وزيارة رسول الله ولا جعل الله الكعبه البيت الحرام الا لاداء فريضه حجّ الاسلام فيجون كعادتهم يحجون وهم امنون وما ذكرتوا عن نمشيت بن النّجار فلا يخفاكم انّ المركورين غير امنين الغوايل التي راوا ها فى الزمان السابق فاذا ردتوا ذلك ارسلوالهم ما يومن خواطرهم وبينوالهم ماناخذوه من العشور على بنناهم واموالهم فاذا فعلتوا فهم يصلون اليكم وبخلاف ذالك لايامنون هذا ماعنى لنا به التسطير وماذكرتوا من تعرّض العربان للحجّاج المسلين فلا يصير ذالك بحول الله وقدرته وهمتكم العاليه هذا والسلام على من اتّبع الهدى ۞

AU KAIRE, DE L'IMPRIMERIE NATIONALE.

بعد السلام عليكم ، فقد وصل كتابكم ، وفهمنـــــا لحامل ماحواه خطابكم ، وما ذكر عن الباسكم لمصطفى أغاكتخدا والي مصر امارة حجاج المسلمين فهو عين الصـــــواب ، وذكرتوا بأنكم عازمين على ارسال حجاج المسلمين الى بيت رب العالمين ، بطلبا أمنيتهم من طرفنا ، فلا مانع لهم ، ولهم أمان الله من جميع المخاوف ، ولا صاد لهم عن بيت الله وزيارة رسول الله ، ولا جعل الله الكعبة البيت الحرام الا لأداء فريضة حج الاسلام فيجون كمادتهم يحجون وهم آمنون ، وما ذكرتوا عن تمشيت بن التجار ، فلا يخفاكم أن المزكورين (!) غير آمنين النوايل التي راواها (!) في الزمان السابق ، فاذا ردتوا ذلك أرسلوا لهم ما يومن خواطرهم وبينوا لهم ما تاخذوه من العشور على بنناهم وأموالهم فاذا فعلتوا فهم يصلون اليكم ، وبخـــلاف ذلك لا يامنون •

هذا ما عنى لنا به التسطير ، وما ذكرتوا من تعرض العربان للحجاج المسلمين فلا يصير ذلك بحول الله وقدرته وهمتكم العالية •

والسلام على من اتبع الهدى »

★★★

الرسالة الرابعة

وترد ضمن « أعمال نابليون » ، وهي الرسالة الوحيدة التي توجه باسم « سلطان مكة » لا الى « شريف مكة » ، ولسنا نملك النص العربي منها حتى يمكن ، على ضوئه ، الجزم بدلالة هذ التغيير ، والأبعاد السياسية التي تنطوي وراء مثل هذا التعبير •

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة ، في ٦ بلو فواز من العام ٧ (٢٥ يناير ١٧٩٩)

الى سلطان مكة

لقد تسلمت الرسالة التي كتبتموها الي ، وفهمت محتواها ، وأرسل لكم اللائحة التي قمت بوضعها لجمرك السويس ، وفي عزمي أن يتم تنفيذها بدقة ،

ولا يخالجني الشك في ان تجار الحجاز سيلحظون بامتنان مدى التناقص الذي طرأ على الرسوم الجمركية ، وذلك من أجل الصالح العام للتجارة ، وتستطيع أن تطمئنهم بأنهم سيحظون هنا بموفور الحماية •

وفي جميع الحالات التي تحتاج فيها لشيء من مصر ، ما عليك الا أن تعرفني ، وسيكون مدعاة لسروري أن أعبر لكم عن دلائل تقديري ·

بونابرت »

★★★

الرسالة الخامسة

وهي احدى الرسائل القليلة التي وصل الينا نصها بالعربي ، ولم ترسل الى نابليون بانابرت ، بل الى بوسليج Poussielgue أحد كبار رجال الاقتصاد الذين صاحبوا الحملة ، حيث أصبح « مراقبا لنفقات الجيش ، وعهد اليه نابليون بادارة الشئون المالية ، وكان يثني عليه ، لكنه غضب عليه بعد عودته الى فرنسا لما اطلع على رسائله الى حكومة الديركتوار انتقد فيها سياسته ، ولما عاد الى فرنسا أهمله نابليون » (١٤) ·

ويرد اسمه في هذا النص على أنه « بوسيلك ، مدبر الحدود العامة بمصر » ، والنص نفسه يورده الجبرتي في عجائب الآثار ، ضمن اخبار سنة ١٢١٣ ، مسبوقا بقوله :

« وفيه حضر الى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن ، وكانت الانجليز منعتهم الحضور ، فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياما مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منحهم عشوراء ، وسامح الفرنسيس ابن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما ، طبعوا صورتها في أوراق والصقوها بالأسواق ، وهي خطاب لبوسليك ، وصورته · » من الشريف غالب بن مساعد ، شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه ·· » الخ ·

والنص الذي الصق بالأسواق طبع على ورق كبير الحجم (٤٠ × ٢٩ سم) ، وكله بالعربية ، باستثناء الشعار الذي في أعلا المنشور ، والذي يتضمن بالفرنسية : « الجمهورية الفرنسية » ·

ويتضمن المنشور بعض عبارات دعائية ، توضح كيف أراد الفرنسيون أن يستغلوا صلاتهم بالشريف غالب ــ التي كانت في جوهرها صلات تجارية ــ لاجتذاب الرأي العام اليهم ، وهذه العبارات نصها :



صورة مكتوب حضر من مكة المعظمة
خطابا من سلطان مكة مولانا الشريف غالب
ارسله لمصر الى الدستور المكرم والمشير المفخم الوزير بوسيلك مدبر الحدود العامة بمصر حالا
زاده الله اجلالا واقبالا ✿

دل مضمونه واوضح مكنونه على صحة مصادقة الشريف للدوله الفرنساوية ومزيد مودته لهم مع صدق النية بخلاف مايظنه سفها الرعيه وعرفنا من ذلك ان حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه وبغير اذنه فجزاهم ماحل بهم حيث خطفهم الطير وقد هلكوا في الصعيد بعسكر الفرنساويه اهل الشجاعة والمحاربة القويه الاسديه وحاصل مكتوب الشريف للوزير الاجل ما يعتذر به الكبير والصغير ويسلموا الى مولاهم في ساير المقادير فان الارض لله يورثها من يشا من عباده وهو اللطيف الخبير ✿

✿ بيان لفظ المكتوب ✿

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى عين اعيانه وعمدة اخوانه الوزير الشهير بوسيلك مدبر امور جمهور الفرنساوية ... السيادة ... همه الوفيه ✿

وبعد فانه وصل الينا كتابك وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قضيتنا وانك ارسلت فرمانا برفع العشور عن البن وبذلت الهمة في شان التصرف في نفاذ بيعه فهذا ما نومله من حميد الحركات ووفا المصادقات فاوجب ذلك عندنا وافر السرور ومزيد الود والحبور وتاملنا في كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما اوجب تمسكنا بوثاق الاعتقاد عن نحوه غياهب الشك في كل مراد ✿

ووجب الان علينا تكوين اسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكره وشهلنا الان الى طرفكم خمسة مراكب مشحونه من ذهب بندرنا جدة المعمورة في هذا الاوان ولا امكن لنا خروج هذا المقدار الا باشد علاج مع سلب اطمينان التجار لان كثرة اكاذيب الاخبار اوجبت لديهم مزيد الارتياب والاعذار بحيث مابيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الازمان واماالان فقد جانامنكم قبل هذا المكاتيب التي اوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والاكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمانية من قبلكم لما ثبت عندنا من الفاظ كتبكم ✿

والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لاجل حفظ اموال الناس ويصلوا بالاثمان الى مصر ويبيعوا التجار ويزول وقف الاسباب والباس ويتهيوا في رجوعهم كذلك قبل باوان ليكون ذلك سببا في كثرة وفود الابدان وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس كذلك تتبعوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق . لان هذه المره ما ارسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستثمارا من اعيان التجار وعند مشاهدة الاكرام والاحتفال بهم في كل حال يرسلون اليكم نفايس اموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ويزول الريب عن قلوبهم ويرجوا الله بهمتنا تسلك الطرقات . وتنجح المطالب وتحصل المبرات باحسن مما كانت من الامان . واعلم مما سبق في غابر الازمان . ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الاسباب الجاريه وكذلك لنا بن في المراكب فامولنا منكم القا النظر على خدامنا . وبذل الهمة على ما هو من طرفنا . وانتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام في كل مرام . ولا يخفاك انه ورد علينا قبل بايام كتب من طرف امير العسكر الفرنساوى محمد بونابارته فما كان لنا منها فتاملناه وصار اليه الجواب توصله اليه وما كان منها معول في ارساله علينا الى نواحي الهند وادي حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذى في المخا فجميعا صدرناها من طرفنا مع من نعتمده الى اربابها . وان شاالله عن قريب ياتيكم الجواب ✿

تحريرا في ١١ شهر القعدة سنة ١٢١٣

وقد وصل هذا الجواب لمصر في ١١ شهر الحجه فيكون مدة وصوله من مكه المعروه لمصر ثمانيه وعشرين يوما وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة ايام وصلت مكاتيب البشارة للخاص والعام بدخول احدى عشر داوا الى بندر السويس بسلام فحصل بهذا ... الخزى للكذابين وبطل كلام المجرمين فالزموا الادب مع الله وارضوا باحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله ✿

طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة ✿

« صورة مكتوب حضر من مكة المعظمة خطابا من سلطان مكة مولانا الشريف غالب ، أرسله لمصر الى الدستور المكرم والمشير المنحضم (كذا) الوزير بوسيلك مدبر الحدود العامة بمصر حالا زاده الله جلالا واقبالا

دل مضمونه ، وأوضح مكنونه على صحة مصادقة الشريف للدولة الفرنساوية ، ومزيد مودته لهم مع صدق النية ، بخلاف ما يظلنه سفها الرعية ، وعرفنا من ذلك أن حضور الجماعة قطاع الطريق على القصير من غير اطلاعه ، وبغير اذنه ، فجزاهم ما حل بهم حيث تخطفهم الطير ، وقد هلكوا في الصعيد ، بعسكر الفرنساوية ، أهل الشجاعة والمحاربت (!) القوية ، الأسدية ، وحاصل مكتوب الشريف للوزير لأجل ما يعتبر به الكبير والصغير ، ويسلموا الى مولاهم في سائر المقادير ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وهو اللطيف الخبير » .

نص الرسالة :

« بيان لفظ المكتوب

من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة الى عين أعيانه وعمدة اخوانه الوزير الشهير (١٥) بوسيلك (١٦) ، مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد همه (١٧) الوفية ، وبعد

فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ماحواه خطابك ، مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وانك أرسلت هجانا برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة في شأن التصرف في نفاذ بيعه ، فهذا ما نؤمله من حميد الحركات ، ووفاء المصادقات ، فأوجب ذلك عندنا وافر السرور ، ومزيد الود والحبور (١٨) ، وتأملنا في كتابك ، فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الاعتماد على تموه غياهب الشك في كل مراد (١٩) .

وواجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهلنا الآن الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة في هذا الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار الا بأشد علاج (٢٠) ، مع سلب اطمينان التجار لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لديهم (٢١) مزيد الارتياب والأعذار بحيث ما بيننا وبينكم الا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان ، وأما نحن فقد جاتنا منكم قبل هذا المكاتب التي أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم لما ثبت عندنا من الفاظ كتبكم .

والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ أموال الناس ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيعوا (٢٢) التجار ويزول وقف الأسباب والباس وتهتموا في رجوعهم كذلك قبل باوان ليكون ذلك سببا في كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر الى السويس كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق ، لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار الا تجربة واستخبار من أعيان التجار ، وعند مشاهدة الاكرام والاحتفال بهم في كل حال يرسلون اليكم نافيس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم .

ونرجو (!) الله بهمتنا تسلك الطرقات ، وتنجح المطالب وتحصل الميرات (٢٣) بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق في غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن في المراكب ، فما مولنا منكم القا النظر على خدامنا ، وبذل الهمة على ما هو طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الاكرام في كل مرام

ولا يخفاك أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوي محبنا بونابارته فما كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله اليه ، وما كان منها معول (٢٤) في ارساله علينا الى نواحي الهند وابن حيدر (٢٥) وامام مسكت (٢٦) ووكيلكم الذي في المخا (٢٧) فجميعا صدرناها (٢٨) من طرفنا مع من نعتمده الى أربابها .

وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب (٢٩) .

تحريرا في ١٨ شهر ذي القعدة سنة ١٢١٣ »

ويتلوه ، في نفس المنشور :

« وقد وصل هذ الجواب لمصر (٣٠) في ١٤ شهر الحجة (!) فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة لمصر ثمانية وعشرين يوما ، وبعد وصول هذا الكتاب بسبعة أيام وصلت مكاتيب البشارة الخاص والعام بدخول احدى عشر داوا الى بندر السويس بسلام ، فحصل بهذا الخبر الخزي للكذابين وبطل كلام المجرمين فالزموا الأدب مع الله وارضوا بأحكام الله والسلام عليكم ورحمة الله .

طبع في مطبعة الفرنساوية العربية بمصر المحروسة »

الرسالة السادسة

وهذه الرسالة ورد نصها في مخطوطة كتاب « افادة الأنام » ــ ولم نعثر بعد عليه ــ ونقلناها عن كتاب الأستاذ أحمد السباعي « تاريخ مكة » الذي قدم لها بقوله :

« نابليون لونابرت (!) يكتب لغالب :

وعلى أثر استقرار الفرنسيين في مصر كتب قائدهم الأعلى نابليون لونابرت (!) يعرض على الشريف غالب في مكة بعض الاتفاقات التجارية ، وينذره اذا حاول قطعها ، فكتب اليه الشريف غالب الخطاب التالي » :

وبعد ان أورد نص الرسالة أضاف « ملاحظة » هي :

« كان عنوان غلاف الكتاب :

(عين أعيانه وعمدة أخدانه بونابرته ، أمير الجمهـــور الفرنساوي بمصر القاهرة حالا ٨٦٤٢ (؟)) وكان الختم مكتوبا في وسطه :

(عبده غالب بن مساعد سنة ١٢١٣)

وكتب في أعلا الخطاب (اسنادي الى الله

وفي أسفله (اعتمادي على الله)

وفي احدى الجانبين (مرادي رضا الله)

وفي الجانب الآخر (اعتقادي في الله)

نص الرسالة :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة ، الى قدوة أعيان (أقرانه) الدولة الفرنساوية أو عمدة أركان اخوانه المشهور بســـداد همته الوافية بونابارته ، سرعسكر ومقدم كبرائهم في كل مصدر ، وبعد

فداعي التحرير وموجب التسطير وصول كتابك واحاطة علمنا لما حواه خطابك وماذكرت من وصول كتبنا وتصفح مضمونها ، وارسال القول من طرفكم بما يوجب تبيان حدود رسومات أموال التجار في البلاد المصرية ، وجريان سماحنا لخمسمائة فرق الى آخر ماشرحتمـــوه من الكتاب لصريح وثاقه صدق الاعتماد في كل مصدر من جهاتنا الحرمية ، ومطلوب منا ايصال

الكتب المرسلة على يدنا لمحلنا ، أحدها لولد حيدر تيبو سلطان ، والثاني لامام مسكت والثالث لوكيلهم بالمخا فقد وصلت الينا وأرسلناها بيد معتمد من طرفنا لأصحابها طبق المرام ، وان شاء الله عن قريب يجيئكم الجواب ، وما كان من همتنا في جلب التجار الى الديار المصرية ، واعتمدنا لخطكم وأكيد قولكم ، فنرجو الله ما نعتمد خلافه ، وقد كان تجار بندرنا المعمور في روع من الأكاذيب المختلفة على أموالهم وصدورها لطرفكم وحين ورد منكم هذا القول الأكيد كافة تجارنا في أسباب الجلب اليكم ، وتعهد لهم كامل ما توهمت به ضمائرهم من ضمان الأمان على أموالهم ، وانما كان الانتظار منا لوفود من جهتنا ورسولنا المصدر اليكم .

فلما كان اليوم السابع من شهرنا هذا وصل المذكور الينا وبه كتاب وكيلك المعتمد الوزير برسيلك (كذا) المعلن بمزيد الالتفات لوفادنا اليه وهمته في أمور مر سلاتنا من البن وغيره وهي خمسة مراكب مشحونة من طرف تجارنا وفيها مأمور هو مسطور أعلاها باسمنا فهو لنا وصحبتهم منحتنا ومراسلينا بالسطور ، فالمطلوب عند وصولهم الى السويس أن ترسلوا من طرفكم عسكر يحافظون على الأبنان الى أن تصلكم الى مصر ، ويبيعونها ، فعند اعادتها بأثمانها كذلك تشيعوهم بالعساكر الى أن يدخلوا سفائنهم ، حرصا عليهم من خطر الطريق ، فاننا ما أمكن تأمين التجار على هذا المقدار الا بأشد علاج وما صدر هذا القدر الا بصدد التجربة من شدة ما تأكد عليهم لديهم من توهم الأكاذيب المتناثرة ، لأنه ما بيننا وبينكم الا العربان ، فاذا شاهد التجار مزيد الاعتناء بأموالهم ، ومحافظاتها من مخاطرات الأسفار والاحتفال باكرامهم هرعوا بالجلب الى مصر في كل آن ، ونرجو بهمتنا أن نسلك الطرقات وتنجح الميرات بأحسن ما كان من الأمان ، ويكثر الوارد اليكم من الأسباب الحجازية ، لا سيمان عند وجدان صدق مقالكم تتكون أسباب صداقتكم فالآن مأمولنا منكم القاء النظر على ما هو لنا من البن حسب ما هو مرقوم اسمنا في ظهور (فروقنا) والالتفات لخدامنا ، وكذلك لا يخفاكم أن لنا عوائد ومرتبات في مصر ، مع سماح الخمسمائة الفرق دراهم نقدية ، وهنا بيان ما هو لنا بالديوان العالي في مصر ، الواصلة الينا صحبة الحاج مع كاتب الصرة وصيرفها :

عن الصرة الرومية	٥٤٠٠٠٠
ثمن سرس وشطلرات	١٧٠٩١٧
معتاد بني حسين وبني تراب	٤٨٧١٧
عن أشراف بني تراب بدفتر متقاعد	١٩٥١٢

عن مرتب وقف الدشيشة الكبرى	١٢٥٣٢٥
عن وقف المحمدية بالثلث بدفتر متقاعد	٨٣٣٣٣
حوالة كاتب الحرم بمكة من اربطة	١٧٥٨١١
عن صرة شريف مكة انعام الدولة العلية	١٠٠٠٠٠٠
منها دواوين	٢١٦٣٦٧٩
ولنا في وقف الجامكية المستجدة يسلمها لنا أمين الحاج دواوين	٥٠٨٥٠٠
عنها ريال فرانسة ٥٦٥٠	

حرر في ١٨ شهر ذي القعدة ١٢١٣ » ٠

الرسالة السابعة

وترد ضمن « أعمال نابليون بونابرت » وكتبت في ٣٠ من يونية ١٧٩٩ أي قبيل رحيل نابليون بأقل من شهرين (اذ أنه ارتحل في ٢٢ من أغسطس الى فرنسا ، متخفيا) ٠

ترجمة نص الرسالة :

« القاهرة في ١٢ مسيدور من العام ٧ (٣٠ يونيه ١٧٩٩)

الى شريف مكة

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله لقد تسلمت رسالتكم ، وفهمت محتواها ، وقد أصدرت أوامري بحيث يعمل كل ما من شأنه أن يقنعكم بمدى الود والتقدير الذي أحمله لكم

ونأمل أنكم في الموسم القادم تقومون بارسال عدد كبير من السفن المحملة بالبن وبضائع الهند ، وسيكفل تأمين هذه السفن ٠

واني لأعرب لكم عن شكري لقيامكم بارسال ما بعثت من رسائل للهند والى فرنسا ٠ أوصلوا هذه الرسالة كذلك ، ووافونا بالرد ٠

وثقوا في التقدير الذي أكنه لكم ، وفي الاعتبار الذي أحمله لصداقتكم

بونابرت »

ويرد بعدها في نفس المصدر نص يتصل بالشريف غالب هو :

« القاهرة في ١٢ميسيدور من العام ٧ (٣٠ يونية ١٧٩٩)

الى قومندان « ايل دى فرانس (٣١)

أرجو أيها المواطن القومندان ، أن تقوموا بدفع مبلغ ٩٤٠٠٠ فرنك الى شريف مكة ، وهو المبلغ الذي سيقوم أمين الصرف بالجيش بسحبه ، بموجب ثلاث رسائل تحويل على أمين الصرف في ايل دى فرانس ، كما ستقوم الخزانة الوطنية باتخاذ اللازم ·

« وقد اعتقدت أنه من الواجب أن أستعمل هذه الطريقة لكي يكون لنا قناة موثوق بها لكي نتراسل معكم على الرغم من الطرادات [الانجليزية] التي تعيث في البحر الأحمر فسادا ·

ولكم تحياتي « بونابرت »

الرسالة الثامنة

ويرد نصها الفرنسي في كتاب فرانسوا روسو الذي يحمل عنوان « كليبر ومنو » ويضم الوثائق التي تتعلق بالحملة في ظل خليفتي بونابرت في مصر ·

وتتميز هذه الرسالة بمدى غلبة روح الملق عليها ، والرغبة الشديدة في التأثير على الشريف غالب ، لأن الجنرال منو ، كاتب هذه الرسالة كان ينتهج سياسة استعمارية ترمي الى محاولة البقاء في مصر ، على العكس من نهج سلفه كليبر ، الذي أدرك أن من الخير تصفية الحملة والرحيل وفقا لشروط مشرفة ·

ترجمة نص الرسالة :

« من منو الى شريف مكة

(نقلا من مينيتور يونيفرس ، بتاريخ ١٥ نيفوز من العام ٩) ٩ فريمير من العام ٩ (٣٠ نوفمبر ١٨٠٠) ·

بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله

من عبد الله جاك منو ، القائد العام للجيش الفرنسي [الموجود] حاليا في مصر ، ممثلا فيها حكومة الجمهورية الفرنسية ؛

الى الشهير ذائع الصيت ، الأعظم بين الأعاظم ، خليفة رسول الله ، المفعم بالعقل والحكمة والقوة ، المنتصر على الدوام ، الأمير غالب ،

الشريف العظيم على المدينتين المقدستين ، المهيمن على أجمل منطقة في شبه الجزيرة العربية ٠

أيها الأمير الشهير ، الصديق

بعد أن استعلمت عن صحتكم ، وتمنيت لكم كل السـعادة التي تستحقونها ، والتي تصبون لها ، أبادر بأن أعلمكم بأني عينت قائدا عاما على الجيش الفرنسي [المقيم] الآن في مصر ، بعد الاغتيال الرهيب الذي أودى بشخص سلفي صديقكم القائد العام كليبر

ان صديقكم القديم بونابرت ، القنصل الأول للجمهورية الفرنسية وأشـهر محاربي أوربا ، هو الذي عينني في مكانه ، واني لأهنىء نفسي اذ أتاح لي امكانية التراسل مع من هو الأكثر قداسة من بين جميع الأمراء الذين يتبعون العقيدة الحقة ، والذين يعبدون الله ويوقرون نبيه ٠

أيها الأمير الشهير

لقد كلفني بونابرت بأن أجدد معكم كل مواثيق الصداقة ، ومن ثم أبادر بأن أعرفكم بأن رعاياكم يستطيعون الحضور للسويس دون أي خوف ، ومن الآن فصاعدا لن يلحق بالتجـار اهانة أو تنكيد ، وقد ألغيت كل القوانين القديمة لكيما لا أبقى الا على قانون واحد مطلق ، ولو أن فردا فرنسيا أو أي موظف آخر في جمرك تجرأ أن يأخذ مثقال ذرة واحدة (٣٢) أكثر مما حددت ، فانه سيدفع حياته اذ ذاك ثمنا لها ، وقد فعلت ذلك مراعاة لكم ، أيها الأمير الشهير ٠

ولقد كنت أريد أن أرسل لكم هذه السنة ، كما كان ذلك في السابق ، قافلة الحجيج ، التي تضم من كل الأمم لأجل زيارة المدينتين المقدستين ، وكنت أريد أن أرسل لكم الكسوة لتغطية الكعبة المقدسة ، لكن ظروف الحرب لم تمكن من ذلك ، وأرجو في العام المقبل أن أكون أحسن حظا ، وسأنصب كأمير للحج مسـلما يكون حريا بمهمة على هذا القـدر من التشريف ، وسأقوم ، في النهاية ، بكل ما من شأنه أن يبرهن لكم ، أيها الأمير الشهير على مقدار رغبة الجمهورية الفرنسية في أن تكون على وفاق معكم ، وانني لأعتبر نفسي سعيدا اذ أكون لسان حالها ، حيث أنها كلفتنى بأن أقدم لكم التوكيدات الوطيدة لتقديرها العميق ٠

وأرجو الله ورسوله أن ينعم عليكم بعمر مديد ، وبرخاء غير مقطوع ، وانتصارات بلا عدد على أعدائكم ٠

ملحوظة : أرسل لكم أيها الأمير الشهير التعريفة الجمركية التي نفذتها في كل أنحاء مصر ، وسترون أن الرسوم الجمركية أصبحت أقل قدرا في السويس مما كانت عليه في الماضي » .

النصوص ذات الأصل الفرنسي ، وهي على الترتيب ، الرسائل رقم ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ٨ .

الهوامش والمصادر

١ ـ نشير هنا إلى المراجع الرئيسية عن الحملة الفرنسية ، بالعربية والفرنسية والانجليزية ، وهي :

عبد الرحمن الجبرتي « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ٤ أجزاء ، القاهرة ١٢٩٧هـ .

عبد الرحمن الجبرتي « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » جزءان ، تحقيق أحمد زكي عطية وآخرين ، القاهرة ١٩٦١ .

نقولا الترك « ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية (نشر وترجمة د. ديجرانج) باريس ١٨٣٩ .

عبد الرحمن الرافعي « تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر » ، جزءان ، الأول ط ٤ ، القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ، الثاني ط ٣ ، ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٨م .

د. محمد فؤاد شكري « الحملة الفرنسية وظهور محمد علي » القاهرة ، بدون تاريخ .

د. محمد فؤاد شكري « عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ، القاهرة ١٩٥٢ .

محمود الشرقاوي « مصر في القرن الثامن عشر » ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٥٧ .

Reybaud, L. : " L' Histoire Scientifique et Militaire de L' Expedition Francaise en Egypte, " 10 vol Paris, 1830 - 36

Rigault, G. " Le General Abduallah Menou et La derniere phase de L' Expedition d' Egypte " (1799 - 1801) Paris 1911.

Bainville, " Bonaparte en Egypte ", Paris 1936.

Bainville, " L' Expedition Francaise en Egypte ", dans "Precis de L' Histoire d' Egypte, t. III, Le Caire, 1933.

Charles - Roux, F. " Bonaparte gouverneur d, Egypte " Paris 1936.

Elgood, P. G., " Bonapart's adventures in Egypt ", London 1936.

٢ ـ نكتفي بأن نسـوق هنا ما ذكره العـلامة الزركلي في « الأعلام » ط ٣ جـ ٥ ص ٣٠٤ عن الشريف غالب (توفي سنة ١٢٣١هـ ـ ١٨١٦م) :

« غالب بن مساعد بن سعيد الحسني ، من أمراء مكة • وليها بعد وفاة أخيه سرور ، (سنة ١٢٠٢هـ) ونازعه ابن أخيه (عبد الله بن سرور) فقبض عليه غالب واستتب له الأمر زمنا • وفي أيامه قوى الامام سعود بن عبد العزيز بنجد ، وهاجمت جيوشه الحجاز فقاتلها الشريف غالب ، وتقهقر الى جدة ، ثم أظهر الطاعة لسعود ، حتى كان كأحد عماله ، وعاد الى مكة • واستمر في الامارة الى أن زحف محمد علي باشا (والي مصر) بجيش كبير من الترك وغيرهم لقتال السعوديين ، فتحول الشريف عن ولائه لآل سعود ، فاستخدمه محمد علي مدة قصيرة ، ثم قبض عليه وأرسله الى مصر (سنة ١٢٢٨) فاقام أشهرا ، وأرسل الى الاستانة فنفته حكومتها الى سلانيك فتوفى فيها • وكان فيه دهاء ، وأخباره مع آل سعود كثيرة ، أشار اليها مؤرخو عصره » وذكر عنه مراجع متنوعة أهمها « عنوان المجد » لابن بشر ، وتاريخ الجبرتي •

٣ ـ « عجائب الآثار » جـ ٤ ص ٢٦٢ •

وانظر نفس المصدر ، ١٥٨/٢ ، ١٧٢ ، ٥٩/٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٥/٤ ، ٦ ، ١٣٥ ، ١٧٣ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ، ٢١٢ ، ٢٢٩ •

وانظر بحثا لأحمد مرسي « شريف مكة بين قوتين » في مجلة « الدارة » ، العـدد الثاني من السنة الأولى (جمادى الثانية ١٣٩٥ ، يونيه ١٩٧٥) ص ١٥٠ ـ ١٥٩ ، والعدد الأول من السنة الثانية (ربيع أول ١٣٩٦) ص ١٦٨ ـ ١٧٤ •

٤ ـ انظر في تفصيلات موضوع « سياسة نابليون الاسلامية » :

Cherfils, Christian : " Bonaparte et L'Islam d'apres Les documents francais et arabes " Paris 1914.

Chauvin, victor, " La Legende Egyptienne de Bonaparte Paris, 1936.

Spillman, G., "Napoleon et L' Islam" Paris 1969.

٥ ـ لهذا المنشور أصلان أحدهمـا عربي والآخر فرنسي ، وقد أورد الجبرتي ٤/٣ ـ ٥ الأصل العربي ، ونقله عنه عبد الرحمن الرافعي في « تاريخ الحركة القومية » جـ١ ص ٨٤ ، ويرد الأصل الفرنسي في « مراسلات نابليون » جـ٤ وثيقة ٢٧٢٣

Correspondance de Napoleon ler, Paris 1858 - 1870.

على أن للمنشور العربي صيغتين بينهما بعض اختلافات ، انظر بصدد ذلك دراسة د• أحمد حسين الصاوي « فجر الصحافة في مصر » ـ دراسة في اعلام الحملة الفرنسية ـ القاهرة ١٩٧٥ ص ٩٢ ، وأحال الى دراسة مفصلة حول الموضوع للدكتور مارسدن جونز قدمت ضمن الندوة التي عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن الجبرتي بالقـاهرة (١٦ ـ ٢٣ ابريل ١٩٧٤) •

٦ ـ أنظر تفصيلاته في الرافعي ، المصدر السابق جـ١ ص ٢٣٣ •

٧ ـ اكتشف هذه الوثيقة المؤرخ علي بهجت ونشرهـا في مجلة المجمـع العلمي بالقاهرة ، مجموعة ١٨٩٨ وعدد فبراير ١٩٠٠ ، وأورد الرافعي كذلك في المصدر السابق (جـ٢ ص ٣٦٢ ـ ٣٦٦) النص كاملا •

٨ ـ انظر في تفصيلات المجابهة بين الشعب والفرنسيين تاريخ الجبرتي في أكثر من موضع وكذلك كتاب الرافعي الذي أشرنا اليه ، ولنا دراسة حول « سليمان الحلبي واغتيال كليبر » قدمت للمجلس الأعلى للفنون والآداب بالقاهرة ، سنة ١٩٦١م •

ونضيف هنا أن أهالي الحجاز ، وعلى الرغم من سـيـاسة الوفاق بين الفرنسيين والشريف غالب ، اشتركوا مع أهل مصر في حرب الفرنسيين على النحـو الذي أوضحه الجبرتي جـ ٣ ص ٤٤ •

٩ ـ أحمد السباعي « تاريخ مكة » ـ دراسات في السياسة والعـلم والاجتماع والعمران ـ ط• ثانية ، مطابع دار قريش بمكة سنة ١٣٨٥هـ ، جـ٢ ص ١٢٦ ومابعدها • وقد فتشنا طويلا عن مخطوطة « افادة الأنام » فلم نستدل عليها حتى الآن (وذكر لنا بعض أهل العلم في مكة المكرمة أنها ربما كانت مما اقتناه الشيخ محمد سرور الصبان • وقد أهديت مكتبته مؤخرا لفرع جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ، ولاتزال في طور المراجعة والفهرسة) •

١٠ ـ أنظر بحث د• أحمد عبد الرازق محمد « كشاف بالوثائق الفرنسية في مكتبة جامعة القاهرة » ضمن كتاب « عبد الرحمن الجبرتي ، دراسات وبحـوث » ، باشراف د• أحمد عزت عبد الكريم • القاهرة سنة ١٩٧٦م ، « حافظة رقم ٢٠٦ :

٦ ـ ترجمة فرنسية لخطابين من شريف مكة الى الجنرال بوسـيلج ، مؤرخة في ٤ فلورال من السنة السابعة (٢٣ ابريل سنة ١٧٩٩) يسأله في ارسال بوسيلج بشأن البعثة المسافرة الى سيناء ، مؤرخة في سنة ١٧٩٩ » •

١١ ـ انظر في أمر تعيين أمير الحج كتاب الرافعي سالف الذكر جـ١ ص ٢٦١ ، و جـ٢ ص ٤٨ •

١٢ ـ أشار ألبير جس في دراسته عن « تاريخ المطبعة في مصر » الى أن المنشورات كانت تطبع طبعتين ، واحدة لكي تلصق في الأماكن العامة والثـانية التي توزع في الشوارع :

Albert Geisse, " Histoire de L' Impremerie en Egypte " dans, " Bull. de L' Institut Egyptien, 5 eme serie, t. I, 1907.

١٣ ـ راعينا أن نسجل نص الرسائل التي بالعربية كما جاءت في الوثائق التي بين أيدينا ، وقد تدخلنا في بعض المواضع باضافة علامات تعجب بين الأقواس للفت النظر الى طبيعة الأسلوب الذي استعمل او للخطا المطبعي الذي وقع •

١٤ ـ عن كتاب عبد الرحمن الرافعي الذي ذكرناه من قبل ، جـ١ ص ١٣١ ، وان كان فيه أن بوسيلج كان يشغل منصب « مدير الحدود » بالياء والصواب ، كما جـاء في الجبرتي وفي نص المنشور أنه بالباء ، وأورد د• الصاوي ـ في دراسته التي ذكرناها من قبل ـ صورة القرار الذي اتخذ بتنحية بوسيلج (شكل رقم ٧٧) بطريقة غير مباشرة اذ نص القرار على أنه « لم بقى مدبر الحدود كمثل الأول » وعلى أن « الخزندار العام هو سيتوين استوه متعلق بالمداخيل قاطبة ، والمذكور يضبط ويكشف حسابات المدخول من اللم العمومي » أي أن مسئولية ادارة الشئون المالية آلت الى المواطن استيف Esteve (أنظر عنه كتاب الرافعي الذي أوردناه ، جـ١ ص ١٣١) ، والعنوان الفرنسي للمنشور يبين في جلاء أن بوسيلج كان على رأس الادارة العامة للمالية في مصر

L' Administration general des Finances de L' Egypte.

١٥ ـ عبارة (الوزير الشهير) لا ترد عند الجبرتي •

١٦ ـ في الجبرتي : بوسليك •

١٧ ـ في الجبرتي : همته

١٨ ـ الجملة من « فهذا ما نؤمله ·· » حتى « ·· الود والعبـــور » لا ترد في تاريخ الجبرتي •

١٩ ـ في الجبرتي : المراد

٢٠ ـ في الجبرتي : الا بمشقة علاج •

٢١ ـ في الجبرتي : لهم •

٢٢ ـ في الجبرتي : ويبيع •

٢٣ ـ في الجبرتي : تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب وتحصيل الميرات •

٢٤ ـ في الجبرتي : معولا •

٢٥ ـ أنظر عنه دراسة د· الصاوي التي ذكرناها ، ص ٢٠٧ ، وفيها أنه « تبـو صاحب ، ابن حيدر علي ، سلطان ميسور بالهند ، وكان ممن قاوموا امتداد الاستعمار البريطاني في شبه القارة الهندية ـ ١٧٥٣ ـ ١٧٩٩ » •

٢٦ ـ المراد : مسقط •

٢٧ ـ المراد : القنصل الفرنسي في المخا •

٢٨ ـ في الجبرتي : أصدرناها •

٢٩ ـ في الجبرتي : يضيف : والسلام •

٣٠ ـ في الجبرتي : « وقد وصل هذا الكتاب لمصر ، في ستة عشر يوما خلت من شهر ذي الحجة ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة الى مصر ثمانية وعشرين يوما ، وانقضى هذا الشهر ، ولم يات خبر صحيح عن فرنسيس الشام • وانقضت هذه السنة ، وما حصل بها من الحوادث التي لم يتفق مثلها ، ومن أعظمها انقطاع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، وهذا لم يقع نظيره في هذه القرون ، ولا في دولة بني عثمان ، والأمر لله وحده » •

وانظر في تحليل المنشور دراسة د· الصاوي التي مرت بنا ص ١٠٠ حيث يقول ان « ان المنشور غير مؤرخ ، ولكن ختامه يدل على أنه صدر في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٢١٣ (النصف الثاني من مايو ١٧٩٩) ، وقد ذكر الجبرتي نصـــه في حوادث شهر ذي الحجة أيضا « دون تحديد اليوم » وواضح أن المنشور يحمل تاريخا هو ١٨ من شهر ذي القعدة سنة ١٢١٣ كما علق عليه باسهاب ص ٢٠٦ •

رسائل نابليون الى الشريف غالب نقلناها عن :

Oeuvres de Napoleon Bonaparte,
tome deuxieme, Paris, C. L. F. Panckoucke editeur, MDCCCXXI (1821).

ص ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٤٥٧ ، ٩٠ (على التوالي) •

أما الرسالة الموجهة من مينو للشريف غالب فتجيىء في كتاب :

François ROUSSEAU, " Kléber et Menou en Egypte depuis Le depart de Bonaparte
(Paris 1900).

ص ٣٧٨ وما بعدها .

٣١ ـ ايل دي فرانس Ile de France ، احدى جزر المحيط الهندي ، وكانت خاضعة لفرنسا ، وهي ما يعرف الآن باسم جزيرة موريشيوس .

٣٢ ـ في النص الفرنسي : Medin وفي « تاريخ الطباعة والصحافة في مصر خلال الحملة الفرنسية » ط٢ ، القاهرة ١٩٤٩م ص ٥٠ :

Medin " او Medino هي أصغر عملة مصرية في حجم العملة الفرنسية ذات الخمسة وعشرين سنتيما ولكنها اقل منها سمكا ، وطول نصف قطرها خمسة عشر ملليمترا ، وتزن ٧٣ درخمة أو ٢٢ر٧٦ جراما من الفضة ، يحمل احد جانبيها اسمها فقط أو اسم السلطان ، ويحمل الجانب الآخر « ضرب في مصر » والسنة التي ضربت فيها . راجع في ذلك :

Descrip. de L' Egyp. 2 eme ed. T. 16 P. 320 et 422.

وعملة « ميدان أو مدينو تسمى ميدي أو مؤيدي ، ويذكرها الجبرتي بقوله (نصف فضة) راجع في ذلك شفيق غبريال « مصر عند مفترق الطرق » هامش ص ١٢ مجلة كلية الآداب مجلد ٤ جـ ١ سنة ١٩٣٦ » .

٣٣ ـ Aboukekir هو أبو بكر باشا والي مصر (وانظر في عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة الوطنية جـ١ ص ٤٢٣ ، رسالة نابليون الى أبي بكر باشا والي مصر قبل رسو العمارة الفرنسية بالاسكندرية ») وليست هذه هي المرة الأولى التي تجيىء فيها الأسماء العربية على صورة مغلوطة أو مخالفة لأسلوب الرسم الكتابي المتداول لها الآن . وقد رايناهم في هذه الرسائل يكتبون Hygia 3 دلالة على الحجاز ، وجاء اسم الشريف غالب في الرسالة التي وجهها اليه الجنرال منو وقد رسم هكذا Ghralib كما كتبت مكة المكرمة في بعض الأحايين Mekke بدلا من Mecque . وانظر كذلك الرسالة الثانية ، حيث تجد فيها بعض كلمات فرنسية (مثل (differens negocians كتبت على نحو مخالف للمألوف . وقد ابقينا عليها كما هي دون تغيير ، وهو ما فعلناه كذلك بازاء النصوص العربية التي حافظنا على اسلوبها بدون اي تغيير .

د. محمد زكريا عناني
كلية الشريعة ـ مكة المكرمة

Lettre 1 : Au Caire, Le 8 Fructidor an 6 (25 août 1798)

Au Schérif de le Mecque

En vous faisant connaitre l' entrée de l' armée française en Egypte, je crois devoir vous assurer de la ferme intention où je suis de protéger de tous mes moyens le voyage des pélerins de Mecque : les mosquées et toutes les fondations que la Mecque et Médine possédent en Egypte, continueront à leur appartenir comme par le passé. Nous sommes amis des musulmans et de la religion du prophète; nous désirons faire tout ce qui pourra vous plaire et être favorable a la religion.

Je desire que vous fassiez connaitre partout que la caravane des pélerins me souffrira aucune interruption, qu' elle n'aura rien à craindre des Arabes.

Bonaparte "

Lettre "2" :

Au Caire, le 10 Fructidor an 6 (27 août 1798)

Au même

Je m' empresse de vous faire connaitre mon arrivée, à la tête de 1' armée française, au Caire, ainsi que les mesures que j'ai prise pour conserver aux saintes mosquées de la Mecque et de Médine les revenus qui leur étaient affectés. Par les lettres que vous écriront le divan et les differens negocians de ce pays, vous verrez avec quel soin je protège les imams, les schérifs et tous les hommes de loi; vous y verrez également que j' ai nommé pour emir - adji Mustapha - Bey, Kiaya de seid Aboukekir (33), pacha gouverneur du Caire, et qu'il escortera la caravane avec les forces qui la mettront à 1' abri des incursions des Arabes.

Je désire beaucoup que, par votre réponse vous me fassiez connaitre si vous souhaitez que je fasse escorter la caravane par mes troupes, ou seulement par un corps de cavalerie de gens du pays; mais dans tous les cas, faites connaitre à tous les négocians et fidéles que les musulmans n' ont pas de meilleurs amis que nous, de même que les schérifs et tous les hommes qui emplorent leur temps et leur moyens à instruire les peuples n' ont pas de plus zélés protecteurs, et que le commence non seulement n' a rien à craindre mais sera spécialement protégé.

J' attends votre reponse par le retour de ce courrier. Vous me ferez connaitre également les besoins que nous pourriez avoir, soit en blé, soit en riz, et je neillerai a ce que tous soit envoyé.

Bonaparte "

Lettre 4 :

Au Caire, Le 6 pluvoise an 7 (25 janvier 1799)

Au Sultan de la Mecque

J' ai reçu la lettre que vous m' avez écrite, et j' en ai compris le contenu. Je vous envoie le reglement que j' ai fait pour la douane de Suez, et mon intention est de le faire exécuter ponctuellement.

Je ne doute pas que les négocians de l' Hygiaz ne voient avec gratitude la diminuation des droits que j' ai faite, pour le plus grand avantage du commerce, et vous pouvez les assurer qu' ils jouiront ici de la plus ample protection.

Toutes les fois que vous aurez besion de quelque chose en Egypte, vous n' avez qu' a me le faire savoir, et je me ferai un plaisir de vous donner des marques de mon estime.

Bonaparte "

Lettre 7 :

Au Caire, le 12 messidore an 7 (30 Juin 1799)

Au Schérif de la Mecque.

Au nom de Dieu clément et miséricordieux; il n' y a pas d' autre Dieu que dieu, et Mahomet est son prophete.

J' ai reçu votre lettre, et j' en ai compris le contenu.

J' ai donné les ordres pour que tout ce qui peut vous persuader de l' estime et de l' amitié que j' ai pour vous, soit fait.

J' espère qu' à la saison prochaine vous ferez partir une grande quantité de bâtimens chargés de café et de marchandises des I ndes : ils seront toujours protégés.

Je vous rémercie de ce que vous avus avez passer mes lettres aux Indes et à l' Ile de France; faites - y passer celles - ci, et envoyez - mois la réponse.

Croyex à l' estime que j' ai pour vous, et au cas que je fais de votre amitié.

Bonaparte "

Au Caire, le 12 messidor an 7 (30 Juin 1799)

Au Commandant de l' Ile de France

Je vous prie, citoyen - commendant, de faire payer au schérif de la Mecque la somme de 94,000 fr., que le payeur de l' armeé tire en trois lettres de charge sur le payeur de l' Ile de France, et dont la trésorerie nationale tiendra compte.

J' ai pensé devoir me servir de ce moyen pour avoir un canal sûr pour correspondre avec vous, malgré les croiseurs qui infestent la mer Rouge.

Je vous salue.

Bonaparte "

Lettre 8 :

Menou au Cherif de la Mecque

(Moniteur Universel, 15 hiv, an lx) a frimaire an

lx (30 nov. 1800)

Au nom de Dieu clément et miséricordieux

Il n' y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son prophète. Abdullah Jacques Menou, général en chef de l' armée française, actuellement en Egypte, et y représentant le gouvernement de la republique française.

A l' illustre célébre, le plus grand parmi les plus grands, le successeur de son agent le prophéte de Dieu, rempli d' esprit, de sagesse, de farce, toujours victorieux, le prince Ghalib, grand chérif des deux villes saintes, possesseur de la plus belle partie de l' Arabie.

I llustre prince et ami, après m' être informé de votre santé et vous avoir souhaité tout le bonheur que vous meritez

et que vous pouvez désirer, je m' empresse de vous faire savoir que j' ai étè nommé au commandement général de l' armeé française actuellement en Egypte, après l' horrible assassinat commis sur la personne de votre ami le général en chef Kléber, mon prédécesseur. C'est le premier consul de la république française le plus célèbre parmi les guerriers europèens, votre ancien ami Bonaparte, qui m' a nommé a sa place.

Je m' en félicite puisqu élle me met à portée de correspondre avec le plus saint de tous les princes qui suivent la vraie croyance, qui adorent Dieu et qui respectent son prophète.

Illustre prince, Bonaparte m' a charge de renouveler avec vous tous les traités d' amitié. Je m' empresse donc de vous faire savoir que vos sujets peuvent venir sans aucune crainte à Suez. Dorénavant aucune avanie, aucune vexation, ne seront commises contre les négociants, J'ai aboli tous les anciens droits pour n' en créer qu' un seul et unique, et si quelque Français, ou tout autre employé dans les douanes de Suez s' avisait de prendre un seul médin au delà de ce que j' ai fixé, il perderait a l' instant la vie. J' ai fait tout cela en votre considération, illustre prince. Je voulais cette année vous envoyer, comme par le passé, la caravane des pélerins de toutes les nations qui vont visiter les deux cités saintes. Je voulais vous envoyer le tapis qui doit couvrir la sainte Caaba, mais les circonstances de la guerre me l' ont pas permis. L' année prochaine, J' espére être plus hereux. Je choisir ai pour Emir Hadgi un musulman qui soit digne d' une si honorable fonction. Je ferai enfin tout ce qui sera nécessaire pour prouver, illustre prince, combien la republique française, désire être en bonne intelligence avec vous.

Je m' estime hereux d' être son organe, puisqu' elle me met à même de vous offrir les assurances bien sincéres d' une profonde estime.

Je prie Dieu et son prophète de vous accorder de longs jours une prospérité sans interruption et des victoires sans nombre sur vos ennemis.

P. - S. - Je vous envoie, illustre prince un tarif des douanes que J' ai établies dans toute l' Egypte. Vous y verrez que les droits sont bien moins considérables à Suez qu ils n' étaient autrefois. ".

كم خطر على بالي أن أكتب بحثا مطولا أو حديثا مطولا أو مقالة عن التطبيب عندنا نحن في البادية في السنوات الماضية الكثيرة ، يوم تركنا هكذا الى صحرائنا ، الى باديتنا ، الى مدننا التى كانت أشبه ماتكون بالقرى منقطعة عن بعضها ، فلولا صلة الحج لانقطعت صلتنا بالعالم كله ، هكذا أفصح التاريخ على دعوة الاسلام من اللحظة الأولى على حراء ، واحتفل التاريخ بالفتح المبين العظيم بصنع العربي المسلم حينما توحد تحت كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة فصنع التاريخ كله ، ليس للعربي الزاحف للهداية ، وليس للمسلم الذي واكب الزحف ، وليس للعالم المسلم من كل أرض مسلمة ، وانما هو صانع تاريخ الانسانية الجديد بالحضارة الأصيلة لهذا الدين الحنيف ·

التطبيب فى البادية أو النار والعطار

بقلم : محمد حسين زيدان

لا مدارس ولا كتب غير المسجد :

● تركنا وحدنا بلا مدارس ولا كتب ، المسجد كان جامعا سواء كان المسجد الحرام أو مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، لم ينقطع عنه العالم

الامام ولم تنقطع فيه الدروس ، والكتاب كان رديفا للمسجد كأنه المدرسة التي يعلم فيها التلميذ ليكون طالب علم في المسجد أو ليكون صاحب صناعة ٠٠ وهكذا ، تركنا هذا ، وأقول لأكثر من مرة أننا تركنا ٠٠ ولكن الانسان شديد الرغبة في أن يعالج أو يطبب نفسه ، قالوا ان النار اكتشفها انسان واحد ٠ أنا لا أعتقد الا أن اليونانيين أحبوا أن يسلبوا الانسانية هذا الفخر باكتشاف النار ٠

الانسان في حاجة الى النار :

● فالانسان في حاجة الى النار لم يعرفها الا بعد أن رآها ، والنار لا أستطيع أن أقرر أن مكتشفها واحد لأن الانسان كحيوان كان يسير في حياته البدائية بالتهدي عرف الكثير بالتهدي ، عرف الطعام القاتل والطعام الصالح ، عرف حبة القمح ، عرف الفاكهة ، فهو ابن الغابة وابن الغيث وابن النهر ، فالنهر والغابة والغيث كلها كانت معلمة له تنبت له الزرع ، يشخب الضرع فاقتنى الحيوان واعتنى بأن يتكتل في قرية وأن يتجمع في قبيلة وأن يصير الى شعب وأن يصير الى أمة وهكذا التهدي علمه الكثير فلماذا لا نقول أن صاعقة أحرقت شجرة فشبت النار فعرفها ، لربما احترقت غابة ، لربما ارتطم حجران نبع منهما شرار فعرف النار ، فالنار لعلها معرفة الانسان كله في كثير من أماكنه من قارات ، حين عرف النار بدأ بعد معرفة ما يأكل أصبح يعرف النور على أشكال شتى ما أضعفها ، ما أقلها ٠

قناديل الزيت كانت لمبات كشافة :

كانت قناديل الزيت لمبات كشافة أشياء ضعيفة حتى جاءت الكهرباء ، من هذا كله خطر لي أن أجعل التهدي بالنسبة للتطبيب ، واجعل التجربة عندما أكتب بحثا عن ذلك لعل بعض الباحثين في الجامعات يعني به فيعطينا نظرية هذه العمليات التي قامت بالتجربة ولقد قالوا أن هناك تطورات المدنية فيما قرأنا من قديم ثلاثة اكتشافات ، وأنا لا أقول اختراعات ، فلا خلق ولا اختراع ولا ابداع الا لله ، وانما هي اكتشافات كما تعلمنا من المفكر الجزائري « مالك بن نبي » حينما قال أن كل ما يسمونه اختراعا وهكذا انما هو معالجة الطبيعة بقانونها ، يعرف الانسان قانون ذلك الشيء كالبخار مثلا قانون الحركة أو هو يسبب الحركة فاذا هو تضخم في الحركة سارت القطارات وغيرها ، أريد أن أصنع التهدي كهداية لشرح نظرية هذه العمليات التي قامت بالتجربة لهذا سميت موضوعي أو أعلنته « النار والعطار » فالطب كان عندنا نارا وعطارا ، آخر الدواء الكي ــ الشفاء لعقة من عسل فيه شفاء للناس كنص القرآن ٠

الانسان والوصول الى هدفين :

● وهكذا الانسان وصل بالتهدي الى هدفين أريد أن أذكر طرفة ذلك أن الأمريكان بقيادة ماك آرثر عندما كانوا يحاربون اليابان لينقذوا الشرق الذي يتكون من سنغافورة وماليزيا واندونيسيا والفلبين وما اليها فقد استولت اليابان على تلك البلاد وكانت في جزائر سليمان في المحيط الهادي فرقة من الجيش الأمريكي أكل بعض الجنـــود من بعض الأعشاب فأوجعتهم أو سممتهم فأبرقوا الى البنتــاجون ــ وزارة الحرب ــ ووزارة الحرب ليست جنرالات فقط وانما علماء ومهندسون وهكذا ، امبراطورية واسعة لابد أن يكون فيها كل شيء ، سألوا لقد أكلنا بعض الأعشاب فأصبنا بأوجاع أو بتسمم أو هكذا فكان الجواب مضحكا وعلميا في الوقت نفسه ، قالوا لفرقة الجيش الموجودة في جزائر سليمان « كلوا مما تأكله الحمير » ليس لديهم علم أو وقت يبين أي نوع من الأعشاب يأكلون ولم يعطوا فرقتهم الهداية ولكنهم أعطوها التهدي ، التهدي عندما يقلدون الحمير والحيوانات . كلوا مما تأكله الحمير ، ذلك أن من شأن الحيوانات كالأغنــام والخرفان والأبقار والحمير أو غيرها عندما يطرح لها أي طعام أو أي عشب أو أي علف تشمه أولا وترفض ما تخافه أو تحذره وتأكل الصالح ٠

قانون ابن سينا وتذكرة داود :

● بهذا التهـــدي وصل الانسان الى كثير من أعمـــدة المدنيـــة والحضارة ، وهكذا كنا في جيلنا والجيل الذي قبله والى ألف سنة وأكثر ، لا أعتقد أنه قد وصل الى جزيرتنا قانون ابن سينا أو تذكرة داود الانطاكي أو أخبار الرازي أو أخبار ابن النفيس من هؤلاء العلماء الذين امتلأت بهم الدولة العباسية وبلاد فارس والشام ومصر وغيرها ٠

الكي بالنـــار :

فالكي بالنار والسفوف من العطار علمية حققت التجربة في الانتفاع بها والتطبيب بها والعافية والشفاء ٠

أريد نظرية علمية :

فأنا أريد أن أشرح هذه العمليات للباحث في الجامعة لعله يضع نظرية لها ويضع أسبابا لنجاح الكي في المكان الفلاني للداء الفـــلاني للمرض الفلاني ، أطمعني في ذلك ثلاث خطوات خطوة في جامعة الرياض بكلية الطب فتحدثت عن النار والعطار وعن بعض الأمراض والأدوية ، لعـــل

بعضهم انتفع ولعل بعضهم رفض ، وأطمعني بعـــد ذلك الابن الصديق الدكتور البروفسور عبد الله باسلامة ، فقد دعاني وأخذ مني نوتة كبيرة جدا ، قائمة بما أتحدث عنه حول النار والعطار والكي والسفوف والأدوية ، وأطمعني أكثر من ذلك الدكتور فؤاد زهران فقد سمعته في الاذاعة يتحدث حيث قال انه ينبغي للجامعة أن تتفرغ للأبحاث فالأبحاث عالميا في تقدم كبير جدا ، كل يوم اكتشاف ، كل يوم تحسين ، كل يوم تطور ، فالذي يقرأ المجلات الطبية أو المجلات العلمية يجد زحمة شديدة جدا من هذه الاكتشافات وهذا الابداع ، فالعلم في تقدم كأنما هم في سباق مع الحياة ، أو كأنما هم يريدون انقاذ الأحياء من كل ما يعوقهم أو يمرضهم ، فجامعـــة الملك عبد العزيز ممثلة في الدكتور عبد الله باسلامة والدكتـــور فؤاد زهران أطمعوني أن أتحدث عن النار والعطار ·

ثلاثة اكتشافات كبيرة :

كما قلت أن هنــــاك ثلاثة اكتشافات كبيرة قرأت عنها قديماً هي اللاسلكي أو التلغراف أو النسبية والكهرباء ، فقد قرأت مقارنة لعـــل ما قالوه الآن قد تغير لهذا التطور ولعله حدث أكثر مما أقول أو انقلبت الآية في بعض ما قالوا ، ولكني أذكر ذلك ، قالوا أن ماركوني أســـس نظريته في اللاسلكي أو التلغراف وأن نظريتـــه ذات قوانين أسس عليها اكتشافه أي أن هناك نظرية تحققت بها عمليا ، أما النسبية وهي نظرية أينشتين فهي نظرية لاتزال قائمة على الأوراق في الدفاتر وليســـت هناك نظرية بارزة لها سوى بعض التبريرات حتى انهم قالوا انه لولا نظرية أينشتين لما كان انشطار الذرة والقنبلة النووية وما الى ذلك ·· ومع هذا كله فليس هناك عملية قائمة بذاتها أبرزت نظرية النسبية ·

الكهرباء لا قانون لها ! :

الكهرباء قالوا انها عملية بلا نظرية ، يعني ليس هناك قانون لها ، ومعنى ذلك أنه لو قامت حرب مدمرة وقضت على كل معـــلم من معالم الحضارة لأمكن وجود النظرية في كهف من الكهوف أو تحت حجر من الأحجار فيمكن على أساسها أن يبرز التلغراف واللاسلكي مرة ثانية ·

ونظرية النسبية ليست هناك عملية تمثلها ، فلو ذهبت النسبية ليست هناك عملية تمثلها ، فلو ذهبت النظرية لانتهت النظرية ، ولكن قد توجد في دفتر من الدفاتر في أي مكان ·

ومصابيح كهرباء اديسون :

أما الكهرباء خصوصا المصباح الذي صنعه اديسون لوزال ودمر ولم يجد الانسان الآتي بعد نوعا من المصابيح يصنع مثلها لما وجد نظرية تقوم عليها صناعة المصباح .. لعل هناك نظرية تحققت للمصباح وهناك عملية تحققت للنسبية فأنا أريد أن هذه العمليات : الكي بالنار والسفوف من العطار أرجو أن تتحقق لها نظرية ثم هي معالم حضارية قامت عليها جماعة في هذه الجزيرة أو كل الجزيرة بدون تحضير أو روافد من الخارج قد يكون التلقي من شامي عرف الكي لهذا الداء أو مصري عرف الكي لهذا الداء أو عراقي أو حجازي أو نجدي أو كذا فكما يتناقل الخبر بالرواية يمكن التطبيب بالكي والنار يتناقل من الناس .

التضخم في الطحال :

أذكر مثلا أنني كنت أعاني من تضخم في الطحـــال وتعب والدي في علاجي ولا يعرف له كيا أو سفوفا ولا شيء فاذا برجل أسود لعله كان من الموالي وكان أردنيا جاء فاشتهر بأنه يعالج الطحال . عالجني فعلا .

قطع الوريد بين الخنصر والرسغ :

هل تعرفون كيف عالجني ، في نهاية الخنصر المرتبط بالرسغ هناك عرق قطعه ، لعله الوريد ، قطع الوريد ووضع يدي في ماء دافيء ، أصبح الدم يخرج في هذا الماء لمدة ليست قصيرة ، وحماني على الشريك أو الفطير في الجمر مع الزيتون فاذا أنا قد انتهى مني تضخم الطحال وكأنما الطحال قد أفرغ دمه من هذا الوريد .

أنور المفتي يعجب :

عجب من ذلك الدكتور أنور المفتي عندما زرته في عيادته للكشف الطبي علي وشرحت له الوضـــع كله من الاصابة بتضخم الطحـــال وأريته ولاتزال هذه العلامة في يدي فاتني أن أصورها لعلي أصورها الآن مع الصور التي أدفعها مع هذا الحديث لتعرفوا هذا الوريد ومكانه فلا يزال أثر قطع الوريد في اصبعي هذا كما رآه الابن أيمن حبيب ، أريته للابن أيمن الذي تلقى التسجيل مني فهو واضح ولكني لعلي آتي بصـــورة ، لأتحدث عن الوسائل مثلا .

علاج الفتاق بالكي :

الفتاق ·· معروف بأنه تمزق يصيب الأطفال ويصيب الرجال ، من الغريب أنه يعالج بالكي ·

كان والدي يرحمه الله يأتيه المصاب بالفتاق وهم كثر كثر بالمئات في أكثر من خمسين سنة أو ستين سنة أنا عاصرت منها أكثر من عشرين أو ثلاثين سنة ·· يأتيه الناس وكان يضع المسمار في النار فاذا احمر كواه بين خنصر القدم كوية بسيطة ، وكوية ثانية يرتفع الفتاق ·

ليسوا فقط من عامة الناس :

● ليس هم من العوام أو البادية بل الكثير من المتحضرين ومن كبار الأسنان أنا شاهدتهم ، وأذكر قصة ·· جاء الدكتور معاذ رئيس البعثة الطبية المصرية الى التكية المصرية وكان ناظرها اسماعيل لطفي شاب متحضر أصيب بالفتاق فبواسطة السيد محمد صفوت أخذه الى أبي وكواه فارتفع الفتاق فقص القصة على الدكتور معاذ ·· أنكرها فأراه الكي وأراه وكشف عليه وقال نعم كان هنا فتاق فارتفع الفتاق ·

عملية تشافى منها المئات والمئات :

● لماذا الكي يكون في هذا المكان بين خنصر القدم والبنصر في تلك الحفرة التي بين الاصبعين ·· عملية تمت تشافى منها مئات ومئات وأنا فعلا قد عالجت خمسة أشخاص مصابين بالفتاق قبل سنوات أكويهم في نفس المكان وقد عافاهم الله ·· هذه العملية أريد أن تبحث ·· يكشف على المكان الذي كواه ·· ولو جربها بعض الأطباء ليعللوا لنا هذه النظرية ويعطونا نظرية لهذه العملية ·

وعلاج اليرقان بالكي :

هناك اليرقان ـ الصفراء ـ رأيت مئات الأشخاص يأتون وجوههم كالهرد ·· كالكركم أصفر اللون ، العيون صفراء ·· الطبيب يعرف الصفارى والناس يعرفون الصفارى واليرقان ·· لقد رأيت مئات من الناس يتشافون بالكي ، والكي أيضا في نهاية الابهام ـ الاصبع الكبير في اليد ـ في الحفرة والتي يسميها البعض حفرة النشوق ·

اليد الأخرى في النشوق :

اغرز يدك الثانية في الحفرة كالصورة الموجودة الآن ·· لعلي أضع عليها رقم ٢ كوية بسيطة بالمسمار وكوية أخرى يتشافى المصاب باليرقان مئات من الناس شيبان أنا قد تعاملت قبل سنوات قبل أن تكثر عندنا

المستشفيات والأطباء العارفون ·· كويت ١٦ شخصا شفاهم الله ·· يعني الشفاء مائة في المائة ·· منهم رجل بلغ فوق السبعين وهو أخونا وصديقنا الشيخ يونس بن حمد ·· لقيته مرة في سوق حراج مكة عند السبع أبيار وهالني الاصفرار عليه ·· قلت له يا عم يونس تعال لي بكرة الصبح على الريق أكويك ·· فجاء العم يونس ·· فحميت المسمار على النار وكويته باليد ·· فشفاه الله ·· ١٦ شخصا أكثرهم حي الى الآن ·· هذا بالنسبة للكي بالنار ·

الكي لعلاج ذات الرئة :

تأتي الى ذات الرئة ·· لو كشفت لكم عن جسمي لوجدتم فيه أكثر من ثلاثين أو أربعين كية ·· لأني أصبت بذات الرئة مرتين ·· مرة وأنا طفل لا أكاد أعرف طريقي بل لم أر الا صفحة وجه أمي ·· ماتت ولا أعرف وجهها ولا شكلها ·· لقد جاء الذي يكوي وكان مشهورا ·· رجلا عظيما اسمه جزي الظاهري ، من الظواهر ·· والظواهر مراوحة من ربع بن نحيت في نجد والحجاز ·· كواني فلم يمض أسبوع الا وشفاني الله ، وأصبت وأنا عمري دون الثلاثين في ذات الرئة أيضا في الخامس من شهر رمضان ·· لم أخرج ولم أنزل للفطور ·· طلع الى المجلس والدي يسأل عني ·

هي بنت الكلب :

● قال افتح فمك ·· فتحت فمي ·· وجد زراقا بين الثنايا في لحمية اللثة ·· فقال هي « بنت الكلب » يتكلم بلهجته الصعيدية لأن والدي من صعيد مصر ·· هرع الى سلامة الريفي « وجزي الظاهري » مات الله يرحمه ·· بقى سلامة الريفي كواني ست أو سبع كويات كان فيها الشفاء ·

من الغريب أنه يخطط لهذا الكي في مواقع معينة عنده ·· أحب للباحث الطبي أن يعرف انه لايزال هناك من يمارس الكي على ذات الجم كولد سلامة الريفي أو غيره في البادية ·· أحب أن يعرف الأطباء الأماكن التي يحصر فيها الالتهاب الرئوي ·

شربت مرق الديك فأصبت بنكسة :

● كما قالوا مرضت في الخامس من رمضان ولعلي كدت أتماثل للشفاء فجاءت أختي الكبيرة بديك سمين ·· تبغى لي العافية ·· سلقته لي وشربت المرق ·· أصبت بنكسة فالمصاب بذات الرئة يمنع عن الدهن وعن

السمن وعن اللحم وعن كل شيء ٠٠ لا يأكل الا فطيرا على الجمر وعسل ٠٠ فهي أعطتني المرق طبعا أنا مللت العسل والفطير وكنت شرها ساعتها ٠٠ شربت المرق فانتكست وأصابتني اغماءة وكان علي رأسي أستاذنا سيد ماجد عشقي وصديقنا علي حمد الله يرحمهما الله ، وأقبل صديق نحبـــه وهو يعرف السيد ماجد مقدار ما أحب هذا الشخص فقال فلان فلان ٠٠ فصحوت من الاغماءة وأنا أشعر بوخزة بجانبي الأيسر ٠٠ كان أبي ينتظر خبر موتي ٠٠ ولا أنس أن جاء الدكتور سعيد مصطفى والدكتـــور الخاشقجي فأعلنوا اليأس من شفائي ، أرسلوا لأبي طلع رآني صاحيا فهش وبش ٠٠ قلت وخزة بجانبي الأيسر أحضر الكانون في الحال لأن سلامة الريفي مشغول بالحصاد ولا يأتي الا اذا أدى مهمته الأولى ٠٠ وتناول المهمة والدي ، وهو يعرف الكي على الفتاق وعن البرقان وغيرها سواء كان تعلمه من صعيد مصر أو تعلمه من البادية هنا لأنه كان عشراؤه وأصدقاؤه غالبيتهم من البادية سواء كانوا من حرب أو جهينة أو مطير ٠٠ فالمدينة ترتادها هذه القبائل ٠٠ شب النار ٠٠ احمر المسمار ٠٠ وضع الرماد يعلم مكان الوخزة التي أشرت اليها فكواني ولم أشعر بصوت لأن كل كوية يكوي بها المصاب بذات الرئة تشعر بطق اذا أصابته النار ٠ تقولوا هذا تخريف ٠٠ انه واقع ٠٠ قلت له ما أصبت فأعاد المسمار مرة أخرى ٠

سمعت « طق » فقال قم سالم :

حدد الموضـــع ٠٠ كواني فاذا بي أسمع « طق » ســـــمعته قال : « قم سالم » في ٥ رمضان مرضت وفي ١٩ رمضان خرجت الى المدرسة وكنت أستاذا فيها ، بالجنبين بالتهابين ٠٠ كويت أكثر من كوية ٠٠ رأي الأخ أيمن الكوي ٠٠ هذا هو في الزند في الرقبة هنا في الذراع وهكذا لو كشفت لوجدت كمية كبيرة من الكوي ولكن العافية مطلوبة ولا بأس بالنار ٠

الحطابي الذي كوى الحجيلي :

● أرجو من الباحث في كلية الطب أن يسأل من يتعاطى هـــــذا الكي ٠٠ مرض صديقنا الاستاذ محمد سالم الحجيلي الذي كان مدير المالية بالمدينة ورئيسا لمؤسسة النقد شفاه الله وأمد في عمره مرض مرضا خطيرا جدا زرناه وزاره الدكتور سعيد مصطفى والدكتور محمد الخاشقجي فخرجا من عنده يائسين وركبني اليأس وبعد أن خرجنا وعلى وجه الفجر هبط من جماعته الحجلة حطابة ينزلون عندهم فأحد الشيبان من هؤلاء الحطابة رأى محمد سالم الحجيلي وقال هي « ملعونة الوالدين » كواه كيتين في الرأس

فاذا محمد سالم الحجيلي الذي قرر الأطباء موته يعيش الى الآن بكيتين في الرأس ، أنا أصبت بهذه الحمى فكواني والدي هكذا ٠

الذين ماتوا والذين عاشوا :

في أبها انتشر التيفود ٠٠ فكان الذين طببوا بالطب الحديث من الأطباء الموجودين هناك ماتوا ٠٠ عمر مهدي ، حسن طه ٠٠ ماتوا ولكن الاستاذ عبد الملك الطرابلسي وغيره الذين طببوا بطب البادية ٠٠ بشربة العسل والسمن وكووه ، أحياء الى الآن ٠٠ الأطباء عندنا الآن يمنعون أي طعام لمرضى التيفود ٠٠ صحيح أن حمى التيفود الآن أصبحت لا شيء بالمضادات الحيوية ٠٠ من مركبات المايسين ٠٠ وما اليها ٠٠ لكن قبل المايسين طببوا بالكي ٠٠ في أبها يطببون بالكي ٠٠ لو ذهب دكتور الى أبها وسأل هل مات أحد الذين يتعاطون الكي ، لعرف ولهدانا بنظرية عن الأسباب التي سببت ذلك ٠٠ أصبت بداحوس في اصبعي ٠٠ تآكل اصبعي ٠٠ فرغ القيح بدواء العطار ٠٠ ملوخية ناشفة ، وغيرها ٠٠ يعني لصقات يضعونها ويطببون بها ٠٠ يستوي الداحوس وينفقع ينزل القيح لكن بقي الاصبع كأنه ميت ٠٠ فوالدي يرحمه الله كواني على ظاهر يدي وأنا صغير عمري ١٢ سنة في اليمنى بعد ذلك وأنا كبير في اليسرى ٠٠ وانتهى بالشفاء ٠٠ ما السبب ؟ أنا مستعد عندما يتفرغ أستاذ للبحث أن أعرض جسمي للكشف ٠٠ أريه مكان الكي ٠٠ اذا لم يقتنع بالصور المنشورة أريه مكان الكي في اليرقان ومكان الكي للفتاق ومكان الكي للحمى وماكانوا يعرفون أن يفرقوا بين التيفوس والتيفود والملاريا والصفراء وغيرها ٠٠ أي حرارة أو سخونة يقولون حمى ٠٠ يعالجونها بالكي ٠٠ غريب جدا أن تتنوع الحميات لكن كيف تتشافى بالكي في الدماغ ٠٠ هذا يحتاج الى بحث ٠

صبغة ريح لشفاء مرض العين :

شخص من الشبان كان يسبح في البركة كثيرا ٠٠ وكانت صفعة من الهواء أصابته بنقطة بيضاء في عينه ٠٠ جن أبوه ٠٠ لا يوجد أطباء عيون ٠٠ كنا نعيش في عدم ٠٠ لكنه راح للعطار جد حمزه أطلني يرحمه الله ٠٠ أعطاه صبغة ريح ٠٠ قال له حط على نقرة العين وصله وبخر له بصبغة الريح ٠٠ أقسم أنه بعد ثلاثة أيام زالت الغشاوة البيضاء التي على عينه ٠

الفلفل الاسود ٠٠ الطبيب الأبكم ٠٠ الكمون ٠ النانخ ٠٠ الينسون ، زيت حبة البركة ٠٠ كان واحد قال أنا بردان قلت له اشرب شربة عدس تدفيك ولا أنا أعطيك قطرتين على الماء من زيت حبة البركة وتشوف كيف

تسخنك ·· زيت حبة البركة من أحسن الزيوت لدهان ألم الروماتيزم ·· للتدفئة ·· ولهذا اعتدت وأنا أذهب الى أوربا في الشتاء في البرد أن آخذ معي قارورة زيت حبة البركة ·· الحبة السوداء أدهن بيها ·· أنام دفيان لا أسأل على البرد وما يسببه ·

الشربة النبوي ما هي ؟

لو دعينا طبيب يصل الى الشلبي العطار أو الى أي عطار من القدامى في مكة سأله عن الشربة النبوي ·· عن النشرة ·· عن اللبان الدكر كيف ينفع للكحة ·· عن البندق لازم يدقق قشره ويسخن في الحليب ·· القشر يترسب واللباب يصعد فوق الحليب كأنما القشر أثقل من اللباب ·· يشرب الانسان البندق بالحليب يتطهر الحلق من الكحة ·

تذكرة داوود وعلاج الكحة :

لعلاج الكحة هناك تذكرة داوود ما قرأتها مع الأســـف وانما كان يقرأها أستاذنا ماجد عشقي ·· أخبرنا تعرفون أن المجروح كالمصاب بحجر أو المصاب اصبعه بسكين نبع منه الدم ــ يعطبونه بعطبه ·· يعني يطهروه بعطبه ·· خرقة يحطوها في النار ·· اذا كان مفقوش يكبسوا له كبسة بن ·· لكن أحسن من هذا كله « بيت العنكبوت » يســميه كما أخبرني أستاذنا ماجد عشقي ·· داوود الانطاكي برغ الساعة ·· جربناه فعلا ·· بوضع بيت العنكبوت على الاصبع المجروح ثاني يوم ينضب الجرح كأننا أعطيناه ابرة بنسلين أو أعطيناه دواء ذا مفعول كبير ·

أريد من الطبيب أن يتحقق من بيت العنكبوت يحلله لعله بنسلين ، لعله أقوى من البنسلين ، لعله من مركبات السلفا ، لعـــــله من مركبات الميوسين وهو أقرب ما يكون الى البنسلين أو الى الميوسين أقرب من السلفا ·

معالجة الجرب بالزرنيخ :

الكبريت والزرنيخ عرفوه الناس يعالجون به الجرب ·· يعالجون به جراحا كثيرة ·· لا أريد أن أنسى الى الآن بعض الذين يصابون بكسر في أرجلهم أو ذراعهم لا يؤمنون بالأطباء وانما يذهبون الى المجبر البدوي ·· كيف يجبر ·· كيف يفعل ·· كيف يعرف ؟

يمكن معرفة كيف يعالجون الأمراض :

● ممكن وصفهم وعرضهم على الطبيب هؤلاء المتطببون لكي يعرف كيف يعالجون ·· يدرس هذه الحالات ·· فيه ظاهرة لهـــذا التجبير كان

يفعلها الدكتور أمين رويحة وهو طبيب ممتاز سوري تخرج من ألمانيا كان يجبر الكسور ليس بالأخشــاب وانما بشرائح من القمــاش ·· يسخن المستكة ·· ويدهنها فيها ويضعها على الكسور ·· كذا عرف أهل مكه وبعض اخواننا انه أكثر من مكسور ·· مكسور رجل أو ذراع طببوا بطيبان ليست من الخشب وانما بشرائح من القماش معبأة عليها المستكة ·· المسخنات كلها ما كانت موجودة عندنا ·· مرة أصبت ببنت الأذان « التهاب اللوز » أصيب بها السيد أبو الهــدى رفاعي فتوفى ·· لعــلها كانت دفتيريا أو غيرها ·· لكنهم قالوا « بنت الأذان » أصيب بها ياسين الرواف وانتشرت في المدينة « معاون أمير المدينة » أبرقوا للأمير فيصل يرحمهم الله جميعا ·· أرسلوا له سيارة ·· جابوه في جدة وفي مكة اتعالج ·· أنا أصبت بهـذا انسد حلقي ·· ما أقدر لا أبلع ماء ولا أكل ·· رحت للطبيب ·· الدكتور محمد علي الطرابلسي رحمة الله عليه دهنني بشوية صبغة يود ·· ماسوى شيء وأنا واقف كدة وما سوى شيء ·· جن والدي هو مايعرف يكوي هذه الأشياء فاذا به يفطن الى عجوز ·· « أم سحلي » امرأة قصيرة جاءت ·· قالت عندكم نخالة ·· قلنا لا ·· قالت عندكم لبه ·· قلنــا لها عيش ناشف ·· دقته وسخنته في النار وحطت شوية رماد وفلفل أسود فيه ·· لخبطته ·· حطته على خرقة وعملت لي لبخة على حلقي ·· فما كادت تبرد اللبخة الا انفك حلقي كان اللوزتين خرج منها دم وفقت في الحال ·· بلعتني بيضة مسلوقة والى الآن لازال الألم ·· لبخة يعني انتيفرجستين بدوي ··

منديل في ماء ساخن على ثدي امرأة :

الدكتور سعيد مصطفى مرة مرضت احدى النساء بالتهاب في الثدي ·· لازم يضع عليه ثلج يبرده ·· فليس هناك ثلج في المدينة ·· ما كان فيه ثلج ولا ماكينــة ثلج ولا شيء ·· شراب بارد يطبب فجاب منديل أو منشفة خفيفة من الشاش غطتها في ماء ساخنة فايره ·· حركها خليلا ·· حطها على الثدي ·· طبعا سخونة شديدة جدا اذا عرضها للهواء أصبحت كالثلج على طريقة الشراب والدوارق في المدينة تكون حارة لكن متى ما هب عليها الهواء تبرد ·· أتحدى أي انسان الآن أن يروح في العراء ويتروش ·· اذا ما مات من النفاضة تعيب عليه ·· في المدينة هكذا الدوارق والمشارب تبرد بهفة السموم عليها ·· هذا الدكتور سخن الخرقة ووضعها على الثدي كأنما وضع عليها ثلج ·· ومريض آخر لا أريد أن أسميه باسهال كما يقول صديقنا السيد ياسين اسهال متدارك حاول أن يعالجه بكثير من السفوف والعلاجات الاخرى ·· ما أفاده ·· لكنه لعله قرأ في تذكرة داوود أو في قانون ابن سينا أو في أحد كتب الطب لأنه كان رجل يعلم نفسه ، متصل

القراءة بالمجلات وبالكتب القديمة ·· تعرفون ماذا صنع له ليتشافى هذا الرجل من الاسهال المستديم ·· جاب حنة بلها بالماء لمدة ساعتين ·· ثلاثة ·· صار يعطيه حقنة شرجية بماء الحنة ·· وانتهى الاسهال ·

التعامل مع الحنة والحرمل :

● أريد من الطبيب أن يتعامل مع الحنة ويشوف نتائجها ·· كما أريد منه أن يتعامل مع الحرمل ·· أنا أعرف شخص تسمم ·· جماعة من الأشقياء بلعوه من معجون أفيون أو حشيش تسمم ·· كاد يقضي عليه ·· شخص من الأشخاص قطع كم قطعة من الحرمل وفوره على النار سقاه لهذا المتسمم ·· دقائق وأسهل واذا هو بعد نصف ساعة زي الحصان ·· تعاملوا مع الحرمل ·

كما تعامل الدكتور قناوي مع بذر الخلة وأعطاكم الخلين كما تعامل أطباء مع الملح وكان الكثير مما أصاب بضربة شمس يدهنوهم بالملح ويحطوا في أذنهم ملح يغسلوا رأسهم بالملح ·· كان كثير من المصابين بضربة الشمس والأشياء هذه كلهم يتشافوا لما يحطوا في أذنهم ملح ويصــــكو لهم رأسهم بالمفتاح ·· هذه عملية قد تكون نفسية لكن الملح هو المؤثر ·

ابر الملح في الصيدليات :

الآن أنتم عندكم في الصيدليات ابر ملح ·

تعاملوا مع الحرمل ومع العشب ·· مع الشــــيح ·· كانوا يعرفوا واحد مجروح ما يتعافى جرحه ·· يقولوا والله لحمه حــــلو ·· ما كانوا يعرفوا مرض السكر ·· يعرفوا أن لحمه حلو ·· كان يسقوه الشيح ·· الشيح موجود في الهدى مقطر ·· قليل من الشيح يضعوه في الماء يشربها ·· سمعت أنهم في الشام قد صنعوا الشيح ابر أو علاج للسكر ولا أريد أن أؤكد هذا الخبر ·· الثوم تعاملوا معه أيضا لتقشــــيع البلغم فخصائصه كثيرة ·· عبد الوهاب القنواتي الصيدلي الكبير في دمشق كتب عن هذا في المجلة وكتب عن خصائص التوم شــــيئا كثيرا ·· ممكن طلب هذه المجلة ليدرسها بعض الأطباء للبحث ·

الطب الهندي تعلمنا منه الكرات ·· أي أكلة بيض دايما ندخل فيها الكرات ·· المطبق لازم معاه كرات ·· البيض المطجن يطجنوه بالكرات ·· لماذا الكرات ·· يظهر أن البيض فيه ثقل عسير الهضم ·· الكرات يعمل تخفيف ·· النفساء يأكلون الكرات ليجفف الرحم ·· اذا ما تعاملوا مع

الكرات وعرفوا ما فيه من الأشياء فقد تعامل العلماء في الغرب وغير الغرب مع العطار ·· فقطرة العين لما تسأل العطار ما تقدر تقول له قطرة زنك تقول له توتياء زرقاء أو توتياء بيضاء ·· يعنى قطرة الزنك ·· صحيح الأول كان يكبسوها بالمرة تبقى محرقة كثيرا ، الغرب الآن أخذ التوتيا من علمكم القديم وقطرها بالماء المقطر ١٠٪ أو ١٥٪ فقطرة الزنك هي التوتياء البيضاء والزرقاء ·

الرمل في العين ثم الكحل :

تسأل العطار الأول عن العين كانوا يقولوا العين فيها رمل يحكونها اما بالجنزارة أو بحجر جهنم ·· ايش الجنزارة ·· أنتم تعرفونها الآن انها سلفات النحاس ·· فيها قطرات موجودة سلفات النحاس وان أغرقتها قطرات السلفا الآن والكبريتية الآن ·· حجر جهنم يجيبوا وصله كقدر الاصبع وتقعد العجوزة تحك عين الولد علشان تندر له الرمل من عينه ·· متعب ·· مكرب ·· مبكي ·· الطب الحديث خفض حجر جهنم سواه ١٠٪ أو ٤٪ أو ٥٪ وهو نترات الفضة ·

اذا الجنزارة سلفات النحاس وحجر جهنم نترات الفضة والتوتياء زنك ·· وفي الحديث تراب أرضنا به شفاء ·· ريق بعضنا شفاء لمريضنا ·· لا تنكروا ذلك أنتم على قمة العلاج الذي قضى على السعال الديكي وقضى على التيفود ·· الميوسين ومركباته من أين ·· من التراب ·· البنسلين من عفن الخبز ففيه أشياء كثيرة عندنا أنا أسجلها الآن لنكون دليل بحث عمليات أريد أن تقوم عليها نظريات ·· ما في تعب أن تبحثوا وتخرجوا للناس شيئا من علم ·· كما قلت أن الدكتور قناوي أتعب نفسه وأعطاكم من بذر الخلة الخلين ·· أما السنة مكة كشربة لماذا لا تبحثوها ·· الحنظل لما يحطوها في النار ويدعسها الانسان بكعبه يسهل ·· ايش التأثير هذا ·· نسيت أقول لكم الخاطر مع الكي ·· يأكل الانسان رز بايت ·· أشياء باردة تحدث سوء هضم عنده يصاب بقيء أو اسهال لا يكووه في رأسه أو في المعدة يكووه في الكعب بالنار يكووه كويتين على طول يخف ·· بعض الأطباء من زملائكم تعاملوا بها ·· اذا اسألوا الكعب واسألوا النار ·· لماذا يكون الشفاء من هذا الموقع ·· هل أطيل أم أنا انتهيت ·· كذلك من علاجات التسمم الليمون بنزهير ·· يسموه ترياق بعض الفواكه مثل المشمش والتين وبعض بذور الفواكه ·· كل هذا لا تسألوني أنا الذي عندي أعطيته لكم ، لكن ممكن الانسان يزور العطار ·· يجيب البدوي اللي يكوي عن كذا وكذا كثير ·

خسر الاصبع وكسب حياته :

يقال أن بدويا كان راكبا ناقة مر في أشجار تطاولت أغصانها وناقته أمامها غصن بالليل أراد أن يزيل الغصن فلما وضع اصبعه لكي يزيله عن وجهه اذا به ثعبان قرصه ايش سوى ؟؟ ·· بالبديهة البدوية ·· بالذكاء سل الخنجر في يده وقطع الاصبع ·· السم راح مع الاصبع المقطوع ·· جاب شوية تراب حطه فوق صباعه ·· خسر الاصبع لكنه كسب حياته ·

شراب يزيل أثر قرصة العقرب والثعبان :

بجانب القرية حقل به عقارب كثيرة ما فيها خطر أبدا ليه تقرص الواحد على طول فيه شراب يزيل الخطر ·· كذلك بعض الأفاعي فيه شراب لها هي أمصال يجب البحث عن هذا ·

الثوم يضعونه على قرصة العقرب :

وما دمنا على ذكر العقارب فالثوم يضعوه على قرصة العقرب كعلاج وكذلك يمكن استعمال الفصاده محل القرصة أو الحجامة ·· الآن كل شيء بطل ·· نحن تعبنا كثيرا في أمراضنا ·· كانت لعيني الشمال شعرة وأنا في مكة منذ ٣٥ عام ·· وفي المستشفى الدكتور زكي الورع طبيب مستشفى جياد واذا بالمنقاش يعملها لي ·· قلت له يا دكتور في المستشفى هنا ·· اذا كان بالمنقاش أروح لقملة ولا العوص ولا لواحد حلاق ·· أتعرف الذي أزال ذلك وأريد أن أذكره وأسجل له الفضل الدكتور الانجليزي لانجنيتو ·· جاء فتح المستشفى وأصبح يعالج البادية كلها ·· كفاهم شر السفر للخارج ·

أنا عالجني بالكهرباء خلال دقائق الى الآن لم ترجع الي الشعرة ·

وعلاج مرض العيون :

ومادام ذكرت لانجنيتو بالنسبة لأمراض العيون يجب أن أذكر الدكتور الجاوي الذي كان في بيت هولنده في مكة بسوق الليل أيام احتلالها لاندونيسيا بيت الجاوا ·· هذا الطبيب تغص عيادته بالبادية ·· كانوا يتعالجون من الزهري ·· يسمونه الشجر ·· يعالجهم بستمائة وستة ابر الزرنيخ ويأخذ جنيه ذهب أو كم ريال ·· تعرفون أن هذا الدكتور الجاوي قد قضى على ٦٠ أو ٧٠ في المائة من أمراض الزهري · ولعله من الأسباب القوية التي علمت البدوي من البادية ألا يشك في الطبيب أو يزور الطبيب · فقد كانوا يهربون من الطبيب الآن تصوروا كلما دعت وزارة الصحة الى التطعيم

من الكوليرا أو الجدري وجدت المستشفيات والعيادات غاصة بالشعب كله ٠٠ يمكن الذوات أو الارستقراطية الجديدة أو القديمة يأتي لهم الأطباء في البيوت أو ما يعبأوا بذلك ٠٠ انما الشعب أو الطبقة الدنيا هي التي تأتي لتأخذ التطعيم ضد الكوليرا أو غيرها بأطفـــالهم وأولادهم ٠٠ ففيه وعي صحي ٠٠ الوعي الصحي أعطانا كثيرا من الفــوائد ٠٠ الآن ما فيه عور عندنا لأن الجدري انتهى والنظافة أصبحت حقيقة لأن النظافة أزالت العور والكثير من أمراض العيون ٠٠ على اقبال الشتاء تمر تلاقي واحد حاطط خرقة مصبوغة بصباغ أحمر على عينه يداريها من الشمس لأنه كان ما في نظـــارات ٠

نسأل الله الشفاء والعافية :

وهكذا يعني شاهدنا من التعب والمرة ما نسأل الله الشفاء منه والعافية ٠

أما جيلنا هذا فتعالوا يا مستشفيات ويا رحلات ويا لندن وأسبانيا ٠٠ ويا ٠٠ ويا ٠٠ احمــــدوا ربكم على ما أنتم فيه من نعم الآن ٠٠ اشكروا ربكم ٠٠ أما نحن فلا نقول الا الحمد لله ٠٠ والاملاء قد ينسيني ٠

زمزم وما فعلت :

ما أذكر ٠ فلقد نسيت زمزم ومافعلت ٠ وزمزم كما بالحديث (طعام طعم وشفاء سقم) ماء زمزم لما شرب له ، فلقد مرض صديقنا السيد ياسين طه ٠ بمغص قال الأطباء انه كلوي تعاطى الدواء الموصوف له ٠ أتعبه كثيرا ٠ ذهبت معه الى الدكتور صادق ٠ طبيب التكية في مكة ٠ ولعـــله شك بأنه المغص الكلوي ولم يتيسر الكشف بالأشـــعة فاذا الدكتور صادق يقول للسيد ياسين اشرب زمزم ولا تشرب غيرها ٠ وخف المغص كثيرا وليس القصد أن أذكر ذلك وانما هي العجيبة التي أدهشت الدكتور أنور المفتي الطبيب النطاسي البحاثة يرحمه الله ، أجرى الكشف على السيد ونظر في الأشعة فاذا هو يندهش ٠ يقول للسيد ياسين : هل أجريت عملية في الكبد لا أجد أثرا للعملية ٠ كيف شفيت من هذا الخراج في الكبد أنظر ها هو قد تكلس ٠ بأي علاج تكلس ٠ قال السيد ياسين لم أتعاط بأي علاج ، ولم تجر لي أي عملية ، كل ما صنعت اني أكثرت من شرب ماء زمزم ولو عاش الدكتور أنور المفتي لأجرى بحثا عن زمزم وأنتم خلف لهذا السلف ، فابحثوا عن ماء زمزم وما فيه أبعدوا عن أذهانكم كلام المرجفين وابحثوا عن زمزم ومائها كيف تم بها الشفاء ، كيف يتم بها الغذاء ٠

وحادثة أخرى ، في مدينة ضباء كان السيد هاشم عشقي مديرا للاسلكي

والسيد ياسين طه مديرا للمالية وأخذ العشقي يقـــود الاتريك فانفجر الاتريك وكبت النار في وجهه وأحرقت كل وجهه قد التهب نارا ، وفتشوا عن علاج حالا ، لا طبيب ولا علاج فاذا واحد من أهل ضباء يدلهم على عجوز أسرعوا بها فجاءت ولم تلبث أن قالت للخادم معهـــا اذهب جيب العجينة الخميرة التي في البيت ، جاء بالعجينة المخمرة ، وكانت أحضرت قطعة من القماش نظيفة فصلتها على وجه هاشم عشقي وأخذت من العجينة ووضعتها عليه ، وربطت وجه السيد هاشم وقالت لا تفكوها الا بعـد ثلاثة أيام ، وجاءت تفكها بنفسها فاذا الجلد الظاهر من وجه السيد هاشم أصبح قشرة ملتصقة بالعجينة كأنما قد قشر أو سلخ واذا وجه السيد لا أثر فيه للنار ، كان اسمر اللون فلم يبيض وجهه ، ورأيناه بعدها كما نعرفه من قبل ، وليس في وجهه اي لطعة من الحريق ، اسألوا وابحثوا عن العجين الخمير كيف تكون شفاء من الحريق ، فلا يترك أثرا ، آرجـــو أن تعرفوا اني ما بالغت وما كذبت ، وما قصدت الا آن يتحقق مايريده الدكتور عبد الله باسلامة وما وعد به الدكتور فؤاد زهران ٠

ونسيت أن أذكر علاجا آخر من ضمن الحمية عن ذات الرئة سواء ي حالة المرض أو في دور النقاهة فاضافة الى العسل ولا غيره والى الفطير على الجمر ولا غيره يضاف الى ذلك الماء المغلي فلا نشرب الا هذا الماء ويضاف اليه ويوضع في الوعاء ٠٠ قارورة ٠٠ أو غير ذلك والأفضل القارورة ملعقة أكل أو أقل قليلا من الشب الاسود المسحوق تترسب ولكن الطعم تذوقه في الماء قلت لسلامة المريض لماذا هذا الشب الاسود قال : يا وليـــدي يطرح البلغم ٠٠ ولديكم الآن في الصيدليات أنواع من الأدوية لهذا الغرض ٠٠

● ونسيت أيضا عن الشفاء بماء زمزم في الحديث الصـــحيح ماء زمزم لما شرب له ٠ طعام طعم وشفاء سقم ٠٠ وهذا الحديث تحقق بالتجربة فصديقنا السيد ياسين طه رحمه الله أصيب بمغص شديد ٠٠ وعالجوه في مكة على أنه مغص كلوي ٠٠ أفاده بعض العلاج قليلا ٠٠ ولكن في ليلة اشتد الى درجة لا يطيقها فذهب الى الدكتور صادق في التكية المصرية ٠٠ ولعله شك بأنه مغص كلوي فقال له ٠٠ اشرب زمزم ٠٠ وأصـــبح لا يشرب الا زمزم ٠٠ وبعد أقل من شهر انقطع المغص ثم ذهب الى مصر وعرض نفسه على النطاسي البارع ٠٠ فقيد البحث والعلم الدكتور أنور المفتي يرحمه الله كشف عليه وفحصه بالأشعة فقال الدكتور أنور : عجيبة ٠٠ هل أجريت عملية جراحية في الكبد ٠٠ بأي دواء عولجت ؟! لقد أصبت بخراج في الكبد انظر ها هو قد تكلس كيف ؟ فقال السيد ياسين لم تكن هناك عملية جراحية ولم يكن هناك دواء ولا ارشاد طبي عرف هذا الداء وانما نصحني الدكتور صادق بشرب زمزم فكان ما ترى ٠٠

العلاقات البريطانية العمانية في القرن التاسع عشر

د. اسماعيل احمد ياغي

تقع عمان في الجزء الشمالي من الجهة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية • وهي على شكل مثلث يحده من الشرق البحر العربي ومن الشمال الخليج العربي ومن الغرب المملكة العربية السعودية • وكانت هذه البقعة تضم سلطنة مسقط وامامة عمان وامارة الجبل الأخضر والامارات السبع الواقعة على الساحل المهادن المطل على الخليج العربي وهي الشارقة ودبي وأبو ظبي وعجمان وأم القيوين ورأس الخيمة والفجيرة (١) •

وسكان عمان عرب أقحاح منذ أقدم الأزمنة وهم قبائل عديدة ، قسم منها على مذهب الاباضية ، والقسم الآخر على مذهب السنة والجماعة • وقد دخل أهل عمان في الاسلام عام ٩هـ/٦٣٠م وذلك في عهد عمرو بن العاص الذي عينه الرسول عليه السلام واليا عليها ، وقد ظهر عدد كبير من العلماء والخطباء فكانت أرضا اسلامية طيبة (٢) •

وقد شهدت عمان النزاع الذي قام بين المسلمين في عصر الأمويين وكان من نتيجة ذلك الصراع أن اعتنق العمانيون في أواخر الحكم الأموي مذهب الأباضيين الذين يؤمنون بعودة الحكم الى ما أوصى به الاسلام وهو الشورى • ولذلك فانهم قاموا بثورات عديدة على الخلفاء الأمويين والعباسيين واستقلوا في حكمهم عام ١٣٧هـ/٧٥٤م • وحكم عمان من هذه السلالة تسع وعشرون اماما اباضيا ، ولكن حكمهم لم يكن مستقرا • فقد تعرضوا

لحملات عديدة أرسلها الخلفاء وبنو بويه . وخضعت البلاد للقرامطة أكثر من نصف قرن (٣١٧هـ/٩١٩م ـ ٣٧٥هـ ـ ٩٨٥م) (٣) .

وحكم عمان بعد ذلك بنو نبهان في الفترة من (٧٥٩هـ/١١٤٤م ـ ١٤٠٦/٨٠٩) ولقبوا بالملوك . وحكم من بني نبهان عدد من الملوك كان أولهم الفلاح بن الحسن وآخرهم مالك بن علي الحواري (١٤٣٠/٨٣٣) وثار عليهم الأباضيون وبايعوا اماما اباضيا من الأزد ، فاقتصر حكم بني نبهان على الجبل الأخضر الذي بقي بأيديهم الى يومنا هذا . وحكم من الأزديين تسع أئمة كان أولهم الامام أبو الحسن عبد الله بن خميس بن عامر الأزدي (١٤٣٥/٨٣٩ ـ ١٤٤٢/٨٤٥) وتاسعهم بركات بن محمد بن اسماعيل (١٥٦١/٨٦٠م) وفي عهد بركات وأبيه تعرضت عمان للغزو البرتغالي (٤) .

عمان في اطار الصراع الدولي في العصر الحديث :

وصل البرتغاليون مياه الخليج في وقت خضعت فيه سواحل عمان لحكم ملك هرمز الذي أقام حصونا قوية في مسقط وغيرها من مدن الساحل العماني . وتعرض ميناء رأس الحد في (ربيع أول ٩١٢هـ/أغسطس ١٥٠٦) لقصف الأسطول البرتغالي الذي دمر المدينة والسفن الراسية في الميناء . وتعرضت لمثل ذلك في نفس العام موانيء مسقط وصحار وخورفكان وهرمز نفسها ، واستقر البرتغاليون في هرمز وبنوا فيها حصنا وخضع لهم ملكها ، ولكنهم غادروها وهجروا حصنهم فيها بعد عامين (٥) .

وتنازع البرتغاليون والفرس والعثمانيون السيادة على مياه الخليج طول القرن السادس عشر . ونجح شاه ايران في حمل ملك هرمز على تقديم ولائه له بعيد جلاء البرتغاليين عن هرمز . غير أن البرتغاليين استعادوا هرمز مرة أخرى ، واعترف الشاه بالسيادة البرتغالية على هرمز مقابل وعد برتغالي بمساعدته ضد العثمانيين . وشدد البرتغاليون قبضتهم على هرمز وقمعوا بشدة ثورات هرمز ومسقط وصحار والبحرين . وفي نفس الوقت ازداد نشاط العثمانيين في مياه الخليج ، وقاموا بمحاولات عديدة للقضاء على النفوذ البرتغالي الا أن العثمانيين فشلوا في مراد البرتغاليين ، ونتج عن ذلك ضعف القوة البحرية البرتغالية والعثمانية في البحار الشرقية . فلم يقم العثمانيون بأي محاولة جديدة بعد فشلهم في المحاولات السابقة . أما البرتغاليون فقد ضم وطنهم الأم الى اسبانيا عام ٩٨٩هـ/١٥٨١م ، وأصبحت ممتلكاتهم فريسة سهلة لأعداء اسبانيا . وكانت هولندا هي العدو الرئيسي لاسبانيا ثم تبعتها انجلترا واستطاع كلاهما أن ينتزع السيادة

البحرية من اسبانيا والبرتغال ٠ وفي عام ١٠٠٢هـ/١٥٩٤م كان الهولنديون قد ألفوا شركة للتجارة الشرقية ، والتي سميت شركة الهند الشرقية الهولندية ، وبعد أعوام قليلة تبعهم الانجليز سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م فمنحوا شركة الهند الشرقية البريطانية أول امتياز لها (٦) ٠

وانتهزت القوى المحلية في الخليج العربي فرصة ضعف البرتغاليين ، فقاموا باسترداد المواقع التي كان البرتغاليون قد احتلوها ، وتمكن الايرانيون (الفرس) من استرداد البحرين (١٠١١هـ/١٦٠٢م) واشتد ضغطهم على هرمز (١٠١٧هـ/١٦٠٨م) وطردوا البرتغاليين من بندر عباس (١٠٢٣هـ/١٦١٤م) ثم من هرمز (١٠٣١هـ/١٦٢٢م) ٠ وتوالت هزائم البرتغاليين ، فجلوا أمام ضربات العمانيين عن الشحر (١٠٥٢هـ/١٦٤٣م) ثم عن مسقط (١٠٥٩هـ/١٦٥٠م) بالاضافة الى فقد نفوذهم في البصرة (٧) ٠

ولقي الايرانيون (الفرس) في حروبهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي كل مساعدة من جانب شركة الهند الشرقية الانجليزية ٠ وبتصفية النفوذ البرتغالي من الخليج ، بدأ الصراع بين الانجليز والهولنديين على السيطرة على تجار المنطقة ٠ وكان التفوق للهولنديين أولا ، ولكنه لم يستمر طويلا ، فما أن أوشك القرن السابع عشر على نهايته حتى هبطت قوة الدفع الهولندية ، واتجه الهولنديون الى تركيز مجهوداتهم الاستعمارية في جزر الهند الشرقية تاركين الانجليز والفرنسيين يتنافسون على الهند والبحار المحيطة بها ٠ وكانت ايران قد سمحت لشركة الهند الشرقية الانجليزية باقامة وكالة تجارية في ميناء بندر عباس ، كمكافأة لها على مساعدتها في تخليص الجزيرة من البرتغاليين (عام ١٠٣١هـ/١٦٢٢م) ٠ كذلك أنشأت الشركة الانجليزية عام (١٠٥٢هـ/١٦٤٣م) وكالة تجارية ثابتة لها في البصرة ٠ ومع أن هذه الوكالة قد ألغاها باشا البصرة عام (١٠٦٧هـ/١٦٥٧م) فقد ظلت بعض سفن الشركة تتردد على البصرة من وقت لآخر (٨) ٠

وفي خلال القرن الثامن عشر اشتد التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا سواء في العالم القديم أو الجديد ، واستطاعت بريطانيا أن تتغلب على غريمتها في حرب السنوات السبع (٢٠٦٨هـ/٢٠٧٥هـ ـ ١٧٥٦م/١٧٦٣م) ، وهي الحرب التي أفقدت فرنسا معظم مستعمراتها في أمريكا والهند ، ولم يتبق في حوزة فرنسا الا قليل من جزر الأنتيل في الهند الغربية ، وبعض المراكز التجارية على ساحل الملبار ، وعدد ضئيل من الجزر

في المحيط الهندي أهمها : بوربون وموريشيس • وكان الفرنسيون يحتلون الجزيرة الأخيرة منذ عام (٢٠٢٧هـ/١٧١٥م) بعد أن انسحب الهولنديون منها عام (٢٠٢٤هـ/١٧١٢م) ، وأطلقوا عليها « ايل دي فرانس » " Ile de France " وبذلك خلا الميدان لبريطانيا ، فانفردت بالنفوذ في الخليج العربي ، واحتلت تجارتها في العراق وايران المكان الأول (٩) •

وفي الوقت الذي اتجه فيه نشاط انجلترا نحو العراق ، انصب اهتمام سلطنة عمان ، وكانت هذه السلطنة مزدهرة الى حد كبير على يد أسرة بوسعيد منذ عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م • فاستطاعت هذه السلطنة بسط نفوذها في جنوب شرقي شبه جزيرة العرب ، كما بست نفوذها على السواحل المتاخمة للمحيط الهندي ، كما استولت على هرمز ومناطق على الساحل الشرقي لافريقية كممبسة وزنجبار وبمبه وكلوه • وعلى الساحل الفارسي حيث استولت على بندر عباس • وبذلك أصبحت هذه السلطنة قوة بحرية ضخمة جدا ، لها دورها الكبير في هذه المنطقة ، ولا سيما في ممارسة أعمال القرصنة (١٠) •

بيد أن اهتمام فرنسا بالخليج العربي بدا أكثر وضوحا منذ قيام الثورة في فرنسا ودخولها في حرب مع انجلترا ، فأدخلت فرنسا في خططها مهاجمة المستعمرات البريطانية في الهند ، ولذلك قررت انشاء قنصلية فرنسية في مسقط ، كما أرسلت بوشمب Beauchamps كقنصل لها في مسقط في مهمة لبحث الموقف في الخليج العربي • وقد قام بوشمب بجولة في أرجاء الدولة العثمانية قبل وصوله الى مسقط ، حتى فوجىء وهو في حلب بالغزو الفرنسي لمصر ، فأصدرت الدولة العثمانية أمرا بالقبض على الرعايا الفرنسيين في أنحاء الدولة العثمانية ، وهرب هذا المبعوث الى مصر (١١) •

الا أن فرنسا تمكنت من عقد معاهدة صداقة وتجارة مع سلطان مسقط ، وكان هدف فرنسا من الوصول الى منطقة الخليج العربي هو العمل على محاولة غزو الهند واسترجاع المناطق التي تنازلت عنها لبريطانيا بمقتضى معاهدة الصلح التي وقعت بين البلدين في باريس سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٣م في أعقاب حرب السنوات السبع (١٢) وكانت خطة فرنسا تقوم على أساس استخدام طريق البحر الأحمر لسير الحملة ، واقامة عدد من القواعد في الخليج العربي لدعم الحملة في مهمتها • ولهذا عندما احتلت القوات الفرنسية مصر عام ١٢١١هـ/١٧٩٨م ، حاول نابليون بونابرت الاتصال بسلطان مسقط لمد نفوذ فرنسا الى الخليج حيث أرسل اليه رسالة يعبر فيها عن صداقة فرنسا لمسقط ورغبتها في حماية السفن العمانية التي تتاجر مع السويس (١٣) •

أدركت بريطانيا خطورة علاقة فرنسا بعمان ، اذ أنها كانت تعتبر الخليج ضمن مناطق نفوذها من جهة ، كما أنها تعتبر عمان مفتاح الخليج وهمزة الوصل الى الهند · هذا فضلا عن أن بريطانيا قد وضعت الخليج في مجال استراتيجيتها انطلاقا من ايمانها القائم على أن الدولة التي تسيطر على الخليج العربي وعلى ساحل عمان تستطيع أن تتحكم وتحكم جزيرة العرب والعراق وايران وافريقية ، وتستطيع أن تغلق قناة السويس ، وأن تقطع خطوط المواصلات الجوية والبحرية الى الهند وافريقية · كما أن بريطانيا تنظر الى الخليج نظرة تعادل تقريبا السيطرة على الشرق الأوسط (١٤) ·

وعلى ذلك ، واجهت بريطانيا موقف فرنسا بتدعيم سيادتها البحرية في المحيط الهندي باستيلائها على مستعمرة الراس (الكاب) وسيلان وجزر سيشل (ايل دي فرانس) · وكان الفرنسيون يتخذون من الجزيرة الأخيرة قاعدة لمهاجمة السفن البريطانية في المحيط الهندي · اذ كان الفرنسيون يعتبرون هذه الجزيرة مفتاح المحيط الهندي · ومن هنا فقد كان سقوطها في يد الانجليز عام ١٢٢٤هـ/١٨١١م مؤذنا بانحسار النفوذ الفرنسي عن المحيط الهندي · غير أن فرنسا احتفظت بموطىء قدم على ساحل الهند الغربي (الملبار) في ما هي ، والأهم من ذلك الاحتفاظ بجزيرة بوربون (التي سميت ريونيون في عام ١٢٦١هـ/١٨٤٨م ، وبعض المراكز التجارية على ساحل جزيرة مدغشقر (١٥) ·

وكانت قد حدثت تطورات هامة في داخلية عمان غيرت استراتيجية الخليج العربي ، فقد استتب الأمر في بادىء الأمر للأئمة اليعاربة الذين حكموا من ١٠٢٤هـ/١٦١٥م الى ١١٥٤هـ/١٧٤١م ، وتمكنوا خلال حكمهم من تطهير بلادهم من البرتغاليين في ١٩ محرم ١٠٦٠هـ/٢٣ يناير ١٦٥٠م ، كما استطاعوا ازالة نفوذهم نهائيا من الخليج بعد سنتين من طردهم كما ذكرنا آنفا · كما امتد نفوذ اليعاربة الى شرق أفريقية ونشروا لغتهم وحضارتهم في تلك القارة الافريقية (١٦) ·

وقد تغير هذا الحال بسبب التفسخ الداخلي وانقسام أهل البلاد الى قيسيين ويمنيين ، وبسبب تصارع الزعماء ، فاضطربت الأمور فاستنجد أحد الزعماء اليعاربة وهو الامام سيف بن سلطان بالفرس الذين لبوا النداء وسيطروا على البلاد بواسطة سيف · بيد أن العمانيين شعروا بنتيجة هذا الانقسام فالتفوا حول أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي الذي هاجم واياهم الفرس وأبعدهم عن البلاد · وتقديرا لذلك بايعه الناس

بالامامة عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م ، وبذلك انتقل الحكم من أيدي اليعاربة الى أيدي آل بوسعيد الى يومنا هذا (١٧) . وكان من أبرز حكامهم خلال هذه الفترة سعيد بن سلطان الذي حكم قرابة نصف قرن (١٢٢١هـ/١٨٠٦ ـ ١٢٧٢/١٨٥٦) واستطاع في أوائل عهده أن يستعيد ممتلكاته في شرق افريقية التي شغلته عن كثير من الامور الهامة في بلاده (١٨) .

وكان السيد سعيد بن سلطان قد بدأ حكمه في الوقت الذي بدأ فيه الصراع الفرنسي البريطاني يدخل مرحلته الحاسمة . وكان موقع عمان الاستراتيجي المسيطر على مدخل الخليج العربي والطريق البري بين الهند والبحر المتوسط ، والذي يبعد مسافة قصيرة عن الطريق البحري بين السويس وبومباي ، قد جعل بلاده تتأثر قبل اعتلائه العرش بردود الفعل الدبلوماسية الناتجة عن الصراع الأوروبي في المحيط الهندي . ففي مواجهة السياسة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر الرامية الى انشاء امبراطورية استعمارية جديدة في الشرق ، وعلى وجه الخصوص مخططات بونابرت ازاء الهند التي استهدفت طرد الانجليز منها ، راحت حكومة بومباي تعمل من أجل تقوية نفوذها على الحكام الوطنيين في المنطقة الواقعة الى الغرب من الهند ، ولا سيما في منطقة الخليج العربي (١٩) .

منشأ الصداقة البريطانية العمانية :

وأرسلت حكومة بومباي الانجليزية أحد الموظفين الايرانيين في شركة الهند الشرقية وهو مهدي علي خان الى مسقط للتفاوض مع عاهلها سلطان ابن أحمد (١٢٠٤هـ/١٧٩١م ـ ١٢١٧هـ/١٨٠٤م) بشأن طرد الرعايا الفرنسيين من عمان واحلال أطباء انجليز محل الفرنسيين الذين يعملون في خدمة السلطان ، بالاضافة الى اقامة وكالة تجارية في مسقط . ووصل مهدي علي خان الى مسقط في ٢ أكتوبر عام ١٢١١هـ/١٧٩٨م ، ونجح بعد مفاوضة استمرت عشرة أيام في ابرام أول معاهدة سياسية غرست بذور الصداقة بين سلطنة عمان وبريطانيا . فقد تعهد السلطان في معاهدة ١٢١١هـ/١٧٩٨م بالاستغناء عن خدمات الرعايا الفرنسيين الذين يعملون في خدمته وطردهم من مسقط ، كما وافق على عدم السماح بقيام أية وكالة تجارية فرنسية أو هولندية في مسقط وتوابعها . وعلاوة على ذلك ، فقد أجاز السلطان لبريطانيا اقامة وكالة تجارية وانزال حامية في ميناء بندر عباس الذي كان شاه ايران قد تنازل عنه لعمان على سبيل التأجير ، ومنح الوكالة التجارية كافة الامتيازات الاقتصادية التي تتمتع بها الشركات البريطانية في ايران والدولة العثمانية (٢٠) .

وفي أواخر عام ١٧٩٩ ، جدد العاهل العماني للكابتن جون مالكولم John Malcolm عهد الصداقة مع بريطانيا وذلك اثر محاولة فرنسا ابعاد سلطان بن أحمد عن بريطانيا ، ووافق السلطان على عقد معاهدة مع بريطانيا ، ووافق السلطان على عقد معاهدة مع بريطانيا أبرمت في ١٨ يناير عام ١٢١٣هـ/١٨٠٠م على أن يقيم سيد انجليزي في مسقط كوكيل عن شركة الهند الشرقية البريطانية ولتمثيل مصالح بريطانيا في منطقة الخليج العربي (٢١) بناء على هذه المعاهدة عين الطبيب بوجل Bogle كممثل سياسي لبريطانيا في مسقط ، فكان بوجل أول مقيم بريطاني في منطقة الخليج العربي ، ولكنه لم يقم طويلا في عاصمة عمان ، اذ قضى نحبه أواخر عام ١٨٠٠ ، وخلفه الكابتن دافيد سيتون David Seton الذي عمل طوال السنوات الثمان التي أقامها في مسقط على ارساء قواعد النفوذ البريطاني في عمان ، انطلاقا من ايمان بريطانيا بترك حماية تجارة الخليج الى سلطان عمان معتقدة بأن تأثيره على سياسة الخليج مستقرة ٠ على أن الأخطار الخارجية التي تعرضت لها عمان في مستهل حكم السيد سعيد بن سلطان كانت من العوامل التي دفعت (٢٢) العاهل الجديد الى الارتباط بحليف قوي ، خاصة بعد أن تكالبت بريطانيا وفرنسا على الاستفادة من ميناء مسقط الاستراتيجي ، وحاول السلطان سعيد أن يقيم علاقات طيبة مع كلتا الدولتين خشية وقوع بلاده فريسة سهلة لأي جانب ، ولو أنه كان يميل في واقع الأمر الى جانب فرنسا (٢٣) ٠

وازاء ذلك ، فقد عمل السيد سعيد جهده للابقاء على العلاقات التجارية قائمة في السابق بين ميناء مسقط وبين ميناء بورت لويس Port Louis في جزيرة ايل دي فرانس (موريشيس) ٠ وفي عام ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م أرسل السيد سيد أحد وجهاء عمان (ماجد بن خلفان) للتفاوض مع الجنرال ديكان Decan حاكم جزيرة ايل دي فرانس من أجل عقد معاهدة تجارية ٠ وأبرمت بالفعل هذه المعاهدة التي نصت على أن يقيم وكيل فرنسي في مسقط جنبا الى جنب مع المقيم البريطاني ٠ ولكن حكومة باريس رفضت التصديق على المعاهدة تمسكا بقوانين الحصار القاري التي تقضي باغلاق الموانيء الفرنسية في وجه السفن الانجليزية (٢٤) ٠

ومن المعروف أن علاقات عمان التجارية مع الهند كانت قوية ، وأن الاسطول العماني كان يتولى نقل المتاجر بين الهند وبلدان الخليج العربي ٠ ولم تكن المعاهدة المعقودة بين ديكان والسيد سعيد تمنع التجارة بين عمان وموانيء الهند بتاتا ، بل اكتفت بتقييدها فحسب (٢٥) ٠

وعندما أصبح واضحا منذ أواخر العقد الأول من القرن التاسع عشر أن الانجليز سوف تنعقد لهم السيادة البحرية في المحيط الهندي ، تلك السيادة التي تأكدت بانتزاعهم جزيرة ايل دي فرانس من أيدي الفرنسيين عام ١٨١١م ، لم يتردد السيد سعيد لحظة واحدة في ربط مصيره بمصير بريطانيا ، وحافظ على صداقة والده مع السلطات البريطانية في برمباي . ولقد كانت هذه الصداقة ذات منفعة متبادلة لكلا الطرفين . فقد كان للسيد سعيد جيران أقوياء يطمعون في الاستيلاء على بلاده ولذا كان من دواعي سروره اعتقاده على مظاهرة شركة الهند الشرقية الانجليزية له في معاملاته معهم . ومن ناحية أخرى ، كان من صالح الشركة الانجليزية أن تجد حليفا مثل السيد سعيد يعاونها في القضاء على القراصنة الذين كانوا لا يتورعون عن مهاجمة السفن الانجليزية في الخليج العربي وبحر العرب (٢٦) .

وتعرض سعيد بن سلطان في أوائل حكمه لهجوم سعودي شديد ، فألحق به السعوديون هزائم متعددة في الأعوام ١٢٢٤/١٨٠٩ ، و ١٢٢٥/١٨١٠ ، و ١٢٢٨/١٨١٣ ، ولذا فانه اشترك في حلف الانجليز ضد رأس الخيمة الموالية للسعوديون وذلك في الأعوام ١٢٢٤/١٨٠٩ و ١٢٣١/١٨١٦ و ١٢٣٤/١٨١٩ ، فأدت الحملات الى خضوع رأس الخيمة والمشيخات المجاورة للانجليز واجبارها على توقيع معاهدة ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م (٢٧) .

بريطانيا وتجارة الرقيق :

وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت عام ١٨٠٧ قانونا يحرم الاتجار في الرقيق في بريطانيا ومستعمراتها ، كما يحرم على الرعايا البريطانيين الاشتغال بتجارة الرقيق في افريقية أو نقلهم من هذه القارة الى الخارج . وعلى اثر صدور هذا القانون اتجهت السفن الحربية البريطانية الى التصدي لتجارة الرقيق في ساحل افريقية الغربي وفي المحيط الأطلسي (٢٨) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن ، لماذا اهتمت بريطانيا بمكافحة تجارة الرقيق وما هو هدفها من ذلك ، أهو دافع انساني ؟ أم أن المصلحة الاقتصادية هي التي حركت أسطول بريطانيا لهذا الغرض ؟ والجواب على ذلك هو أن اجراءات محاربة تجارة الرقيق قد استغلت أحسن استغلال لتوطيد النفوذ البريطاني فوق بحار العالم أجمع (٢٩) .

ومهما يكن من أمر ، فان تجارة الرقيق من زنجبار كانت وقفا على عرب مسقط وساحل عمان الذين كانوا يقومون ببيعهم في الجزيرة العربية .

وكان عرب مسقط يحصلون على دخلهم من الضرائب التي يفرضونها على هذه التجارة كما باتت مسقط المقر الرئيسي بالنسبة للخليج وفارس والعراق والهند • غير أن هذه السيطرة تحولت الى ميناء صير جنوبا ، اذ كان في بعض الأحيان يقوم مركب قاسمي في رحلة الى ساحل افريقية الشرقي ليحضر شحنة من الرقيق رأسا الى ساحل الامارات المتصالحة ، حيث يكتفي سكان المناطق بنصيبهم في حمل تلك التجارة من مسقط ، بينما كان معظم العبيد الذين ينقلون الى مسقط يباعون في عمان نفسها ، ومن تبقى منهم يباعون للعملاء من الساحل المتهادن وخاصة القواسم الذين يقومون ببيعهم مرة أخرى في العراق والبحرين وفارس والاحساء ونجد (٣٠) •

وكانت تجارة الرقيق تشكل جزءا كبيرا من دخل السيد سعيد الذي كان يستفيد من تلك التجارة فائدة كبرى كما أشرنا ، اذ كان النخاسون يدفعون له الضرائب عن كل عبد ، فضلا عن أنه كان يستفيد من العبيد في شرق افريقية الذين كانوا دعامة نظامه الاقتصادي اذ كان يعهد اليهم بفلاحة الأرض ، كما كان ملاك الأراضي يسخرون الرقيق للعمل في أراضيهم خمسة أيام في الاسبوع وذلك في مقابل قطعة صغيرة من الأرض يأخذها العبد لنفسه ليقوم بزراعتها في اليومين الباقيين من الاسبوع (٣١) وقد استتبع نشاط تجارة الرقيق ورواجها في شرق افريقية قيام عدة أسواق للرقيق في شرق افريقية وخاصة في كلوة وزنجبار وهما من أهم مراكز تجارة الرقيق في مهد القارة السوداء • فكان الرقيق يظهرون في الأسواق وهم مقيدون بالسلاسل كقطيع من الأغنام لدرجة تشمئز منها النفوس (٣٢) •

ويمكن القول أن السلطات البريطانية قد أولت تجارة الرقيق العربية اهتماما بسيطا في العقدين الأولين من القرن التاسع عشر ، فقد اعتبرت شركة الهند الشرقية أن نقل العبيد بواسطة أحد الرعايا البريطانيين أو بواسطة شخص يمثلها يعتبر ذلك جناية • وقد طبق هذا القانون في البنغال عام ١٢١٨هـ/١٨٠٥م ، وحذرت المخالفة بعقوبة السجن لمن يستورد العبيد الى البنغال • وأصدرت بعد عامين ١٢٢٠هـ/١٨٠٧م تشريعا آخر يقضي بتقديم تعهد مكتوب من ربابنة السفن الأوروبية وأصحابها الآسيويين بألا يعملوا في تجارة الرقيق • كما طبقت بريطانيا نفس التشريع في ولايات بومباي (٣٣) •

وفي عام ١٨١٤م ، أطلعت حكومة بريطانيا سلطان مسقط على التشريع الخاص بمنع تجارة الرقيق في الهند ، وطلبت منه بحذر أن يخبر رعاياه التجار في كلكتا بالعقوبات التي قد يتعرضون لها اذا ما خالفوا القوانين (٣٤).

وكانت بريطانيا تدرك تماما أنه ينبغي عليها اذا أرادت القضاء على تجارة الرقيق أن تحصل على تأييد السيد سعيد لأن معظم مصادر تجارة الرقيق في الشرق الافريقي تقع ضمن ممتلكاته ، علما بما قد يعرضه ذلك لخسارة مادية تبلغ سنويا مائة الف ريال ، ومع ذلك نجحت في محاولاتها ، فقد أذعن السيد سعيد لبريطانيا حرصا على ضمان مركزه في ممتلكاته وتوطيد نفوذه فيها وهو الأمر الذي كان يعنيه (٣٥) ٠

ومما يجدر ذكره أن الفرنسيين كانوا يجلبون العبيد الأفارقة للعمل في مزارعهم بجزيرتي ايل دي فرانس (موريشيس) وبوربون (ريونيون) وذلك نتيجة للتقدم الزراعي ، وقد تدفق العبيد الأفارقة بأعداد كبيرة على جزيرة ايل دي فرانس بصفة خاصة حتى وصفت بأنها « نقطة سوداء في مياه المحيط الهندي الزرقاء الصافية » ٠ وكان سلطان عمان قد فرض منذ عام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م ضريبة على كل عبد يصدره الفرنسيون من أملاكه ، وقد جمع السلطان من هذه الضريبة في الفترة (١٢٢٢/١٨٠٩ ــ ١٢٢٧/١٨١٤) ايرادا يبلغ ٧٥ ألف دولار أوريال من العملة الفضية المعروفة بريال ماريا تريزا (٣٦) ٠

وفي عام ١٢٢٨هـ/١٨١٥م ، وصلت بومباي أنباء تقول بأن القواسم قد استولوا على سفينة محملة بأعداد كبيرة من الرقيق كانت في طريقها من زنجبار الى مسقط ، وانتهز ايفان نبين Evan Nepean حاكم بومباي تلك الفرصة فكتب خطابا شخصيا الى السيد سعيد يستحثه فيها على تحريم تجارة الرقيق في أملاكه « حتى يتبرأ من تهمة اباحتها » ٠ وكان كل ما وعد به السيد سعيد مقابل ذلك ، هو التأكيد « بأن اذعانه في هذه المسألة سيقابل بالرضا التام من جانب الحكومة البريطانية » ٠ وعلى ذلك فليس بمستغرب أن يتجاهل السيد سعيد ذلك المطلب ، اذا لم يعثر في وثائق بومباي على أي أثر لرد السيد سعيد على خطاب نبين السابق (٣٧) ٠

ولقد حظى المحيط الهندي باهتمام شديد وكبير من شركة الهند الشرقية الانجليزية وذلك نظرا لارتباطه بالمصالح البريطانية ، ولم تبد تلك الشركة اهتماما يذكر بافريقية الشرقية ٠ وقد ازداد هذا الاهتمام بعد أن استولت على جزيرة ايل دي فرانس (موريشيس) وتنازلت عنها فرنسا رسميا بموجب معاهدة باريس الاولى في ٣٠ مايو عام ١٢٢٧هـ/١٨١٤م وذلك عندما وضعت الحروب النابليونية أوزارها ٠ فصدرت الأوامر بمجرد أن آلت موريشيس الى الانجليز بأن يطبق فيها قانون تحريم تجارة الرقيق الصادر عام ١٢٢٠هـ

١٨٠٧م وبذلك أصبح المضي في جلب الأيدي العاملة بهذه الطريقة الى موريشيس مخالفا للقانون ٠ وكان من الطبيعي أن يتبرم سكان الجزيرة من تحريم تجارة الرقيق فيها ، وأن يستمر بعضهم في ممارسة هذه التجارة سرا (٣٨) ٠

وبالمقابل ، فقد اتخذت فرنسا اجراء آخر مشابه في بوربون سنة ١٢٣٠ ١٨١٧ نتيجة لتشريع فرنسي يمنع استيراد العبيد للممتلكات الفرنسية ، وفي العام التالي منع الرعايا الفرنسيون من الاشتغال بتجارة الرقيق ، ولما كان التشريع الفرنسي لم يعتبر تجارة الرقيق جريمة ، لذا رفضت الحكومة الفرنسية أن تمنح السفن البريطانية الحق في تفتيش السفن الفرنسية التي يشتبه بأنها تنقل الرقيق ، وقد اتفق حاكما موريشيس (البريطاني) وبوربون (الفرنسي) بمحاربة الرقيق ٠ ونتج عنه هرب تجار الرقيق الفرنسيين الى زنجبار كما قل عدد السفن التي كانت تنقل العبيد سرا من الشاطىء الافريقي الى بوربون وموريشيس حيث لم يزد عددها بعد الاتفاق عن ثماني سفن ٠ وحتى يحقق الاتفاق أهدافه ، فقد اقترحوا على سلطان مسقط منع بيع الرقيق من شواطىء بلاده للاوروبيين (٣٩) ٠

وقد بدأت بريطانيا في اتخاذ خطواتها الفعالة للقضاء على تجارة الرقيق في شرق أفريقيا بتلك المعاهدة التي عقدتها في رأس الخيمة مع رؤساء وشيوخ القواسم وذلك بعد الحملة البريطانية الناجحة في عام ١٢٢٢هـ/١٨١٩م ٠ وقد نصت المادة التاسعة من معاهدة ١٢٣٣/١٨٢٠ (المعاهدة العامة) على ما يأتي : « ان نقل العبيد رجالا أو نساء أو أطفالا من سواحل افريقيا أو أي مكان آخر بعد قرصنة ونهبا ٠ ونحن واثقون بأن أصدقاءنا العرب لن يفعلوا شيئا من هذا القبيل » (٤٠) ٠ وهكذا تكون بريطانيا قد اعتبرت تجارة الرقيق نوعا من القرصنة ، وطلبت من الرؤساء ومشايخ الساحل العماني أن يكفوا عن الاشتغال بتلك التجارة ٠ وعلقت نجاح منع تجارة الرقيق على تعاون حكام الخليج معها بدون استثناء كما ذكر ماكلوريد Macloed (٤١)

ولذا فقد عملت بريطانيا على الدخول في معاهدات مع كل من تركيا وفارس ، فتم توقيع اتفاقية مع تركيا خاصة بالغاء تجارة الرقيق بين افريقيا وولاية بغداد ، ثم كانت اتفاقية عام ١٨٥١ مع الحكومة الفارسية التي كانت تعطي بريطانيا حق مصادرة الرقيق وحق تفتيش السفن الفارسية ، ولكن بشروط مخففة كثيرا عما كانت تتبعه مع الامارات العربية في الخليج العربي والجزيرة العربية (٤٢) ٠

ويمكن القول بأن حاكم موريشيس السير روبرت فاركوهار Robert Farkhar قد أخذ زمام المبادرة بمحاربة تجارة الرقيق ، وحاول اقناع حكومة بومباي باتخاذ خطوات سريعة لاقناع السيد سعيد بالغاء تجارة الرقيق في أملاكه الافريقية • وكتب رسالة الى السيد سعيد بن سلطان في ١٠ مايو ١٨٢٢م/١٢٢٥هـ . هنأه فيها على نجاح حملته على القراصنة (٤٢). وذكر له بأنه سيكتب الى حاكم الهند العام ، وأنه يأمل في تعاونكم مع الحكومة البريطانية في سحق تجارة الرقيق •

وكتب حاكم موريشيس رسالة أخرى الى والي زنجبار العماني يحثه فيها على محاربة تجارة الرقيق والقاء القبض على الأشخاص الذين يقومون بهذه الأعمال • واتخاذ مايلزم من وسائل لانزال العقوبة بهم طبقا لما يستحقونه • كما كتب فاركوهار رسالة ثالثة الى حاكم عام الهند لورد وارن هاستنجز Hastings طالبا أن يستخدم نفوذه في الضغط على سلطان عمان لوقف تصدير الرقيق من موانيه • وقد رد حاكم عام الهند على هذا الطلب قائلا بأن حكومة بومباي ستقدم احتجاجا قويا لدى مسقط بخصوص تلك التجارة (٤٤) وقدمت حكومة الهند البريطانية رسالة الى سلطان عمان تأكيدا لرسالة فاركوهار ، ورد سلطان عمان على طلب حاكم موريشيس بأنه موافق على منع بيع العبيد للاوروبيين في موانئه الافريقية ، كما أخبر المقيم البريطاني في بوشهر الكابتن بروس بما تم الاتفاق عليه (٤٥) •

وهكذا تعرضت تجارة الرقيق العربية في شرق افريقيا لهجوم مشترك من جانب حكومتي موريشيس وبومباي البريطانيتين وكذلك من جانب الجمعية الافريقية بلندن • ولقد صار معروفا على وجه التأكيد في الهند أن السيد سعيد بن سلطان يجمع ايرادا ضخما من الضريبة المفروضة على العبيد ، وأن السلطات البريطانية بمطالبتها بتحريم تجارة الرقيق في أملاكه الافريقية ، انما تطلب منه عمل شيء قد يجلب له كراهية رعاياه ، كما يفقده مصدرا كبيرا من دخله • وبعد تبادل عدد من المراسلات بين بومباي وموريشيس ، تقرر أن يقتصر على مطالبة السيد سعيد بعدم السماح ببيع الرقيق للأوروبيين ، حيث أن سلطان عمان كان قد أبلغ المقيم البريطاني في الخليج العربي أن الاسلام يقر الرق (٤٦) •

وبالرغم من أن السيد سعيدا كان يعلم أن منع بيع الرقيق سيعرضه لخسائر سنوية تتراوح ما بين أربعين وخمسين ألف ريال الا أنه أصدر أوامره كما أشرنا الى ولاته في زنجبار وغيرها بعدم بيع الرقيق من الموانيء العربية بافريقية الشرقية • ويبدو أن السيد سعيدا كان يأمل أن يضع صدور هذه الأوامر من جانبه حدا للضغط الواقع عليه ، فاذا حدث وعصيت أوامره ،

فان مسئولية ذلك تقع على عاتق غيره · ولكن حاكم موريشيس كان يطمع في أكثر من استصدار هذه الأوامر ، فكان يريد في الواقع ابرام معاهدة مع عمان يتعهد فيها السلطان وخلفاؤه بتحريم بيع الرقيق لرعايا الدول المسيحية · وأرسلت بالفعل الى السيد مسودة للمعـــــاهدة المقترحة · وفي يونيو عام ١٨٢٢م/١٢٢٥هـ كلف فير فاكس مورسبي Fair Fax Moresby بالتوجه الى مسقط للحصول على توقيع السلطان على تلك المعاهدة ونجح مورســبي في مهمته (٤٧) ·

ففي ٢٢ سبتمبر عام ١٨٢٢م/١٢٢٥هـ وقع السيد سعيد على المعاهدة بالشروط التي اقترحها حاكم موريشيس · وكانت هذه المعاهدة « وثيقة غير عادية نوعا ما » اذ تألفت من عامودين : اشتمل العامود الأيسر على ، بيان المطالب المقدمة الى السلطان بواسطة مورسبي نيابة عن فاركوهار ، في حين جاء في العامود الأيمن اجابات الســـلطان على كل مطلب مكتوبة بخط يده ومختومة بخاتمه · وكان من بين المطالب المقدمة اليه ، القضاء على تجـارة الرقيق الخارجية نهائيا ، فأجاب السلطان بأنه قد كتب الى جميع ولاته يأمرهم بمنع بيع العبيد الى أية أمة مسيحية ، وأنه سوف يرســـل اليهم المزيد من التعليمات بخصوص هذا الموضوع · وذكر السلطان ردا على مطلب آخر أنه سوف يرسل الى ولاته تعليمات بالقبض على قباطنة السفن العربيـــة التي تزاول تجارة الرقيق الخارجية ومعاقبتهم ، وتكليف بحارة هذه السفن بابلاغ الولاة في الموانيء التي يصلون اليها عن مخالفـة قباطنتهم لأوامره ، واذا تستر البحارة على القباطنة فانهم سيتعرضون أيضا للعقوبة · وهناك شروط أخرى لتعيين وكلاء بريطـــانيين في بلاده (٥٨) ويقرر كوبلاند أن معاهدة مورسبي تتضمن اعترافا بســيادة السيد سعيد بن ســـلطان على أفريقيا الشرقية (٤٩) ·

وقبل أن يجف مداد معاهدة مورسبي ، كلف حاكم موريشيس الضابط البحري نورس Nourse بالابحار الى ساحل أفريقية الشرقية الاسلامية ، للتحقق من تنفيذ ولاة السيد سعيد لشروط المعاهدة · وقام نورس بتعيين أحد العرب ويدعى صالح قنصلا لبريطانيا في زنجبار بصفة مؤقتة فوافقت وزارة المستعمرات البريطانية على تعيينه بصفته وكيلا لحكومة موريشيس لمراقبة تجارة الرقيق (٥٠) ·

ومن الواضح أن موافقة السيد سعيد على ابرام معـــــاهدة مورسبي والتضحية بجزء كبير من ايراده وتعريض نفسه لكراهية عدد كبير من رعاياه ، لا يرجع بالقطع لأسباب انسانية ، وانما لعوامل سياسية ، فقد كان السلطان في الواقع في حاجة شديدة الى معاونة بريطانيا وتأييدها في عمان نفسها وفي

الخليج العربي كذلك · وفضلا عن ذلك ، كان السلطان يرغب بشدة في عدم فقدان عطف بريطانيا على مشاريعه في افريقية الشرقية وخصوصا في ممبسة ، التي سرعان ما أنفذ اليها أواخر عام ١٢٢٦هـ/١٨٢٣م حملة بحرية بقيادة عبد الله بن سليم · وبينما كانت هذه الحملة في طريقها الى الساحل الافريقي ، وصل الى مسقط في ٢٥ ديسمبر من العام نفسه ضابط بحري بريطاني اسمه وليم أوين William F. Owen أوقع السيد سعيدا في مأزق وعرض مخططاته ازاء افريقية الشرقية بالفشل (٥١) ·

اقترح الكابتن وليم أوين W. F. owen تعديل معاهدة مورسبي بعد أن تبين له استمرار عملية تجارة الرقيق بين ممتلكات السيد سعيد الافريقية والمستعمرة البرتغالية موزمبيق ، غير أن الفنستون Elvinston رفض ذلك لأن السيد سعيد لايملك سلطة تفتيش وحجز السفن التابعة للدول الأخرى ، الا أن هذا الرفض لم يغير من موقف أوين الذي نجح في ضرب تجارة الرقيق عندما استولى على ميناء ممبسة في فبراير عام ١٨٢٣م/١٢٢٦هـ بمساعدة حكامها المزروعيين المنشقين على البوسعيد ، والذين وجدوا الفرصة مناسبة للتخلص من حكم السيد سعيد ، وطالبوا بوضع ممبسة تحت الحكم البريطاني ووافق أوين وحاكم موريشيس على ذلك ، الا أن وزارة المستعمرات البريطانية رفضت قرار الضم ، وأمرت بسحب الحامية البريطانية ، واستطاع السيد سعيد استعادة ممبسة وأخضعها لحكمه بعد أن قضى على المزروعيين (٥٢) ·

ونجحت بريطانيا في عام ١٢٤٢/١٨٣٩ في جعل سلطان مسقط وحكام الامارات العربية (ساحل عمان) في التوقيع على اتفاق ينص على السماح للسفن البريطانية بحق التفتيش في المحيط الهندي والخليج العربي ، وجعل المراكب التابعة للمشايخ والتي قد يوجد فيها عبيد معرضة للحجز والمصادرة ، كما نصت الاتفاقية على جعل بيع الصوماليين عملا من أعمال القرصنة · وقد وقع على هذا الارتباط السيد سعيد بن سلطان · واعتبر هذا اتفاقا اضافيا لمعاهدة مورسبي ، ذلك لأن السيد سعيد رفض تعديل معاهدة مورسبي بحيث يتم الغاء تجارة الرقيق نهائيا في أملاك السيد سعيد (٥٣) ·

على أن بريطانيا لم تلبث أن عاودت ضغطها على السيد سعيد ، فأرسلت حكومتها اليه عام ١٢٤٥هـ/١٨٤٢م خطابا تطلب فيه الغاء تجارة الرقيق نهائيا في أملاكه · وانزعج السيد سعيد لهذا الطلب انزعاجا شديدا ، وحاولت بشتى الطرق اقناع الحكومة البريطانية بالعدول عن طلبها الذي يأتي لو نفذ على سلطنته تماما (٥٤) · ولما وجد أن حكومة لندن متمسكة بطلبها ، اقترح السلطان حلا وسطا هو السماح باستمرار تدفق تجارة الرقيق بين موانىء أملاكه الافريقية فقط ، ووافقت وزارة الخارجية البريطانية على اقتراحه

بناء على توصيات هامرتون الذي أبلغها بأن القضاء على تجارة الرقيق نهائيا في سلطنة عمان بشقيها الافريقي والآسيوي سيؤدي لا محـــالة الى خرابها لارتباط هذه التجارة بحياتها الاقتصادية والاجتماعية (٥٥) ·

وعلى ذلك ، ففي ٢ أكتوبر عام ١٨٤٥م/١٢٤٨هـ وقع السيد سعيد وهامرتون في زنجبار معاهدة ، اتفق على أن توضع موضع التنفيذ ابتداء من أول يناير عام ١٨٤٧م/١٢٥٠هـ وتقضي بالسماح بنقل الرقيق بحرا من ميناء الى آخر من موانيء السيد سعيد الافريقية الواقعة بين لامو وملحقاتها شمالا وبين كلوة وملحقاتها جنوبا ، ولكنها تحرم تحريما تاما تصدير العبيد من أي جزء من أملاك السلطان الافريقيـــــة الى أملاكه الآسيوية وأجازت المعاهدة للسفن البريطانية سواء كانت تابعة للاسطول البريطاني أو لشركة الهند الشرقية الانجليزية بمصادرة المراكب التي تخل بهذا الشرط · وتعهد السلطان بأن يستخدم نفوذه لدى شيوخ شبه جزيرة العرب لحملهم على منع جلب الرقيق من افريقية الى شواطيء البحر الأحمر والخليج العربي (٥٦) وبناء على هذه المعاهدة نشـــطت الســـفن البريطـــانية في تعقب المراكب أو الداوات العربية وتفتيشها حتى في زنجبار نفسها ·

ويعزى قبول السيد سعيد بالمعاهدة الى خوفه من (الوهابيين) ، ومن جهة ثانية خشية من فقدان مركزه الذي أخذ يتضعضع بعد ثورة القبائل عليه لقبوله المعاهدة المذكورة · وقد عمل حمود بن عزان رئيس فرع قبيـــلة البوسعيد على سلب السلطة من السيد سعيد ورشـــح نفسه اماما · ووجد هامرتون أن مهمة السيد سعيد صعبة قد تودي بحيـــاته للخطر · وأخذت الحكومة البريطانية على عاتقها تنفيذ هذه المهمة فاتصلت ـ كما أسلفنا ـ بكل من حكومتي تركيا وفارس من أجل اصدار قوانين تحرم على رعايا هاتين الدولتين وسفنهما من نقل أو بيع الرقيق · كما نجحت بريطانيا في اقناع حكام الامارات المتصالحة بالحد من تجارة الرقيق ونجح هينل Henil في توقيع معاهدة ١٢٥٠هـ/١٨٤٧م تتناول منع تصدير العبيد من افريقية وعدم السماح بنقلهم في سفنهم (٥٧) ·

ولكن تجارة الرقيق ظلت مع ذلك منتعشة في ساحل أفريقية الغربي ، فضلا عن أن السفن الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والأمريكية راحت تحمل شحنات كبيرة من الرقيق من زنجبار وغيرها من موانيء وجزر ساحل أفريقية الشرقية (٥٨) كما أن حكومة بومباي واجهت صعوبات ذات أهمية في وضع معاهدتي ١٨٤٥ و ١٨٤٧م موضع التنفيذ بسبب عدم وجود تشريع خاص

بتجارة العبيد من البرلمان الانجليزي وازاء ذلك توقفت كل الاجراءات الخاصة بتنفيذ المعاهدة لمدة عامين آخرين الى أن صدر التشريع الخاص بتجارة العبيد من البرلمان الانجليزي (٥٩) . ونجحت بريطانيا أيضا في عقد معاهدة مع الحكومة الفارسية عام ١٨٥٦م لمنع تجارة الرقيق . ومع ذلك فان تجارة الرقيق لم تتوقف سواء في ساحل أفريقية الغربي والشرقي بصورة علنيـــة وسرية (٦٠) .

وأيا ما كان الأمر ، فان السلطات البريطانية بدون أدنى شك ، كانت تعلم تمام العلم ، ولكنها تجاهلت الأمر عمدا ، مما يقطع بأن الدافع الانساني في محاربة الرق والنخاسة لم يكن الا ذريعة لتمكين بريطانيا من فرض سيطرتها على سلطنة السيد سعيد وبسط نفوذها واحلاله محل النفوذ العربي في افريقية الشرقية . وفضلا عن ذلك ، فقد مارس الفرنسيون الرقيق بنشاط كبير في ساحل أفريقية الشرقي ، وبلغ بهم الأمر أنهم عينوا « وكلاء لهم على طول الساحل وفي زنجبار أيضا » . وبينما كانت الطرادات البريطانية تقـــوم بدوريات الحراسة في مياه أفريقيا الشرقيـــة لمنع المراكب العربية من نقل الرقيق الى موانيء آسيا الجنوبية ، كانت السفن الفرنسية الحربية ترسو على الساحل « لتحمي تجار الرقيق الفرنسيين من التعرض للمضايقات » . ولما كان الفرنسيون لا يدفعون أية ضرائب على الأرقاء الذين يصدرونهم سرا من الموانيء والجزر التابعة لسلطنة زنجبار الى جزيرة ريونيون ومايوتا ، فقد حاول حاكم زنجبار ماجد وقف هذه العملية ، واحتج بهذا الصدد لدى القنصل الفرنسي في زنجبار ، ولكن الأخير رفض الاحتجاج وهدد بتدخل حـكومته اذا لزم الأمر (٦١) .

وبالرغم من كل أعمال بريطانيا ومحاولاتها في التضييق على سلطان عمان ، الا أنه قد منح الانجليز امتيازات كثيرة . فقد منح السيد سـعيد عام ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م اعفاءات جمركية واســـعة . وتوثقت علاقاته مع بريطانيا فأهداها جزر كوريا موريا عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤ . ولكن بريطانيا لم تقدر له صداقته حينما وقفت موقفا عدائيا لعمان ابان النزاع بين عمان وايران (فارس) . فقد احتلت ايران المراكز العمانية في بندر عباس وساحل كدمان في نفس العام الذي تخلى فيه السلطان عن جزر كوريا موريا لبريطانية . واستطاع السلطان أن يستعيد ممتلكاته الايرانية ، الا أن الشاه أرسـل حملة ثانية فاحتلتها . وتدخلت بريطانيا لتمنع السـلطان من استعادتها ولتفرض معاهدة ايرانية عمانية في شعبان ١٢٧٢هـ/نيســان (أبريل) ١٨٥٦م ، تخلى السلطان بموجبها عن ممتلكاته الايرانية . ومالبث سعيد أن

توفي حزينا بعد نصف عام · وخلفه ابناه ثويني حاكما لمسقط وماجد حاكما لزنجبار حسب وصيته (٦٢) والذي سبق الاشارة اليه قبل قليل بسبب موقفه من القنصل الفرنسي ·

ولم يحاول الانجليز شد أزر السيد ماجد ومساندته في موقفه مع القنصل الفرنسي ، بل لم يلبثوا أن راحوا يلوحون بأن تجارة الرقيق قد ازدهرت في الخليج العربي ، وحملوا السلطان مسئولية ذلك ، بزعم أنه لم يتخذ اجراءات صارمة لمنع تجار الرقيق العمانيين من تصدير العبيد من الساحل الافريقي الخاضع لنفوذه · وحاولت وزارة الخارجية البريطانية الضغط عليه لابرام معاهدة جديدة تحل محل معاهدة عام ١٢٦١/١٨٤٥ ، وتقضي بتحريم تجارة الرقيق تحريما تاما · ولكن السلطان رفض أن يعقد مثل هذه المعاهدة حتى لا يعرض سلطنته للخراب ، وقبل بدلا منها في يناير عام ١٨٦٤م/١٢٨٠هـ قيودا جديدة على تجارة الرقيق ، حرم بمقتضاها نقـل الرقيق بين موانيء وجزر سلطنته خلال فترة معينة ، وكذلك منع أهالي أفريقية الشرقية من بيع الرقيق الى عرب عمان وفرض العقوبات على من يخالف ذلك منهم · وقد نفذ السيد ماجد تلك القيود بكل شدة وصرامة ، ولم يكتف بفرض الغرامات على المخلين بها من رعاياه فحسب ، بل أغمض عينيه كذلك عما كان يقوم به الاسطول البريطاني من مصادرة المراكب العربية التي تحمل الرقيق ، واتلافها في عرض البحر والعودة بملاحيها الى زنجبار لتقديمهم الى المحاكمة التي كانت تتولاها السلطات القنصلية البريطـــانية ، بالاضافة الى ارسال العبيـد « المحررين » الى المستعمرات البريطانية للعمل في مزارعها كعمال (٦٣) ·

وعلى الرغم من ذلك كله ، لم يقنع الانجليز بهذه السلطات الواسعة وتطلعوا للحصول على المزيد منها ، متذرعين بأن سياسة الحد أو التضييق من نطاق تجارة الرقيق ، لم تسمح بتصدير الرقيق من الساحل الافريقي الشرقي فحسب ، بل اعترفت كذلك بشرعية نظام الرق والنخاسة · وشكلت حكومة بريطانيا لجنة برلمانية مختارة لبحث واستقصاء مسألة تجارة الرقيق وبعد مباحثات مستفيضة بين اللجنة وسلطان زنجبار عقدت معاعدة ١٢٩٠هـ ١٨٧٣م التي توقف تجارة الرقيق تماما في جميع أملاكه وذلك بعد انذار بريطاني وتهديد لسلطان زنجبار بتوقيع المعاهدة · ونفـــذ حاكم زنجبار شروط المعاهدة باخلاص ، ومع ذلك استمرت تجارة الرقيق وتحولت طريق تجارة الرقيق من البحر الى داخل القارة ، وهدد سلطان زنجبار المخالفين بالعقوبات (٦٤) ·

وعلى هذا النحو أصبحت تجارة الرقيق محرمة في زنجبار وأملاكهـا الافريقية ، ولكن نظام الرق نفسه ظل مشروعا ولم يحرم نهائيا في زنجبار

الا في ابريل ١٨٩٧م/١٣١٥هـ ، أي بعد سبعة أعوام من اعــلان الحماية البريطانية على زنجبار ، وجاء تحريمه بعد مفاوضات شاقة (٦٥) ٠

وهكذا تكون بريطانيا قد حققت أهدافها وأخضعت سلطنة زنجبـــار لنفوذها متذرعة بمحاربة تجارة الرقيق باسم الانسانية المعذبة ، وفي الوقت نفسه أخذت تعمل على تقسيم سلطنة عمان بقسميها الآسيوي والافريقي حتى تتمكن من بسط نفوذها على زنجبار أيضا كما أشرنا ، فنجحت في تقســيم السلطنة بين عمان وزنجبار ووضع الأخيرة تحت حمايتها ٠ كما أخذت تعمل للسيطرة على افريقيا الشرقية عن طريق رحلات المكتشفين والمبشرين ٠

بريطانيا وتقسيم السلطنة العمانية :

ظلت الممتلكات الافريقية والآسيوية لعمان تحكم كسلطنة واحدة من جانب السيد سعيد حتى وفاته في أكتوبر عام ١٨٥٦م/١٢٧٢هـ (٦٦) ونشأ منذئذ نزاع أسري على حكم هذه الممتلكات بين ابني السيد سعيد : ثويني وماجد ٠ وكان السيد سعيد قد أرسل عام ١٢٦١هـ/١٨٤٤م الى لورد أبردين Aberdeen وزير الخارجية البريطانية وصيته بشأن وراثة حكم السلطنة العربية بعد وفاته ، وأوصى بأن يعين ابنه خالدا على ممتلكاته الافريقيــة وابنه ثويني على ممتلكاته الآسيوية في عمان والخليج العربي ٠ ولكن خالدا توفى في حياة أبيه عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م ، فعين السيد سعيد ابنه ماجــدا حاكما على القسم الافريقي من السلطنة وبتأثير هامرتون وجهوده تمت مبايعة السيد ماجد حاكما على زنجبار ، وهكذا أعطيت زنجبار وماليها من سواحل افريقيا وسقطري الى السيد ماجد بينما ترك للسيد ثويني ، في الوقت الذي عمل فيه تركي وهو ابن ثالث للسيد سعيد على الاســتقلال بالقسم الشمالي في ولاية صحار (٦٧) ٠

نازع ثويني أخاه ماجد في حكم القسم الافريقي الذي كانت موارده تبلغ ضعف موارد القسم الآسيوي من السلطنة ، وطالب بتوحيد الســلطنة بشقيها الآسيوي والافريقي تحت حكمه ، وأيد ثويني أخاه برغش الذي حاول أن يثير قبيلة الحارث في زنجبار ضد ماجد وفشلت محاولاته بسبب تهديد بريطانيا لقبيلة الحارث المناوئة لماجد (٦٨) ٠

ورأى ماجد أن يدرأ ادعاءات أخيه بدفع مبلغ سنوي من المـــــال (٤٠٠٠٠ ريال) ، غير أن ثويني اتخذ من ذلك دليلا على التبعية ، لهذا بادر حاكم زنجبار بقطع الاعانة ، ودفع ذلك ثويني لاستخدام القوة بالرغم من علمه بالمعارضة البريطانية ، وفي أكتوبر سنة ١٨٥٩م/١٢٧٥هـ جرد

ثويني حملة للاستيلاء على زنجبار ، وعند رأس الحد عند مدخل خليج عمان ، اعترض سبيل الحملة أسطول بريطاني أتى على وجه السرعة من الهند ، وكان ظهور الاسطول كافيا لكي يعود ثويني أدراجه بل وليقبل التحكيم البريطاني الذي عهد الى اللورد كاننج حاكم الهند العام الذي سبق أن أبدى رأيه في هذه القضية ونادى صراحة بالتقسيم · وقد قبل ثويني ذلك بعد فشل محاولاته في الحصول على تأييد فرنسا ومساعدتها له وعدم اعتراضها على تدخل انجلترا (٦٩) ·

وهكذا استطاعت بريطانيا أن تخلص ماجد من الأخطار التي كانت تتهدده ، وكان من الممكن أن يزول حكمه لولا ما لقيه من تأييدها ، كما أن الحكومة البريطانية حاولت أن تحل النزاع بينهما بصورة يقبلها الطرفان أو يرغمان على قبولها (٧٠) ·

كان هدف بريطانيا هو تقسيم امبراطورية البوسعيد وذلك تمهيدا لسيطرتها على اقليمي الدولة ، وخاصة شرق أفريقيا ، فتأييدها لماجد سيدعم من نفوذها في منطقته ، وبذلك تستطيع أن تتحكم في كل من سلطان مسقط باعتبار أن ممتلكاته واقعة في مناطق نفوذها في الخليج العربي ، وسلطان زنجبار لما لها من فضل أدبي عليه في الاحتفاظ له بملكه من أطماع المنافسين له · وهنالك اعتبار آخر دفع بريطانيا الى الفصل بين الاقليمين وهو أنها كانت تدرك أنها لو لم تفعل ذلك ، فلن يهدأ النزاع بين مسقط وزنجبار ، وهذا يؤدي الى اضرار بمصالحها في الطريق الموصل لامبراطوريتها في الهند · وكان من سياستها الحرص التام على استتباب السلام في المناطق الحيوية بالنسبة لمواصلاتها الامبراطورية (٧١) ·

وتأسيسا على ما تقدم ، فقد بدأت الحكومة البريطانية بايفاد بعثة الى كل من مسقط وزنجبار هدفها في الظاهر التحقيق في أسباب النزاع القائم بين البلدين ، فطافت اللجنة بكل من مسقط وزنجبار وتعرفت على مطالب كل من ثويني وماجد ، وكان من نتيجة أعمال ودراسات اللجنة أن وضعت تحكيما سمي بتحكيم كاننج نسبة الى اللورد كاننج الحاكم العام للهند والذي استأنس برأي أعضاء اللجنة وهم البريجادير كوجلان المقيم السياسي في عدن ، والدكتور بادجر · وتنص شروط التحكيم (١٢٧٧هـ/١٨٦١) على ما يلي :

أولا ــ يعين السيد ماجد حاكما على زنجبار والممتلكات الافريقية خلفا للسيد سعيد ·

ثانيا ــ يدفع حاكم زنجبار سنويا الى حاكم مسقط ٤٠٫٠٠٠ ريال ·

ثالثا ــ يدفع السيد ماجد للسيد ثويني مبلغ ٨٠٠٠٠ ريال وهو المتأخر عن سنوات سابقة ٠

رابعا ــ لا ينبغي لحكام مسقط وقبائل عمان التدخل في زنجبار ، وقد أوضح المستر كاننج بأن المبلغ الذي يدفعه حاكم زنجبار الى حاكم مسقط ، لا يعني أي تبعية عن جانب زنجبار لمسقط ، وانما قصد به تحقيق المساواة بين الميراثين ، حيث اعتبرت أراضي زنجبار أكثر غنى عن أراضي مسقط ، فضلا عن أن حكومة مسقط كانت ملزمة بأن تدفع سنويا مبلغ عشرين ألف ريال للسعوديين طبقا لما حددته اتفاقية عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٣م (٧٢) ٠

وعلى العموم ، فقد وافق كل من ثويني وماجد على التحكيم ٠ في حين أن فرنسا كانت غير راضية تمام الرضا عن هذا التحكيم خشية تأثر مستعمراتها الافريقية من نفوذ بريطانيا ، لذا فقد بادرت فرنسا من جانبها بالاتصال ببريطانيا ، وطلبت من بريطانيا اصدار تصريح مشترك تتعهد فيه الدولتان باحترام استقلال وسيادة زنجبار ، ورحبت حكومة بريطانيا بذلك ، ووافقت على أن يشمل التعهد سلطنتي مسقط وزنجبار معا ٠ وفي ١٠ مارس ١٨٦٢م/١٢٧٨هـ صدر التصريح المشترك من جانب الحكومتين اللتين أيدتا استقلال عمان وزنجبار واحترام استقلالهما (٧٣) ٠

ومن المؤكد أن هذا التصريح المشترك كان هو الحائل الرئيسي دون ضم مسقط الى الامبراطورية البريطانية أو فرض حماية بريطانيا عليها ٠ وان كان ذلك التصريح في نفس الوقت لم يمنع الحكومة البريطانية من أن تفرض سيطرتها على كل من السلطنتين معا ٠ الا أن بريطانيا اتخذت من سياسة محاربة تجارة الرقيق مدخلا ووسيلة لبسط نفوذها في افريقية الشرقية كلها (٧٤) ٠

والجدير بالذكر أن القسم الافريقي من سلطنة عمان هو الذي اجتذب الدول الكبرى الى عقد معاهدات الصداقة والتجارة مع السيد سعيد ، فقد عقدت الولايات المتحدة معاهدة تجارية في عام ١٢٣٦هـ/١٨٣٣م واقتصر اهتمامها آنذاك على التجارة وعلى القسم الافريقي من السلطنة ٠ وأنشأت قنصلية لها في زنجبار ١٢٤٠هـ/١٨٣٧م ٠ وقامت بريطانيا بعقد معاهدة تجارية ١٢٤٢هـ/١٨٣٩م ٠ وتتعلق معظم نصوصها بتنظيم التجارة والملاحة كتحديد الرسوم الجمركية والتزامات الموانىء العربية بتقديم المساعدات الى السفن البريطانية التي تمر بها ٠ وأهم موادها ادخال نظام الامتيازات القضائية الذي يتولى بموجبه القنصل البريطاني الفصل في

المنازعات التي تحدث بين الطرفين ٠ وطالب السيد سعيد بضم جزر البحرين وقدم طلبا الى الحكومة البريطانية مرتين عام ١٢٤٢هـ/١٨٣٩م ، وعـــام ١٢٤٥هـ/١٨٤٢م كتعويض على تحديد ومنع تجارة الرقيق ٠ ولكن بريطانيا رفضت الطلب ٠ وأخيرا عقدت فرنسا معاهدة تجارية عام ١٢٤٧هـ/١٨٤٤م تمنحها نفس الامتيازات التجارية والقضائية الممنوحة لبريطانيا ٠ وكان قصد فرنسا هو أن تستفيد من التجارة مع القسم الافريقي من السلطنة ٠ ونتيجة لهذه المعاهدات أنشأت تلك الدول قنصليات لها في زنجبار فافتتحت بريطانيا قنصلية في عام ١٢٤٤هـ/١٨٤١م وتلتها فرنسا في عام ١٢٤٧/١٨٤٤ (٧٥) ٠
ومع ذلك فان علاقة بريطانيا بعمان قد ازدادت توثقا حتى يومنا هذا ٠

الهـــوامش

1. Wilson, A.T : The Persian Gulf, PP. 265 - 285 London 1919.

٢ ـ زاهية قدورة (الدكتورة) : تاريخ العرب الحديث ، ص ٧٠ بيروت ١٩٧٥ ٠

٣ ـ عبد الكريم غرايبة (الدكتور) : مقدمة تاريخ العرب الحـــديث ص ٢٦١ دمشق ١٩٦٠ ٠

٤ ـ أحمد قاسم البوريني : الامارات السبع على الساحل الأخضر ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ بيروت ١٩٥٧ ، عمان الامامية ، منشورات مكتب امامة عمـــان في القاهرة ص ٣ ـ ١٣ القاهرة ١٩٥٧ ٠

4. Miles, S.B : The Countries and the tribes of the Persian Gulf, PP. 140 - 152. London 1919.

6. Wilson, A.T : Op. cit., PP. 117 - 128.

٧ ـ السيد رجب حراز (الدكتور) : افريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٥٢ القاهرة ١٩٦٨ ٠

8. Miles, S.B : Op. cit., PP. 175 - 188, Wilson, A.T : Op. cit., PP. 128 - 152.

٩ ـ السيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٥٣ ٠

١٠ ـ محمد أنيس والسيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ص ١٠٠ ـ ١٠١ القاهرة ١٩٦٧ ٠

١١ ـ نفس المرجع ٠

١٢ ـ صلاح العقاد : الاستعمار في الخليج الفارسي ، ص ٢١ ٠ القاهرة ١٩٥٦ ٠

١٣ ـ ابراهيم الشريقي : أضواء على الخليج العربي ، ص ٢٠ ٠ جدة ١٩٦٨ ٠

١٤ ـ سيد نوفل (الدكتور) : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة ص ٦٢ ، ٦٣ القاهرة ١٩٧٢ ، خالد العربي : الخليج العربي في ماضيه وحاضره ص ٣٦ ـ ٣٧ بغداد ١٩٧٢ .

١٥ ـ سيد رجب حراز (الدكتور) : المصدر السابق ص ٥٤ وانظر كذلك :

16. Coupland, R : The Explotation of East Africa, 1856 - 1890, P. 7 London 1930.

١٦ ـ زاهية قدورة (الدكتورة) : المصدر السابق ص ٧١

17. Miles, S.B : Op. Cit., P. 265 - 285.

18. Wilson, A.T : Op. Cit., PP. 233 - 234.

١٩ ـ سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٥٤ .

20. Aitchison, C.U. : A Collection of Treaties, Engagements and Sanads relating to India and Neighbouring Countries. Vol. 12, PP. 207 - 208 Miles, S.B : Op. 291.

21. Wilson, A.T : Op. Cit., P. 232.

22. Kelly, J.B : Britain and the Persian Gulf. P. 107.

٢٣ ـ سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٥٦ .

24. Hollingworth, L.W : Zanzibar under the Foreign Office, P. 4.

٢٥ ـ سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٥٧ .

26. Wilson, A : The Persian Gulf : PP. 201 - 206.

٢٧ ـ عثمان بن بشر : عنـــوان المجد في تاريخ نجـــد جـ١ ص ١٨٧ ـ ٢١٨ الرياض ١٣٩٧هـ .

28. Wilson, A : Op. Cit., P. 216.

صلاح العقاد (الدكتور) : الاستعمار في الخليج الفارسي ص ١٣٦ ـ ١٤٣ .

٢٨ ـ سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٥٧ . وانظر :

٢٩ ـ صلاح العقاد : الاستعمار في الخليج الفارسي ص ٦٧ ، جمال زكريا قاسم (الدكتور) : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقية ص ٢٤٤ القاهرة ١٩٦٨ .

٣١ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٢٤٤ وانظر كذلك .

31. Kelly, J.B : Britain and the Persian Gulf, P. 574 London Colomb, R.N : Slave Catching in the Indian Ocean. PP. 373 - 374 Bombay Gor. No. 24 Op. Cit., P. 643.

32. Colomb, R.Nn Op. Cit., PP. 390 - 391.

33. Kelly, J.B : Op. Cit., P. 574.

٣٢ ـ جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٢٤٥

٣٤ ـ هدى سمور : الوضع الســـياسي في ساحل الصــــلح البحري ص ١٤٦ الكويت ١٩٧٤ .

٣٥ ـ جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد ... ص ٣٤٦ .

٣٦ ـ السيد رجب حراز (الدكتور) : المصدر السابق ص ٥٨ .

37. Gray, Sir J.M : The British in Mombasa, PP. 23 - 24 London 1957.

٣٨ ـ رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبي ص ٥٩ ـ ٦٠ .

39. Bombay Government : Selectons from the Records of the Bombay Gov. vol. 24 PP. 636 - 637.

40. Lyne, R.N : Zanzibar in Contemporary Times, P. 39.

41. Bombay Selections, vol. 24. Op. Cit., PP. 636 - 637.

42. Ibid PP. 685 - 687.

Bombay Gov. vol. 24. Op. Cit., P. 313.

٤٣ ـ قامت حملة بحرية بريطانية عمانية مشتركة بقيادة الجنرال وليم جرانت كير قد نجحت في تدمير أهم مراكز القراصنة القواسم في رأس الخيمة في ٩ ديسمبر عام ١٢٢٢هـ/١٨١٩م . انظر :

44. Gray, Sir J.M : Op. Cit., PP. 25 - 26.

45. Bombay Gov. vol. 24 P. 639.

٤٦ ـ لم يقر الاسلام الرق بصورة مطلقة وانما اقرها في صورة تؤدي هي نفسها الى القضاء عليه بالتدريج . فقد عنى الاسلام بالأرقاء عناية كبيرة ، ونظم شئونهم واخذ بايديهم في طريق الحرية ، ورغب الناس في عتقهم ، فجعل العتق كفارة لبعض الخطايا . كما جعل الاسلام من مصارف الزكاة عتق الرقاب . ويقول بعض الكتاب ان الشرع لا يبيح أن يسترق مسلم أصلا ، ثم انه لا يبيح بعد ذلك الا استرقاق أسرى حرب شرعية قامت لاعلاء كلمة الله تعالى ، اما استرقاق غير المحاربين حتى لو كانوا وثنيين فهو غير جائز على الاطلاق كما اكده مالك والشافعي وابن حنبل .

انظر عبد العزيز جاويش : الاسلام دين الفطرة ص ٥٩ ـ ٦٠ ، علي عبد الواحد وافي (الدكتور) : الحرية في الاسلام ص ٢٠ ـ ٥٦ .. نقلا عن سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ٦٣ .

47. Wilson, A.T : Op. Cit., P. 216, Bombay Gov. vol. 24 Op. Cit., P. 639.

48. Bombay Gov. vol. 24. Op. Cit., P. 639.

49. Coupland, R : East Africa and its invaders P. 215.

٥٠ ـ سيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبي ص ٦٥ ـ ٦٦ .

٥١ ـ المرجع نفسه ص ٦٦ .

52. Bombay Gov. vol. 24. Op. Cit., PP. 640 - 641, Coupland, R : PP. 260 - 276.

Miles, S.B : Op. Cit., P. 336, Wilson, A.T : Op. Cit., PP. 216 - 233.

53. Kelly, J.B : Op. Cit., PP. 575 - 6, Coupland, R, East Africa and its invaders, P. 502.

54. Lyne, R.N : Zanzibar in Contemporary Times, PP. 38 - 9.

٥٥ ـ السيد رجب حراز : افريقية الشرقية والاستعمار الاوروبي ص ١٢٨ ٠

56. Bombay Gov. vol. 24 Op. Cit., PP. 645 - 8, Kelly, J.B : Op. Cit., PP. 576 - 9.

57. Bombay Gov. Op. Cit., PP. 644 - 8.

58. Woolfe, L : Empire and Commerce in Africa, P. 232.

59. Bombay Gov. vol. 24, Op. Cit., P. 654.

60. Kelly, J.B : Op. Cit., PP. 599 - 600.

61. Lyne, R. N. Op. Cit., P. 64. Woolfe, L : Op. Cit., P. 238.

62. Wilson, A.T : Op. Cit., P. 233 - 4.

Miles, S.B : Op. Cit., PP. 309 - 353.

٦٣ ـ سيد رجب حراز : المصدر السابق ص ١٣٠ ٠

64. Coupland, R : The Exploitation of East Africa, PP. 212 - 3.

65. Coupland, R : British Anti - Slavery Movenent PP. 216 - 8.

66. Coupland, R : The Exploitation of East Africa P. 26.

٦٦ ـ توفى السيد سعيد في البحر أثناء عودته الى زنجبار بعد حروبه في فارس وتفقده شئون مملكته في عمان ٠

أنظر السالمي (الامام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي) : تحفة الأعيان بسيرة آل عمان جـ٢ ص ٢١٦ القاهرة ١٩٦١ ٠

69. Coupland, R : Op. Cit., P. 20.

٦٨ ـ السيد رجب حراز : افريقيا الشرقية والاستعمار الاوروبي ص ١١٥ ـ ١١٦ ٠

٦٩ ـ صلاح العقـاد (الدكتور) : التيارات السـياسية في الخليج العربي ص ١٤٠ ـ ١٤١ القاهرة وجمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٢٦٢ ٠

70. Lyne, R.N : Op. Cit., P. 37.

٧١ ـ جمال زكريا قاسم : دولة بوسعيد في عمان وشرق افريقيا ص ٢٦٥ ، أنظر كذلك صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار : الفصل السابع القاهرة ١٩٦٠ ٠

72. Aitchison, C.U : vol. 12, P. 225.

٧٣ ـ السيد رجب حراز : افريقيا الشرقية والاستعمار الاوروبي ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ٠

جمال زكريا قاسم : المصدر السابق ص ٢٦٨ ٠

٧٥ ـ صلاح العقاد : التيارات السياسية في العالم العربي ص ١٣٨ ـ ١٤٠ ٠

شفاء النفس بالنفس

د. يوسف الحميدان

صدقني أيها القارىء الكريم عندما أقول كلمة ··· كلمة معبرة ومؤثرة ··· ذات معنى ومغزى ·

لقد صدرت هذه الكلمة من انسان شريف في العصر الجديد ·· فكانت صورة (طبق الأصل) للانسان الشريف في العصور القديمة ·

ولقد أرشدني ذلك المصدر الشريف الى فكرة اجتماعية ··· ونظرية شبه علمية بدأت من نفس الى نفس ··· ثم تحولت الى فكرة (علمية اجتماعية) ·· كان يتحكم بها التاريخ القديم أيما تحكم ·· ربما لأنها كانت مربوطة بوثاق متين الى رجالات العلم المستشرقين ·· وربما لأن العقل البشري قد تحرر من القيود القاسية فأصبح قادرا على القول والتعبير ·

قرأت فيما قرأت من روايات ·· رواية موجزة ذات مغزى ·· مغزى عصريا حديث الشأن ·· كان عونا لي على تتبع (حقائق خالدة) ·· وكان صاحبها (مؤسس هذه الجزيرة العصرية) ·· عبد العزيز آل سعود رحمه الله ·

١ ـ أصابته رصاصة في جسمه وهو يخوض معركة ·

٢ ـ جاءه الطبيب مسرعا بأدوات العلاج والشفاء ·· زجاجة من مخدرات الطب ·· ومشرط جراحي حاد ·

٣ ـ سأله عبد العزيز رحمه الله ·· (وماذا بيمينك يا طبيب ؟!) ·

٤ ـ قال هي الات العلاج والشفاء انشاء الله ·

٥ ـ فضحك عبد العزيز وهو يقول (أبعد الأولى) وهات الثانية ·

٦ ـ فسلمه المشرط الجراحي الحاد وهو مذهول !! ·

٧ ـ الجلد أمامه يتقطع ··· والدماء أمامه تنزف ·· والرصاصة بثقة عالية تستخرج ·· وكأن الأمور طبيعيـــة لا تعني الطب والأطباء لا من بعيد ولا من قريب ·· بلا تحضير ولا استعداد ·· بلا همسات ولا تشنجات ··· وبلا ألم ولا آهـــات ··· اللهم الا من الطبيب المذهول ·

يا لله !! ·· كيف يتم هذا المنظر ولا جرأة على الاعتراض ؟! ··· أنها عزائم الرجال يا من يسأل عن الرجال ·· أنها جهل الأطباء والعلماء بكل عادات الأجداد وأخلاق الأقدمين ·· ترى ما هي العزيمة ؟! أهي الصبر على المكاره والآلام ·· أم أنها سر من أسرار العلم القديم والحديث ؟! ·

أنا لا أعرف ما هي العزيمة ·· ولكنني أعرف آثارها ··· تقول عنها مصادر اللغة العربية (أنها الصبر) في لغة هذيل ··· ويقول عنها القرآن الكريم (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) ·· فاذا ماحاولنا تبديل هذه التعبيرات اللغوية الواسعة ·· الى تعبيرات (علمية حديثة) · اترانا ننجح في مهمتنا ؟! ·· أجل سننجح ولكن بعد أن نعرف شـــيئا من أمور التشريح (وفسيولوجية) الأعضاء ·

أولها : مايفرز من (الغدد الصماء) الحية من مواد منشطة وتفاعلات كيماوية ·· يتبعها بعدئذ (أثر فعال) على تكوين أنسجة الجسم وخـــلاياه الحيـــة ·

ثانيها : (رود الفعل) المتعددة لتلك الأنسجة والخلايا ··· تراها كيف تكون ؟! ·· كيف تكون في حالات (هدوء النفس) وكيف تكون في حالات كربهـــا ؟! ·

ثالثها : وأن أنواع (السلوك) الفردية الظاهرة ·· فلقد عرفنا أنها كثيرا ما تطغى على تصرفات الانسان الخارجية ··· وتظهر على عدة أشكال وصور ··· تبعا (للتكوين النفسي) الداخلي ··· ومدى استعداد تلك النفس للرفض أو القبول ·

اذن فلماذا يتجنى على أبناء الصـــحراء من كانت بأيديهم أزمة العلم ونواصي التاريخ ؟! ·· أليس من حقنا (مثلهم) أن نحلل أوضاع المجتمعات القديمة تحليلا يتفق ومنطق العصر الجديد ؟! ·· أليس من حقنا أن ننشد الحق والعدل وعدم تشويه الحقائق ؟! ·· فالخطأ في عرف الجميع ما هـو

الا خطأ عابر ··· أما في عرف العالم والباحث فهو خطأ يحتاج الى تعـديل أو تصحيح ··· واذا كنا على (مر السنين والأيام) قد توارثنا تلك الأخطاء (بقلب سليم) أفلا يعني هذا أننا لازلنا (نسير مع الغفـــلة) الى آخر الزمان ؟! · ولقد كان ابن الصحراء ينظر الى كل أمور الحياة (نظرة واقعية طبيعية مستمدة من الحرية الفطرية ··· لا تكلف فيها ولا اصطناع ··· وكان يمارسها طائعا بلا ضغط ولا اكراه ·· وأكثر من هـــذا ··· كان تكوينه النفساني والجسماني يتعامل مع (المحيط) وفطرة البيئة الموروثة (معاملة واقعية بحتة) ·· لا تحريف فيها ولا نفاق ·· أفليس عجيبـــا اذا ما وجدناه يحتقر الدنايا والصغائر ؟! واذا كان هذا هو العجيب (في عرفنا) ·· أفليس عجيبا أن نراه يضع (الآفات والآلام) موضع السفاسف ومحتقرات الأمور ؟! ·· أجل ·· ولقد كانت تلك جبلتهم ·· وكانت تلك وراثتهم ·· وكانت تلك صبغتهم ·· فهل لنـا القـدرة على التعـديل أو التحريف ؟! ·· واذا كنا عن هذا عاجزين ·· فهل يقدر العلم على استبدال الصياغة من جديد ؟! ·

لقد علمنا من كل ما فات ·· وعلم غيرنا على اليقين ·· بأن حياة شبه الجزيرة العربية ما هي الا حضارات متتابعة وتاريخ مجيد قائم بذاته ·· له مميزاته الحيوية من فنون الأدب الواقعي المتشعب ·· وله مميزاته الحيوية من فنون العقل والفكر والادراك والتمييز ·· الذي أصبح يقينا لدينا ·· أن عصر التقليد (غير المميز) ما هو الا من صفات الشعوب التي تفتقر الى الحضارات والأمجاد ·· فماذا دهانا ونحن نجاريهم ونسلك معهم مثـــل هذا السلوك ؟! ·· ان سلالات العصر الحاضر (أمر غير مشكوك فيه) ·· وهو من المؤكد امتداد حي وحيوي لتلك الأمجاد والحضارات ·· اذن فلماذا نتخذ من صور (الغارفين خطفا) مواقف الانزواء والانطواء ؟! ·

١ ـ فماذا أخذه الباحثون والمنقبون عنا من هوامش خاطفة ··· قد تحولت (بمرور الوقت) الى عوائق وقيود ·

٢ ـ وما أخذناه (نحن) من تلك الهوامش المخطوفة ·· اعتبرناها (بمرور الوقت) ثروة ضخمة لا تحتاج الى نقد أو تحليل ·

٣ ـ أدى بنا الحال بعد ذلك ·· الى اختفاء الناقد الوطني أو ندرته ··· وهذا هو العجز بعينه ·

فلقد تبين من أبحاث العصر الحديث ··· وتبين جـــديا بأن الآفات والأمراض في المجتمعات البشرية ··· ليست علامة من عـــلامات الحضارة

والمدنية حتى تستحق المقـــارنة والمعاناة ٠٠ وتبين أيضـــا ٠٠٠ بأن كل الابتكارات المضادة (من عقاقير وعلاج ووسائل شفاء) ليست هي الأخرى مقاييس أو معايير للتقدم والتطور البشري ٠٠ اذن فعـــلام تلك التهم والتجريحات ؟! ٠

يقول الأستاذ (رينولد نيكلسون) عن أحوال العرب في شبه جزيرتهم (فاذا شئنا أن نكتب التاريخ الواقعي لهم ٠٠٠ وجـــدنا ذلك أقرب الى المستحيل ٠٠٠ فليس لدينا من المصادر سوى القصائد والروايات والأساطير ٠٠٠ وكانت محفوظة في الصدور) ٠

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بغاة الغلا من أين كيف تؤتى المكارم

أفبعد هذا نتعالى على القديم ونمجد الجديد ؟! ٠٠٠ ان (آلام الحس) في عصرنا الجديد ٠٠٠ قد أصبحت هي الداء العياء لأجسام الأمم والشعوب ٠٠٠ وكان (قهر الرجال) في الماضي هو (آفة الآفات) للعقول والنفوس والأجسام ٠٠٠ ترى هل من مقارنة عادلة نقولها ؟! ٠

بنـــا يســـتعطف الأمر المولى

ويحسم داء ذي الداء العضال

ونخطم أنف كل جعا ضري

شموخ الأنف ينظر من معالي

أجل لقد جعلوا من أنفسهم شفاء للنفوس العليلة ٠٠٠ وجعلوا منها عزائم للنفوس القوية والأبدان الهزيلة ٠٠٠ لا يسألون هذا ٠٠٠ ولا يتكلمون على ذاك ٠٠٠ وما شخصية عبد العزيز آل سعود رحمه الله ٠٠٠ الا امتداد لتلك الشخصية العربية المميزة ٠

تحسر الديبـــاج عن أذرعهم عند ذي تاج اذا قال فعـــل

في قروم ســـادة من قـــومه نظـــر الدهـــر اليهم فابتهـــل

د٠ يوسف الحميدان
وزارة الصحة

الكاشي

د. علي عبدالله الدفاع

هو غياث الدين جمشيد بن مسعود المعروف بالكاشي ، ولد في أواخر القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي) في مدينة كاشان وتوفي عام ٨٣٩ هجرية (١٤٣٦ ميـــلادية) • عرف بكثرة التنقل لطلب العلم ، لذا فقد درس العلوم في أماكن مختلفة في ايران • اشـــتهر بكثرة قراءته للقرآن الكريم ، فكان يقرؤه مرة كل يوم ، وظهر ذلك في أسلوبه السهل الرزين في الكتابة • درس النحو والصرف والفقه على المذاهب الأربعة فأجادها حتى أصبح حجة في الفقه • له سمعة مرموقة في علم المنطق والمعاني والبيان • اســـتفاد من معرفته للمنطق بأن درس وكتب في حقل الرياضيات فأدهش الكثير من علماء الرياضيات في العالم لقدرته القوية على حسن التعبير ـ امتدحه الزركلي في موسوعته الأعلام فذكر لنا أن الكاشي حكيم ورياضي وفلـــكي له مؤلفات كثيرة في هذه الحقول ، ولكن اهتمام الكاشي بعلم الفلك جعله ينتقل الى سمرقند* المشهورة بعلمائها ومراصدها المتناهية في الدقة ، لذا فقد قضى مدة طويلة يعمل هناك في مرصد سمرقند • ويقول عمر فروخ في كتـابه تاريخ الفـــكر العربي الى أيام ابن خـــلدون : « غياث الدين جمشيد بن مسعود المعروف بالكاشي انتقل الى سمرقند وعمل مع علاء الدين بن أولوغ بك بن شاه رخ أمير بلاد ما وراء النهر النهر (٨٥٠ ـ ٨٥٣ هجرية) في مرصد سمرقند » • واضاف صالح زكي في آثار باقية : أن الكاشي له فضل كبير في اثارة الرغبة المرموقة في أولوغ بك ليتحمس للرياضيات والفلك •

كان والد الكاشي من أكبر علماء الرياضيات والفلك وبهذا ترعرع ابنه في بيئة علمية أصيلة . وقال الكاشي في مقدمة كتابه نزهة الحدائق : « سألني بعض الاخوان هل يمكن عمل آلة منها تقاويم الكواكب وعروضها أو لا ، فابتكرت فيه حتى وفقني الله تعالى والهمني به ، وظفرت عليه أن أرسم صفحة واحدة من صــفيحة يعرف منها تقاويم الكواكب الســبعة وعروضها وأبعادها عن الأرض ، وعمل الخسوف والكسوف بأسهل وأقرب زمان ، ثم استنبطت منها أنواعا مختلفة يعرف من كل واحد منها ما يعرف من الآخر ، والفت هذه الرسالة مشتملة على كيفية عملها ، وكيفية العمل بها . وسميت الآلة بطبق المناطق والرسالة بنزهة الحدائق ، ألحقت بها عمل الآلة المسماة بلوح الاتصالات ، وهي أيضا مما اخترعت عملها قبل هذه ، وبالله العصمة والتوفيق وهي مشتملة على بابين وخاتمة » . ومن المؤسف حقا أن علماء الغرب يدعون أن يوحنا كبلر* الرياضي الفلــكي هو الذي اثبت مسارات الكواكب اهليليجية وليست دائرة ، ونسوا أن الكاشي اثبت ذلك في كتابه نزهة الحدائق وأعطى شرحا مفصلا لكيفية رسم اهليلجي القمر وعطارد قبله بأكثر من مائة عام . والجـــدير بالذكر أن الزرقالي ** الأندلسي كان قد ذهب عام ١٠٨٠ ميلادية الى أن الكواكب قد تتحرك في مدارات اهليليجية ، الا أن رأيه لم يلق الاهتمام الذي يستحقه .

وقد عاش الكاشي معظم سنوات حياته في سمرقند وهناك بنى مرصدا امتاز بدقة أرصاده ، سماه « مرصد سمرقند » . فكان علماء الفلك يأتون اليه من كل فج لانتهال العلم ونقله الى بلادهم . أولى الكاشي اهتماما خاصا بمؤلفات نصير الدين الطوسي لما فيها من الحكمة وغزارة الأبحاث الرياضية . وشرح الكثير من انتاج علماء الفلك الذين اشتغلوا مع نصير الدين الطوسي في مدينة مراغة بأواسط آسيا وأدت تحقيقاته لجداول النجوم التي كتبت في مدينة مراغة الى ظهور فجر جديد في علم الفلك سمح لعــــلماء عصره بامكانية النقد البناء . وقدر الكاشي بكل دقة الكسوفات التي حصلت في السنوات الثلاث بين عام ٨٠٩ و ٨١١ هجرية (١٤٠٧ و ١٤٠٩ ميلادية) . ودرس مدارات القمر وعطارد حتى وصل الى نتيجة مرضية للغاية ، فكان أول من اكتشف أن مدارات القمر وعطارد اهليلجية (قطع ناقص أو شكل بيضي) ولقد ارتكب العالم الألماني المعروف يوهان كبلر (الذي عاش في الفترة ما بين ١٥٧١ ــ ١٦٣٠ ميلادية) خطأ فادحا بادعائه كذبا أنه أول من فكر بأن مدارات القمر وعطارد اهليلجية .

وسيصعب علينا جدا حصر انتاج الكاشي عملاق الرياضيات في القرن التاسع الهجري في أسطر قليلة ، ولكن سوف نحاول أن نعطي فكرة مختصرة

عن بعض ابتكاراته المشهورة · عاش ليونارد فيبوناشي العالم الايطالي في القرن الثالث عشر الميلادي . وكان معروفا عند معظم علمــاء الرياضيات بليوناردو بيســانو نسبة الى مسقط رأسه مدينة بيســانو التي كانت أكبر مدينة تجارية في ايطاليا في ذلك الوقت · وقد زار فيبـــوناشي الكثير من البلاد الاسلامية وتلقى علمه على يد علماء المسلمين في الأندلس ، وكتب في جميع فروع الرياضيات · كان معظم انتاجه منقولا عن علماء المسلمين وأهم دراساته كانت حول تقدير قيمة النسبة التقريبية فحصل على نسبة محيط الدائرة الى قطرها بما قدره ٣ر١٤١٨١٨ · ولكن الكاشي الذي أتى بعـــد فيبوناشي بحوالي قرن واحد توصل الى قيمة أدق بكثير تكاد تعادل النتيجة التي توصل اليها علماء القرن العشرين باستعمال الآلات الحاسبة · ويقول الاستاذ ديفيد يوجين سمث في كتابه تاريخ الرياضيات المجلد الثاني « أن الكاشي بحث في تعيين النسبة التقريبية فأوجد قيمة تلك النسبة الى درجة من التقريب تفوق من سبقه بكثير وقيمتها ٣ر١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ » ·

ولقد ابتكر الكاشي الكسور العشرية وكان لهذا الابتكار أثر كبير في تقدم الحساب وفي اختراع الآلات الحاسبة ، واعترف له بذلك علماء الشرق والغرب · واستخدم الكاشي الصفر لأول مرة لنفس الأغراض التي نستعمله فيها اليوم · ويذكر الأستاذ ديفيد يوجين سمث في كتابه تاريخ الرياضيات المجلد الثاني « أن الخلاف بين علماء الرياضيات كثير ولكن اتفق أكثرهم على أن الكاشي هو الذي ابتكر الكسر العشري » · وأضـــاف الدكتور ديرك سترويك في كتابه كتاب مصادر الرياضيات « أن غياث الدين الكاشي هو صاحب فكرة الكسر العشري ويظهر ذلك في كتابه مفتـــاح الحساب الذي يحتوي لأول مرة على الكثير من المسائل التي تستعمل الكسور العشرية » ·

وقد أولى الكثير من علمــاء المسلمين في الرياضيات عناية خاصــــة بدراسة الأعداد الطبيعية فوصلوا الى قوانين متعددة في مجمـــــوع الأعداد الطبيعية المرفوعة الى القوة الأولى والثانية والثالثــــة · زاد غياث الدين الكاشي على أساتذته بدراسة نظرية الأعداد فبرهن قانونا لمجموع الأعداد الطبيعية المرفوعة الى القوة الرابعة · ولقد ذكر هذا القانون الأستاذ ديفيد سمث في كتابه تاريخ الرياضيات المجلد الثـــــاني « أن مجموع $ن^{٤}$ = ((مجموع ب − ١) / ٥ + مجموع ب) مجمـــوع $ب^{٢}$ ويمكن توضيح فكرة

هذا القانون أكثر لو اخذنا بعين الاعتبار ما يلي : —

$$\text{مجموع ن}^{٤} = ١^{٤} + ٢^{٤} + ٣^{٤} + \cdots + \text{ن}^{٤}$$

$$\text{مجموع ب}^{٢} = ١^{٢} + ٢^{٢} + ٣^{٢} + \cdots + \text{ب}^{٢}$$

$$\text{مجموع ب} = ١ + ٢ + ٣ + \cdots + \text{ب}$$

واستطرد الدكتور ديفيد يوجين سمث قائلا « أن قانون مجمـــوع الأعداد الطبيعية المرفوعة الى القوة الرابعـــة لعب دورا جوهريا في تطور علم الأعداد » . وأضاف البارون كارا دي فو في فصل (الفلك والرياضيات) الذي كتبه في كتاب تراث الاسلام والذي اشـــترك في تأليفه جمهرة من المستشرقين تحت اشراف سير توماس رنولد قائلا : « أن الكاشي الطبيب والفلكي الذي استدعاه أولوغ بك حاكم سمرقند قدم لنا طريقـــة لجمع المتسلسة العددية المرفوعة الى القوة الرابعة وهي الطريقة التي لا يمكن الوصول اليها بقليل من النبوغ » .

كان الكاشي يستعمل في بداية الأمر الجداول الرياضية التي ورثها عن أساتذته علماء المسلمين لايجاد حدود المعادلة الجبرية ، ولكنه لم يلبث أن استخدم القاعدة العامة لنظرية ذات الحدين (التي ابتكرها العالم المسلم عمر الخيام) لأي أس صحيح مثل $(\text{س} + \text{ص})^{٤} = \text{س}^{٤} + ٤\,\text{س}^{٣}\,\text{ص}$

$$+ \frac{٤ \times ٣}{٢}\,\text{س}^{٢}\,\text{ص}^{٢} + \frac{٤ \times ٣ \times ٢}{٢ \times ٣}\,\text{س}\,\text{ص}^{٣} + \text{ص}^{٤}$$

ولهذا يعتبر الكاشي من الذين طوروا نظرية ذات الحدين التي لها أهمية كبيرة في تطوير علم الرياضيات بوجه عام . ومن المؤسف حقا أن يعتبر علماء الغرب العالم الانجليزي اســـحق نيوتن الذي عاش فيما بين (١٦٤٢ — ١٧٢٧ ميلادية) مبتكر (نظرية ذات الحدين) . وفي الحقيقة لم يزد نيوتن على تعميم نظرية ذات الحدين التي عممها الكاشي الى أي أس حقيقي (كسر أو عدد صحيح موجب أو سالب) مثل $(\text{س} + \text{ص})^{\text{ن}}$

$$+ \text{ن}\,\text{س}^{\text{ن}-١}\,\text{ص} + \frac{\text{ن}(\text{ن}-١)}{٢}\,\text{س}^{\text{ن}-٢}\,\text{ص}^{٢}$$

$$+ \frac{\text{ن}(\text{ن}-١)(\text{ن}-٢)}{٢ \times ٣}\,\text{س}^{\text{ن}-٣}\,\text{ص}^{٣} + \cdots + \text{ص}^{\text{ن}} .$$

وما هذا الا طل من وابل من جحود علماء الغرب لما قدمه علمـــاء

المسلمين . رغم أنهم في قرارة أنفسهم يعرفون أن صاحب نظرية ذات الحدين هو العالم المسلم غياث الدين الكاشي . ويعترف كثير من مفكريهم بذلك اذ يقول أحدهم الدكتور دريك سترويك في كتابه كتاب مصادر الرياضيات خلال ١٢٠٠ ـ ١٨٠٠ ميلادية « أن الكاشي هو أول من فكر في نظرية ذات الحدين ويرجع له الفضل في تطوير خواص معاملاتها » .

درس الكاشي أبحاث سابقيه من علماء المسلمين في علم حساب المثلثات فشرح وعلق على معظم انتاجهم . وقد حسب الكاشي جداول لجيب الدرجة الأولى ، واستخدم في ذلك معادلة ذات الدرجة الثالثة في معادلاته المثلثية ، وذلك في مخطوطته المشهورة المسماة استخراج جيب الدرجة الأولى ، يقول فيها ما يلي : « أقول فاذن اذا علم جيب قوس ، وأريد معرفة جيب ثلاثة أمثالها ، يضرب مكعب ذلك الجيب في أربع ثوان ، وينقص الحاصل من ثلاثة أمثاله ، فالباقي هو الجيب المطلوب » . ولو أردنا أن نوضح للقارىء ما يقول الكاشي في لغة الرياضيات المعاصرة كما يلي :

جا ٣س = ٤ جا ٣س − ٣جا س .

اتبع غياث الدين الكاشي الى درجة كبيرة ما ورد في مؤلفات اقليدس في علم الهندسة من تعاريف ونظريات . لكنه أيد عملاق الهندسة المستوية نصير الدين الطوسي في انتقاده لفرضية أقليدس الخامسة . استخدم الكاشي في جميع مؤلفاته المقاييس والأطوال الآتية : الفرسخ ، والقصبة ، والذراع ، والاصبع ، وعرض حبة الشعير فكان الفرسخ = ٢٠٠٠ قصبة ، والقصبة = ٦ أذرع ، والذراع = ٢٤ أصبع ، والاصبع = ٦ عرض حبة الشعير .

عكف غياث الدين الكاشي كغيرة من علماء المسلمين على نشر أبحاثه ، فكتب كثيرا من المصنفات في معظم فروع المعرفة وبلغات مختلفة منها العربية والتركية والافرنجية وغيرها ، ويجدر بنا هنا أن نذكر منها مايلي :

١ ـ كتاب مفتاح الحساب يحتوي على مقدمة وخمس مقالات : المقالة الأولى في حساب الصحيح ، والثانية في حساب الكسور ، والثالثة في حساب المنجمين ، والرابعة في المساحة ، والخامسة في استخراج المجهولات . ويذكر لنا عمر رضا كحالة في كتابه العلوم البحتة في العصور الاسلامية أن كتاب مفتاح الحساب للكاشي يعتبر أهم مؤلفاته اذ ضمنه بعض الاكتشافات في علم الحساب ، منها الكسور العشرية ، ويعتبر هذا الكتاب الخاتمة لكتب الحساب التي ألفها الرياضيون العرب الشرقيون . وقد

اختصره أولوغ بك وسماه تخليص المفتاح ٠ وكان من معالم هذا الكتاب احتواؤه على قانون لايجاد مجموع الأعداد الطبيعية المرفوعة الى القوة الرابعة ٠

٢ ـ كتاب زيج الخاقاني وهو عبـــارة عن تصحيح زيج الأيلخاني للطوسي ٠

٣ ـ رسالة في الحساب ٠

٤ ـ رسالة في الهندسة ٠

٥ ـ كتاب في علم الهيئة ٠

٦ ـ كتاب نزهة الحدائق يبحث في استعمال الآلة (طبق المناطق) التي يمكن باستخدامها الوصول الى تقويم الكواكب ، وعرضها وبعدها مع الخسوف والكسوف ٠

٧ ـ رسالة سلم السماء ٠

٨ ـ الرسالة المحيطية ٠

٩ ـ رسالة الجيب والوتر ٠

١٠ ـ مقالة عن الأعداد الصحيحة ٠

١١ ـ مقالة عن الكسور العشرية والاعتيادية ٠

١٢ ـ مقالة عن حساب المنجمين ٠

١٣ ـ رسالة في المساحات ٠

١٤ ـ مقالة في طريقة استخراج المجهول ٠

١٥ ـ زيج التسهيلات ٠

١٦ ـ رسالة في استخراج جيب الدرجة الأولى ٠

١٧ ـ رسالة عن اهليلجي القمر وعطارد ٠

١٨ ـ رسالة الوتر والجيب في استخراجها لثلث القوس المعـــلومة والوتر والجيب ٠

١٩ ـ رسالة في معرفة التداخل والتشارك والتباين ٠

٢٠ ـ مقالة في طريقة استخراج الضلع الأول من المضلعات كالجذر والكعب وغيرها ٠

٢١ ـ رسالة في التضعيف والتصنيف والجمع والتفريق ٠

٢٢ ـ رسالة علق فيها على المجسطي ٠

٢٣ ـ جداول فلكية معروفة باسم (الزيج الجرجاني) ٠

٢٤ ـ رسالة ناقش فيها الجذور الصم ومنهـــا تطرق لنظرية ذات الحدين ٠

وقد قدم الكاشي أعظم خدمة للحضارة الانسانية بما كتبه في مختلف فروع العلوم ، فكان موسوعة في علم الحساب محتذيا في ذلك حذو من سبقه من علماء المسلمين ، وقد ألف في هذا المجال بصورة علمية منظمة · كان كتابه مفتاح الحساب منهلا استقى منه علماء الشرق والغرب على السواء واعتمدوا عليه في تعليم أبنائهم من النظريات والقوانين التي أتى بها الكاشي وبرهنها وابتكرها · تعلم الكاشي عن أشياخه في العلوم الدقة في التصور للمسائل المستعصية على الأمم السابقة مثل اليونان وغيرهم ، فحل الكثير منها بطرق علمية بحتة · ولذا يعتبر الكاشي ممن وضعوا أسس البحث العلمي · وقد عرفت عنه قوة الملاحظة وحب الاستطلاع · ومن واجب شبابنا أن يتعرف أولا على مدى عظمة هذ االعالم الفذ حتى يصبح قدوة يقتدى به لجيلنا المتطلع الى التقدم والكرامة ·

وأرجو أن نكون قد تمكنا من اعطاء لمحة موجزة عن حياة الكاشي وانجازاته في علم الرياضيات والفلك · والذي أتمناه في المستقبل القريب أن نكتب انتاجه على نحو أكثر تفصيلا · لأن عالمنا الكاشي يجب أن يدرس انتاجه دراسة مفصلة لما تحتويه من نظريات وأفكار جديدة · فالكاشي اضافة الى أنه كان عالما في الرياضيات والفلك كان سياسيا فقد وطد علاقته مع حكام سمرقند حتى وصل الى اقناعهم بانشاء مرصد فلكي صار مدرسة لعلماء الفلك في العالم · فعلى سبيل المثال بوساطة مرصد سمرقند أمكن عمل زيج كوركاني الذي بقي مرجعا لعلماء الشرق والغرب عدة قرون ، وعمل لهذا الزيج شروحا كثيرة في لغات مختلفة ·

الهوامش

* بنيت سمرقند فوق أطلال مدينة قديمة لها شان عظيم وهي قريبة من مدينتي نجادى وطشقند · اشتهرت سمرقند بحدائقها الغناء وثقافتها الهيلينية (اليونانية) والهندية والصينية والعربية · ودلت الحفريات الحديثة التي قام بها العلماء السوفيت أن سمرقند كانت على جانب كبير من الحضارة · عرفت سمرقند بصناعة الورق وفن طباعة الألوان على الأقمشة القطنية والحريرية ·

** يوحنا كبلر ولد في فايل قرب شتتكارت في المانيا وعاش فيما بين (١٥٧١ ــ ١٦٣٠م)· درس في جامعة توبنكن علم الفلك وبرز في ذلك · في عام ١٦٠٩ ميلادية نشر كتابه الفلك الجديد الذي كان يحتوي على ثلاثة قوانين :

١ ــ المريخ يتحرك في أهليلج (Ellipse) يقطع الشمس في احدى بؤرتيه ·

٢ ــ بين تسارع الكواكب حسب بعده عن الشمس ، فهو يسرع حينما يكون قريبا منها ويبطيء عندما يكون بعيدا عنها ·

٣ ـ مربع الزمن لكل كوكب يكمل دورة واحدة حول الشمس يتناسب طرديا مع مكعب بعد الكوكب عن الشمس ٠

*** هو أبو الحسن ابراهيم بن يحيى النقاش المعروف بالزرقالي ٠ ولد في قرطبة وعمل في طليطلة وله انتاج علمي غزير منه جداول طليطلة الفلكية التي ظهرت عام ١٠٨٠م، والتي تحتوي على اقتراحه أن مدار القمر وعطارد اهليلجيا ٠ كما اشتهر في اسطرلابه « الزرقالة » الذي لعب دورا هاما عبر التاريخ ٠

المراجـــع

١ ـ الزركلي : الأعـــلام ٠

٢ ـ صالح زكي : آثار باقية ٠

٣ ـ ديرك ستروك : كتاب مصادر الرياضيات ٠

٤ ـ ديفيد سمث : تاريخ الرياضيات ٠

٥ ـ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ٠

٦ ـ البارون كارا دي فو : الفلك والرياضيات (تراث الاسلام) ٠

٧ ـ عمر رضا كحالة : العلوم البحتة في العصور الاسلامية ٠

المجلة : ليت الكاتب الكريم استوفى المعلومات عن مراجعه هـــذه (مكان الطبع وتاريخه) ٠

وهذا المقال وان كتب عليه أنه نقلا عن صفحة « الحياة العصرية » بجريدة الشرق الأوسط فما ذلك الا لاعطاء جريدة الشرق الأوسط حقهـا في السبق لنشره بينما هو قد تناولته من كاتبه بحكم الدالة عليـــه وعلى الشرق الأوسط حرصـــا على مواكبة الموضوع الذي نشرته بقلمي نقلا عن جريدة الجزيرة كما التمست أن يكون فيه بعض التلاحم مع المقال الذي كتبه الدكتور يوسف الحميدان وكيل وزارة الصحة في هذا العدد بعنوان «شفاء النفس بالنفس» وذلك حرصا مني على التكامل بين هذه المواضيع ••

والله ولي التوفيق •

رئيس التحرير

علاج السرطان على طريقة قدماء المصريين بالكي بالنار

د. أحمد نبيل أبو خطوه

• نقلا عن صفحة « الحيـــاة العصريـــة » التي يعـــدها الدكتور أحمد نبيل أبو خطوة الاستاذ المشارك بجامعة الملك عبد العزيز بجدة وتنشرهـا جريدة الشرق الأوسط •

السرطان ، المرض اللغز المحير ، مازال يتفشى بين الناس ·· والعلم أمامه يقف عاجـزا وحـائرا · وبالرغم من النجاح المحدود الذي حققته عمليات استئصال الأورام الخبيثة بالعمليات الجراحيـة ، والعلاج بالعقـاقير الكيماوية السامة ، وبالأشـعة الذرية ، وباسـتخدام طرق علم المنـاعة الحديثة وغيرها ، الا أن العـلاج المثالي ضد السرطان مازال مجهولا وبعيد المنـال · فنحن حتى الآن لانعرف على وجه التحديد مسببات هذا المرض ، خاصة وأنه ليس بمرض واحـد بل عدة أنواع مختلفة ·

ومن ضمن المحاولات الجـديد لعـلاج السرطان والتي استقى فكرتها العلماء من قدماء المصريين هو العـلاج بالحرارة أو الكي بالنار · فلقد بينت الرسـومات الموجودة على أوراق البردي التي خلفها قدماء المصريين منـذ نحو خمسـة آلاف سنة ، أن عـلاج تورمات الجسم كان يتم عن طريق الكي بالنار · وأظهرت هـذه الرسومات كيف كان يدخل الطبيب المصري القديم عصـا حديدية ساخنة لدرجـة الاحمرار داخل الورم للقضاء عليه · والغريب في الأمر أنه بعد مرور آلاف السنين ، يكتشف العلماء في القرن ١٩ أن أورام الجسم سواء الخارجي منها أو الداخلي تزول عندما يصـاب المرء بالحمى وارتفاع درجـة الحرارة ·

وبذا أصبح هناك علاقة سببية بين الأورام وبين الحرارة يراها ويؤكدها الأطباء ·

الطب البلدي

وفي بحث عن التطبيب البـلدي والتداوي بالكي والنـار ، ذكرنا استاذنا الفاضل/ محمد حسـين زيدان ــ الكاتب والمؤرخ السعودي المشهور ، في مقالة شيقة نشرتها له مؤخرا جريدة الجزيرة السعودية ، ذكرنا بأن الانسان كان في حاجة دائمة الى النار التي لم يعرفهـا الا بعد أن رآها · فبالنار وحدها يمكن كي قرصة العقرب ، وافساد مفعول لدغة الثعبـان ، وكأنه أحدث الأمصال الطبية المعروفة ، وهذا ما كان يتبعه أهل الصحة · ومن بعدهم أهل البادية ، وحتى في وقتنا الحاضر بين أهـل المدن · كما ذكر لنـا الأستاذ الكاتب قصصا حقيقية أبطالها من الأطباء العرب ، استخدموا الكي بالنـار

لعلاج كثير من الأمراض مثل : تضخم الطحال ، والصفراء (اليرقان) ، والالتهاب الرئوي ، وأمراض اللثة ، والجروح الغائرة وغيرها . ولقد تكللت أغلبية هذه المحاولات بالنجاح وبشفاء المرضى .

استراتيجية جديدة

ولقد استفاد خبراء اليوم من مثل هذه الشواهد والأدلة ، لوضع استراتيجية جديدة لعلاج الأورام السرطانية الخبيثة باستخدام الحرارة . وأطلقوا على هذا النوع الجديد من العلاج ، الذي لم يكن معترفا به من قبل بصفة رسمية ، العلاج بالحرارة الزائدة Hyperthermia . وكانت أكبر مشكلة واجهت البحاث ، في هذا الصدد ، هي كيف يمكن تلافي المضاعفات التي تخلفها الحرارة أو الكي بالنار وراءها ؟ مثل تهتك وحرق أنسجة الجسم السليمة القريبة من مكان الورم . وبعد بحوث مضنية استمرت عشر سنوات ، أعلنت مؤخرا عن طريقة مثالية لعلاج الأورام السرطانية بالحرارة دون أخطار ومضاعفات جانبية .

أشعة الميكروويف والراديو

والطريقة الجديدة تتلخص في استخدام نوعين من الاشعاعات طويلة الموجة : أشعة الميكروويف ، وأشعة الراديو . هذين النوعين من الأشعة عند تعريضهما الى الأنسجة الحية الطرية يتولد عنهما حرارة شديدة نسبيا قد تصل الى أكثر من ٦٠ درجة مئوية . فمن خصائص أشعة الميكروويف مثلا أن عند مرورها داخل الورم السرطاني الخبيث تحدث اثارة شديدة لجزئيات الماء والبروتين داخل نسيج الورم مما يؤدي الى حدوث احتكاكات وتصادمات عنيفة بينهما ، الأمر الذي عنه تتولد الحرارة . ولقد توصل الى هذه الطريقة كل من ميشيل سالزمان (مهندس كهربائي) وجورج ساماراس (خبير أعصاب) الباحثان في جامعة ميريلاند بأميركا . وركز هذان الباحثان على نوع من التورمات السرطانية المعروفة باسم :
Glioblastoma Multifome
والموجودة في الدماغ . هذا النوع من السرطان يصيب سنويا أكثر من ١٠٫٠٠٠ شخص في أميركا وحدها . وطريقة علاج

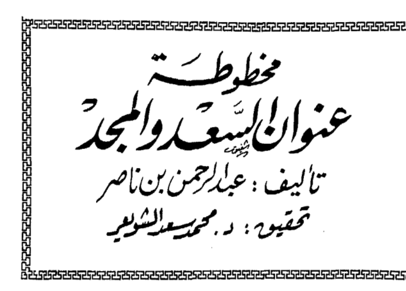
هذا النوع من الأورام تتلخص في فتح الدماغ والوصول الى مكان الورم الخبيث ٠ وهنا يغرز الطبيب في الورم سلكا رفيعا للغاية ويتصل بجهاز توليد أشعة الميكروويف ٠

ويمكن التحكم في درجة حرارة السلك بجهاز تنظيم درجة الحرارة ٠ وعادة لا تزيد درجة حرارة السلك عن ٥٠ درجة مئوية ٠ وتستغرق فترة العلاج على هذا النحو مدة ساعتين ، تكرر مرتين لا غير ٠ أما عن نتائج التجربة فهي لازالت في طي الكتمان ـ ولو أن « سلزمان » صرح مؤخرا بأنه متفائل بشدة ، وخاصة أنه اذا ما نجحت هذه التجربة على نسيج حساس مثل الدماغ ، فانه من الأولى أن تنجح على أنسجة أخرى مثل الرئة والكبد وغيرهما ٠

أبحاث مماثلة

كما صرح مؤخرا كريستيان ستورم الباحث في جامعة كاليفورنيا بلوس أنغلوس ، أنه اتبع نفس الطريقة على ١٧٥ مريضا يعانون من سرطان الرئة والكبد ، ولكن باستخدام موجات الراديو ٠ وأكد ستورم بأنه نجح في ازالة عدد من الأورام الخبيثة من بعض المرضى ، حتى أنهم أصبحوا الآن يعيشون حياة طبيعية ٠

وتؤكد كافة النتائج الأخرى على أن علاج السرطان بالحرارة قد أثبت فعاليته بدرجة كبيرة غير متوقعة ، خاصة عندما يجرى العلاج بمساعدة العقاقير الكيماوية الموقفة لنمو الأورام الخبيثة ٠ صرح أحد الخبراء حديثا أن العلاج بكي الأورام السرطانية لا ينجم عنه الآن أية خطورة ولا مضاعفات جانبية بعكس العلاج الجراحي واستخدام العقاقير الكيماوية وأشعة اكس التي لاتخلو جميعها من المضاعفات والآثار الجانبية غير المحمودة ٠



وصف المخطوطة :

— ٢ —

في استعراضنا لاسم الكتاب ، قلنا بأن النسخة التي رجعنا اليها صورة عن مسودة « نسخة خطية موجودة في مكتبة أرامكو بالظهران بالمملكة العربية السعودية ، وأشرنا الى رقمها هناك ، وفي مكتبة دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، التي تحتفظ بنسخة مصورة عنها رقم «٣» في فهرس المخطوطات ٠

لكن المؤسف حقا ، عدم استطاعتي الاطلاع الا على الجزء الأول ، الذي بدأ المؤلف أحداثه من نهاية تاريخ ابراهيم بن عيسى ـ كما يقول ـ ٠

وقد رسم المؤلف لنفسه بأن يكون كتابه ذيلا لتاريخ ابن عيسى (١٢٧٠ ـ ١٣٤٣هـ/١٨٥٤ ـ ١٩٢٥م) كما كان تاريخ ابن عيسى ذيلا لتاريخ ابن بشر (١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ ١٧٩٥ ـ ١٨٧٣م) ، كما قال المؤلف نفسه في مقدمته ٠٠

ولعل هذه المقالة ، مع ما اكتنف تاريخ الشيخ ابراهيم بن عيسى من ملابسات ، جعلت الظنون تساور الباحثين ، والأقوال تتباين عن أسباب فقدان الجزء الثاني من تاريخ ابن عيسى ، مما أوجب خروج رأي لعبد الله فلبي (١٣٠٣ ــ ١٣٨١هـ/١٨٨٥ ــ ١٩٦٠م) يقطع فيه بأن الجزء الأول من تاريخ عبد الرحمن الناصر ، هو الجزء الثاني من تاريخ ابراهيم بن عيسى ، وأن عبد الرحمن بن ناصر كان دوره ينحصر في شطب الكلمات غير المستحسنة وهذه الأسباب التي توهمها فلبي ، قد رد عليها المؤلف برسالة بعثها للشيخ حمد الجاسر ، بتاريخ ١/٩/١٣٨٠هـ ٠٠ تعقيبا على ما نشر بمجلة اليمامة عام ١٣٨٠هـ ٠

نشر الشيخ حمد الجاسر بعض هذه الرسالة بمجلة العرب التي تصدر بالرياض الجزء العاشر ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ [أنظر الفقرة ٣ من المظاهر البارزة عند المؤلف بهذا البحث] ٠

وقد قال عبد الفتاح أبو علية في بحثه : مصادر تاريخ الجزيرة ، الذي قدمه للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، بجامعة الرياض كلية الآداب ، بأن الشيخ حمد الجاسر ، روى له : أن المؤلف قال له : بأن لديه أربع نسخ معتمدة ، من هذا المخطوط ، فقد أهدى واحدة للملك عبد العزيز ، والثانية لولي العهد ، والثالثة لسمو الأمير محمد بن عبد العزيز ، والرابعة للملك فيصل ، وكان قد طلب طبعها ، وأعتقد أن مسودة هذا المخطوط هي أصل النسخ المبيضة [ص ٤] ٠

بدأ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر تاريخه هذا بعام ١٣٠١هـ ، وانتهى في الجزء الأول بعام ١٣٥٥هـ ، وبالتحديد في شهر رمضان من هذا العام عندما قال : « وفيها ــ أي في سنة ١٣٥٥هـ ، التي بدأ أحداثها من ص ٣٣٥ ــ كتب الامام أيده الله ، الى جميع رعيته يأمرهم بتقوى الله ، والعمل بما يرضيه ، وأن يتجنبوا معاصيه ، ويخرجوا لطلب السقيا ، فخرجوا للاستسقاء أول يوم من شهر رمضان ، وسقوا عن آخرهم ، وثبت العشب والكمأة ورخصت الأسعار » ٠

ثم اتبع ذلك مباشرة ، وبدون فاصل ، أو تنويه بقوله : « آخر الجزء الأول من كتاب عنوان السعد والمجد ، ويتلوه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه » [المخطوطة ص ٣٤٠] ٠

أما الجزء الثاني ، فلابد أن المؤلف بدأه من حيث وقف في الجزء الأول ، الى قرب وفاته ــ ١٣٩٠ ــ ، ذلك أنه لم يكن يهتم بوضع الزمن التاريخي لما يكتبه في تاريخه ، أو للورقة المربوطة بالجزء الأول ، والموجهة لسمو الأمير مساعد ، والتي ينبىء فيها عن بعثه للجزء الثاني الذي جمعــه أولا ، ثم استكمله ، مع أنه يعترف فيه بالنقصـــان ، وأنه سيصلحه عندما قال : « لاحق خير ان شاء الله ، أرسلنا الثاني ، وهو الذي جمعناه أولا ، ولا يخلو وسنصلحه بحول الله وقوته » [المخطوطة ص ١] • ورغم أن الفترة التي بحثها المؤلف ، والمتعلقة بتاريخ الملك عبد العزيز رحمه الله ، وبالبلاد السعودية ، قد غطيت من الدارسين لأحداث هذه البلاد ، والراصدين لسجل حياة المغفور له الملك عبد العزيز • الا أن الباحث المستقصي يهمه الاطلاع على هذه المخطوطة ، التي لا تخلو من جوانب لم يسبق اليها المؤلف ، في تدوينه لأحداث اجتماعية ، تتعلق بموضوعات لم يلتفت اليها أحد غيره •• كما أن كل مؤلف له زاوية خاصة ، ومشرب متميز ، وطريقة تختلف عن غيره ••

وفي هذه الوجهات مدخل يستشفه المســتقصي ، ويدركه المتمعن في مجريات الأحداث يعطي للمخطوطة أهمية خاصة ، وميزة منفردة •

وهذا ما نلمح بعضه في الجزء الأول من هذا التاريخ ، حيث أبان المؤلف عن أشياء لم يتطرق اليها غيره ، ورصد معلومات غفل عنها كثير من الباحثين قبله وبعده • ذلك أن كل مؤلف لا يخلو من جديد ، وكل جديد لا يعدم القارىء فائدته •

وبالنسبة للجزء الثاني فقد قال عبد الفتاح أبو عليـــة ، في بحثه المقدم لكلية الآداب بجامعة الرياض : « بأن الشيخ حمد الجاسر قد اطلع على الجزء الثاني » [راجع بحثه] •

وأتوقع أن النسخة متكاملة بمكتبة سمو الأمير مساعد ، الذي عرف عنه حبه للعلم ، واقتناء الكتب •

والجزء الأول الذي رقمت صفحاته حديثا ، يقع في ٣٣٠ صفحة ، رغم أن آخر صفحة فيه كما مر بنا تحمل الرقم ٣٤٠ ، ذلك أن هذه النسخة بها صفحات متكررة عند التصوير ••

كما أن بعض الكلام لا يأتي مستقيما ، والأحداث غير متسلسلة ، مما أتوقع معه وجود سقط في الصفحات ، أو سهو من المؤلف ، حيث أن أحداث عام ١٣١٣هـ لم ترد عنده ، والكلام بين الصــفحتين ١٨٧ و ١٨٨

غير مستقيم ، ومثـــل هذا مابين ص ٢٨٥ وص ٢٨٦ ، علاوة على وجود تكرار ما بين ص ٢٨٦ ، وص ٢٧٤ ، أما ص ٣٠٧ فيبدو أنها مكملة له ص ٢٩٠ (١) لوجود كما جاء المرقم ليثبت أن الورقة الموجهة لسمو الأمير مساعد هي بداية الجزء الأول ، وأعطاها رقما متسلسلا ، كأول صفحة من الجزء الأول ، وهي لا تمت له بصلة ٠

حجم هذا الجزء القطع المتوسط بمقاس ٢٠ × ١٤ سم ، ومعدل أسطر كل صفحة ١٦ سطرا ٠ وتوجـد صفحات بلغ عدد الأسـطر فيهـا ١٨ أو ٢٠ سطرا ، وصفحات أقل من ذلك ما بين ١٢ ، ١٥ سطرا ٠

وهذا يختلف بحسب نوعية الكتابة ، ودقة سن القلم الذي يكتب به ، أو سماكته ، أما معدل كلمات السطر الواحد فهي سبع كلمات ٠

هذه النسخة من الكتاب يبدو من خطها ، وكثرة أخطاء الكاتب ، وتعديلاته ، وتشطيباته ، أنها بخط المؤلف ، وأنهـا هي المسودة التي لم تنقح ، وهذا ما دفع أبو علية الى التأكيد في بحثه المقدم لجامعة الرياض ، حسبما اعتمد عليه من آراء بعض عارفي المؤلف ، أن هـذا الخط هو خطه بيده ، وأنه قد عرف عنه حسن الخط ، كما أنه ناسخ أكثر منه مؤرخ ، وأن هذه النسخة هي المسودة لكتابه [ص ٢] ٠

والمتتبع لهذا الكتاب يندر أن يمر به صفحة لا تعديلات فيها ، بل بلغ الأمر بالمؤلف الى أن طمس أسطرا تصل الى ثلث صفحة ، أو نصفها ، ليعلق في الحاشية معلومات تصحيحية لما أراد تبيينه ، ويظهر مثل هذا جليا في الصفحات [٣٧ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٩ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١٢٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ٢١٠ ، ٢٣٩] ٠

أما عن الحواشي ، والتعليقات ، التي نستنتج بأنهـا معلومات اضافية ، وضح للمؤلف أهميتها ، أثناء مدارسـة ما كتب على الشيخ عبـد الله العنقري (١٢٨٧ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٨٧١ ـ ١٩٥٣م) ، أو أنهـا تبينت له من مصادر أخرى ، بعد أن تأكد لديه قصور مؤلفه عن استكمالها ، فجاء ليلحقها بأماكنها ، فانها من الكثرة عنـده بحيث يصعب حصرها ، وبالقاء نظرة خاطفة على هذه المخطوطة ، يرى القارئ هذه الصورة متكاملة وبارزة عند المؤلف ٠٠

وتردد المؤلف في كتابه هذا ، ليست بمحاولة استكمال المعلومات التي تنقصه ، أو بتصحيح ما أورده من معلومات بعد أن وجد معلومات أخرى ظن أنها صحيحة ، ولا باستدراكه على المعلومات التي أوردها ، ويصححها بنفسه حيث يذكر في الحاشية كلمة صح ليؤكد للقارىء أن المعلومات الجديدة التي أضافها أصح ٠

ولكن أيضا يبدو لنا شيء من التردد في أماكن يتركها بياضا ، مما يدلنا على أن المؤلف مقتنع من نفسه ، بأنه لم يستكمل هذا الأمر ، ولذا ترك هذا المكان خلوا ٠ على اعتبار أنه سيعود اليه بمعلومات يضعها في مكانها ، ولكن سها عليه ذلك ٠ أو أن المعلومات لم تتوفر لديه كما في ص ٢٢٥ ، و ص ٢٢٦ ، في أحداث عام ١٣٤٤هـ ٠ وص ٢٢٦ ، في أحداث عام ١٣٤٨هـ ٠٠ بعد ذكره لوفاة الشيخ سليمان بن سحمان ، والشيخ سعد بن عتيق ٠٠ كأنه أراد أن يوضح أسماء من أخذ العلم عن كل منهما ، فلم يتمكن من ذلك ٠

كما يتجلى تردده في تحديد الأرقام ، أو أسماء الرجال كما في ص ٥٨ ، ص ٦٢ ، وفي حديثه عن موضوعات لم يستكملها ، فيقول كما سيأتي ان شاء الله ، على اعتبار أنه سيزيد الموضوع وضوحا ، ولكن الأحداث تمر به ، وينساق في ذكر ما بعدها ، ولا يذكر شيئا كما في ص ٨٠ ، ص ٨٢.

والمؤلف في مخطوطته هذه لا يعتنى بتجويد الخط ، ولا يهتم بعلامات الترقيم ، ولا يضع اعتبارا للعناوين الجانبية ، أو البدء في أول السطر ، في كل المعلومات الجديدة التي يوردها ٠٠ وهذه الناحية ذات صبغة في التأليف والاخراج الحديث ٠

وخط المؤلف وسط يميل الى النسخ في بعض حروفه ، والثلث في بعضها ، لكنه لا يهتم بالسنن ، والنقط لبعض الحروف ، مثل النون في منه وعنه ، ويقطع بعض الحروف ، حيث يجد القارىء نفسه مضطرا للارتباط بالمعنى ، أو الالتزام بالقرينة ، التي تقربه من فهم المراد ٠

ولا يستطيع المتتبع للمؤلف في كتابه هذا معرفة السنة التي يريدها ، الا بتقليب الصفحات ، والعودة للسنة التي أرادها في صفحات كتابه السابقة لهذا الحدث ، دون أن يبرز هذا العنوان بخط ، أو قلم مغاير لمألوف كتابه ٠

لكنه يحاول أن يبرز اسم السنة بحروف أكبر من مألوف خطه في هذا الكتاب ، ولو كان ذلك في أثناء السطر ٠

ولا نحمل المؤلف شططا في هذا الأمر الذي لا تثريب عليه فيه ، فقد كانت هذه عادة سار على منوالها المؤلفون قبله ٠٠ وما هو الا متبع لهم ، فترسم خطاهم ٠

كما أن المؤلف سار في سرده للملعومات على طريقة المؤرخين من بني جلدته ، وسلك مسلك ابن عيسى ، وابن بشر ، وابن غنـــام ٠٠ وهذه المنهجية هي ذاتها أسلوب الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/٨٣٩ ـ ٩٢٣م) في تاريخه ، وفي سرده للأحداث ٠

الا أننا عندما نوردها هنا ، فما هي الا رغبة من المؤلف نرجوها ، بعد ما أعطى بصمات نفسه ، وظل شخصيته ، بأن غير هذه الطريقة ، وبدل في نمطها ، لأنه عاش في العصر الحاضر حيث يلمس في الكتب التي بدأت تبرز في المكتبة العربية ، طريقة في التبويب ، ونمطا في الترتيب ، يعطى للكتاب نمطا ، وللقارىء تشويقا وراحة ٠

هذا الشكل الجديد يعطي أيضا للمؤلف وزنا ، وللمعلومات مكانة بارزة ، فتتطلع نفس القارىء لهذا التجديد ، وترتبط حواسه بما قدم أمامه ٠

ولا يغض من قدر ومكانة هذا المخطوط ، علميا وتاريخيا ، ما وقع فيه المؤلف من أخطاء قليلة لغوية ، ونحوية ، مبعثهما ضعف مستواه في علوم اللغة العربية ، وتقويم قواعدها ٠

كما لا ينقص من منزلته ، ما يتراءى أمام القارىء من هفـــوات تاريخية مصدرها التردد الكثير عنده ، ورغبته في تصحيح الأخطاء ، وتأكيد المعلومات ٠

فهاتان الظاهرتان ـ وان كنا سنلم بنماذج مما وقع فيه المؤلف ، على سبيل تسليط الضوء فقط ـ ، أتوقع أن المؤلف يستطيع تفاديهما ، لو أتيح له فرصة أطول لتنسيق جهده هذا ، وبلورته في صورة نهائية ، بل لعله قد استدرك هذا فيما نقحه في نسخه الأربع المار ذكرها ٠

ولا نستطيع أن نعطي حكما مطلقا بذلك ، وانه أزال بعض النقاط التي تغير المعنى ، وأرادها ـ فيما يبدو ـ فواصل بين كلام وكلام ، كالنقطة في قوله : استقر ، ودثر ، اذ جعل نقطة بعـــد الراء في الحالين يتوهمها القارىء زاء [ص ٥] ٠

ومع هذا فكم يتمنى كل مهتم بالعلم والتاريخ في بلادنا ، أن كل مدينة وقرية من بلادنا المترامية من نجران وجيزان جنـــوبا حتى تبوك وأطراف الشام والعراق شمالا · أنجبت واحدا كابن المجمعة هذا ، ليرصد لنا ما ارتسم في مخيلته ، وما دار في مجتمعه ، من معـــلومات تاريخية ، وعادات اجتماعية ، لأي حقبة زمنية ·

فبلادنا بأمس الحاجة الى من يرصد معـــلوماتها المتناثرة ، ويجمع شتات ما تفرق من معارفها · خاصة وأن ما كتبه الآخرون عنا ، ما هـو الا أسلوب أخذوه منا ، ومعلومات استقوها من أمثال هذا الرجل ، ودورهم في ذلك التنسيق والاظهار في أسلوب جيد ، وثوب جديد · فحكمهم في ذلك حكم التاجر الذي يحسن طريقة العرض لتجارته ، أو يجيـــد أسلوب التغليف ، وطريقة العرض ، اللهم الا أشخاص أتيح لهم فرص نادرة في العلاقة والمكانة ، فدونوا من واقع سماعهم ومشاهداتهم ·

أخطاؤه اللغوية :

يتضح ــ كما أشرنا ــ أن حصيلة المؤلف في اللغة العربية قليلة ، وأن بضاعته ينقصها التشبع والكمال ·

ولذلك كثرت عنده الأخطاء : في اللغة ، والخط ، والرسم الاملائي ، والتركيب اللغوي ، ولا يعتني بالهمزات ، اذ لا يفرق بين القطع والوصل · ولو كانت هذه الطريقة مطردة عنده لقلنا ان عادة الكاتبين في عهده تسير على هذا المنوال ·

لكنه يأتي بها في مواطن متعددة ، ويغفلها في مواطن أخر ·· ممـا يجعل مجال الملاحظة واردا ، والاشارة لازمة ·

الا أن أكثر هذه الأخطاء وضوحا عنده : « النحو » ، الذي يخطىء فيه حينا ، ويتردد حينا آخر ·

ففي اللغة مثلا : ــ

يغفل الهمزة في المؤرخون ، فيقول « المورخون » ، مع أن فعلها أرخ ، وقد أوردها في عدة مواضع ، ومثلها « همزة « هؤلاء » كما في ص ٢٠ ، عندما رسمها « هولاء » بدون همزة على الواو ·· وظاهرة اغفـــال الهمزات أو تسهيلها عند المؤلف كثيرة ·

- يقطع الكلمة الواحدة بين سطرين . وهـــذه من الكثرة عنده بحيث يصعب حصرها ، خذ مثلا ص ١٤ كلمة « والأسر » ، قســـمها بين سطرين ، وص ١٥ كلمة « أطفأها » جعل « أطفأ » في سطر ، والهمزة وهاء في سطر آخر ، ولم يضبطها املاء ، ص ١٧ كلمة « قريبا » جعل « قر » في سطر ، « يبا » في سطر آخر ·

وهكذا في بقية الصفحات يجد القارىء مثل هذا بكثرة ·

- يقول في ص ١٧ « وانطماس معالمها ، ودوروومها » ، أتوقع أنه يقصد « ودروسها » لأنه مغرم بالسجع ، اذ الجمـــــلة قبلها : « بعد أفول شموسها » ، من جهة ، ومرة أخرى فلا معنى « لدوروومها » ، ولا مدلول لها في اللغة ·

- في ص ١٩ يقول : « معلط عليهم العدو » ، ولا معنى لكلمة « معلط » هنا ، ولعله يريد « تسلط » ·

- يجعل جمع فعائل ، على فعايل بالياء دائما بتسهيل الهمزة واعادتهـا لأصلها مثل الفطايم ص ١٨ ، والوقايع ص ٢٢ ، وطوايف ص ٢٣ ·

- لم يتضح المفهوم الكامل من الجملة : « فعند ذلك صار للبلاد النجدية شهرة وايمتها وعلماء كانوا في جزيرة العرب هم القدوة » ·· فايمتها لا معنى لها ولعله يريد « أئمتها » فقلب الهمزة ياء كعادته ·· ثم لعله يريد أن يقول : « وخرج منها علماء كانوا ··· » ·

وفي النحو ، وهو جزء من اللغة العربية ، نشير الى بعض ما تبادر لديه من هفوات : -

- زيادة الفاء ، في هذه العبارة « ثم انهم فلم يزالوا » ص ٢٦ ·

- يقول في ص ١٤ « نحوا من احدا عشر سنه » ، والتمييز دائما يتبع المميز في التذكير والتأنيث ·· ولما كان المميز مؤنثا · وجب أن تكون الجملة هكذا : احدى « بالياء » عشرة سنة ·

- يقول في ص ٣٠ « حصل وقعه بين بلد روضة سـدير بين آل ماضي رؤساء البلد » ، والصحيح أن يؤنث الفعل بتاء التأنيث ، لأن الفاعل مؤنث - ومثلها ص ٣٤ - ثم كرر كلمة « بين » ثلاث مرات ، والأولى منهن لا مبرر لها ، فهي لم توضح مدلول البينية ، والأفضل وضـع حرف « في » بدلها ·

- رفع « وافد » في قوله : « وكان أخوهم عبد العزيز في بلد الجبل وافد على ابن رشيد » ص ٣٣ وهي حال ، والحال موضعها النصب ، كما رفع كلمة سعود ، وهي خبر لكان ، الذي محـــله النصب كما في قوله : « وكان ابنه سعود » ص ١٣ ٠
- لا يهتم بعودة الضمائر ، ولا مراعاة سياق الكلام كما في قوله : « أقاما أياما ثم رجعا الى أوطانهم » ص ٣٤ ، فالضمير في أوطانهم يعود لجماعة بينما الكلام في سياق العبارة لاثنين ، وجمع الأوطان ، والملائم التثنية كأن يقول « وطنيهما » ، وقد جاء هذا في موضع آخر بنفس الصفحة ، ومثل هذا فأغاروا ص ٣٤ ٠

وفي رسمه الاملائي : لا يضع الهمزات مواضـــعها ، ولا يراعي الاهتمام بها مثل : ـ

- ملائكته ، يكتبها بالباء بدل الهمزة ص ٢ ٠
- وهمزة امتلأت يضعها على السطر بين الألف والتاء ص ٣ ٠
- المؤمنين يكتبها بدون همزة ص ٣ ، ومثلها البيضاء ، الأمة ، الأصنام ، الأوثان ص ٣ ٠
- كما يسقط الهمزات في الفضلاء والنجباء ص ٧ ٠
- يضع همزة استيلاءهم على الألف ، ورســـمها الاملائي على الســـطر ص ١٧ ٠
- يحتار في الوضع الصحيح للهمزة ، حسب القواعد الاملائية ، فعبارة « فنشأ النشأة الطيبة » ص ١٨ ، يكتبهـــــا هكذا « فنشاء النشئة الطيبة » ، وكلمة « رأيت » ص ٢٧ يضع همزتها على السطر بدون ألف ٠٠

ومع هذا فهو لا يفرق بين التاء المربوطة والتاء المفتوحة ، ويلمس القارىء ذلك جليا في أسطر كتابه ، وزواياه مثل : وفاة ، التي جاءت عنده كثيرا يكتبها بالتاء المفتوحة ص ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ومثلها الحياة ص ٢ ، البغاة ، الطغاة ص ١٧ ٠

- لا يفرق بين الألف التي أصلها واوي ، أو التي أصلها يائي في الرسم الاملائي ، فهو يكتب « وعى » بالألف « وعا » ، وهي من وعى يعى ص ٢٠ ، والقاعدة الاملائية أن الألف التي أصلها ياء تكتب بالياء ، والتي أصلها واو تكتب بالألف ، ومع أن مثل هذا من البديهيات المسلم بها تتكرر عنده كثيرا ٠

والأخطاء اللغوية ، سواء كانت املائية أو نحوية أو خطية ، عند المؤلف من الكثرة بحيث يصعب حصرها ·

ولهذا فان ما عرضته هنا ، ما هو الا نماذج قليلة ، وضحت في الصفحات الأولى من هذا المخطوط ، دون حصر لما في الكتاب جميعه ·· لأن الأمر ليس مجال حصر واستقصاء بل هو تنويه واشارة ، وعرض نماذج يقتنع بها القارئ · والى جانب ذلك يبرز عند المؤلف أخطاء فنية ، تجعل القارىء في لبس ، وخاصة ذلك النوع من القراء الذي اعتاد على قراءة الكتب المطبوعة حديثا مثلا : ــ

١ ــ لا يتقيد بعلامات الوقف ، ولا وجود لعلامات الترقيم عنده ·

٢ ــ الكتاب كثير الهوامش ، ولا يضع المؤلف علامات تدل على بداية الهامش ، أو موقع الكلام ·

والى جانب هذا فانه يأتي بهوامش ، لا يدرك القارىء مدلولها من النص ، ولا يشير لمكان هذا التعليق كقوله في ص ١٤ ، « على ما ذكره بعضهم » ، فهو هنا يترك للقارىء التخمين ، وتصيد المكان ، من جهة ، ومن جهة أخرى فمن يعنى ببعضهم ، هل هم المؤرخون ؟ أم المنقول عنهم الذين لم يرد لهم ذكر أو اسم ؟؟ ·

٣ ــ يتردد كثيرا سواء في المعلومات التاريخية ، أو في اللغة العربية ، ولذا يكثر عنده الطمس والتعديل ، وقد يوجد للكلام المعدل أو المطموس نصيب من الصحة والاستقامة ، يبرز مثل هذا في الصفحات : ٣٣ ــ ٣٤ ، ٥٩ ــ ٦٤ ، ١٠٨ ــ ١١٢ ، كما تردد في ص ١٤ في حركات الاعراب في الكلمتين قريب ، واثنى ·

٤ ــ يشوق القارىء لبعض المعلومات لكنه لا يستكملها وخاصة فيما يتعلق بالنماذج والأشعار فهو يقول في ص ٣٤ : « وفيها يقول بعض شعراء البادية الى آخره » ، لكنه لم يذكر شيئا من هذا الشعر الذي ينبىء عما قاله ، بل أتى بجزء من بيت شعر ، ثم عاد لطمسه ، ومثل هذا يتكرر عنده عدة مرات في مواقف أخرى ، انظر ص ١٢٢ عن قصائد ابن عثيمين بمناسبة الاستيلاء على الأحساء ·

٥ ــ يوحي للقارىء بأنه في حديثه عن أي موضوع ، يربطه بما قبله ، أو عندما يعرض المعلومات يشوقه بأن المعلومات التي جاءت لها بقية عندما يقول : « كما سيأتي ان شاء الله » ، أو « كما مر بنا » ص ٨٠ ، ٨٢ ،

لكن أحداث السنة تمر وينتقل لأحداث السنة التي تليها ثم التي تليها ، ولا يذكر ما وعد به ·· ولا يستدرك عن ذلك ·

٦ ــ يتردد في اعطاء بعض المعلومات بين ايجاب وسلب ، ودون أن يشير الى أن خلافات في المصادر التي استقى معلوماته منها ، كما يقتضب في معلومات يوردها لا تتفق مع اشارته في الحاشية عن أهمية الموضوع ، انموذج ذلك : في ص ٤٥ أشار في الحاشية كعادته عن أهمية الموضوع بقوله « فضية المجمعة » ، لكنه لم يذكر الا خبر الســـيل الذي نزل على وادي المجمعة ، المعروف بشعيب المشقر ، وما نزل عليه من سيل عظيم ·

ص ٥٨ يقول : « حذو ألف وخمسمائة » في التعليق بينما في الصلب قال : « قريبا من ألف » ·

ص ٦٢ يقول « أحد عبيده » ، ثم يعلق عليها بقوله : « أحد رجاله واسمه دخيل العنبر » ·

وما هذه النماذج التي استعرضناها ، الا صورة توضح للقارىء ظاهرة من ظواهر هذا الكتاب ··

اذ هو في نظري مع أهميته ومكانته ، يحتاج الى لمسات تسد ما فيه من خلل ، ونظرات تقضي على نقاط الضعف الخفيفة في جنباته ·

ولا نحمل المؤلف فوق طاقته ، ونلقي عليه أعباء كل فن ، ونطالبه باستقصاء كل خلل ، والاحاطة بالعلوم الأخرى ·

فهو جهد مشكور منه ، أبرزه في صورة متكاملة لفترة نحن أحوج ما نكون الى من يرصد معلوماتها ، من وحي ادراكه ومشاهداته ، وماوصل اليه من معلومات ··

وان أهمية هذه الفترة ، وشح مصادرها ، وخاصة ما أشار اليــه المؤلف في الجزء الأول ، جعل كثيرا من الباحثين ، يستقون معلوماتها من أبناء البلاد أنفسهم كالشيخ ابراهيم بن عيسى ، ومؤلفنا هذا وغيرهما ·

بل بلغ الأمر الى أن يحكم قلبي على هذا المؤلف ، بأنه الحلقة المفقودة في تاريخ الشيخ ابراهيم عيسى ، ناسيا جهد الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ، وناسبا اليه تهمة السطو على جهد الآخرين ·· فدافع عن نفسه في كتاب للشيخ حمد الجاسر ··

ومهما يكن من أمر فان علماء النقد الأدبي يقولون : ان الأول له فضل السبق والابتكار ، وللأخر فضل الاجادة والاستكمال

والشيخ عبد الرحمن بن ناصر ، من أصحاب الأفضلية الأولى ٠٠ وقد يكون في النسخ المنقحة التي أشار اليها الشيخ حمد الجاسر ، استدراك كثير على أشياء أوردت في هذه المسودة ٠٠ كنا نتوقعها أخطاء ، بينما المؤلف قد يتفاداها ، وهذا محتمل ، والحقيقة يدركها المطلع على تلك النسـخ اذا وجدها ٠

د٠ محمد الشويعر

آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن

بقلم الأستاذ : أحمد بن حافظ الحكمي

٢ ـ « رسائل وفتاوى الشيخ عبد الرحمن بن حسن » :
(الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥هـ ، وتقع في ٩٦ صفحة) .

وهذا الكتاب يحتوي على عشر رسائل ، هي كما يلي ـ باختصار ـ :

ـ الرسالة الأولى : في « الولاة وواجبهم تجاه بعضهم ، وعدم مخالفتهم في أعمالهم لدين الاسلام » موجهة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٢ ـ ١٤) (١) .

ـ الرسالة الثانية : في « اخلاص العبادة لله وحده ، وحديث عن التوحيد والشرك ، وما الى ذلك » موجهة الى عبد اللطيف بن حامد : (ص ١٥ ـ ٣٢) .

ـ الرسالة الثالثة : « مسائل كثيرة متفرقة ، منها : ترك الحديث الصحيح والعمل بالمذهب ، أصل عبادة الأصنام ، الطعن في دلائل الخيرات والبردة والهمزية ، الغلو في صالحي أهل القبور ، مسألة زيارة قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ » وهي موجهة الى عبد الله بن محمد : (ص ٣٣ ـ ٤٨) .

ـ الرسالة الرابعة : في الاسلام والايمان والاحسان ، وحرمة السفر لزيارة القبور » : (ص ٤٨ ـ ٥٢) .

ـ الرسالة الخامسة : « مسائل كثيرة متفرقة ، منها : نفاة القدر من شرار هذه الأمة ، الفتن في هذه الأمة وخير قرونها ، غربة الاسلام في هذه الأزمنة ، الفرقة الناجية ، مبدأ دعوة ابن عبد الوهاب ، فساد اعتقاد صلاح جميع الأمة » (ص ٥٣ ـ ٨٠) ٠

ـ الرسالة السادسة : « في التوحيد ، ومعنى لا اله الا الله ، والايمان والنفاق » : (ص ٨١) ٠

ـ الرسالة السابعة : في « التحذير من البردة وبيان ما فيها من الشرك ومخالفة الدين » مرسلة منه ومن ابنه عبد اللطيف الى عبد الخالق الحفظي : (ص ٨٢ ـ ٨٤) ٠

ـ الرسالة الثامنة : في « الامامة والتدريس ، وما هو المراد من كلمة التوحيد » أرسلها الى محمد بن عبد الله ، وعبد الله بن سالم ، وسببها : أن الشيخ عبد اللطيف بن مبارك نصب في بعض مساجد الاحساء من يتهم بمذهب الأشاعرة من غير اذن الامام فيصل بن تركي ـ رحمه الله ـ : (ص ٨٤ـ٨٧) ٠

ـ الرسالة التاسعة : « الايراد على الجهمي ، ومعنى لا اله الا الله ، وشروطها السبعة . وأقسام التوحيد ، وأقسام العلم النافع » : (ص ٨٧ ـ ٩٢) ٠

ـ الرسالة العاشرة والأخيرة : « معنى لا اله الا الله ، وتفسير سورة (قل يا أيها الكافرون) وآيات من القرآن في نفي عبادة الأصنام وأن كل معبود سوى الله باطل » مرسلة الى الامام المكرم : (ص ٩٣ ـ ٩٦) ٠

ملحوظة :

« **الجزء الثالث** » **من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ، خاص بكتب ورسائل ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب ٠

(جـ) الجزء الرابع ، من (مجموعة الرسائل والمسائل النجدية)

ـ ص ٢ ـ ١٤٠ فهارس ، ١ ـ ٨٧٦ ص الجزء الرابع بما فيه من كتب ـ ٠

في هذا الجزء مما يختص بالشيخ عبد الرحمن من مؤلفات ورسائل ، ما يأتي : ـ

١ ـ كتاب « بيان المحجة في الرد على اللجة » (وبيان ما في البردة وكلام بعض الشعراء من الغلو والخروج عن الدين) : (ص ٢٢٣ـ٢٨٦) (٢) ـ تقدم ـ ٠

٣ ــ كتاب « المورد العذب الزلال في كشف شبه أهل الضلال » (ورد مفتريات رجل من أهل الخرج) : « ص ٢٨٧ ــ ٣١٨) ــ تقدم ــ ٠

٣ ــ كتاب « بيان كلمة التوحيد ، والرد على الكشميري عبد الحميد » : (ص ٣١٩ ــ ٣٦٢) ، يلي ذلك ذيل للرد في صفحتين كتبه الشيخ أبو بطين : (ص ٣٦٣ ــ ٣٦٤) ٠

٤ ــ « مسـائل وفتـاوى متفرقة » : (ص ٣٦٥ ــ ٣٧٢) ، وهي كما يلي :

(أ) جوابه عن قول الخطيب : (الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره ٠٠٠ الخ) (ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧) ٠ ومن هذا الجواب نسخة خطية في صفحة واحدة مع كلام له على معنى لا اله الا الله في ٤ ص مجموع رقمه العام ٨/١٦٣٩ ، ٩ بجامعة الرياض ٠

(ب) « الفرق بين الرخصة والعزيمة وحكم الشرع فيهما » الى صالح الشثرى : (ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨) ٠

(جـ) مسألة « الجد والاخوة » الى محمد بن عجلان : (ص ٣٦٨) ٠

(د) « قلب الدين اذا كان له عقار وعوامل ونواضح ونحوها » رسالة الى من تصل اليه من الاخوان : (ص ٣٦٨ ــ ٣٦٩) ٠

(هـ) « في الرد على الجهمية والرافضة » مرسلة الى راشد بن مطر : (ص ٣٦٩ ــ ٣٧٢) ٠

٥ ــ « مسائل ونصائح وردود متفرقة » : (ص ٣٧٥ ــ ٤٠٤) ، وهي :

(أ) رسالة الى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن في « معنى قول شارح الزاد في الاستفتاح (ولا اله غيرك) » : (ص ٣٧٥ ــ ٣٧٦) ٠

(ب) مسألة في « بعض ما يتعلق بغلة الوقف » : (ص ٣٧٦ ــ ٣٧٨) ٠

(جـ) « نصيحة لولي الأمر بالحرص على اقامة الدين » وجهها الى امام المسلمين فيصل بن تركي : (ص ٣٧٩ ــ ٣٨٢) ، ثم جواب الامام فيصل ابن تركي : (ص ٣٨٣) ٠

(د) الرد على من قال بقول الفلاسفة في دعاء الموتى والتعلق بأرواحهم » : (ص ٣٨٣ ـ ٤٠٤) ، وهو رد جواب سؤال ورد من مصر ٠

٦ ـ « **نصائح وفتاوى فقهية مختلفة** » : (ص ٤٠٤ ـ ٤٣١) ، وهي :

(أ) رسالة الى صالح بن محمد الشثري وزيد بن محمد آل سليمان واخوانهم (ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥)٠

(ب) نصيحة في « الزجر عن طلب العلم لغير الله » مرسلة الى فائز بن علي (ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧) ٠

(جـ) فتاوى فقهية في « خروج النساء ولبس الحرير ، وغير ذلك » الى علي بن فواز : (ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩) ٠

(د) حديث عن قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين النصيحة » : (ص ٤٠٩ ـ ٤١٤) ، ويليها تقريظ لها في (ص ٤١٤ ـ ٤١٥) ٠

(هـ) « الكتب التي يؤخذ منها التوحيد ٠٠٠ » الى من يراه من الاخوان : (ص ٤١٥ ـ ٤١٦) ٠

(و) فتاوى ومسائل فقهية في « الطلاق الثلاث ، وغيره » جواب أسئلة من ابراهيم بن عبيد : (ص ٤١٦ ـ ٤١٨) ٠

(ز) « معنى التقوى ، وتفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ـ الى قوله : « وأولئك لهم عذاب عظيم » الى من يصل اليه الكتاب من الاخوان : (ص ٤١٩ ـ ٤٢٥) ٠

(ح) كتاب الى محمد بن عمر ، وفيه ذكر تأليف ابن منصور : (ص ٤٢٥) ٠

(ط) كتاب آخر الى محمد بن عمر أيضا ، وفيه « الرد على من زعم أنه لا يصح تبديع مسلم ولا تفسيقه : (ص ٤٢٦) ٠

(ي) جواب سؤال « عمن يجتمع للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة في المسجد ، وعن صلاة الجمعة قبل الزوال ، ومسائل أخرى » ، الى ابراهيم بن محمود : (ص ٤٢٧ ـ ٤٢٨) ٠

(ك) جوابه عن كتاب من محمد آل عمر السليم : (ص ٤٢٨-٤٢٩) .

(ل) « نصيحة بالعمل بما دلت عليه الشهادتان » ، كتبها الى أمير الاحساء محمد بن أحمد والشيخ عبد اللطيف بن مبارك وأعيان الاحساء : (ص ٢٤٩ - ٤٣١) .

٧ - « **رسائل وأجوبة أخرى** » : وردت ضمن الأجوبة السنوية عن الأسئلة الحفظية ، أو المسائل الحفظية) ، هي :

(أ) رسالة « وجوب جهاد أهل الفساد ، ودفع فسادهم في الدين » موجهة الى عامة المسلمين : (ص ٥٤٥ - ٥٤٦) .

(ب) الآيات في « التوحيد الذي دعت اليه كل الأنبياء » أرسلها الى أهل القصيم : (ص ٥٤٧ - ٥٤٨) .

(جـ) « أقوال العلماء في الاشتغال بفن المنطق » ، وجهها الى عبد الله ابن محمد - القادم من بلاد الأفغان (٣) : (ص ٥٤٩ - ٥٥٠) .

- وبهذه الرسائل الأخيرة ينتهي ما للشيخ عبد الرحمن بن حسن من مؤلفات ورسائل وأجوبة وفتاوى في « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » .

(د) - آثاره في مجموعة « الدرر السنية » :

(تمهيد) :

طبعت (الدرر) طبعتها الأولى في مطبعة (أم القرى) بمكة المكرمة بين سنتي (١٣٥٢ - ١٣٥٦هـ) في ثمانية أجزاء :

ج١/كتاب العقائد : ١٤ - ٣٠٦ ص ، أ - ح ، طبع في سنة ١٣٥٢هـ .
ج٢/كتاب التوحيد : ٣ - ١٧٧ ص ، أ - هـ ، طبع في سنة ١٣٥٣ هـ .
ج٣/ كتاب الأسماء والصفات : ٣ - ١٩٣ ص ، أ - ل ، طبع في سنة ١٣٥٣هـ .

ج٤/كتاب العبادات : (فاتني تسجيل صفحاته) .

ج٥/و ج٦/لم أتمكن من الاطلاع عليهما ، وهما كتاب البيع ، وكتاب النكاح .

ج٧/كتاب الجهاد : ٣ ـ ٤٠٥ ص ، أ ـ ح فهرس ، ط ـ ك خطأ وصواب ، طبع في سنة ١٣٥٦هـ ٠

ج٨/كتاب حكم المرتد : ٣ ـ ٢٨٦ ، فهرس ٢٨٧ ـ ٢٩١ ص ٢٩٢ خطأ وصواب ، طبع في سنة ١٣٥٦هـ ٠

وقد صدرت هذه الطبعة بعنوان : « كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الاعلام ، من عصر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الى وقتنا هذا ٠

ـ جمع الفقير الى ربه عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي ٠٠٠

ـ طبع على نفقة ناصر السنة ٠٠٠ عبد العزيز ٠٠٠ آل سعود ٠

ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة أم القرى » ٠

وقد وقفت هذه الطبعة عند هذا الحد ، فهي تنتهي بانتهاء (الجزء الثامن) دون استكمال الأجزاء الأخرى التي أعلن عنها الجامع في مقدمة هذه الطبعة ٠

ولم تطبع الأجزاء الباقية الا في الطبعة الثانية من (الدرر) ، والطبعة الثانية للأجزاء الثمانية المشار اليها هي طبعة أولى للأجزاء المتبقية ٠

ـ أما الطبعة الثانية من (الدرر) ، فكانت في فترات متعددة ، وعلى مطابع مختلفة ، جاءت في (١٢ جزءا) ضمت في (١٠ مجلدات) :

ج١/ كتاب العقائد : ٥ ـ ١٠ تقاريظ ، ١١ ـ ١٢ تمهيد المؤلف ٢٧ ـ ٣٢٠ ص ، أ ـ و فهارس : (المجلد الأول) ٠

ج٢/ كتاب التوحيد : ٣ ـ ١٧٧ ص ، أ ـ د فهارس : (القسم الأول من المجلد الثاني) ٠

ج/٣ كتاب الأسماء والصفات : ١٨١ ـ ٣٧١ ص ، أ ـ د فهارس (القسم الثاني من المجلد الثاني) ٠

ج٤/ كتاب العبادات : ٣ ـ ٤١٧ ص ، أ ـ ك فهارس : (المجلد الثالث) ٠

ج٥/ كتاب البيع : ٣ ـ ٣١٥ ص ، أ ـ ح فهارس : (القسم الأول من المجلد الرابع) ٠

ج٦/ كتاب النكاح : ٣١٩ ـ ٥٢٣ ص ، أ ـ و فهرس : (القسم الثاني من المجلد الرابع) ٠

ج٧/ كتاب الجهـــاد : ٣ ـ ٣٩٩ ص ، أ ـ ح ، فهارس (المجـــلد الخامس) ٠

ج٨/ كتاب حكم المرتد : ٣ ـ ٢٨٦ ص ، أ ـ هـ فهارس : (المجلد السادس) ٠

والى هذا الحد نصل الى نهاية (الطبعة الأولى) ، وقد طبعت هـذه الأجزاء الثمانية في مجلداتها الستة جميعها على مطابع المكتب الاسلامي ـ بيروت ـ طبعتها الثانية في ســـنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م ، بأمر جلالة الملك فيصل ٠٠٠ ومن مطبوعات دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية ٠

وقد تبين لي أن الطبعة الثانية لهذه الأجزاء الثمـــانية من (الدرر السنية) هي تصوير مصغر للطبعة الأولى (لا طبعة جديدة) ، لأمور :

١ ـ أن هذا النحو من الطبع للدرر ـ طبعة ثانيـة ـ ينتهي بانتهاء الجزء الثامن ، الجزء الذي بانتهائه تنتهي الطبعة الأولى ٠

٢ ـ أن كل الصفحات في الطبعتين متفقة في مبتدئها ومنتهاها ، الا في صفحات قليلة ناسب أن كانت في الطبعة الثانية غير مليئة بالكتاب في الاولى ، ولكن سرعان ما تتفق في أسطرها بعد قليل ، وكذلك في أسطرها وكلماتها الأولى والأخيرة ، وفي ابتداء كل سطر ونهايته ٠

٣ ـ ثم ان هناك جدول للخطأ والصواب في الاولى عند نهاية كل جزء ، صحح بعضه في الثانية على غراره ، ولكن بالقلم لا بحروف المطبعة ، مما يدل على أن الطبعة الثانية هي الاولى نفسها : (انظر على سبيل المثال : ٧/٤٤ س٥ ، ٨٧ س ١ ، ١٦٣ س ١٠ في الطبعتين) ٠

٤ ـ واذا كانت هناك كلمة قد سجلت خطأ زائدا في الأولى وجدتها محذوفة في الثانية ، وبقي مكانها فارغا (بياضا) : انظر مثلا : (٧/٦٣ س ١٩ ، و ٧/١٦٢ س ٦ في الطبعتين) ٠

٥ ـ أما اذا كان التعليق على الخطأ طويلا في الأولى ، فقد يسجل في

الثانية بخط صغير فوق السطر أو الكلام المراد تكميله ، أو بجانبه : (انظر على سبيل المثال : ٢٤٤/٧ س ٥ ، ١٢٠/٨ س ٨) ، وقد لا يسجل ، وقد تعدل أحيانا بشكل مطبوع ، وخاصة في الآيات القرآنية ٠

٦ ـ كذلك فان الفهرس في الطبعة الثانية منقول عن الاولى في الجزء السابع ، فهو يحيل فيه الى ص ٤٠٠ ، و ٤٠١ ، و ٤٠٢ في الطبعتين ، وهذه الصفحات موجودة في الاولى ، ولا وجود لها أصلا في الثانية ٠

وفي الجزء الثامن نجد أن الفهرس في الثانية غير كامل ، فهو ينتهي الى ص ٢٠٧ فقط ، بخلاف الاولى الذي تستمر الاحالة فيه الى الصفحة الأخيرة ٠

والفهرس في الثانية غير مصور ، بل مطبوع طبعة تختلف عن طبعته الاولى ، وعن تصوير الأصل في الثانية ٠

ـ وبعد هذه الأجزاء الثمانية في الطبعة الثانية للدرر تأتي الأجزاء الأخرى منها ، تلك التي لم تطبع ضمن الطبعة الأولى ، وهي :

ج ٩/كتاب مختصرات الردود : ٣ ـ ٤٤٨ ص ، ١ ـ ٧ تصويبات : (المجلد السابع) ، طبع في مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ـ جدة ـ اشراف وتصحيح عبد العزيز بن سليمان آل هيشة ، وكتب على هذا الجزء : (الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ ، على نفقة دار الافتاء) ، والراجح أنها الطبعة الأولى ٠

ج ١٠/كتاب تفسير القرآن : ٣ ـ ٢٠٠ ص ، ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ أخطاء : (المجلد الثامن) ، كتب عليه خطأ (المجلد الرابع) ، من مطبوعات دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية ، في مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض ٠

ج ١١/كتاب النصائح : ٣ ـ ١٨٨ ص ، ١٨٩ ـ ١٩٢ فهارس ١ ـ ٤ تصويبات : (المجلد التاسع) ، كتب عليه الطبعة الأولى : ١٣٨٨هـ ، على نفقة دار الافتاء ، طبع في مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر ، اشراف وتصحيح عبد العزيز آل هيشة ٠

ج ١٢/كتاب تراجم أصحاب تلك الرسائل والأجوبة : ٣ ـ ١٠٤ ص ، ١٠٥ ، ١٠٦ فهرس ، ١٠٧ خطأ وصواب ، كتب عليه : الطبعة الأولى ، من مطبوعات دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية ـ مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض ٠

ملحـــوظة :

من هذا كله نرى أن الطبعة الثانية من (الدرر) مختلفة الطبعات ، مع أن الأولى أن تكون في شكل واحد ، والأحجام أيضا مختلفـــة . فالأجزاء الثمانية الأولى ـ طبعة المكتب الاسلامي في بيروت : مقاسها ١٧ × ٢٤,٥ سم تقريبا ، والجزءان التاسع والحادي عشر (المجلدان الســـابع والتاسع) ـ طبعة شركة المدينة بجدة : مقاسها ٢١ × ٢٩ سم على شـكل وحجم أوراق الاستنسل الكبيرة ، والجزءان العاشر والثـــاني عشر (المجـــلدان الثامن والعاشر) ـ طبعة مؤسسة النور للطباعة بالرياض : مقاسها ١٧ × ٢٤ سم تقريبا ، فالأجزاء اذن غير متناسقة ، بعضها صغير وبعضها الآخر كبير .

هذا بالاضافة الى أن الطباعة كانت رديئـــة في جميعها المصور منها والمطبوع وفيها أغلاط كثيرة ، وسقطات متعددة ، وتحريفات بينة ، وعدم ترتيب وتناسق فني عند الاعداد للطبع .

فحبذا لو عادت رئاسة ادارات البحـــوث العلمية والافتاء والدعـوة والارشاد في المملكة العربية السعودية (دار الافتاء ـ سابقا) طباعة هذه الرسائل والفتاوى والأجوبة والنصائح الاسلامية القيمة طباعة أخرى منقحة مهذبة خالية من الأخطاء . فيها تناسق وتوافق وترتيب ، مع وضع عناوين جزئية لكل موضوع ورد في الأجوبة والرسائل واختلف عن غيره دون دمج . على أن تكون طبعة واحدة لا اختلاف بين أجزائها ، ولا يكتفى أبدا أن تكون التصويبات في أوراق منفصلة بل يجب أن تكون الأصول المطبوعة صحيحة .

والى هذه الرئاسة الجليلة ، ورئيسها العام ـ حفظه الله ـ يساق هذا الحديث ، لتضيف الرئاسة الى مآثرها العظيمة التي قدمتها مآثر جديدة فيها النفع العميم .

وبعد ، فللشيخ عبد الرحمن بن حسن في (الدرر السنية) رسائل وأقوال وفتاوى وأجوبة ونصائح كثيرة جدا ، جاء كثير منها في (مجموعة الرسائل والمسائل) وقد وردت في (الدرر) مرتبة بشكل آخر عن هناك ، وقد تقسم فيها الرسالة الموجودة في مجموعة الرسائل الى عدة أقسام . كل قسم منها في باب حسب موضوعها ، لأنها قد تكون في الأولى محتوية على عدة موضوعات مما يصعب علينا حصرها ، والمقارنة بينها وبين ما في المجموعة ، فسطر منها في مكان ، وأسطر في مكان آخر ، أو في مواضـــع أخرى متعددة ، وهكذا .

وسنورد هنا بيانا مفصلا بما جاء في (الدرر السنية) سواء ورد في (مجموعة الرسائل) أو كان زائدا عليها ، مع الاشارة الى أجزاء الدرر وصفحاتها الموجود فيها ما يتعلق بالشيخ من آثار ، مشيرين الى عدد الأسطر ان قلت عن عشرة ، وهذه كثرة غالبة . وسأعتمد في التحديد على الطبعة الثانية من (الدرر) التي بينت أمرها :

ج ١ ـ كتاب العقائد :

١ ـ رسالة منه كتبها لما بلغه أن الشيخ عبد اللطيف بن مبارك نصب في بعض مساجد الأحساء من يتهم بمذهب الأشاعرة من غير اذن الامام ، وجهها الى محمد بن عبد الله ، وعبد الله بن سالم : (ص ١٥٨ ـ ١٥٩) .

٢ ـ رسالة منه الى الاخوان والأعيان من أهل الأحساء (الشيخ عبد اللطيف بن مبارك وابنيه ، وأولاد عبد الله الوهيبي ، وعبد الله بن عبد القادر ، وعبد الله بن عمير ، واخوانهم من أهل المدارس والمساجد) حول انكارهم دعوة الشيخ لجهلهم بالتوحيد : (ص ١٥٩ ـ ١٦١) .

٣ ـ الكلام في الاسلام والايمان في مقامات : (ص ١٦١ ـ ١٦٣) .

٤ ـ سئل أيضا عن الفرق بين الاسلام والايمان ، فأجاب : (ص ١٦٣ ـ ١٦٥) .

٥ ـ من عبد الرحمن بن حسن الى الأخ القادم من بلاد الأفغان (عبد الله بن محمد) تتعلق بتحريم علم المنطق : (ص ١٦٥ ـ ١٦٦) .

٦ ـ جواب له حول كلام الله : (ص ١٦٦) .

٧ ـ جواب حول حديث : (أنا مدينة العلم وعلي بابها) : (ص ١٦٧) .

٨ ـ رسالة (أصول الدين ، وأركان الصلاة) : (ص ١٦٧ ـ ١٦٩) .

ج ٢ ـ كتاب التوحيد :

٩ ـ شرح قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (أصل دين الاسلام وقاعدته أمران ...) : (ص ٩٥ ـ ٩٩) .

١٠ ـ رسالة في (تقرير الالهية) : (ص ٩٩ ـ ١٠٧) .

١١ ـ جوابه حول حديث (من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله ...) (ص ١٠٧ ـ ١١٦) .

١٢ ـ الكلام في بيان ما أورده علي الجهمي الذي في (بني ياس) في معنى لا اله الا الله : (ص ١١٧ ـ ١٢٠) ٠

١٣ ـ معنى كلمة الاخلاص (لا اله الا الله) وشروطها : (ص ١٢٠ ـ ١٢٢) ٠

١٤ ـ حول جهل أكثر الناس بمعنى ألا اله الا الله : (ص ١٢٢) ٠ في ٩ أسطر وقليل ٠

١٥ ـ رد قول (ان المستثنى بالا داخل في النفي) : ص ١٢٢ ـ ١٢٣)

١٦ ـ رسالة الى الامام فيصل في معنى (لا اله الا الله) وما دلت عليه : (ص ١٢٣ ـ ١٢٦) ٠

١٧ ـ رسالة مع مشاركة (علي بن حسين ، وابراهيم بن سيف) الى الاخوان تتضمن الوصية بتقوى الله : (ص ١٢٦ ـ ١٢٩) ٠

١٨ ـ رسالة الى الاخوان من أهل القصيم : (ص ١٢٩ ـ ١٣٠) ٠

١٩ ـ رسالة الى الاحساء ، فيما دلت عليه كلمة الاخلاص ، موجهة الى الأمير محمد بن أحمد ، والشيخ عبد اللطيف بن مبارك ، وأعيان أهل الأحساء وعامتهم : (ص ١٣١) ٠

٢٠ ـ رسالة الى صالح الشثري وزيد بن محمد واخوانهم ، يوصيهم بتدبر الكتاب ٠٠٠ الخ : (ص ١٣١ ـ ١٣٢) ٠

٢١ ـ سئل رحمة الله عمن يعرف التوحيد ويعتقده ويقرأ في التفسير كتفسير البغوي ونحوه ، هل له أن يحدث بما سمعه وحفظه من العلم ، ولو لم يقرأ في النحو أولا ؟ فأجاب : (ص ١٣٢ ـ ١٣٣) ٠

٢٢ ـ فائدة في حقيقة التوحيد والمتابعة : (ص ١٣٣ ـ ١٣٤) ٠

ج ٣ ـ كتاب الأسماء والصفات :

٢٣ ـ جوابه عن ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ونعوت الجلال ، هل يقال في جميعها صفات قائمة بالذات فقط ؟ أو يقال ذلك في بعضها ، ويقال في بعضها صفات أفعال ؟ : (ص ٢٦٢ ـ ٢٨٧) (٤) ٠

٢٤ ـ جوابه عن سؤال عن الجهمية والرافضة والمعتزلة : (ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩) .

٢٥ ـ جوابه على أسئلة وردت من (عمان) صدرت من جهمي ضال يستعجز بها بعض المسلمين : (ص ٢٩٠ ـ ٢٩٤) .

٢٦ ـ رسالة الى راشد بن مطر ، وما ذكر من قيام الجهمية والرافضة والمعتزلة عليهم : (ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧) .

٢٧ ـ جوابه عن سؤال عن قول الخطيب : (الحمد لله الذي تحيرت العقول في مبدأ أنواره ، وتاهت الألباب في صمديته وكنه ذاته) : (ص ٢٩٧ ـ ٢٩٨) .

٢٨ ـ جوابه على قول بعض الناس : (انه على ما يشاء قدير) : (ص ٢٩٨) ـ في ٥ أسطر ، وقد أوردها ابن بشر في تاريخه (عنوان المجد : ٢٢/٢) .

٢٩ ـ جوابه على من هنأه بقدوم ابنه عبد اللطيف من مصر وتوسل الى الله في دعائه بصفاته الكاملة التي لا يعلمها الا هو : (ص ٢٩٩) ـ في ٥ أسطر ، أوردها ابن بشرأيضا في تاريخه : ٢٢/٢ ـ ٢٣ .

ج٤ ـ كتاب العبادات : (مجلد من ص ٣ ـ ٤١٧) :

(فصل في أصول مأخذهم) :

٣٠ ـ قول له في (من ترك العمل بالحديث الصحيح اذا خالف المذهب) : (ص ٣٣) ـ في ٩ أسطر .

(فصل في أصول الفقه) :

٣١ ـ جواب له عن (الفرق بين المندوب والمستحب والمباح والجائز والباطل والفاسد والصحيح والمكروه) : (ص ٥٧) .

٣٢ ـ جواب له عن (الفرق بين الباطل والفاسد عند الأصوليين) (ص ٥٧ ـ ٥٨) ، ومسألة في تعارض الأصل والظاهر : (ص ٥٨) .

٣٣ ـ قول له حول (القياس أحد أدلة الأصول الخمسة) (ص ٥٩)ـ في ٦ أسطر .

كتاب الطهارة : (ص ٦٩ ــ ١٠٠) :

٣٤ ــ قول له حول (الاستنجاء في البرك ، وأنه يتعين انكاره ...) : (ص ٧٥) ــ في ٧ أسطر .

٣٥ ــ جواب له عن (غمس يد القائم من نوع الليل ، هل يسلب الماء الطهورية ؟) : (ص ٧٥) ــ في ٥ أسطر .

(باب السواك وسنن الفطرة) :

٣٦ ــ جواب له عن قولهم : اذا استعمل الماء ولم يدخل يده في الاناء ... : (ص ٧٨ ــ ٧٩) ــ في ٨ أسطر .

٣٧ ــ جواب له عن سؤال : (هل يكفي غسل احدى اليدين عند القيام من النوم ؟) : (ص ٧٩) .

(باب المسح على الخفين) :

٣٨ ــ جواب له عن سؤال : (هل يشترط تقدم الطهارة للجبيرة عند المسح على الخفين) : (ص ٨١ ــ ٨٢) ــ في ٧ أسطر .

٣٩ ــ جواب على سؤال : (اذا سقطت الجبيرة بنفسها من غير برء هل تنتقض الطهارة بذلك ؟) : (ص ٨٢) ــ في ٦ أسطر .

(باب الغسل) :

٤٠ ــ جواب على سؤال : (هل يكفي غسل اليد بنية القيام من نوم الليل أو من الجنابة ، أو الأعلى يرتفع به الأدنى ... الخ ؟ : (ص ٨٣ ــ ٨٤) ــ في ٩ أسطر .

٤١ ــ جوابه عن سؤال : (اذا نوى الغسل ، هل يرتفع ما دونه ؟) : (ص ٨٥) ــ في نحو ٨ أسطر .

(باب التيمم) :

٤٢ ــ جواب سؤال عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن الرجل الذي صلى بالتيمم ولم يعد لما وصل الى الماء : (أصبت السنة وأجزاتك صلاتك .. الخ) (ص ٨٩) ــ الجواب في ٤ أسطر .

(باب ازالة النجاسة) :

٤٣ ــ جواب سؤال عن (حكم الدم المحتقن في جوف الذبيحة) : (ص ٩٢) ــ في ٧ أسطر .

(باب الحيض) :

٤٤ ـ جواب سؤال عن (أقل الطهر وأكثره) : (ص ٩٦) ـ الجواب في ٤ أسطر .

٤٥ ـ جواب سؤال (هل يجـــوز وطء الحائض اذا طهرت قبل أن تغتسل ؟) (ص ٩٧) ـ في ٥ أسطر .

٤٦ ـ جواب سؤال عن المجدورة اذا حاضت وانقطع الدم ولم تغتسل : هل تصلي وتصوم ولا يلزمها اعادة ؟ وهل يجب عليها الغسل من الجنابة والحيض اذا أصابها ؟ : (ص ٩٧) ـ الجواب في ٣ أسطر .

٤٧ ـ جوابه حول موضوع (من رأت النقـــاء في أيام الحيض) ، (ص ٩٩) ـ الجواب في نحو ٣ أسطر .

كتاب الصلاة : (ص ١٠٠ ـ ٢٤٢) :

٤٨ ـ قول له يتعلق بمن ترك الصلاة تهاونا وكسلا : (ص ١٠٤) ـ في نحو ٨ أسطر .

(باب شروط الصلاة) :

٤٩ ـ جـــواب له حـــول تحريم لبس الحرير على ذكور الأمة : (ص ١١٧ ـ ١٢٥) .

٥٠ ـ جواب له آخر يتعلق بالنهي عن الحرير وتحريمه على ذكور هذه الأمة : (ص ١٢٥ ـ ١٢٨) .

٥١ ـ جواب له حول (المحرمة التي أخضرها حرير ، وأنها لا شـــك حرام) (ص ١٢٨ ـ ١٢٩)ـ في ٨ أسطر .

٥٢ ـ جواب سؤال عن (التزعفر للرجال) : (ص ١٣١ ـ في سطر واحـــد .

٥٣ ـ جواب سؤال (من صلى وفي ثوبه نجاسة) : (ص ١٣٢) ـ في ٦ أسطر .

٥٤ ـ جوابه عن سؤال (عمن أنكر دخول المسجد بالنعـــال) (ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ في ٦ أسطر .

(باب صفة الصلاة) :

٥٥ ــ قول له في الأذكار بعد الصلاة ، وما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول بعد الانصراف منها ، وقراءة آية الكرسي : (ص ١٥٠ ــ ١٥٢) ٠

٥٦ ــ جواب سؤال عن الدعاء بعد المكتوبة ورفع الأيدي : (ص ١٥٧) ــ في نحو سطرين ٠

٥٧ ــ جواب سؤال عن السؤال عند آية الرحمة في الفريضة ، والاستعاذة عند اية الوعيد : (ص ١٦١) ــ في ٥ أسطر ٠

(باب صلاة التطوع) :

٥٨ ــ قول له بعد ذكره النهي عن الشرك والبراءة منه ومن المشركين ومن الرافضة وغيرهم : (ص ١٦٩) ٠

٥٩ ــ وصيته في طلب العلم : (ص ١٧٤ ــ ١٧٥) ٠

٦٠ ــ جواب له عن (القنوت عند حدوث الأمراض) :

(ص ١٧٨ ــ ١٧٩) في نحو سطر وزيادة ٠

٦١ ــ اجابة حول موضوع (احياء العشر الأواخر من رمضان) :
(ص ١٨٥) في ٥ أسطر ٠

٦٢ ــ جواب سؤال عن (الصلاة بين التراويح ، هل هو التعقيب ؟) :
(ص ١٨٨) ــ في ٥ أسطر ٠

(فصل في الامامة) :

٦٣ ــ جواب سؤال عن (مكث الامام بعد السلام مستقبل القبلة حتى يفرغ من التهليلات العشر ٠٠٠ الخ) : (ص ٢٠١ ــ ٢٠٢) ٠

٦٤ ــ قول له عن الزام الأمير تفقد الناس في المساجد حتى يعرف من يتخلف عن الصلاة ويتهاون بها : (ص ٢٠٣) ــ في ٧ أسطر ٠

(باب صلاة أهل الأعذار) :

٦٥ ــ جواب له يتعلق بتمام الصلاة في السفر : (ص ٢٠٧) ــ في ٨ أسطر ٠

٦٦ ـ جواب سؤال عن (من نوى جمع تأخير حيث يجوز له الجمع فدخل وقت الثانية قبل أن يصلوا الى الماء ٠٠) : (ص ٢١٠) ـ الاجابة في ٣ أسطر ٠

(باب صلاة الجمعة) :

٦٧ ـ جواب سؤال عن تحديد وقت صلاة الجمعة : (ص ٢١٢) ـ في ٣ أسطر ٠

٦٨ ـ جواب سؤال عن (من يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويترضى عن الصحابة رضي الله عنهم جهرا والامام يخطب يوم الجمعة) : (ص ٢٢٩) ٠

٦٩ ـ جواب حول سؤال عن الناس الذين يجتمعون ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم : (ص ٢٢٩) ـ في ٣ أسطر ٠

٧٠ ـ جواب سؤال عن تقدم الخطيب في المسجد : (ص ٢٢٩) ـ في سطرين ٠

٧١ ـ جواب سؤال فيما اذا وافق يوم الجمعة يوم عيد : (ص ٢٣٢) ٠

٧٢ ـ جواب سؤال عن حديث (من مس الحصى ٠٠٠) : (ص ٢٣٥) ـ في ٦ أسطر ٠

٧٣ ـ جواب سؤال عن (ما ورد في يوم الجمعة من الخصائص ٠٠٠ الخ) : ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦) ٠

الهوامش

١ ـ ترتيب صفحات الرسائل والفتاوى في هذا الكتاب عن ترتيب المجموعة ككل ٠

٢ ـ الترقيم بالنسبة لمجموعة الرسائل والمسائل ككل ٠

٣ ـ في الأصل : من بلاد الاوغان ٠

٤ ـ الترقيم متصل بترقيم ج ٢ ٠

التراث بين السلف والخلف

للأستاذ : عبدالله حمد الحقيل

الحديث عن التراث حديث متشعب الأطراف متنوع العناصر اذ هو موئل الأفكار والعقول وان احياء التراث العربي الاسلامي والعناية به لعمل جليل سيكون له ما بعده لا في حياة الأمة العربية وحدها بل للعالم الاسلامي والحياة الانسانية كلها اذا أتيح له من النجاح والاهتمام والعناية ما هو أهل له ·· ولقد لاحظنا اهتمام الغربيين ونشاطهم في احياء تراثهم والجهود التي يبذلونها في هذا المضمار وقد تجاوز ذلك الى اهتمامهم بتراث الأمم الأخرى ·· وللأسف فمازلنا مقصرين في ذات تراثنا واحيائه واخراجه وتحقيقه فتراثنا جزء من شخصيتنا وكياننا ·· وليس احياء التراث معناه الانصراف عن الأخذ بأسباب العلوم والآداب والثقافات الحديثة · فمازال الغربيون يولون الأدب اليوناني واللاتيني القديم كل اهتمام وتحقيق ···

اننا كثيرا ما نسمع عن تشكيل مجموعة من الباحثين لنشر وتحقيق بعض الكتب على مختلف المستويات الرسمية والشعبية سواء في الجامعة العربية أو معهد المخطوطات أو المجامع اللغوية والجامعات ودور النشر والمكتبات وتشكيل مجموعات من الباحثين وذلك لنشر وتحقيق بعض الكتب ونقرأ أن هناك كتبا كثيرة حققت وأعطيت للناشرين فتعثرت في طباعتها اذ ظهرت بعض

أجزائها وبقيت الأخرى نظرا لما لحق الناشر من خسارة مادية حالت دون الاخراج . ولقد سمعت من أحد المسئولين عن دور النشر قائلا ان كتب التراث تبقى مكدسة لدينا ولا يقبل الناس على قراءتها وشرائها باستثناء البعض من الجامعات والمتخصصين ·· لقد شغف علماؤنا القدامى بالكتب وشرائها وجمعها حتى كانوا يرون خسارتهم في أموالهم أيسر عليهم من خسارتهم في كتبهم وكانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها قبيل الانتهاء من تأليفها وعلى سبيل المثال فقد سمع الحكم أمير الأندلس بكتاب الأغاني فأرسل على الفور الى مؤلفه أبي الفرج الأصفهاني بألف دينار من الذهب ثمن نسخة واحدة منه فأرسل اليه أبو الفرج بنسخة من الكتاب فقرئ كتابه في الأندلس قبل أن يعرف في موطن المؤلف العراق · وروى عن الصاحب بن عباد أنه فضل أن يبقى بجانب كتبه ومكتبته على المنصب الكبير الذي عرض عليه في بلاط نوح بن منصور الساماني كما كان المأمون يعطي حنين بن اسحاق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية كما أن محمد عبد الملك الزيات يعطي نساخ الكتب في مكتبه ألفي دينار وغير ذلك من الأمثلة كثير مما يتحدث عنه التاريخ باعجاب ·· ان تراثنا ليفيض بذخائر المؤلفات التي تشع بالنور والضياء والمعرفة وان تجاهل ذلك وازدرائه لا يليق بنا ومن الخير أن نعمل على احيائه والاستفادة منه ليصبح زادا ثقافيا واعيا للشباب وليصير منطلقا واسعا يتعرف فيه أبناؤنا على ماضيهم وتراثهم وأعلامهم وعلمائهم وما تحمله أولئك الأعلام في تناول ومعالجة القضايا الفكرية والثقافية والتاريخية وكانوا يتحلون بأسمى الصفات وأنبل السجايا التي تتمثل في رجال العلم والبحث من أمانة ودقة واستقصاء ودأب واخلاص ووفاء وتجرد ومن يستعرض سير المؤرخين وأئمة اللغة والنحو ورحلاتهم الى مختلف البلدان ومناطق تجمع البادية وذلك بقصد التأكد من صحة وصواب الأساليب والمؤلفات المعجمية واخراجها على الوجه العلمي · لقد اهتم المستشرقون بتراثنا وطبع ما حصلوا عليه من كتبنا والرجوع الى المظان المنقول عنها ويقول البحاثة محمد كرد علي « لولا عناية المستعربين باحياء آثارنا لما انتهت الينا تلك الدرر الثمينة التي أخذناها من طبقات الصحابة وطبقات الحفاظ ومعجم البلدان ومعجم الأدباء ·· ورأوا مصلحة للعلم والآداب أو للسياسة والاستعمار غرضا في احيائه قبل غيره » ·

ويقول صاحب الرسالة الأديب المعروف المرحوم أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي : « لقد كتب المستشرقون البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول وتصحيح الأخطاء وكشف المجهول عن الأسلوب العلمي الصحيح والمنهج المنطقي الحديث وأصدروا

المجلات ونشروا نفائس الكتب وعلقوا عليها الحواشي وذيلوها بالفهارس المختلفة للأسماء والأمكنة والموضوعات ويقـــول المؤرخ الانجليزي ملر في كتابه فلسفة التاريخ : « ان مدارس العرب في أســبانيا كانت هي مصادر العلوم وكان الطلاب الأوروبيون يهرعون اليها من كل قطر يتلقون فيهـــا العلوم والرياضة وماوراء الطبيعة وكذلك أصبح جنوبي ايطاليا منـــذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة الى أوروبا ولقد ورد الى المدارس العربية مجموعة من الرهبان لدراسة علوم الرياضيات والفلك ثم عادوا الى قومهم ينشرون فيهم نور الشرق وثقافة العرب فرموهم بالســـحر والكفر ... وهكذا تخرج على علماء الأندلس العديد من العلماء والمفـــكرين وأولعوا باللغة العربية وعدوها لغة الأدب العالي .

ولقد أوصى قومه الراهب روجر بتيون الانجليزي بتعلم اللغة العربية وقال : « ان الله يؤتي الحكمة من يشاء ولم يشأ أن يؤتيهـــا اللاتين وانما آتاها اليهود والاغريق والعرب .

لقد أقبلت الأمم الأوربية القوية تتنافس في تعلم علوم العرب وارتياد أفكارهم وكشف آثارهم واحياء آدابهم وطبع كتبهم وابراز فنهم ...

ان قضية الاهتمام بتراثنا والعمل على احيائه قضية تتسع أبعادها كما تقول الأديبة الدكتورة بنت الشاطيء فهي تســـتوعب الماضي والحاضر والمستقبل كما ترحب مكانا فتتجاوز حدود وطننا العربي الى العالم الاسلامي الكبير ثم انها في جوهرها قضية وجود ومصير بما تكشف عن حقيقة ذاتنا وآماد طاقتنا وما تضيء لنا من معالم الطريق وآفاق الطموح ...

منذ بضعة أيام كنت أقرأ موضوعا في احدى المجلات العربية يتحدث فيه كاتبه عن الاهتمام فقط بمشكلات هذا العصر والقضايا التي نعيشها وأنه لا داعي للاهتمام بالتراث لأن جدواه قليلة ...

والواقع أن هذا الاتجاه دعوة لعزلنا عن تراثنا وماضـــينا وتلك لعمرى دعوة جائرة وأسلوب خطير واشاحة عن تلك الأمجاد وانفصـــام عن التاريخ وتنكر للموروثات الثقافية والفكرية والعلمية والروحية .. وليس معنى الاهتمام بالتراث أن ننشغل به ولا نلتفت الى ما سواه من حياتنـــا وما تموج به من معطيات فنحن نعيش الحاضر ونتفاعل معه ونشارك فيه ولكن ليس معـــنى ذلك أن ننسى ماضينا ولا نهتم بتراثنـــــا وذخائرنا وما تركه أسلافنا من ثمار المعرفة ... والتي أصبحت ميراثا ثقافيا يجب أن نحافظ عليه ونرعاه كما تحافظ الأمم الأخرى على تراثها الفـــكري والحضاري ...

فلتتسع آفاقنـــا ولننظر لذلك نظرة واعية شـــاملة ولندرك الدور الحيوي الجليل الذي قام به أسلافنا في رسالتهم الحضارية حيث شهد التاريخ لهم بما أوجدوه من تحول تاريخي عظيم اتسع وامتـــد في مختلف أقطار الأرض .. ومن الواجب علينا ألا نترك تراثنا يعمل على احيائه نفر من المستشرقين اتخذ البعض منهم ذلك وسيلة للتجني على الاسلام والمســلمين ودس سمومهم فمناهجهم في البحث معروفة فكم أساءوا الى الاســلام وذلك هدفهم وسبيلهم واهتمامهم بالأقوال التافهة والآراء الواهية وقبولهم وترويجهم للأحاديث الموضوعة وغير ذلك مما هو معروف .

ان تراثنا الاسلامي يحفل بصفحات مشرقة ناصعة ولقــد واجهت الأمة الاسلامية عبر العصور تحديات عنيفـــة وقد اشرأبت أعناق الحاسدين والطامعين وسعوا جاهدين الى اخماد جذوة الايمان بكل ما في جعبتهم من ألوان الأذى والكراهية والعنف واحراق الكثير من المآثر والذخائر والمعارف في بغداد والأندلس وغيرها بيد أن ذلك كله لم يطفىء اشعاع الثقـــافة الاسلامية في النفوس فبعد سقوط الأندلس ظل المسلمون يتسترون باسلامهم يصلون في الكنيسة ويقرأون سرا سورة « قل يا أيها الكافرون لا أعبـــد ما تعبدون .. » ويستظهرون في بيوتهم ويؤلفون كتبا مبسطة في الفقــه والتوحيد والسيرة النبوية والقصص القرآنية رغم محاربة الكنيسة لهم ومع ذلك لم تتقوض الثقافة الأندلسية الاسلامية وبقيت أسماء العلماء والمفكرين الأندلسيين رغم حقد ومقاومة المتعصبين المســـيحيين ومن يطالع التاريخ الأندلسي يدرك ذلك وكيف تقاسم الغزاة خزائن مكتبات العلماء المسلمين .

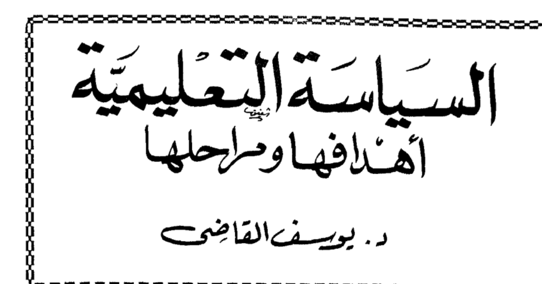
وماتزال المكتبات الأوربية اليوم تمتلك رصـــيدا كبيرا من كتب التراث الاسلامي وفي النمسا تحتوي المكتبة القومية في فيينا على مجموعة من المخطوطات وفي برلين بألمانيا مجموعة من المخطـــوطات وكذا تقتني جامعة هامبورج وثائق من التراث معظمة مكتوب باللغة العربيـــة وفي هولندا وبريطانيا وفرنسا مجموعات ثمينة وغيرها كثير مما تحـــويه من الذخائر النادرة والمخطوطات والكتب التي تركها أسلافنا وتســـابق الأجانب على الاحتفاظ بها في خزائن مكتباتهم ومن الخـــير أن نكون أولى منهم وأجدر بالوفاء لتراثنا وما خلفه أسلافنا والوفاء من الصفات الأصيلة الكريمة . كما قال شاعرنا العربي .

حلبنا الدهر أشـــطره ومرت بنـــا عقب الشـــدائد والرخـــاء

وجربنـــا وجـــرب أولونـــا فلا شيء أعـــز من الوفـــاء

المصـــادر

تاريخ الأدب العربي	أحمد حسن الزيات
دراسة في مصادر الأدب	دكتور أحمد مكي
تراثنــــا	بنت الشــــاطيء
كلمات متناثرة	عبد الله حمد الحقيل
العقد الفريد	ابن عبد ربه
خزانة الأدب	عبد القادر البغـــدادي



السياسة التعليمية أهدافها ومراحلها

د. يوسف القاضي

أولا ـ نبذة عامة :

خلق الله الانسان ووضع فيه قدرات وامكانات عديدة ، لتمكنه من حمل الرسالة والأمانة التي حملها الله له • ومن هـــذه القدرات والامكانات أن جعل له عقلا مفكرا واعيا ، ليفكر به ويخطط ، ويرسم ما يتصوره لحاضره ولمستقبله ، وهذا يتأتى عن طريق رسم مخططات المستقبل ، وأخذ جميع الامكانات والتوقعات بعين الاعتبار •

وانطلاقا من هذا المبدأ ، فقد أولت حكومة المملكة العربيـــة السعودية التخطيط أهمية بالغة ، وأنشأت له وزارة متخصـصة هي وزارة التخطيط ، لتتعـــاون مع الوزارات الأخرى في وضع الخطط والسياسات والاستراتيجيات التي من شأنها تطوير البلاد ، وتنمية مواردها البشرية والطبيعية • وقد حظى التعليم بقســط وافر من الاهتمام لدى وزارة التعليم العـــالي ووزارة المعــــارف ، ووزارة التخطيط ، والوزارات الأخرى والمعنية بالتخصصات المختلفة •

وبدراسة النشاطات والانجازات التي تمت في ميدان التعليم على مر السنوات الماضية بصورة عامة ، والسنوات العشر الأخيرة منها بصـــفة خاصة ، والتي هي سنوات الخطتين الخمسيتين الأولى والثانية ، نجد أن التعليم في المملكة العربية السعودية قد تطور تطورا مذهلا ، فبعد أن كان مقصورا على المدن الرئيسية ، انتشر الآن ليعم الحواضر والبوادي ، وتوسع كما وكيفا ليشمل جميع مراحله وتخصصاته ومتطلباته • وتطـــور منهجا

وطريقة ليعطي المردود المنتظر منه باذن الله · وسنولي ذلك عناية خاصة عندما نتحدث عن تطور التعليم العالي والثانوي والمتوسط والابتدائي والمهني على أنواعها ، مع تقديم ايضاحات وجداول ورسوم بيانية ، لنضع القارىء الكريم وجها لوجه أمام الحقائق التي تتكلم بلغة الأرقام والاحصائيات والبيانات على اختلافها · وسيولي هذا البحث دراسة الأمور التي تتعلق بأهداف السياسة التعليمية ، ومرحلة الاستراتيجية ، وميزاتها وتفصيلها ، ثم تأتي بعدها مرحلة منهج التخطيط ، كما سيعنى بالخطط والاستراتيجيات التربوية المعاصرة . والأسباب الموجبة لادخال الاصلاح التربوي وتنفيذه في بلد ما من البلدان ، هادفين من وراء ذلك الى ايضاح الخطوط العريضة التي تساعد في تطوير العملية التربوية كخطوة مبدئية ، للقيام بالتطوير الشامل في المجالات الفكرية ، والاقتصادية ، والعمرانية ، والصحية ، والزراعية ، والخدمات العامة ، التي تحتاج عند تطويرها لتنمية شاملة في القوى البشرية العاملة فيها الواعية لمهام عملها ، والمتخصصة فيه ·

ثانيا ـ أهداف السياسة التعليمية :

تمر عملية تحديد السياسة التعليمية بمراحل عدة عند اعدادها ، ومن الضروري أن تكون لكل سياسة أهداف محددة وعملية يمكن تحقيقها ، لتوضح مسار هذه السياسة وتنير لها الطريق ، ومن هذه الأهداف :

١ ـ أخذ السياسة العامة للبلاد بعين الاعتبار ومن ضمنها السياسة التعليمية ·

٢ ـ تحقيق التكامل والانسجام بين الأهداف الأخرى للنشاطات المختلفة والأهداف التربوية ·

٣ ـ ترابط الأهداف التربوية مع الأهداف الأخرى العامة في البلاد التي تتعلق بالنشاطات الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية والثقافية بحيث تتمشى معها ·

٤ ـ توفر المرونة الكافية في اختيار الأهداف وتعديلها حسبما تقتضيه المصلحة العامة المعلنة للبلاد على شكل خطط موضوعة من قبل القطاعات الأخرى ·

ويجب الاشارة هنا الى أن السياسة التربوية لا تنحصر في وضع المبادىء التوجيهية العامة التي تستخلصها من الاتجاهات العامة لسياسة

البلاد فقط ، بل لابد لها أن تشمل مجموعة من الأهداف الخاصة المتكاملة والمترابطة ، ومن هذه الأهداف الخاصة ما يتعلق بالمعتقـــدات والثقافة والفلسفة العامة ، والعادات والتقاليد المرعية التي تعطينا فكرة واضحة عن الانسان ، وما حمله الله من أمانة ، ووضع فيه من قدرات • وقد ورد في كتاب « تعلم لتكون ـ Learn To Be " عن السياسة التربوية وأهدافها ما يلي : ـ

« ان السياسة التربوية لا تنحصر في رسم بعض المبادىء التوجيهية العامة ، بل لابد من أن تشتمل على مجموعة من الأهداف الخاصة المترابطة فيما بينها ترابطا قويا ، ومن بينها الأهداف ذات الطابع الروحي والفلسفي والثقافي ، مما يقدم فكرة واضحة عن مفهوم الانسان • ويعمد بعد هذا الى تحديد الأهداف السياسية المتمشية مع الاختيارات القومية الكبرى • ويمكن بعد ذلك تحديد الأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي تتضافر فيما بينها لتحقيق الغاية المنشودة ، طبقا لفلسفة المجتمع في الحيـــاة ، ولمتطلبات التنمية • وبعد هذا تحدد الخطوط العريضة للأهداف التربوية التي هي الشرط الأساسي لتحقيق الأهداف الأخرى المرسومة من أجل تنمية البلاد • وأخيرا ، تحدد الأهداف المحصورة في النطـــاق التربوي ، ويجب أن تعبر تعبيرا صادقا عن الاتجاهات السائدة في المؤسسات التربوية وفي التعليم على اختلاف مراحله » (١) •

وتعتبر عملية تحديد أهـداف الســـياسة التعليمية عملية علمية موضوعية ، لأنها تستند الى بحث ميداني يشمل معظم ميادين النشاط في المجتمع ، الاقتصادية منها ، والسياسية ، والعمرانية ، والثقافية والمهنية ••• فاذا انتهينا من تحديد الأهداف ، لابد لنا من تصنيفها حسب أولوياتها وأسبقيتها ، ثم تدرج في مخطط متكامل متماسك ومرن ، لنرفعها بعدئذ على أنها السياسة التربوية ، أو سياسة التعليم للبلاد •

ثالثا ـ مراحل السياسة التعليمية :

فالسياسة التربوية ، أو سياسة التعليم عمليـة تطبق على مراحل ، تبدأ بمرحلة وضع الأهداف وتحديدها ، ثم تنتقل الى اختيـــار الخطوات والطرق العملية لوضع الأهداف المنشودة موضع التنفيذ العملي ، وهـــو ما يسميه الخبراء مرحلة الاستراتيجية • وتأتي بعد هذه المرحلة ، مرحلة التخطيط ، واعداد العدة ، وتوفير الوسائل والأجهزة والمـــال اللازم ، أو ما يسميه الخبراء « منهج التخطيط » • ولايضاح هذه المراحل الثلاث ندرجها متتالية كما يلي :

(أ) مرحلة الاختيارات الرئيسية للسياسة التعليمية أو السياسة التربوية ·

(ب) مرحلة اختيار الطرق اللازمة لتنفيذها أو الاستراتيجية ·

(جـ) مرحلة تحديد منهج التخطيط الذي يهدف الى تسهيل العمل لمن تناط به مسئولية اتخاذ القرارات لتطبيق التعليمات المتعلقة بالاستراتيجية ·

ويجب أن تكون هذه المراحل الثلاث متداخلة ومتماسكة ومتكاملة ومنسجمة لتعطي ثمارها اذا ما أردنا أن نسير بالنظام التربوي سيرا مطردا متطورا نحو الأفضل ·

وقد أكد فلاسفة التربية وأخصائيوها أن المراحل الثلاث المدرجة أعلاه يجب أن تكون مترابطة ترابطا منسجما · وهذا الشرط أساسي اذا كنا نريد أن يسير النظام التربوي سيرا حسنا ، وأن يتقدم الى الأمام ، مهما كان نوع النظام ودرجة تطوره ، ومهما كان المذهب العقائدي الذي يستمد منه مبادئه ·

وهذا الكلام يصدق بصفة خاصة على النظام التربوي الشامل · ولعله من النادر أن يكون التخطيط ناجحا في جميع مراحله ، فمن الجائز مثلا ألا يتمخض الفكر السياسي عن قرارات تربوية حازمة ، وأن يتمخض عن قرارات يعوزها الوضوح أحيانا ، فلا تنسجم مع الطرائق والوسائل المستعملة لتطبيق تلك القرارات · وأكثر ما يكون الاخفاق في مرحلة الاستراتيجية لأنها قد تختلط أحيانا مع المرحلة السابقة (السياسية) ، أو المرحلة اللاحقة (التخطيط) ·

وقد يكون سبب الاخفاق راجعا الى التخطيط خاصة اذا لم يعتمد على فكر متبصر بالأهداف المنشودة (٢) ·

فمن هنا كان علينا أن ننظر لهذه المراحل الثلاث على أنها كل لا يتجزأ ، أي أنه لا يجدي أن نختار عناصر السياسة التربوية ونتركها حبرا على ورق · كما أنه لا يمكننا أن نضع استراتيجية التنفيذ بدون الاختيارات الرئيسية لحاجات المجتمع · وتبقى المرحلتان السابقتان بدون أثر يذكر ولا نفع للمجتمع ، الا اذا رافقهما منهج لتخطيط التنفيذ حسب الاختيارات المنتقاة والطرائق المعدة المدروسة ·

مرحلة الاستراتيجية :

تكمن أهمية هذه المرحلة في الغاية التي وضعت من أجلها ، ألا وهي صياغة الاختيارات التي تم اختيارها ، على أن تؤخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع عند صياغتها في مجموعة من الاجراءات ، لتحديد ما يجب أن نعمله تبعا لما قد يحدث في المستقبل • وهذا يتطلب منا وضع الاختيارات في قالب عملي منظم ، مراعين العوامل التي قد تطرأ واحتمالات حدوثها ، وعامل الوقت الذي تتطلبه لوضعها موضع التنفيذ • وهـــذا يعني بكلام أوضح الانتقال بالمبادىء المختارة للسياسة التعليمية من الصعيد النظري الى الصعيد العملي • فتبدو أكثر وضوحا ، وأقرب ادراكا وتبلورا • فتســهل على القائمين على العملية التربوية تخطيط العناصر التي تسهم في انجاز الأهداف والاختيارات الموضوعة لسياسة التعليم •

وقد أوجز كتاب « تعلم لتكون » المبادىء الأساســية للاستراتيجية كما يلي : —

١ — تنظيم العناصر في كل متماسك •

٢ — أخذ المصادفة HAZARD واحتمالات حدوثها بعين الاعتبار •

٣ — العزم على معالجة المشكلة الناجمة عن تلك المصــادفة للتحكم فيها •

ويمكن تلخيص تلك المبادىء في عبارات مختصرة هي : مبدأ التركيب ، ومبدأ الاحتمال ، ومبدأ الارادة (٣) •

ومن هنا يظهر لنا بوضوح أن الاستراتيجية ، انما هي الحلقة التي تربط بين السياسة التعليمية من جهة ، وبين منهج التخطيط من جهــة أخـــرى •

مميزات الاستراتيجية التربوية :

من مميزات الاستراتيجية التربوية ما يلي :

١ — أن تكون شاملة لتنطبق على جميع أشكال التربية ومراحلهـــا ومستوياتها •

٢ ــ أن تكون متكاملة مع الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، لما يوجد من ارتباط وثيق بين هذه الأهداف بحيث لا يمكن فصل بعضها عن بعض واستقلالها ٠

٣ ــ أن تكون مرنة لتأخذ بصورة مستمرة عملية التطور التي تعم العالم أجمع وعملية التجديد ، لأنه من المعقول جدا أن تتغير المعطيات والاختيارات أثناء مرورها في مرحلة التنفيذ ٠

٤ ــ أن تكون طويلة المدى بصورة مقبولة لتساير السرعة في الانجاز اذا ما قيست بتطور الاختيارات السياسية التربوية ٠ وما نقصده هنا ، أن تطور العالم يؤثر على تطور جميع البلدان ٠ وهذا التطور يؤثر بطبيعته على انتقاء الاختيارات السياسية التربوية لأن متطلبات البلاد تتغير تبعا لتغير المعطيات وتغير العالم من حولنا ، فيتغير الاختيار ، وهكذا ٠٠٠ ومن هنا ، فان تطور التربية مرتبط ارتباطا وثيقا بالنواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعادات والتقاليد ٠ هذا الارتباط وثيق ومتين وحيوي ، بحيث لا يمكن أن تنجح الاستراتيجية التربوية الا اذا توثقت الصلة بينها وبين المطامع القومية والتطور المصاحب ، والامكانات والحاجات التي يحتاجها المجتمع ٠

٥ ــ أن تتعاون فيها الأجهزة التي تشرف على التعليم مع المختصين في المناهج والنشاطات الاجتماعية ، والنفسية ، والرياضية (٤) ٠

هذا فيما يخص تعداد المميزات للاستراتيجية التربوية التي تعتبر حجر الأساس لكل سياسة تربوية تعليمية وحيث أن هناك خصائص أخرى تدخل في صميم عمل الاستراتيجية التربوية ، كان لابد لنا من تفصيل بعضها كما يلي :

أولا : التوسع الكمي يجب أن يرافقه توسع كيفي : ــ

من دراسة الاستراتيجيات التربوية المطبقة في كثير من الدول ، وخاصة الدول النامية منها ، يتضح لنا أن الاتجاه ينحصر ، في معظم حالاته ، للتوسع على أساس الخط الذي كان يسير عليه النظام التربوي فيها ، من غير اجراء أي تغيير من حيث الشكل أو المضمون التربوي ، أو المستويات والبنيات التربوية ، أو هيئة التدريس ، أو البرامج المقررة ، أو التقنيات المستعملة ٠ وللتوصل الى هذا التوسع الكمي ، يلجأ القائمون على مقدرات النظام التربوي الى تقديره عن طريق التخمين ، مستندين في

ذلك على ما لاحظوه في النظام من تطورات وتغييرات . وهـــــذا لا يكفي للنهوض بالنظام التربوي ووضع استراتيجية تربوية له . فالتوسع الكمي يجب أن يرافقه توسع كيفي ، والتوفيق بينهما أمر جوهري لنجاحهما ، من أجل الحصول على صورة واضحة للمستقبل الذي نخطط له . فوجود تعارض بين توسع النظـــــام التربوي من حيث الكم ، وبين تأثير العمل التربوي ومردوده على المجتمع ، يؤدي في كثير من الأحيان الى ضياع اعتمادات مالية ، وجهود بشرية للنهوض بمؤسسات مدرسية تتطلب تكاليف باهظة دون أن تؤتي الثمرة المرجوة منها .

وقد أكد العديد من المخططين التربويين ، والمتخصصين العـــاملين في حقل التربية والتعليم ، أن استراتيجيات التوسع الخطي أي التوســـع من حيث النهوض بالنظام التربوي من حيث نشاطه وامكانياته على أساس الخط الذى كان يسير عليه سابقا دون اجراء أي تغيير من حيث الكيف ، ويعمد الى زيادة عدد الطلاب والمدرسين والميزانية والمدارس ... دون البحث عن حلول مبتكرة متنوعة في البيئة فقط ، لتطوير المنهج واعداد المعلم وطرق التدريس والوسائل التعليمية وغير ذلك ويتخذ التطوير الاتجاه السابق المرعي في نظام التعليم دون تغيير الا في الزيادة ، هذا النـــوع من الاستراتيجيات لا يقوم على أساس صحيح ، نظرا لما أسفرت عنه نتائج التجارب التي أجريت في هذا الشأن للمنهج الذي تتبعه في عمل تلك التجارب .

فالنظام التربوي عندما يوضع ليستفيد منه جمع غفير من الأفراد ، يستلزم تعديل الاستراتيجيات ، والانتقال من التقدير الكمي الى التقدير الكيفي أي الاهتمام بالنوعية أكثر من الاهتمام بالزيادات العددية ، ومن التقليد والسير على منوال الماضي ، الى البحث عن لحلول مبتـــكرة ، ومن الاقتصار على طريقة واحدة ، الى عالم ابتداع طرائق متنوعة بحسب الحالات المتقلبة خاصة وأننا نعيش في عالم متغير متبدل ، يأتينا كل يوم بجديد في ميادين العلم والمعرفة .

ثانيا : مراعاة الأهداف الخاصة للمجتمع :

ان وضع الاستراتيجية التعليمية التربوية مرتبـــط ارتباطا وثيقا بأهداف المجتمع الخاصة . ولهذا ، كان لزاما عند وضع الاستراتيجية النظر بما سيؤول اليه المجتمع من حيث تكوينه ، أفراده وجماعاته ، والنشاطات المرتبطة بتطويره وتحسينه وتعميره ، وتختلف اجراءات تحديد الاستراتيجيات والاختيارات التعليمية من مجتمع الى مجتمع . فمن المجتمعات من صعب

عليها ، للظروف التي تحيط بها رسم الأهداف الاجتمـــاعية والاقتصادية والثقافية البعيدة المدى ، بينما مجتمعات أخرى تعتمد على الحدس والتكهن واستشفاف الحوادث في تدبير شئونها الثقافية ٠ ولا شك في أن النظر الى العوامل المساعدة البعيـــدة المدى لتحديد الســـــياسة التربوية ، ورسم استراتيجية مدروسة لها ، يساعد كثيرا في تخطي الكثير من العقبات التي تعوق مسيرة التربية والتعليم ، وتعطيها رؤى واضحة المعالم بالنسبة لاتجاه تطورها في المستقبل باذن الله ٠

ثالثا : تحقيق مبدأ الشمول والاستفادة منه في التربية :

عندما نتكلم عن التربية ، فاننا نعني تلك المؤسسة التي تتجاوز اطار المدرسة والمعهد والجامعة ، ولا تنحصر في المؤسسات التابعة لها ، بل تشمل نشاطات المجتمع كله وتتصل به اتصالا مباشرا أو غير مباشر ٠ ومن هنا يجب أن تستفيد التربيـــة من الامكانيات المتيسرة في المجتمـــع كالبنيات الاقتصادية والادارية ، ووسائل الاعلام ، والمعامل ، والمنتزهات ، والوسط العائلي ، والنشاطات والمهن الأخرى التي لا حصر لهــــا ٠ ولذلك ، فان النظرة الشاملة للأنظمة التربوية تعتبر الأســـــاس في وضـــع وتحديد الاستراتيجيات التربوية ٠ ومن هنا صار التأكيد على مبدأ الشمول والتكامل والاستفادة منه تربويا ، حيث أنه لم يعد من الممكن اليوم تطبيق الاصلاحات التربوية بطريقة مجزأة ، ولم يعد من الممكن التغافل عن الأهداف والطرائق التربوية الشاملة ، فلابد لمن يريد أن يغير الأجزاء ، أن تتكون لديه فكرة واضحة عن الكل لأن تغيير الجزء في كثير من الأحيـــان لا يؤدي الى التغيير الكلي المنشـــود ، وربما أدى الى عرقلته اذا لم تؤخذ بقيـــة الأجزاء بعين الاعتبار عند التغيير ٠

مرحلة منهج التخطيط :

وتسمى مرحلة الطرائق أو الطرق ٠ والهدف من هذه المرحلة تسهيل العمل على المسئولين الذين تناط بهم عمليـــة اتخاذ القرارات التربوية ٠ فيصبح عملهم تطبيق التعليمات الواردة في الاستراتيجية باستعمال الطرق الحديثة لحساب ما يلزمها من مصاريف ونفقات وميزانيات ، ومن ناحية أخرى فان عليهم كذلك توفير جميع المتطلبات اللازمة للتنفيذ عندما يحين وقت العمل من كفاءات وقوى بشرية ، وأجهزة ، وآلات ، ووسائل نقل ، ووسائل معينة وغيرها ٠

ويجب أن يشمل التخطيط التربوي جميع ميادين التربية ، وأن لا يقتصر على المدرسة فقط ، لأن المدرسة جزء من المجتمع • فاذا أردنا أن نخطط للمدرسة فما علينا الا أن نبدأ بالمجتمع ، ونتعرف على امكانياته وحاجاته وثرواته ، وقد أكدت برامج الأمم المتحدة للتربية والتعليم في وثيقة وزعت على ممثلي دول العالم بالأمم المتحدة (٥) أهمية معرفة الأهداف المنجزة في التربية التي ينبغي أن تتماشى مع نمو الفرد في المجتمع • وقد جاء فيها ما يلي :

« من الضروري التأكد من أن الأهداف المنجزة في ميدان التربية هي بالذات الأهداف التي كانت قد حددت من قبل ، لكي يتسنى بذلك تحديد أهداف جديدة • وهذه الأهداف الأخيرة قد تتأثر بدورها بالأهداف المرسومة في الميادين الأخرى ، مثل الزراعة واستغلال الثروات المعدنية والصناعية والخدمات الاجتماعية الخ ••• على أن الأهداف التربوية يمكن من حيث المبدأ ، أن تنحصر في أهداف مقدرة بلغة الأرقام ، كالتي تحدد في مجال التشغيل أو المهن الحرة •

فالأهداف التربوية ينبغي من حيث المبدأ أن تتماشى مع نمو في الوسط الذي يعيش فيه ، أو في المجتمع الأكبر الذي يشمل الدولة وما فيها من مناطق وجهات •

وينبغي كذلك أن يكون المقصود من وضع تلك الأهداف هو حل المشاكل المتعلقة بتنظيم المجتمع ، كالعلاقات الموجودة بين (بلد وآخر) ، وبين جنس وآخر ، وكالمشاكل المتعلقة باختلاف اللغة الخ ••• » (٦) •

ومن المتعارف عليه أن المفاهيم الثلاثة التي فصلناها أعلاه ، وهي السياسة التربوية ، والاستراتيجية ، ومنهج التخطيط لتطبيق السياسة والاستراتيجية ووضعهما موضع التنفيذ ، تعتبر كلا متكاملا ، ووحدة لا تنفصم عراها ، ولا يمكن تنفيذ واحدة منها قبل الأخرى • وعليه ، فان عدم مراعاة التسلسل لهذه المفاهيم الثلاثة ، هذا التسلسل الذي يبدأ بالسياسة التربوية وتعيين أهدافها ومراميها ، وينتقل منها الى مرحلة الاستراتيجية التي تتطلب صياغة الاختيارات السياسية التربوية في مجموعة من الاجراءات ، ولتحديد ما يجب عمله تبعا للتقلبات التي تعترض سبيل تطور المجتمع في الحاضر والمستقبل ، ثم ينتهي بالطرائق ومنهج التخطيط والاعداد الفعلي لتطبيق ما اتخذ وحدد من أهداف بعد صياغتها وترتيبها حسب أولويتها ولزومها ، وتوفير الوسائل اللازمة لانجاز هذا العمل ،

نعم ، عدم مراعاة هذا التسلسل بالانتقـــــال من مرحلة الى المرحلة التي تليها ، هو السبب في تعثر التربية في كثير من بلاد العالم لأن توجيهها كان « اعتباطيا » ٠

وعلى هذا فانه ينصح بالاعتناء بالمراحل الثلاث ، والانتقال من مرحلة الى التي تليها حسب تسلسلها ، ودون الاخـــلال بالتوازن والتكامل الذي يربط فيما بينهـــا ، اذا أردنا أن ننتهج سياسة تعليمية ســليمة وذات جــــدوى ٠

الدكتور يوسف القاضي

كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية

المصـــــادر

١ ـ ايدجار فور ورفاقه ، تعلم لتكون ، ترجمة د٠ حنفي بن عيسى ، اليونسكو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٤ ، (ص ٢٣٤) ٠

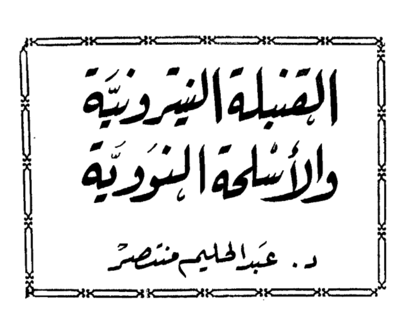
٢ ـ نفس المصدر (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧) ٠

٣ ـ نفس المصدر (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥) ٠

٤ ـ تجـديد الادارة : ضرورة استراتيجية لتطـوير النظم التربوية في البـلدان العربية ، محمد احمد الغنام ، التربية الجديدة ، العــــدد السابع ـ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٥م ، (ص ١٨) ٠

5. "In The Field of education, what should determine the optimum contsibution of U. N. DP. ?" Unesco, Paris, November 1971, P. 4.

٦ ـ اديدجار فور ورفاقه ، تعلم لتكون ، ترجمة الدكتور / حنفي بن عيسى ، اليونسكو / الشركة الوطنية للتوزيع والنشر ، الجزائر ، ١٩٦٤م ، (ص ٢٣٩) ٠



كثر الحديث ، في الأيام الأخيرة ، عن القنبلة النيترونية ، وعن اعتزام الدول الكبرى تصنيعها وانتاجها ، ثم يتطرق الحديث الى آثارها ومفعولها وتكاليف انتاجها ، وعن تنافس الدول الكبرى ، في معرفة أسرارها ، ويتكهن البعض بأن الدول التي تدعى عدم الوصول الى أسرارها ، انما هي عالمة بها ، ولكنها تدعي ذلك ، ذرا للرماد في العيون ، أو تعمية لها عن متابعة البحث عنها ، حتى تفاجىء العالم بها اذا حزب الأمر ، وادلهم الخطب . على أن صناعة هذه الأسلحة النووية ، لم تعد سرا ، بل ان تفاصيل تفاعلاتها تعمر بها الكتب الجامعية ، والمجلات المتخصصة . ومنذ ألقيت القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكي ، في الحرب العالمية الثانية ، والمعامل والمختبرات لا تكف عن البحث والدرس في هذا المجال ، فمن تفاعلات انشطارية ، الى تفاعلات اندماجية ومن قنبلة هيدروجينية ، الى قنبلة كوبلتية ، ومن صواريخ ذات رؤوس نووية الى صواريخ لانس ذات الرؤوس الموجهة لتصيب أهدافها ، .. الى غير ذلك مما لا يكاد يقع تحت حصر ، ومما لا تعد الى جانبه قنبلة هيروشيما ونجازاكي شيئا مذكورا ، والغريب أن كل النشاط الذري ، والتصنيع الحربي ، انما يتم تحت ستار الأغراض السلمية ، ونسي هؤلاء المدعون أن التفاعل النووي واحد سواء كان لأغراض سلمية أو حربية ، وأن أساس العملية وجود « اليورانيوم » ومعرفة أسرار التفاعل ، وطرق الوقاية منه حتى تأذن ساعة التهور باستعماله ...

نحن والقنبلة الذرية

ومنذ نحو ثلاثين سنة ، سألتني مجلة الهلال الغراء ، في موضوع ، نحن والقنبلة الذرية ، وكانت الحرب العالمية الثانية وشيكة الانتهاء ، فور القاء قنبلتي هيروشيما ونجازاكي وكانت الآثار المدمرة ، تثير الرعب والهلع في النفوس . ومع ذلك فقد كانت اجابتي في مقـــال طويل « فلنصنعها ما استطعنا الى ذلك سبيلا » ، فهي ســلاح العصر ، فلابد من تصنيعه ، ومتابعة تطويره ، حتى لا نفاجأ باستعماله ، كما فوجئت به اليابان ، فالقت سلاحها واستسلمت ، ووضعت الحرب أوزارها ، فور القائها .

ومنذ ذلك الحين ، ومعـامل الدول المتقدمة تصـــنع أسلحة نووية مختلفة ، وزاد عدد الدول التي تصنع هذه الأسلحة النووية الخطيرة ، فقد كان أعضاء النادي الذري أربعة ، هي الولايات المتحدة الأمريكية ، وروسيا السوفيتية ، وانجلترا ، وفرنسا . ثم دخلت النادي الصين الشـــيوعية ، وأخيرا التحقت به الهند ، وهنـــاك نحو خمس وعشرين دولة ، تستبق في سبيل الالتحاق بالنادي ، ولعلها أن تعلن ذلك تباعا في المستقبل القريب ، ويقال ان بعضها مثل اسرائيـــل ، لديها بضع عشرة قنبـــلة نووية قابلة للاسقاط ، ولكنها لا تعلن عن ذلك .

وليس معنى أننا ندعو الى تصنيعها ، أننـــا ندعو الى استعمالها ، فما أظن عاقلا يدعو الى تدمير البشرية على هذا النحـــو الوحشي ، ولكن مستلزمات الأمن والسلام ، تستدعي الحذر والحيطة ، وأن أعد نفسي بالسلاح الذي يستعمله خصمي ، حتى لا أعيش في رعب دائم منه ، وصدق الله العظيم اذ يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

القنبلة النيترونية

وها هو سلاح نووي جديد ، يسمى بالقنبلة النيترونية هي ما نحاول أن نعرفه للقراء في هذا الحديث .

منذ اشراقة عام ١٩٧٩ ، وهي مصممة لتقتل أعدادا أكبر من جنود الأعداء ، ولا تكاد تحدث أضرارا بالمباني والمنشآت ، ويقول المختصون ان استعمال مثل هذه القنابل ، أقل خطرا على المنشآت ، ولكنها أبعد أثرا على الأفراد وخاصة اذا كان استعمالها ــ كما ينبغي أن يكون ــ في ميدان الحرب وحده . وكان من المقرر ألا تستعمل الا في الحروب التي تخوضها دول حلف

« ناتو » (شمال الأطلسي) وتشارك فيها الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول حلف وارسو بما فيها الاتحاد الســـــوفيتي . الا أن الولايات المتحدة وادارتها العسكرية ، ماتزال تناقش الميزانيات ، وتستضخم النفقات وتؤجل اتخاذ القرار وتنفيذه ، وتناقش مزاياها ونفقاتها بالنسبة للأسلحة النووية الأخرى .

ومن الخير أن نذكر ــ بادىء ذي بدء ــ أنه ليس ثمة جديد ، في القنبلة النيترونية فان امكان تحضيرها وتصنيعها ، كان واردا ، وممكنا ، منــذ اختراع القنبلة الهيدروجينيـــة أو القنبـــلة الاندماجية في الأربعينيات أو الخمسينيات ، فان عددا من العلماء المشتغلين بتطوير الأسلحة النووية في معامل « لورنس ليفرمورن » بحثوا فكرة تصنيع قنبلة اشعاعية لانتاجها في الخمسينيات والستينيات ، وكانوا وغيرهم نشطين سياسيا وعلميا في مجال تصنيعها وتطويرها .

وظلت الأمور على هذه الصورة ، حتى الســتينيات الأولى ، حين أمر « روبرت مكنمارا » وزير الدفاع الأمريكي بدراسة جادة للمقترحات الخاصة بتصنيع الأسلحة النووية المتطورة الجديدة .

صفقة خاسرة

وعلى أساس هذه الدراســـة ، اعتبرت أوروبا مسرحا خاسرا لكلا المتحاربين ، فسيموت ملايين من المدنيين ، وان حربا من هذا النوع ، ليس حتما أن تكون في صالح دول حلف « ناتو » ، انها أبعد من أن تكون بدائل صالحة للقوى البشرية ، وقوى اطلاق النار ، فان الأسلحة النووية تحتـاج الى مستويات أعلى من القوى البشرية ، فان جنود « الناتو » الذين ستحصدهم الأسلحة النووية الروسية . لا يمكن تعويضهم علما بأن حلف « وارسو » ، قد قرر هو الآخر تقوية خطوطه الأمامية ، واذن فقد تكون النتيجة في صالح حلف « وارسو » ، حتى ولو كان لدى « الناتو » أسلحة نووية أقوى .

ثم ان المجازفة الخطيرة ، انما تكمن ، في وجود أسلحة نووية متطورة ، لدى كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الســوفيتي ، وذلك لسببين رئيسيين : الأول ، أن حالة التوتر بين الدولتين شـــبه دائمة ، فاحتمال اندلاع حرب نووية بينهما ، وارد دائما . والثاني : أن الاتحاد السوفيتي ، لديه صواريخ نووية ، أو ذات رؤوس نووية كثيرة وعلى أهبة الاســـتعداد أو لعلها تستعمل في مناطق معينة .

وبعد أن استوعب « مكنمارا » هذه الحقائق ركز على تقوية الأسلحة غير النووية ، وجمد الانفاق على الأسلحة النووية وتطويرها ، وان أبقى صواريخ لانس لمداها الطويل • الا أن خلفه « ليرد » قد أقر الانفاق على الأسلحة النووية ، ثم كان التطوير الحاد لهذه الأسلحة على يدي « شيزلنجر » « ليرد » وزيرا للدفاع سنة ١٩٧٣ وقد كان قبلا رئيسا للجنة الطاقة الذرية ، وكان شديد الحماس لتطويرها ، ورصد مبالغ طائلة لتزويد حلف « ناتو » بالأسلحة النووية من صواريخ وقنابل نووية ، وجعل مهمتها في التصويب اختيارية ، وذات مرونة في الاتجاه نحو الهدف ، وذلك شيء لم يكن معروفا قبلا •

« حروب قصيرة الأمد »

وكانت تلك بداية التفكير في حرب نووية قصيرة الأمد ، نكتفي بتدمير الأهداف النووية عند العدو ، اذ أن الصواريخ ستتبع أهدافها حتى تصل اليها ، فشكرا للتكنولوجيا الحديثة ، التي جعلت تصويب الصواريخ النووية ، دقيقا الى هذا الحد •

وقد أعاد « شيزلنجر » برمجة الأسلحة النووية الاستراتيجية ، ذات القدرة الاختيارية على التصويب ، كما صنع عبوات هدافة متطورة ، لم تكن معروفة في العشر السنوات الأخيرة • كما أمر بزيادة في الأسلحة النووية المتطورة ، التي ينتظر أن تلعب دورها على المسرح الأوروبي ، واعتبر ذلك تأييدا رسميا للقوى العسكرية ، التي تفكر فعلا في حرب نووية محدودة ، سريعة المفعول ، قوية الأثر ، محققة للغرض •

صواريخ لانس المتطورة

لقد أصبحت صواريخ لانس تصنع بكثرة في هذه الأيام ، ومن المعلوم أن « التتروم » هو النظير المشع النووي المستخدم في صناعة قنبلة النيترون ، بحيث يمكن تكييفها بعد ذلك مع صواريخ « لانس » والدانات ذات الثماني بوصات ، ويتضمن المشروع كذلك انتاج رؤوس قطر ١٥٥ مم ، وان يكن ذلك مازال في دور التصميم والتخطيط ، الا أن الأول ، قد تم انتاجه فعلا ، وجرب في موقع تحت الأرض بالقرب من « لاس فيجاس » •

ان الرؤوس النووية المستعملة الآن ذات قدرة انفجارية ، تتراوح بين كيلو طن واحد ومائة كيلو طن من المفرقعات ، أما شحنة الدانات ، ذات الثماني بوصات ، فتتراوح قوتها الانفجارية بين خمسة وعشرة كيلوطن من المفرقعات •

وسيكون صاروخ لانس المتطور الجديد ، ذا شحنتين ، الأولى قوتها أقل كثيرا من كيلوطن ، والثانية أكثر قليلا من كيلوطن ، ويمكن تفجيرهما بالتتابع بالضغط على أزرار قليلة متجاورة ، أما « لانس » المتطور الحديث ، فيحمل ثلاث شحنات تتراوح قوتها الانفجارية بين أقل من كيلوطن ، ونحو اثنين كيلوطن • وتتلخص آثار الانفجار النووي لهذه الرؤوس ، في بضع خطوات متتابعة هي موجة تصادمية ذات ضغط عال واشعاع حراري واشعاع سريع للنيترونات وأشعة « جاما » ، ثم فضلات مشعة ناتجة من النشاط الانشطاري المتدهور •

كما أن الطاقة المنطلقة من الانفجار الانشطاري ، يمكن تقسيمها الى أجزاء ، الأول ٥٠٪ للموجة التصادمية للشرارة الأولى ، الثاني : ٣٥٪ للاشعاع الحراري ، الثالث : ٥٪ للاشعاع المزود ، ثم ١٠٪ للفضلات المشعة •

على أن التقدير النظري للسلاح النووي الاندماجي ، هو ٢٠٪ للشرارة الأولى ، ٨٠٪ للاشعاع المزود ، أغلبه نيتروني ، ثم آثار قليلة من الفضلات المشعة تختلف آثارها تبعا لنوع التربة تحت الانفجار •

تفاعل اندماجي ينتج النيترونات

أما التفاعل الاندماجي الذي يحدث بين أيونات « الديتيريم » و « التريتيم » ، وهما النظيران الثقيلان للهيدروجين ، فيصحبه انطلاق طاقة عالية جدا ذات نيترونات سريعة ، وان طاقة هذه النيترونات لتبلغ نحو ١٤ مليون الكترون فولت (Mev) التي تعتبر أساسا سريعة (Mev - 2) أسرع من النيترونات التي تنطلق من تفاعل انشطاري نموذجي ـ ثم تتباطأ النيترونات ، وتتلقفها البقايا ونفايات السلاح نفسه وما يعترض طريقها في الهواء • وكلما كانت النيترونات أسرع ، كلما كثرت تصادماتها حتى يكمل تلقفها وتتلاشى • ثم ان الاندماج يتيح عشرة أضعاف من النيترونات من كيلوطن من المفرقعات ، أكثر مما يحدثه الانشطار ، وعلى ذلك فان النيترونات المنطلقة من سلاح اندماجي أشد اشعاعا ، وتخترق وتنفذ الى مسافات أبعد كثيرا قبل أن تمتص وتتلاشى ، أكثر من تلك التي تنطلق من سلاح ذي انفجار انشطاري •

وعلى ذلك فان هذا الاهتمام بتصنيع هذه الرؤوس الاشعاعية النووية ، لأنه سلاح انشطاري اندماجي معا ، يجرى فيه التفاعلان جنبا الى جنب • فهذا

الخليط من الانشطار والاندماج ، انما يختلف قليلا عن تركيبة « لانس » وتلك الخاصة بالثماني بوصات ٠ ولكن عملية الاشتعال واحدة في كليهما ٠ فمنذ تفجير السلاح يبدأ التفاعل الانشطاري في تحريك التفاعل الاندماجي ، الذي يطلق بدوره كثيرا من النيترونات المزودة ، وذلك هو السبب في أن هذه الرؤوس النووية ذات الاشعاع المزود يسمى « القنبلة النيترونية » ٠ والاصطلاح صحيح ، بمعنى أن هذه الرؤوس ذات الاشعاع المزود يطلق نيترونات أكثر كثيرا من أسلحة أخرى من نفس المستوى ولو أنه مضلل ، اذ أن هذه الرؤوس تطلق كذلك طاقات أخرى كثيرة في صور أخرى غير النيترونات ٠

وفي الحقيقة فان أي سلاح نووي تكون قوته التدميرية أقل من ٢ كيلوطن ، يمكن أن يسمى قنبلة نيترونية ، بمعنى أنه بمعدلات ذات مدى يصل الى نصف القطر المميت للسلاح ، حتى ولو كانت ذات تفاعل انشطاري ، فان الطاقة المنطلقة في صورة اشعاع مزود ، ستكون أكثر من الجزء الذي يتحول الى شرارة واشعاع حراري واشعاع سريع في صورة نيترونات ، يحول الاشعاع المزود الى أشعة جاما ٠ فاذا فجرت مثل هذه القنبلة في الهواء على ارتفاع بضع مئات من الأمتار ، فانها تحدث وهجا خفيفا وآثارا حرارية على الأرض ، حتى ولو بقيت أخطار اليترونات هي الأساسية ٠

ان هذه الرؤوس النووية ـ ليست سلاحا ذا تفاعل اندماجي خالص ، ولكن بالنسبة لما اصطلح عليه في الأسلحة الحربية ، يمكن أن يقال ان هذه الرؤوس ذات القوة الاشعاعية بين جزء من الكيلوطن الى كيلوطن واحد ذات الدانات ٨٠ بوصة انما هي بنسبة ٥٠٪ انشطاري الى ٥٠٪ اندماجي ٠ أما في صواريخ « لانس » فانها ٦٠٪ اندماجي ، ٤٠٪ انشطاري ٠ أما ذوات ٢ كيلوطن والثماني بوصات فانها من ٧٠ ـ ٧٥٪ اندماجي ، والطاقة المنطلقة من رؤوس لانس وذوات ٨ بوصات الأقل طاقة ، فانها منقسمة الى ٤٠٪ شرارة ، ٢٥٪ اشعاع حراري ، ٣٠٪ اشعاع مزود ، ٥٪ نفاية ٠ وان أعلى معدل للرؤوس ذوات الثماني بوصات ١٠٪ اشعاع مزود ، وأقل قليلا للشرارة والاشعاع الحراري وفضلات اشعاعية ٠ وبعبارة أخرى ، فان الرؤوس ذات الاشعاع المزود ليست السلاح المدمر بلا حدود ، انه يدمر الانسان دون المنشآت ، مما يخشاه كثيرون من البعيدين عن الحرب ٠

بعض المميزات

والميزة الأساسية للرؤوس ذات الاشعاع المزود على غيرها ، من الأسلحة النووية ذات الأغلبية الانشطارية والطاقة المحدودة ، أن الأولى تطلق

نيترونات أكثر وأسرع وأن الطاقة التي تطلقها صواريخ « لانس » ، وذات الثماني بوصات المزودة الاشعاع ، أنها أقدر ، وتطلق ستة أمثال الأخرى في صورة اشعاع سريع من الرؤوس ذات التفاعل الانشطاري ولهـــا نفس الجهد ، بل لقد ثبت أنها تزيد عشرة أضعاف الانشطارية ٠

وهناك ميزة أخرى ـ بصرف النظر عن فارق عدد الكيلوطن ، بين الرؤوس ذات الاشعاع المزود ، وبين الأسلحة الانشطارية ـ الاندماجية ، فان الأخـــيرة محاطة بجاكيت من يورانيـــوم ٢٣٨ ، مما يزيد في قوة المفرقع وانفجاره ، وتعتبر الجاكيت مثبتة لسرعة النيترونات المنطلقة من العملية الاندماجية ٠

ولما كانت الأسلحة ذات الاشعاع المزود ، تعطي طاقة حرارية أقل وتطلق نيترونات سريعة أكثر ، ولها جاكيت من يورانيوم ٢٣٨ ٠

« انها رؤوس نووية ذات اشعاع مزود »

والآن ما هو الدور الرئيسي الذي تلعبه الرؤوس النـــووية ذات الاشعاع المزود !! ان أهم ما يعنى به حلف « ناتو » امكانية حلف « وارسو » أن تعبر صواريخهسهول ألمانيا الغربية ٠ وتدل الوثائق الروسية ، على أنها ستدمر آلاف الآليات عند أول هجوم بهذه الأسلحة المتطورة ٠ ويقول خبراء حلف « ناتو » ان هذا السلاح لو استعمل في هجوم مفاجىء ، فانه لا يمكن لحلف « ناتو » أن يقابله الا بالأسلحة النووية الموجودة حاليا في غرب أوروبا ٠ ولعدة سنوات ظل قادة الولايات المتحدة الأمريكية يقولون ان معظم الأسلحة النووية الموجودة حاليا في غرب أوروبا غير عمليـــة ، مشيرين بصفة خاصة الى طاقتها العالية ٠ فان لبعضها طاقة أكثر من قنبلة ٢٠ كيلوطن التي دمرت ناجازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية ٠ مثل هذه الأسلحة سيكون لها أثرها في وقف الآليات الروسية ، ولكنها في الوقت نفسه ، ستقتل وتجرح جراحا خطيرة كثيرا من جنود « الناتو » ومن المدنيين الألمان ، كما أنها ستخرب كثيرا من البلدان الألمانية ، وستجعل الفضـــلات الاشعاعية التي تثيرها ، حياة الباقين في خطر دائم ٠

أما الأسلحة الجديدة ، ذات الاشعاع المزود ، فانها ستقتل جنـــود حلف وارسو وهم داخل آلياتهم دون أن تدمر الآليات نفسها ، وهذه النتيجة ستكون ميسرة عن طريق النيترونات التي تطلقها الأسلحة ذات الاشعاعات المزودة ٠

قياس الجرعات الاشعاعية

وتقاس الجرعات الاشعاعية بوحـــــدة « راد » ، وهي الكمية التي يمتصها أي اشعاع نووي ، يصاحب ١٠٠ « ارج » من الطاقة من كل جرام من المادة المشعة ٠ فاذا كانت الأسلحة النووية التكتيكية نافعة في الحرب ، فانها ينبغي أن تقتل فرائسها بأسرع ما يمكن ، أي قتلا نهائيا مباشرا ، طبقا لتجارب خبراء الولايات المتحدة الأمريكية ، التي أجريت على القرود ، التي احتاجت الى ٨٠٠٠ر٨ « راد » ٠ اذ أن الآليات الحديثـــة ذات غطاء وقائي ، حتى يمكن أن يقال أن نصف الآلية ينبغي أن يتعرض الى ١٦٠٠٠ « راد » مباشرة وبسرعة ، اذا أريد لأهداف « الناتو » أن تتحقق ٠

وقد طور حلف « ناتو » هذا السلاح ، حتى أنه يكفي ٥٠٠ر٢ الى ٥٠٠ر٣ « راد » واذا كانت الآلية ذات غطاء واق من ٠٠٠ر٥ ـ ٠٠٠ر٧ راد ، تكفي ، فاذا تعرض شخص لنحو ٠٠٠ر٨ «راد» فقط من هذه الأسلحة ، فانه يشل عن الحركة تماما ، ويبقى غير قادر على أداء أي واجب ، الى أن يموت ، في ظرف يوم أو يومين على الأكثر كما أن جرعة من ٠٠٠ر٣ « راد » كذلك تشل حركته تماما في ظرف خمس دقائق ، صحيح أنه قد يسترد بعض قدرته في مدى نصف ساعة ، ولكنه يبقى أغلب الأمر شبه مغشى عليه الى أن يموت في ظرف أربعة أو ستة أيام ٠ وقد ثبت أن التعرض الى أشعة قوة ٦٥٠ راد يصرع الانسان في مدى ساعتين ، ومهما استطاع أن يقاوم ، فان مصيره ، موت محقق في مدى أسبوعين على الأكثر ٠

وهذه النتائج السيئة ، انما هي من تأثير تأين النيترونات ، وتصادمها مع البروتونات داخل الخلايا الحية ٠ فان هذا التأين كفيل بتدمير الصبغيات ، واحداث انتفاخ في الأنوية ، كما يزيد في لزوجة السائل الخلوي ، ويزيد في نفاذية الأغشية بالخلية ، ويدمر الخلايا من جميع الأنواع ، وبخاصـــة خلايا الجهاز العصبي ، وفضلا عن ذلك ، فان التعرض للأشعة المتأينة يؤخر بل يدمر عملية انقسام الخلايا ، ولهذا تأثير وراثي على طول الزمان ، مما يوقف تجدد الخلايا ٠

ان هذه الأسلحة ذات الاشعاع المزود ، تعطي جرعات من « الراد » ، على مساحات أكبر ، واذا قورنت بالأسلحة الانشطارية ذات الطاقة المماثلة أو حتى أكبر ، فمثلا أي شخص على بعد لا يزيد على ٣٧٥ مترا من قنبلة انشطارية ، ذات قوة كيلوطن واحد ، وأي شخص على بعد ٦٣٠ مترا من قنبلة انشطارية قوة ١٠ كيلوطن ، سيتعرض لنحو ٠٠٠ر٨ « راد على الأقل ٠

على حين أنه اذا فجرت قنبلة ذات اشــعاع مزود ، وقوة انفجــار كيلوطن واحد ، فان الدائرة ذات ٨٫٠٠٠ « راد » ستتسع الى ٨٥٠ مترا ، وعلى ذلك فانها تقتل ضعف العدد ، الذي تقتله القنبلة الانشطارية قوة ١٠ كيلوطن ، الا أن التدمير للمنشآت سيكون بمقدار الخمس فقط ٠

وهذه الظاهرة ــ أو الميزة ، ان صح التعبير ــ هي السر في اقبــال قيادات حلف « الناتو » على هذه الأسلحة النووية الاشــــعاعية المزودة ، والميزة هي أنها أقل خطرا على المنشآت والآليات ، انها تستهدف الجنود دون سواهم ، بمعنى أن أضرار الانفجار النــــووي التي تتركز في الشرارة ، والاشعاع الحراري والفضلات المشعة ، ستكون أقل أثرا ، وهذا ــ في حد ذاته ــ يبدو مغريا لأول وهلة ، ومع ذلك فمن الخطأ أن نفترض ، أن المسرح الأوروبي للحروب النووية سيكون أكثر أمنا أو أقل سوءا ، أو من الممكن التحكم فيه والسيطرة عليه كما كان يعتقد ٠

نحو حربٍ نووية محدودة

يقولون ان هناك جانبين للحرب النووية المحدودة ، وأن الروس ليس لديهم القدرة ، الا الاعداد لهــــا ، فمن بين ٣٫٥٠٠ سلاح نووي تكتيكي ، أعدوا لضرب المسرح الأوروبي ، (مقارنا بالناتو ٧٫٠٠٠) ، يعتقد أن أغلبها تفوق ٢٠ كيوطن ، ونحو ٦٫٠٠٠ من صواريخ روســيا طاقتها بين ٥٠٠ كيلوطن ، ٣ ميجاطن (٣٫٠٠٠ كيلوطن) ، وعلى أن صواريخ حلف وارسو النووية أقل دقة من النــــاتو ، حيث التدقيق في التصويب ضروري لاحداث الأضرار المطلوبة ٠ ويبدو ــ أو هذا ما يعتقده الأمريكيون ــ ليس لديهم فكرة عن الفرق الكبير بين هذه الأسلحة النووية كما هي الحال لدى الولايات المتحدة الأمريكية ــ صحيح ان أغلب كتابات الروس في الموضوع ، تفترض عدم التفرقة بين الأسلحة النووية المختلفة ، اذ أن كل هم الروس ، انما هي الوقاية من الأسلحة الأمريكية ٠

فاذا استعمل حلف « الناتو » هــذه الأســلحة النووية الاشــــعاعية المزودة ، ضد آليات حلف وارسو فلا شك أن الروس سيضربون بأسلحتهم النووية ، ولن يهمهم في شيء أن يدمروا ألمانيا الغربية ، حتى ولو لم يكن في استطاعتهم مواجهة أسلحة « الناتو » ٠ والمعتقــــــد أنه اذا بدأ حلف « الناتو » استعمال أسلحته النيترونية المتطورة ، فلن يســــتطيع حلف « وارسو » مواجهة خاصة اذا استعمله في الوقت المناسب ، وأجاد التصويب نحو الأهداف ، فسيحدث من الآثار والارتباك والصدمة ، ما يجعل أسلحة الروس ، لا تحقق الرد المطلوب ٠ صحيح أن لدى الروس نحو ٢٠٫٠٠٠

دبابة خاصة لمنطقة وسـط أوروبا ، حيث يمكن أن تدور رحى المعركة الأولى ، وحيث حلف « الناتو » مستعد بألوف من الأسلحة النووية النيترونية المتطورة · أن يضرب الضربة الأولى · مما يمكن أن تجعل مثل هذه الحرب النووية محدودة ، اذ أن ١٠٪ من الناس سيتعرض الواحد منهم الى ١٥٠ « راد » انهم سيموتون فورا من الاشعاع · ومازال الأحياء من ضحايا قنبلتي هيروشيما وناجازاكي يعانون من سرطان الصـدر ، كما أن التعرض الى ٣٠ راد فقط ، يضاعف معدل التوائم في الحمل وغالبا ما تظهر جينـات تشويهية ، وطفرات مشوهة ، لعشرات من الأجيال متتابعة · وقد تعرض سكان جزيرة « مارشال » لانفجارات نووية قوة ١٤ « راد » فقط سـنة ١٩٥٤ ، فانتشرت بينهم اصابات عقدية في الغدد الدرقية ، كما أصيبوا باللكيما ·

ان رؤوسا نووية ، ذات أشعة مزودة ، ينطلق منها ١٥٠ « راد » لمسافة ٧ر١ كم ، أما قوة ٣٠ راد فلمسافة ١ر٢ كم و ١٤ راد فالى ٣ر٢ كم · ويمكن مقارنة ذلك بقـوة ٩٠٠ راد الى ١٧٠ر١ ، ٣٠٠ر١ متر لقنبلة ١ كيلوطن انفجار انشطاري و ٢٨٥ر١ ، ٥٧٠ر١ ، ٧٠٠ر١ متر على التوالي لقوة ١٠ كيلوطن انشطاري ·

وقد تمتد أخطار الرؤوس النووية ، ذات الأشـعة المزودة ، فان الأخطار الاشعاعية التي تسببها أشعة جاما ، يمكن أن يكون لها حد أدنى ، الا أن هذا الحد الأدنى ليس معروفا للاشعاع النيتروني ·

أما الأمراض البيولوجية ، مثل أمراض الطفرة الوراثية ، أو زيادة نسبة كرات الدم البيضاء في الدم ، أو عتامة العـين ، وغيرها من آثار النيترونية ، فانها ستة أضعاف أخطار أشعة جاما ، وأنه حتى لو استعملنا ما قوته ١ أو ٢ (راد) من الاشعاع النيتروني ، فقـد يسبب الليكيما والسرطان · فان التعرض لـ ٥ « راد » فقط ، يمكن أن يضاعف معدل الطفرة في الحمل ، فانه اذا تصادم نيترون واحد ، بمجموعة من الأحماض الأمينية في الحيوان المنوي أو البويضة ، فان احتمال حدوث أضرار وراثية كبير جدا · وبعبارة أخرى ، فان فكرة استعمال الرؤوس النـووية ذات الأشعة المزودة ، سيكون نافعا لمستعمله ليس مضمونا تماما ، فسيعاني منها العدو والصديق ، وان يكن الأول بنسبة أعلى ، خاصة وأن الجانب الشرقي من ألمانيا الغربية ، قد تحضر وكثرت فيه المدن ·

وفي الحق ان مزية استعمال الرؤوس النووية ذات الاشعاع المزود ،

حتى على مستوى منخفض انما هي محل تساؤل ، وأنه فيما عدا رجـال الدبابات الذين كانوا قريبين من الانفجار ، سـيبقون أحيـاء الى ساعات أو أيام أو أسابيع على الأكثر ، وقد يبقى بعضهم ، بل ويحاربون بعنف أكثر ، لأنهم يعلمون يقينا ، أن الموت الأكيد ينتظرهم · ويستطيع حلف « ناتو » طبعا أن يواجه ذلك بانتاج وتفجير الكثير من هذه الرؤوس ، وان ميزتها المؤكدة هي القدرة على التصويب الدقيق ، ولعله مما يبعث على شيء من الاطمئنان ، أن « الناتو » ، لن يأمر باستعمال أي أسلحة نووية ، الا اذا كان حلف وارسو ، قد استنفد الأسلحة الأخرى غير النووية التي لدى حلف « ناتو » ·

ملاحظات لهـا قيمتها

يثير المختصون من علماء وعسكريين ثلاث ملاحظات لها قيمتها :

الأولى : انه بدون التهديد بالأسلحة النووية ذات الاشعاع المزود ، فان الروس يتعرضون لخطر شديد أن يهاجموا ، لأن الولايات المتحدة ، قد رفضت دائما أن تكون الأولى في استعمال الأسلحة النووية ·

الثانية : ستحدث أضرار خطيرة من استعمال « النـــاتو » للأسلحة النووية ذات الاشعاع المزود ، فضلا عن الأضرار التي تنشأ عن استعمال الروس لأسلحتهم النووية ·

الثالثة : ليس ثمة ما يدعونا أن نصدق أن الناتو غير قادر على الدفاع عن أوروبا الغربية ، دون اللجوء الى استعمال الأسلحة النووية ، وانا لنعلم أن البادىء بالهجوم ينبغي أن يكون متفوقا ·

ان ما يقال دائما عن تفوق حلف « وارســو » في الدبابات ، انما يشجبه امتياز « الناتو » وتفوقه في الأسلحة المضادة ، وبخاصة في الصواريخ الدقيقة التصويب ، وكما يقول أحد القادة الأمريكيين ، « لدينا أسـلحة تضرب من تراه ، وتقتل من تضربه » ·

ويقول الخبراء والقـــادة العسكريون الأمريـكيون ، ان التدريب العسكري في الاتحاد السوفيتي ودول حلف « وارسو » في أوروبا الشرقية هزيل وجاف · ومن المشكوك فيه الولاء السياسي لتيشكوسلوفاكيا وبولندا ، على الأقل بالنسبة للحرب الهجومية ، كما أن التكتيك والاستراتيجية في حلف « وارسو » تعتمد على الدبابات ، التي غدت متأخرة بالنسبة للأسلحة

المتطورة الحديثة وفضلا عن ذلك فان الهجوم المفاجيء ، وكذلك مستوى الاستعداد المحدود ، لدى جيوش حلف « وارسو » ومئات العيون والجواسيس ، التي ترصد كل تحركات الروس ، فضلا عن ضعف استعداداتهم ، ومع كل ما يمكن أن يضاف من تحسينات الى استعدادات وأسلحة حلف « ناتو » كل ذلك يجعل الاطمئنان الى المستقبل أكبر في ناحية أمريكا وحلف « ناتو » ٠

صحيح أن انتاج الرؤوس النووية ذات الأشعة المزودة ستكون باهظة ، حيث تتكلف الواحدة نحو ٩٠٠ر٠٠٠ دولار ، في حين أن قنبلة صاروخ « لانس » تتكلف أقل من ذلك كثيرا ، فبدلا من شراء أو تصنيف قنبلتين من الأولى يمكن شراء ثلاث من الثانية أو عدد كبير من الدبابات و ٥٠ من أسلحة غير نووية مضادة للدبابات ونحو ٥ر٥٠٠ من أسلحة مساعدة ٠

واذا فرضنا أن الروس قد نشروا دباباتهم على مساحات عريضة ، وابتدعوا مضادات للأسلحة النيترونية ، فانهم بذلك يكونون في الجانب الأقل كلفة ، انه الأرخص والأكثر تأثيرا عسكريا ٠ ويبقى صحيحا أن الرؤوس ذات الأشعة المزودة تحدث من الأضرار للقوات المهاجمة ، كما تحدث الأسلحة ذات الطاقة العالية ، دون أن تحدث أضرارا بالغة للمنشآت ٠

مقارنة لابد منها

وفي مقابل هذه الميزة الواضحة ، يجب أن نأخذ في الاعتبار ، الأضرار البالغة التي تحدث من استعمال الأسلحة النووية أو ادخالها في منطقة ما ، أو في حروب ما ، كما يمكن أن يقال كذلك في صالح استعمال الأسلحة ذات الأشعة المزودة ، خصائصها الأخرى ، كبعد المدى الذي تصل اليه (١٣٠ كم لرؤوس لانس) ، ووسائل التحكم فيها ، وضبط اصطياد أهدافها والآمن لمستعمليها ، مما يبعث على الاعتقاد ، بأن حلف « وارسو » سيفكر كثيرا قبل استعمال الأسلحة التكتيكية النووية ، الا أن المؤكد أن الكل سيسعى ٠ ان عاجلا أو آجلا الى تصنيع القنبلة النيترونية ٠

على أنه لا ينبغي أن يعتقد أي من الفريقين المتحاربين ، أن استعمال القنبلة النيترونية خلو من الأخطار ، وأن الحرب النووية يمكن أن تكون محدودة ، أو يتحكم فيها الى درجة كبيرة ، الا أنها على كل حال ، قد تكون أقل سوءا وتدميرا من الأسلحة النووية المعروفة ، وهي على أية صورة ، أقل

انسانية من الأسلحة الكيماوية التي اتفق دوليا على عدم استعمالها ، وعلاوة على ذلك فان الرؤوس النووية ذات الأشعة المزودة ، ستكون أكثر استعمالا ، من أي أسلحة نووية ذات طاقة منخفضة • وأخيرا ، فان الاتحاد السوفيتي يعتقد أن الولايات المتحدة الأمريكية ، ستستعمل الرؤوس النـــووية ذات الأشعة المزودة في حرب أوروبية ، مما سيحفز الروس على استعمال أسلحتهم النووية بعنف في أول فرصة في حرب أوروبية •

وعلى أية حال ، ليس هناك من سبب ، يجعلنا نصـدق أن الرؤوس النووية ذات الأشعة المزودة ، ستقلل من احتمال أن المسرح الأوروبي للحرب النووية سيشتعل يوما ما ، أو أن استعمالها وادخالها الى المنطقة ، سيقلل احتمال الرد السريع من الروس •

الموقف في الدول العربية

وبعد : فليست هذه دعوة الى استعمال الأسلحة النووية ، ولكن في مثل هذا العالم ، الذي تصطرع فيه القوى ، وتســتبق الدول في تصنيع الأسلحة الفتاكة ، لا ينبغي أن تقف الدول العربية موقف المتفرج ، خاصة أن تصنيع هذه الأسلحة ، ومعرفة تفاصيل تفاعلاتها ، لم تعد سرا • وقد قرأنا أخيرا أن أحد التلاميذ ، وضع كتيبا صغيرا في هذا الموضوع ، خشيت الدولة شيوعه وانتشاره ، لأن التفاعل معروف للطلاب والمختصين • ان هي الا امكانات معينة ، ووجود لليورانيوم والأدوات والأجهزة اللازمة ، ثم العلماء والمختصين ، الذين يستطيعون مباشرة التصـــنيع مع الوقاية من أخطاره •

أما أن تبقى الدول العربية والاسلامية ، تحت رحمـــة الدول التي تستبق في تصنيع هذه الأسلحة وتطويرها ، تحت ستار الأغراض السلمية ، فهذا ما لا أظنه يعقل أو يقـــول به عاقل • وقد أفاء الله على بعض هذه الدول من الامكانات والأرصدة ما يفي بنفقات هذه الأسلحة ، كما أن العلماء والمختصين القادرين على هذا التصنيع متوافرون ولله الحمد •

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » صدق الله العظيم

والله ولي التوفيق ؟

المراجع : مجلة العلمي الأمريكي الأعداد من يناير الى يونية سنة ١٩٧٨ •

بين القاضي الجرجاني و عبد القاهر الجرجاني

د. عبده عبد العزيز قلقيلة

العلاقة بين القاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني لاتقتصر على ما يكون بين المؤلف السابق والمؤلف اللاحق في الموضوع الواحد ، بل انها تتجاوز ذلك الى كونها علاقة بين مواطن ومواطن ، وربما بين قريب وقريب ، ولقد نمت حتى صارت علاقة بين أستاذ وتلميذ .

وتلمذة عبد القاهر للقاضي ، أو أستاذية القاضي لعبد القاهر . هذه القضية بشقيها المتلازمين كوجهي العملة ، تحتاج الى دراسة .

فقد ذكر ياقوت أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني صاحب [أسرار البلاغة] و [دلائل الاعجاز] فقد قرأ على القاضي واغترف من بحره ، وكان اذا ذكره في كتبه تبخبخ به وشمخ بأنفه بالانتماء اليه (١) .

وهذا الذي ذكره ياقوت يعني أنهما قد التقيا ، والا فكيف قرأ عبد القاهر على القاضي ؟!!! .

ان عبارة [قرأ على القاضي] لا تحتمل أي نوع من التجوز .

وأستاذية القاضي لعبد القاهر بمعنى الأخذ الشفهي المباشر ، أمر لم أجد له من يقول به من المؤرخين سوى ياقوت ، وهي دعوى بلا دليل ، بل ان الأدلة تنقضها .

ومن هذه الأدلة طول المسافة الزمنية بينهما ، فالقاضي مات سنة ٣٩٢ ، وعبد القاهر مات سنة ٤٧١ أو سنة ٤٧٤ (٢) ٠

والبعد الزمني بين الوفاتين بعد كبير وواسع ، فهو بين أن يكون ٧٩ أو ٨٢ سنة ، يحتاج عبد القاهر معه الى ما يقرب من خمس عشرة سنة ليكون قادرا على الأخذ والتلقي ٠

هذا الفاصل الزمني الذي يقرب من مائة سنة نحن معه بين أمرين : ـ

اما أن نتأخر بوفاة القاضي الى ما بعد سنة ٣٩٢ ، واما أن نتقدم بوفاة عبد القاهر عن سنة ٤٧١ وكذلك بيوم مولده حتى تصح له سن تسمح بالتلقي في أخريات حياة القاضي ، فبدون هذه العملية لا تصح رواية ياقوت ٠ لكن أيمكن ذلك ؟ ٠

لا يمكن طبعا ، اذ ليس في مقدور أحد أن يقدم ميلاد ولد أو يؤخر موت من مات ٠

ودليل آخر يقدمه ياقوت نفسه حين يذكر أن عبد القاهر الجرجاني ليس له أستاذ سوى أبي الحسين محمد بن الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي ، وتابعه على ذلك السيوطي في بغية الوعاة (٣) ٠

وقد قرأت ترجمة عبد القاهر في كثير من المصادر فلم أجد أحدا قال : انه قرأ على القاضي ٠

ومن الكتب التي رجعت اليها في ذلك : ـ

فوات الوفيات جـ١ ص ٦١٢ ، وانباه الرواة على أنباه النحاه جـ٢ ص ١٨٨ ، وسير أعلام النبلاء جـ١١ ص ٢٤٦ ، وطبقات الشفعية الكبرى جـ٣ ص ٢٤٢ ، وكنوز الأجداد لمحمد كرد علي ص ٢٦٠ والأدب العربي لمحمود مصطفى جـ٢ ص ١٩٠ ، والوسيط في الأدب العربي وتاريخه ص ٢٣٠ ، ومن الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده لمحمد خلف الله ص ٧٢ ، ومقدمة أسرار البلاغة لمحمد رشيد رضا ٠

واذن فلم يتم الأخذ مشافهة ٠

كل ما هنالك أن الجرجاني الصغير عبد القاهر أعجب بالجرجاني الكبير القاضي علي فعكف على كتبه ومكتبته ، وربما كانت له به قرابة ساعدته على ذلك فتخرج عليه بعد مماته وليس في حياته ، وحق له حينئذ

أن يتبخبخ به وأن يشير اليه والى آرائه مرات كثيرة في كتابيه ، ورأى ذلك ياقوت فقال بتلقيه عليه وأخذه الشفهي عنه ٠

والآن مع الأفكار المشتركة والآراء المتشابهة في [الوساطة بين المتنبي وخصومه] للقاضي ، وفي [أسرار البلاغة] و [دلائل الاعجاز] لعبد القاهر ٠

ولأننا مع كتاب يواجه كتابين ، فاننا سنمشي المشوار مرتين :

مرة بين الوساطة وأسرار البلاغة ٠

ومرة بين الوساطة ودلائل الاعجاز ٠

أولا ـ بين الوساطة وأسرار البلاغة

- ١ -

ما نكاد نفتح [أسرار البلاغة] حتى نجد عبد القاهر يختار للغة الأدب اللفظ الوسط : ـ

« وأما رجوع الاستحسان الى اللفظ من غير شرك من المعنى فيه ، وكونه من أسبابه ودواعيه ، فلا يكاد يعدو نمطا واحدا وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ويتداولونه في زمانهم ، ولا يكون وحشيا غريبا أو عاميا سخيفا » (٤) ٠

والمعقول أن نقول : ان عبد القاهر قد تأثر في هذا بأستاذه ومواطنه القاضي الجرجاني ، فالقاضي الجرجاني يؤمن بالتطور اللغوي ،٠ ونراه ـ لذلك ـ يثني على المحدثين بتجاوبهم مع بيئتهم وتمثلهم لحضارتهم ، ذلك أن العرب كانت تخص الشعر بفضل تهذيب وتفرده بزيادة عناية ، وقد كانت طبيعتها لبداوتها خشنة ، فمن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ، ولهذا جاء شعرهم فخما جزلا وقويا متينا ٠ لكن الاسلام قد انتشر واتسعت الممالك وكثرت المدن وتحضر البدو ، فاختاروا من الكلام الينه وأسهله ، وترققوا في شعرهم وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ ، فصارت اذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفا ، فاذا أفردت عاد ذلك اللين صفاء ورونقا ٠٠

والقاضي يحتاط لنفسه وهو يشجع المحدثين على السهولة واللين فيقول : ـ

« ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار وأبعثه على التطبع ، وأحب له التسهيل ، فلا تظن أني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث ، بل أريد النمط الأوسط ما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي » (٥) ·

من هذا النبع الثر ، ومن هذه الدراسة المعمقة امتاح عبد القاهر رأيه في لغة الأدب ·

لكن ليس ما يمنع من أن يكون قد استفاد من النقـــاد الذين سبقوا القاضي كبشر ، والجاحظ ، وقدامة والآمدي · وللجاحظ عبارة صريحة في ذلك قال : ــ

« كما لا ينبغي أن يكون اللفظ ساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا » (٦) ·

ويظهر أن لغة الأدب في ذلك الوقت وقبله وبعده كانت تتجاذبها نزعتان متضادتان :

احداهما بدوية مسرفة أي وحشية ، والأخرى حضرية متسامحة أي سوقية ، وهما طرفان مذمومان ، ولهذا رأينا كثيرا من النقـــــاد المشتغلين بالأدب يوجهون اهتمامهم الى هذه الناحية ، وينصون على أن خير الأمور أوسطها ، وأن أحسن شيء للأديب ارساله نفسه على سجيتها لتقول ما يهدها به الطبع ·

قال ابراهيم بن المهدي لعبد الله بن صاعد كاتبه : ــ « اياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الأكبر ، وعليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل » (٧) ·

ــ ٢ ــ

القاضي ناقد تجريبي يدعو الى تطبيق العلم على العمل : ــ

« ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فانظر هل تجد قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه » (٨) ·

« وأنت تجد ذلك ظاهرا في أهل عصرك وأبناء زمانك » (٩) ·

« وانظر هل تجد معنى مبتذلا ولفظا مشتهرا ؟ وهـــل ترى صنعة وابداعا ، أو تدقيقا واغرابا » (١٠) ·

« ومتى شئت أن ترى ما وصفته عيانا وتعلمه يقينا فاعترض أول عامي غفل تستقبله ، وأعجمي جلف تلقاه ثم سله ··· » (١١) ·

وها هو ذا عبد القاهر يسلك في [أسرار البلاغة] نفس المسلك :

« لو كان رجل على طرف نهر وقت مخاطبة صاحبه واخباره بأنه لا يحصل من سعيه على شيء فأدخل يده في الماء وقال : —

انظر هل حصل في كفي من الماء شيء ؟ فكذلك أنت في أمرك ، كان لذلك ضرب من التأثير زائد على القول ونطق بذلك دون الفعل ، ولو أن رجلا أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي شيئين فقال : — « هذا وذاك هل يجتمعان ؟ وأشار الى ماء ونار حاضرين ، وجدت لتمثيله من التأثير مالا تجده اذا أخبرك بالقول فقط » (١٢) ·

- ٣ -

وغير بعيد عما قلناه تحت رقم ٢ ما سنقوله تحت رقم ٣ ، وما سنقوله يمكن عنونته بنظرية التأثرية · وهي نظرية تجد سندها في الدراسات النفسية الحديثة ، فمن أخص صفات الشعور الذي يثيره العمل الفني أنه يوحد بين متلقي الأدب ومبدعه الى درجة يشعر معها المتلقي كأنه صاحب العمل الفني ، وأن ما عبر عنه هو ما كانت نفسه تهفو الى التعبير عنه ·

وفي نقدنا العربي شيء من هذا بل في نقدنا العربي كل هذا :

يقول قدامة : — « ان المحسن من الشعراء فيه [النسيب] هو الذي يصف من أحوال ما يجده ما يعلم به كل ذي وجد حاضر أو داثر أنه يجد أو قد وجد مثله » (١٣) ·

هذا النص لقدامة معناه أن مقاييس جودة الأدب قوة تأثيره في نفس متذوقة ·

وكثيرا ما وضع القاضي هذا المقياس موضع التطبيق العملي في الوساطة ·

فهو يذكر شيئا من شعر البحتري ويقول : « تأمل كيف تجد نفسك عند انشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ويستخفك من الطرب اذا سمعته ، وتذكر صبوة ان كانت لك تراها ممثلة لضميرك ومصورة تلقاء ناظرك » (١٤) ·

فقدامة والقاضي متفقان على أن الأدب يجب أن يكون مرآة لوجدان مستقبله ، كما هو في الأصل مرآة لوجدان مرسله .

وقد استغل عبد القاهر بعدهما هذا الكشف وجعله الأساس الذي بنى عليه كتابه [أسرار البلاغة] فهو يقيس كل الصور البلاغية فيه بمقدار تأثيرها في النفس ، وذلك ما يسميه المحدثون Introspection أي الفحص الباطني وهو أن تقرأ الشيء وتراقب نفسك عند قراءته وبعدها وتتأمل ما يعروك من الهزة والارتياح والطرب والاستحسان وتحاول أن تفكر في مصادر هذا الاحساس . وبهذه الطريقة في القراءة تختلف القصيدة من قارىء لآخر وتصير ذات وجود متعدد يكاد لا يأتي عليه الحصر (١٥) .

★★★

ولا يعوزنا الدليل على تأثر عبد القاهر بالقاضي في هذا الشأن ، فنحن نجده في أي فصل قرأناه ، بل في أية صفحة قلبناها من أسرار البلاغة ، واسمع قوله : ـ « واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل اذا جاء في أعقاب المعاني ضاعف قواها في تحريك النفوس لها ، ودعا القلوب اليها ، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا » (١٦) .

وانه ليورد قول البحتري : ـ

دان على أيدي العفاة وشاسع عن كل ند في الندى وضريب

كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

ثم يعول في بيان قيمة التشبيه فيه على ما كان القاضي يعول عليه في تذوق النصوص الأدبية وهو ما دعوناه : نظرية التأثرية (١٧) .

كما أنه يقارن بين اخفاء التشبيه بالاستعارة في قول الشاعر : ـ

لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر أزراره على القمر

واظهاره فيما لو قلنا : لا تعجبوا من بلى غلالته فقد زر أزراره على من حسنه حسن القمر ، ثم يسأل كما كان القاضي يسأل : ـ هل ترى الا كلاما فاترا ومعنى نازلا ، وأخبر نفسك هل تجد ما كنت تجده من الأريحية ،

وانظر في أعين السامعين : هل ترى ما كنت تراه من ترجمة عن المسرة ودلالة على الاعجاب ؟ (١٨) ٠

- ٤ -

تعيش الأفكار الشعرية في منطقة الظل من القصـــيدة أو المقطوعة أو البيت ، أما العواطف والانفعالات فانها تتوهج وتلمع كلما انتفخت أوداج الشاعر بها ، وسارت شاعريته في الاتجاه المشبع لها ، وهذا أمر طبيعي ، فأهم ما يمتاز به الشعر عن النثر أن يتجه الى مخاطبة الوجدان والعواطف ، لا الى الادراك والتفكير ، لأن غرضـــه الأساسي هو الايحـــاء بالحقائق والاحساسات لاشرح المسائل وتقريبها من الأذهان ، ولذلك يظهر فيه الغموض والميل الى الابهام ، ويســـيطر على أساليبه الخيال والكنايات ، واستخدام الكلمات والعبارات في غير ما وضعت له ٠

وأراني بهذا الذي قلته قد فصلت ما أجمـــله القاضي الجرجاني بقـــوله : ـ

« وليس في الأرض بيت من أبيات المعاني لقديم أو محدث ، الا ومعناه غامض مستتر ، ولولا ذلك لم تكن الا كغيرها من الشعر ، ولم تفرد فيهـا الكتب المصنفة ولم تشغل باستخراجها الأفكار البارعة » (١٩) ٠

والقاضي مصيب فيما قاله ، فالايحاء شرط أساسي في الأدب ، ولابد في الشعر خاصة من الضباب كي تكون له قدرة على الايحاء ، فمن مقاييس الجودة أن يزداد ما يضيفه القارىء الى ما يقرأ وهو لن يضيف الا اذا ترك له الشاعر ما يضيفه ٠

ذلك كان تفكير القاضي في هذه الناحية من نواحي الابداع الفني ٠

وقد تبعه تلميذه عبد القاهر بدعوته الى أن تكون معـــاني الأدب في منزلة وسط بين الوضوح والغموض فلا هي سافرة صراحة ، ولا هي مطبقة الخفاء ، وكل ما زاده على القاضي أن فلسف رأيه وعلله بهـــذا الكلام : « ومن المركوز في الطباع أن الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى وبالميزة أولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف ، وكانت به أضن وأشغف (٢٠) » ٠ على أن ثمة فرقا بين هذا الذي يدعو اليه الجرجانيان وبين التعقيد الذي ذماه : ـ

ذمه القاضي في الوساطة ، وذمه عبد القاهر في الأسرار ، وقد اتفقا على التمثيل له ببيت المتنبي : —

ولذا اسم أغطية العيون جفونهـــا من أنها عمل السيوف عوامل (٢١)

— ٥ —

كثيرا ما يقف عبد القاهر على مواقع أقدام أستاذه ، وقد يقف على بعد منه ، لكنه دائما في حضته وتحت مظلته • ونوضح ذلك أكثر بالآتي : —

أورد القاضي قول ابن المعتز : —

بيــاض في جوانبـــه احمـــرار كما احمرت من الخجـل الخدود

وجعل نقده مزيجا من المؤاخذة له والثناء عليه •

وجاء عبد القاهر فأورد البيت نفسه في أسرار البلاغة ، واقتصر في نقده على مدحه ، ثم قال : — وقال القاضي أبو الحسن رحمـــه الله : — لو اتفق له أن يقول : (احمرار في جوانبه بياض) لكان قد استوفى الحسن ، وذلك لأن حد الخجل هكذا : يحدق البيـــــاض فيه بالحمرة ، لا الحمرة بالبياض •

ويعلق عبد القاهر قائلا : — الا أنه لعله وجد الأمر كذلك في الوردة فشبه على طريق العكس فقال : — هذا البياض حوله الحمرة كالحمرة حولها البياض هناك (٢٢) •

ونحن نلاحظ أن عبد القاهر يعتذر عن الشاعر ولا يسلمه للناقد •

ومع هذا فهو حريص على عدم مخالفته ، يقول : قال المتنبي : —

دون التعـــانق ناحلين كشكلتي نصب أدقهمـــا وضم الشاكل

وهو غير قول الآخر : —

اني رأيتك في نومي تعانقني كما تعانق لام الكاتب الألفـا

فان هذا قد أدى اليك شكلا مخصوصا لا يتصور في كل واحـــد من

المذكورين على الانفراد ، وصورة لا تكون مع التفريق ، وأما المتنبي فأراك الشيئين في مكان واحد وشدد في الفرق بينهما ، وذلك أنه لم يعرض لهيئة العناق ومفارقتها صورة الافتراق ، وانما عمد الى المبالغة في فرط النحول ، واقتصر من بيان حال المعانقة على ذكر الضم مطلقا ٠

وذهب القاضي في بيت المتنبي الى أنه معنى مفرد غير مأخوذ من قول الآخر : ـ

كمــا تعانق لام الكاتب الألفــا

وقال : ـ ولئن أخذه كما يقولون فليس عليه معتب ، لأن التعب في نقله ليس بأقل من التعب في ابتدائه ٠

ونحن نستشعر الولاء في قول عبد القاهر : ـ وهذا التفضيل والتفصيل من قول القاضي ليس قادحا في غرضي ، لأني أردت أن اريك مثالا في وضع التشبيه على الجمع والتفريق ، وأجعل البيتين معيارا فيما أردت ، ولئن كان المتنبي قد زاد على الأول من حيث وضع الشبه على تركيب شكلين ولكن على جهة أخرى وهي الاغراق في الوصف بالنحول ، وجمع ذلك للخلين معا ، ثم اصابة مثال له ونظير من الخط ، فاعرف ذلك ، ولا تظن أن قصدي المفاضلة بين البيتين من حيث القول بين السابق والمسبوق ، والأخذ والسرقة فتحسب أني خالفت القاضي فيما حكم به (٢٣) ٠

- ٦ -

احتمال تأثر الشاعر بأفكار شاعر آخر وأحاسيسه وصـــوره احتمال قائم ووارد ، وقد ننخدع نحن النقاد فنظن أن ذلك من ابتكاره ، بينما هو قد استمده عبر المسارب الخفية في النفس الانسانية وأدخله في حوزته من الأبواب للعقل الواعي ، وهي الأبواب الموصلة الى ما يسمى في علم النفس الحديث بالعقل الباطن ٠

ولهذا تحرز العقلاء من نقاد الأدب عربا وأعاجم عن القول باختراع المعاني ، كما تحرزوا بالمقدار نفسه وربما أكثر عن القول بسرقتها ٠

وقد كان القاضي أحد هؤلاء العقلاء ، ها هوذا يقول في معرض التعليق على بعض الشعر الجيد لأبي الطيب : « وهذه أفراد أبيات منها أمثال سائرة ومنها معان مستوفاة ولعل أكثرها من اللمع المختارة مختارة المعاني ومقترعة

المذاهب ، لكن ليس لك أن تلزمني تمييز ذلك وافراده والتنبيه عليه بأعيانه كما فعله كثير ممن استهدف للألسن فقال : ـ معنى مفرد وبيت بديع ، ولم يسبق فلان الى كذا ، وانفرد فلان بكذا ، لأني لم أدع الاحاطة بشعر الأوائل والأواخر ، بل لم أزعم أني نصفته سماعا وقراءة ، فدع الحفظ والرواية ولعل المعنى الذي أسمه بهذه السمة ، والبيت الذي أضيفه الى هذه الجملة في صدر ديوان لم أتصفحه ، أو تصفحته ولم أعثر بذلك السطر منه ، أو عساني أكون رويته ثم نسيته ، أو حفظته لكنني أغفلت وجه الأخذ منه وطريقة الاحتذاء به » (٢٤) ٠

وواضح أن القاضي يعتذر هنا عن الحكم بخلق المعنى وابتكاره ٠

لكنه من ناحية أخرى لا يشكك في ذاتية الأديب ، ولا ينفي ما عساه أن يكون له من أصالة ، ولهذا قال بتوارد الخواطر ، وخطر على نفسه وعلى غيره بت الحكم بالسرقة الا اذا وجد في شعر الشاعر معاني كثيرة مأخوذة عن غيره ، فانه والحالة هذه يبتها ، وحتى في هذه الحالة نراه يفسح صدره للسارق ويسلم له بكل ما في شعره من المعاني ، لكن بعد أن يحكم بأن فيها مأخوذا لا يثبته بعينه ، ومسروقا لا يميزه من غيره ، وانما أمره أن يقول : ـ قال فلان كذا ، وقد سبقه اليه فلان فقال كذا فيغتنم فضيلة الصدق ويسلم من اقتحام التهور (٢٥) ٠

والقاضي محق في هذا السلوك المزدوج أو شبه المتناقض ، لأنه وان كان العمود الفقري لأية دراسة أدبية ، انما هو اظهار ما عند كل شاعر أو كاتب من أصالة ، الا ان ذلك ليس أمرا ميسورا في كل حالة ، فالى اليوم لا يزال النقاد حيارى في تحديد ما أتى به كل أديب من جديد ، وانه وان تكن هناك عملية تفاعل تزداد عمقا كلما ازدادت النفس التي تحدث فيها خصبا الا أننا لا يمكننا أن نجزم بأصالة ما ينتج عن ذلك التفاعل ٠

وللناقد جوستاف لانسون كلام بهذا المعنى يتوارد فيه مع القاضي قال : ـ

« نحن نسعى الى تحديد أصالة الأفراد ، ولكن مهما يكن الأفراد من العظمة ، فان دراستنا لا يمكن أن تقتصر عليهم ، لأننا لن نعرفهم اذا لم نرد أن نعرف غيرهم ، فأمعن الكتاب أصالة انما هو الى حد بعيد راسب من الأجيال السابقة، وبؤرة للتيارات المعاصرة ، وثلاثة أرباعه مكون من غير ذاته ، فلكي نجده ، هو في نفسه ، لابد أن نفصل عنه كمية كبيرة من

العناصر الغريبة ، يجب أن نعرف ذلك الماضي الممتد فيه ، وذلك الحاضر الذي تسرب اليه ، فعندئذ نستطيع أن نستخلص أصالته الحقيقية ، وأن نقدرها ونحددها ، ومع ذلك فلن نعرفه عند تلك المرحلة الا معرفة احتمالية » (٢٦) ٠

وقد نعجب من هذا التوافق وتوارد الخواطر بين لانسون والقاضي ، ولكن عجبنا ينقضي اذا علمنا أن الحقائق العلمية والدقائق الفنية أمور معنوية موطنها الأصلي هو الذهن الانساني بصرف النصر عن زمانه أو مكانه ٠

والآن مع سرقات المعاني من وجهة نظر القاضي ٠

تنقسم المعاني من وجهة نظر القاضي الى ثلاثة اقسام : ـ

١ ـ المعاني المشتركة : ـ وهي تلك التي لا ينفرد أحد منها بسهم لا يساهم عليه ولا يختص بقسم لا ينازع فيه كتشبيه الحسن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحمار ، والشجاع الماضي بالسيف والنار ، والصب المستهام بالمخبول في حيرته ، والسليم في سهره ، والسقيم في أنينه وتألمه ٠

هذه المعاني وأمثالها لا يحكم القاضي فيها بالسرقة ، لأنها أمور متقررة في النفوس ومتصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم والفصيح والأعجم والشاعر والمفحم (٢٧) ٠

٢ ـ ما أصله من المعاني مخترع مبتدع سبق المتقدم اليه ففاز به ، لكنه تدوول بعده فكثر واستعمل حتى صار كالأول في الجلاء والاشتهار والاستفاضة على ألسن الشعراء ، كتشبيه الطلل بالكتاب والبردة ، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها ، والمهاة في حسنها وصفائها ، وكوصف البرق بخطف الأبصار وبسرعة اللمح وأنه كالقبس من النار وكالحريق المتضرم وكمصباح الراهب (٢٨) ٠

٣ ـ المعنى المختص الذي حازه المبتدىء فملكه ، واحياه السابق فاقتطعه ، لكنه لم يبتذل بالاستعمال بحيث يحمي نفسه عن السرق ويدفع عن صاحبه (آخذه) مذمة الأخذ ، ولهذا كان المعتدى عليه مختلسا سارقا والمشارك فيه محتذيا تابعا (٢٩) ٠

ومن أمثلة هذا القسم قول عدي بن الرقاع : ـ

وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحور من جآذر جاسم

وسنان أيقظه النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم (٣٠)

ومن أمثلته كذلك وصف المتنبي للحمى في شعره الفلسفي (٣١) ·

★★★

هذا هو تقسيم القاضي للمعاني وتلك هي آراؤه في سرقتها ·

لكنه لا يطلق القول بعدم الأخذ في القسمين الأول والثاني ، وانما يتيح للفنية والابتكار فرصة الظهور والعمل بسماحه للشاعر أن يأخذ ما يشاء عمن يشاء من شعراء وغير شعراء ، بشرط أن يكون عنده من الثقافة وواسع العلم ما يجعله يرد الى ناحية تفكيره أو الى ناحية وجدانه شيئا مما أخذ ·

ها هو ذا يستدرك على نفسه بعد أن فصل القول في المعنى المشترك ، وما ثنى به عليه مما كان أصله مخترعا لكنه تدوول واستفاض فيقول : ـ

« وانما يصح في هذا الأخذ اذا أضيفت اليه صنعة لفظ ، أو وصل بزيادة معنى » (٣٢) ·

ويسوق لذلك العديد من الأمثلة فيقول : ـ

ولم يزل العامة والخاصة تشبه الورد بالخدود والخدود بالورد نثرا ونظما وتقول فيه الشعراء فتكثر ، وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقة فيه الا بتناول زيادة تضم اليه أو معنى يشفع به كقول علي ابن الجهم : ـ

عشية حياني بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن الى بعض

فاضافة (بعضهن الى بعض) ان أخذت فمنه تؤخذ واليه تنسب ،
ثم قال أبو سعيد المخزومي : ـ

والورد فيه كأنما أوراقه نزعت ورد مكانهن خدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق ، فصرت اذا قسته الى غيره وجدت المعنى واحدا ثم أحسست في نفسك عنده هذه ووجدت طربة تعلم لها أنه انفرد بفضيلة لم ينازع فيها (٣٣) ٠

ومتى تحمل المعنى هذه الزيادة وسعد بها تكونت له فنية خاصة به . وربما تحول بفعل هذه الفنية الى شيء آخر مغاير كل المغايرة لأصله الأول ، ومن هنا صح الحكم بسرقته ٠

واذ ننتقل بالموضوع الى عبد القاهر في (أسرار البلاغة) نجده يكاد أن يكون صورة طبق الأصل من القاضي في الوساطة : ــ

فالاتفاق عنده اما أن يكون في الغرض أو في وجه الدلالة عليه ، وهو في الأول لا يعد سرقة ، أما في الثاني ، فان كان مما اشترك الناس في معرفته ، وكان مستقرا في العادات والعقول كالتشبيه بالأسد في الشجاعة ، وبالبحر في السخاء ، وبالبدر في البهاء ، لم يعد هو الآخر مالم تدخله صنعة ٠

وان كان مما ينتهي اليه المرء بنظر وتدبر ، ويناله بطلب واجتهاد ، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولوية وأن يجعل فيه سلف وخلف ومفيد ومستفيد ، ومن هنا صح الحكم فيه بالسرقة (٣٤) ٠

- ٧ -

القول بالتخصص في النقد دعوة دعاها نقاد كثيرون منذ خلف الأحمر الى ابن الأثير ومن جاء بعده ، ومع هذا فقد ذكرت صاحب الوساطة وأنا أقرأ كلام عبد القاهر في هذا الشأن ، ذكرته بما لمحته بينهما من تقارب في المضمون والشكل (٣٥) ٠

- ٨ -

ونحن لم نقل : ان عبد القاهر قد تأثر أستاذه فيما عرض له من دراسة بعض الصور البديعية كالجناس والطباق ، وبعض الصور البيانية كالتشبيه والاستعارة ، ولو أنه ذكر اسمه ونقل عنه وهو يعالج هذه الموضوعات أكثر من مرة ٠

لم نقل ذلك ولم نره ، لأنه قد اختط لنفسه في هذه المباحث طريقة

مبتكرة ، ولأنه قد احتفل بها وأطال فيها بينما لم يتناولها القاضي الا خطفا ، ولم يقف عندها الا ليأخذ نفسه ، ومع ذلك فقد اعتذر عما قاله ، وأبان أنه قاله عرضا (٣٦) ٠

ثانيا ـ بين الوساطة ودلائل الاعجاز

١ ـ أول ما نجده في دلائل الاعجاز دالا على تأثر عبد القاهر بالقاضي هو تأكيده ما قاله في أسرار البلاغة عن التخصص (٣٧) ٠

٢ ـ وثاني ما نجده له هو اقتباسه تعريفه للاستعارة (٣٨) ٠

٣ ـ واذا كان في أسرار البلاغة قد انتفع بالوساطة في الحكم أو عدم الحكم بالسرقة ، فانه في دلائل الاعجاز قد فسر ما سماه صاحب الوساطة (احتذاء المثال) ٠

واحتذاء المثال قال به القاضي مرتين : ـ

مرة وهو يناقش مهلهل بن يموت في ادعائه بعض السرقات على أبي نواس ، فقد ادعى مهلهل أن قول أبي نواس في الخمر : ـ

أتت من دونها الأيام حتى كأنها ... تساقط نور من فتوق سماء

من قول جرير : ـ

يجري السواك على أغر كأنه ... برد تحدر من فتوق غمام

يقول القاضي : ـ « ولست أرى شبها يشتركان فيه الا أن أدعي احتذاء المثال فلعله » (٣٩) ٠

تلك هي المرة الأولى ٠

أما المرة الثانية فكانت حين قال البحتري :

واذا ما تنكرت لي بلاد ... أو صديق فانني بالخيار

وهو معنى مبتذل بين المتقدمين والمتأخرين ، وقال ابن المعذل فأحسن وأوجز ، لكنه اقتصر على البلد : ـ

اذا وطن رابني ... فكل بلاد وطن

وقال أبو الطيب واحتذى مثال البحتري وأجاد وللبحتري الفضل : —

اذا صديق نكرت جانبـــــه لم تعيني في فراقه الحيـــل

في سعة الخافقين مضــــطرب وفي بلاد من أختها بدل (٤٠)

هذان هما الموقفان اللذان قال فيهما القاضي باحتذاء المثال ·

وننظر ما عند عبد القاهر فيه قال : —

واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدىء الشاعر معنى له وغرض أسلوبا — والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه — فيعمد شاعر آخر الى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ، فيشبه بمن يقطع من أديمه نعلا على مثال نعل قد قطعها صاحبها فيقال : قد احتذى على مثاله ، وذلك مثل أن الفرزدق قال :

أترجو ربيع أن تجيء صـغارها بخير وقد أعيا ربيعا كبارها ؟!

احتذاه البعيث فقال : —

أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليبا قديمها ؟!

قالوا : ان الفرزدق لما سمع هذا البيت قال : —

اذا ما قلت قافيــــــة شرودا تنخلها ابن حمراء العجان ؟!

ولا يكون الشاعر محتذيا الا بما يكون به آخذا وسارقا (٤١) ·

هكذا قال · وهو واضح من المثال ·

ونلاحظ أن ثمة اختلافا بين وجهة نظر كل من القاضي وعبد القاهر في احتذاء المثال ، فالقاضي يدفع به تهمـــة السرقة ، وعبد القـــاهر يثبتها به ·

واحتذاء المثال — حسبما يوحى به اسمه ، ومما مثل له به القاضي ، وكما عرفه عبد القاهر — نوع من التأثر ، بل هو التأثر بعينه ، والتأثر ليس سرقة ، فكذلك احتذاء المثال ، وهذا يعني أنهما كلمتان مترادفتان على معنى واحد هو أن الشاعر بمذهب غيره في التفكير أو في التعبير · لكن ·

لم اختلف الناقدان في تقييمه فجعله أحدهما قرار براءة ، وجعله الآخر قرار ادانة ؟! .

الرأي عندي أن ما مثل به كل منهما هو سبب اختلافهما ، بمعنى أننا لو عرضنا ما مثل به له عبد القاهر على القاضي لقال فيه بالسرقة ، وما مثل به القاضي على عبد القاهر لنفاها عنه .

٤ ـ قال عبد القاهر بالتناسب ، ومثل له بما مثل به القاضي قال :
ان اللفظ لا يخفي المعنى ، وانما يخفيه اخراجه في صورة غير التي كان عليها .

مثال ذلك أن القاضي أبا الحسن ذكر فيما ذكر فيه تناسب المعاني بيت أبي نواس :

خليت والحسن تاخذه تنتقى منه وتنتخب

وبيت عبد الله بن مصعب :

كانك جئت محتكما عليهم تخير في الأبوة ما تشاء

وذكر أنهما معا من بيت بشار : ـ

خلقت على ما في غير مخير هواي ، ولو خيرت كنت المهذبا

ويسلم عبد القاهر بوجهة نظر أستاذه قائلا : ـ

« والأمر في تناسب هذه الثلاثة ظاهر » (٤٢) .

- ٥ -

أورد عبد القاهر جملة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين : ـ

قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعني غفلا ساذجا وترى الآخر قد أخرجه في صورة تروق وتعجب .

وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور (٤٣) .

ومن ينظر في كتاب الوساطة يتأكد له أنه كان أحد المصادر القريبة من عبد القاهر وهو يكتب هذه الجملة من الشعر ·

- ٦ -

جعل القاضي الطبع والذكاء من مقومات الشخصية الأدبية مع الثقافة والدربة ·

وعن الطبع قال : ـ

« واذا أردت أن تعرف موقع اللفظ الرشيق من القلب ، وعظم غنائه في تحسين الشعر ، فتصفح شعر جرير وذي الرمة في القدماء ، والبحتري في المتأخرين ، وتتبع نسيب متيمي العرب ومتغزلي أهل الحجاز كعمر وكثير وجميل ونصيب وأضرابهم ، وقسهم بمن هو أجود منهم شعرا وأفصح لفظا وسبكا ثم انظر واحكم وأنصف ، ودعني من قولك : ـ

هل زاد على كذا ؟ وهل قال الا ما قاله فلان ؟ فان روعة اللفظ تسبق بك الى الحكم وملاك الأمر في هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمل والاسترسال للطبع وتجنب الحمل عليه والعنف به (٤٤) ·

ولا يكتفي القاضي بهذه الاحالة ، لكنه يصر على أن يضعنا وجها لوجه أمام مقتطفات رائعة من شعر جرير والبحتري ، لنعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع وفضل ما بين السمح والمنقاد والمستكره والصعب ·

★★★

والذكاء كالطبع في لزومه للأديب ، فعملية الخلق الأدبي عملية شاقة تكتنفها الصعوبات من كل جانب ، ولابد لصاحبها من ذكاء حاد أو على الأقل فوق المتوسط ليقهر هذه الصعوبات ويتخلص منها ·

وقد أثبت علم النفس الحديث أن متوسط ذكاء العباقرة أعلى من متوسط غيرهم من الناس (٤٥) ·

والذوق هو القوة التي نقدر بها الأثر الفني ، وقد رفع القاضي من شأن الذوق وجعله المرجع الأساسي في تقدير الأدب ·

والأذواق التي يعنيها انما هي أذواق المتخصصين أصحاب القرائح الصافية والطبائع السليمة ، تلك التي طالت ممارستها للأدب فحذقت

نقده ، وأثبتت عياره ، وقويت على تمييزه وعرفت خلاصه ، فلكل صناعة أهلها الذين يرجع اليهم في خصائصها ، ويستظهر بمعرفتهم عن اشتباه أحوالها (٤٦) ·

وانه ليؤكد ذلك بقوله : —

« والشعر لا يحبب الى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولا يحلى في الصدور بالجدال والمقايسة ، وانما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقربه منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشيء متقنا محكما ولا يكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وثيقا وان لم يكن لطيفا رشيقا ، وقد تجد الصورة الحسنة والخلقة التامة مقلية ممقوتة ، وأخرى مستحلاة مرموقة » (٤٧) ·

★★★

واذا كان هذا هو تعويل القاضي على الطبع والذكاء في انتاج الأدب ، وعلى الذوق في نقده ، فان عبد القاهر قد ذهب الى ذلك كله بقوله في دلائل الاعجاز :

« ان المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها أمور خفية ومعان روحانية أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها وتحدث له علما بها حتى يكون متهيئا لادراكها ، وتكون فيه طبيعة قابلة لها ، ويكون له ذوق وقريحة ، وكما لا تقيم الشعر في نفس من لا ذوق له ·

كذلك لا تفهم هذا الشأن من لم يؤت الآلة التي بها يفهم ، لأن أصلك الذي ترده اليه وتعول في مخاطبته عليه استشهاد القرائح وسبر النفوس وفليها (٤٨) ·

هذا الذي ذكرناه بعض ما لاحظناه من توافق وجهات النظر عند كل من القاضي وعبد القاهر وبقي الاحساس الذي يحسه قارىء الوساطة وأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، وهو احساس بالألفة والأنس في صحبة هذه الكتب الثلاثة ، حتى ليظن أنها صادرة عن مؤلف واحد ، فالأسلوب هو الأسلوب ، والروح هي الروح ، والاتجاه هو الاتجاه ، بل ان بعضا من الانعكاسات النفسية للرجلين تقع متقاربة على بعض الأشخاص والأشياء وبخاصة في المعنويات ·

فهما يمقتان الجهل والغرور وادعاء المرء ما لا يحسه ، وهما متفقان في ايثار البحتري على أبي تمام ·

وفي الورقة الأولى من الوساطة يتحدث القاضي عن العلم حـديث المقدر له المؤمن به في ايجاد أفضل الصلات بين الناس ٠

ونفس الشيء نجده عند عبد القاهر وهو يستفتح دلائل الاعجاز ٠

فلم يكن وهما اذن ما قلناه من أن ثمة تقاربا بين الرجلين في الفهم والروح والاتجاه ، بل لقد ثبت أن عبد القاهر كان يقتفي أثر القاضي الجرجاني ويضع أقدامه على مواقع خطاه ٠٠ والحمد لله ؟

د٠ عبده عبد العزيز قلقيله
كلية التربية ـ جامعة الرياض

الهـــوامش

١ ـ معجم الأدباء جـ١٤ ص ١٤ ٠
٢ ـ انباه الرواه على انباه النحاة جـ٢ ص ١٨٨ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٠
٣ ـ معجم الأدباء جـ٧ ص ٣ وبغيـــة الوعـــاة ص ٣١٠ طبعة ســـنة ١٩٦٤ تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم ٠
٤ ـ اسرار البلاغة ص ٣ ٠
٥ ـ الوســـاطة ص ٢٣ ٠
٦ ـ البيان والتبيين جـ١ ص ١٥٩ ٠
٧ ـ العمدة جـ٢ ص ٢٥٣ ٠
٨ ـ الوســـاطة ص ٤ ٠
٩ ـ الوســـاطة ص ١٧ ٠
١٠ ـ الوساطة ص ٢٦
١١ ـ الوساطة ص ١٨٠ ٠
١٢ ـ اسرار البلاغة ص ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠
١٣ ـ نقد الشعر ص ١٢٧ ٠
١٤ ـ الوساطة ص ٢٦
١٥ ـ فن الشعر د٠ احسان عباس ص ١٨٢ ٠
١٦ ـ أسرار البلاغة ص ٩٢ ٠
١٧ ـ أسرار البلاغة ص ٩٨ ٠

١٨ ـ اسرار البلاغة ص ٢٦٥ ٠

١٩ ـ الوساطة ص ٤٣١ ٠

٢٠ ـ اسرار البلاغة ص ١١٨ ٠

٢١ ـ الوساطة ص ٨٦ وأسرار البلاغة ص ١٢٠ ٠

٢٢ ـ الوساطة ص ١٨٣ وأسرار البلاغة ص ١٧٢ ٠

٢٣ ـ أسرار البلاغة ص ١٧٦ ـ ١٧٧ والوساطة ص ٢٣٤ ٠

٢٤ ـ الوساطة ص ١٥٦ ٠

٢٥ ـ الوساطة ص ٢٠٠ ٠

٢٦ ـ النقد المنهجي د٠ محمد مندور ص ٣٠٩ ٠

٢٧ ـ الوساطة ص ١٧٩ ٠

٢٨ ـ الوساطة ص ١٨٠ ٠

٢٩ ـ الوساطة ص ١٧٩ ٠

٣٠ ـ الوساطة ٣٠ ٠

٣١ ـ الوساطة صص ١١٦ ، ١٧٨ وديوان المتنبي بشرح العكبري ج ٤ صص ١٤٢ ـ ١٤٩ ٠

٣٢ ـ الوساطة ص ٣٥٤ ٠

٣٣ ـ الوساطة ص ١٨٣ ٠

٣٤ ـ اسرار البلاغة صفحات ٣٩٣ ، ٢٩ ، ٢٩٥ ٠

٣٥ ـ اسرار البلاغة ص ١٢٢ والوساطة ص ٩٦ ٠

٣٦ ـ الوساطة ص ٤٣ ٠

٣٧ ـ دلائل الاعجاز صفحات ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، والوساطة ص ٩٦ ـ ٩٧ ٠

٣٨ ـ دلائل الاعجاز ص ٣٣٣ والوساطة ص ٣٣ ـ ٤٠ ٠

٣٩ ـ الوساطة ص ٢٠٤ ٠

٤٠ ـ الوساطة ص ٣٠١ ٠

٤١ ـ دلائل الاعجاز ص ٣٦١ ٠

٤٢ ـ دلائل الاعجاز ص ٣٩٠ والوساطة صص ١٩٥ ـ ٢٠٠ ٠

٤٣ ـ دلائل الاعجاز صص ٣٧٤ ـ ٣٨٨ ٠

٤٤ ـ الوساطة صص ٢٣ ـ ٢٤ ٠

٤٥ ـ انظر في هذا تجربة ترومان في كتاب « من الوجهة النفسية » لمحمد خلف الله ص ٣١ ٠

٤٦ ـ الوساطة ص ص ٩٦ ـ ٩٧ ٠

٤٧ ـ الوساطة ص ٩٧ ٠

٤٨ ـ دلائل الاعجاز صص ٤٢٠ ـ ٤٢٢ ٠

مشكلات التاريخ للتربية
عند العرب قبل الإسلام

د . سعيد اسماعيل علي

يذهب بعض الناس الى أن تاريخ التربية العربية لم يبـــدأ الا بظهور الاسلام معتمدين في هذا الرأي على ان العرب كانوا قبله مجموعات متناثرة من القبائل وأنهم كانوا أجلافا يستحيل عليهم أن ينتجوا شيئا ذا بال يستحق أن يؤرخ له ٠

ومن العجيب حقا أن يحمل لواء هذا الرأي أستاذ معروف في الدراسات السامية وهو « رينان » ، اذ كتب في هذا الشان يقول :

« لا مكان لبلاد العرب في تاريخ العالم الســـياسي والثقافي والديني قبل ذلك الانقلاب المفاجيء الخارق للعادة الذي صار به العرب أمة فاتحة مبدعة ٠ ولم يكن لجزيرة العرب شأن في القرون الأولى من الميلاد حين كانت غارقة في دياجير ما قبل التــاريخ ولم يظهر بأسها وبسالتها الا بعد القرن السادس من الميلاد » (١) ٠

ويتصدى أستاذ آخر من الأمة الفرنسية نفسها التي منها (رينـــان) ، ألا وهو « جوستاف لوبون » لهذا الرأي واصفا اياه بالفساد ، ويستند في ذلك الى حجة منطقية لا يستطيع منصف أن يتغاضى عن معقوليتها ، وهي أنه اذا أمكن ظهور حضارة أمة ولغتها فجأة على مسرح التاريخ ، فان هذا لا يكون الا نتيجة نضج بطيء ، فلا يتم تطور الأشـخاص والأمم والنظم الا بالتدريج ، واذا ما ظهرت أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ ، قلنا أن هذه الحضارة ثمرة ماض طويل ، واذا كنا نجهل هذا التاريخ الآن ، فلا يعني هذا أنه غير موجود (٢) ٠

واذا كان لرأي لوبون هذا وجاهته ، الا أننا ينبغي ان نضع معه تحفظا هاما فصحيح أن دراسة التاريخ تبين أن « فجائية » الوقائع والأحداث غير مقبولة الا أن هذا لا يعني أن ما جاء به الاسلام كان تطورا طبيعيا

لما كان قائما • ذلك أننا هنا لسنا أمام حدث بشري يصح عليه القـــانون نفسه ، وانما أمام حدث (الهى) يختلف كلية عما كان قائما والصحيح أن نقول ، أن تلك الحضارة التي أبدعها العرب اذا كانت قد اعتمدت على الاسلام في روحها واتجاهاتها ، فهي تعني كذلك قدرة العرب على الابداع والابتكار وقابليتهم لحمل لواء التمدن والتطور وهذا يؤدي بنا الى القول بأن قوما هذه امكاناتهم التي فجرها الاسلام ، يستحيل عليهم أن يعجزوا عن اتيان أشياء ذات أهمية في التاريخ قبل الاسلام وان اختلفت في روحها وتباينت في اتجاهاتها •

بيد أن دراسة هذا التاريخ بالذات عملية تبلغ درجـــة عالية من الصعوبة تتطلب الكثير من العناء والجهد حتى لقد قيل بحق أنه ليس في تواريخ الأمم الراقية أسقم من تاريخ العرب قبل الاسلام (٣) • ومن هنا تهيب الكثيرون الخوض فيه لوعورة مسالكه وتناقض الأقوال فيه وترجع صعوبات تاريخ التربية عند العرب قبل الاسلام ومشكلاته الى أمور اجمالها فيما يأتي :

١ ــ يذهب بعض الناس الى أن من أهم الصعوبات والمشكلات ، طول العهد بهذا التأريخ (٤) بيد أن هذا الرأي لا يصـــــمد كثيرا أمام النقد والتمحيص ، ذلك أن الفراعنة أشد ايغالا في القدم من كل تاريخ الأرض . اذ يرجع تاريخهم الثابت المؤكد الى ما قبل القرن الأربعين قبل الميلاد (٥) ، هذا عدا تاريخهم الأسطوري الذي يمتد وراء ذلك بعشرات القرون (٦) •

٢ ــ يذهب البعض الآخر الى أن بعض الصحابة قد نهى عن رواية الشعر الجاهلي أو أخبار الأيام مما أوحى بكره الاســــلام لاحياء ذكرى الجاهلية ومحاولة طمس معالمها وتاريخها وحكمهم من ثم عليه باسهامه في طمس تأريخ الجاهلية واطفائه له (٧) •

ويستدلون على تأكيد هذا الرأي بلفت النظر الى أنه في الوقت الذي أهمل فيه العرب تاريخ حياتهم في الجاهلية ، نجد عكس ذلك بعد الاسلام ، فانهم لم يتركوا خبرا من أخباره أو رواية أو واقعة الا ودونوها وفصلوها كأنهم شغلوا بهذا عن ذلك أو لعلهم أرادوا محو مفاخر الجاهلية واقامة مجد الاسلام مكانها ، ولذلك لا تجد لهم كتابا خاصا بتاريخ العرب قبل الاسلام ، واذا ذكروا شيئا من أخبارهم ، فانما يريدون به العبرة والموعظة ، كأخبار عاد وثمود بما تحويه من غضب الله على قوم خالفوا أنبياءه ولذلك رأيتهم يبالغون في تعظيم تلك الأمم ليعظم القصاص الذي وقع عليها حتى

أصبحت أخبارهم أشبه بالخرافات منها بالحقائق ، وأكثر مبالغات العرب في القبائل البائدة ، حتى سبق الى أذهان المحققين من غير المسلمين ، أنها موضوعة ولولا ورود بعضها في القرآن لقال المسلمون ذلك أيضا (٨) ·

لكننا يمكن أن نؤكد أن الذين نهوا عن رواية الشعر الجاهلي أو رواية الأيام أو امتنعوا هم أنفسهم عن روايتها ، لم ينهوا ولم يمتنعوا عن روايتها مطلقا ، أي عن رواية جميع أنواع الشعر الجاهلي ، أو أخبار كل الأيام التي وقعت في الجاهلية ، بل نهوا أو امتنعوا عن رواية بعض أبواب الشعر ، وبعض أخبار تلك الأيام ، لما كان يحدثه هذا النوع من الشعر أو يوقعه هذا الباب من رواية الأخبار من شر في النفوس ، ومن فتن قد تجدد تلك العصبيات الخبيثة التي حاربها الاسلام لتمزيقها الشمل وتفريقها الصفوف (٩) ·

٣ ـ تعتمد عملية التأريخ للجاهلية على مادة علمية يستمد جزء كبير منها من أشعار بني اسرائيل ، ومؤلفات اليونانيين ، وتراث الفرس والسريان واللاتين واذا كنا نجد المدونات الاسرائيلية والفارسية غارقة في الخيال ، فكذلك نجد الخيال متراكما على المدونات اليونانية والسريانية ، فالمبالغة في الخيال الواضحة في (الالياذة) اليونانية ، وفي قصة (مغارة الكنز) السريانية ، لا تقل عن مبالغات الفرس عن ملوكهم وأبطالهم وفيما قاله العبرانيون عن دولة أنبياء بني اسرائيل (١٠) لذلك قال المستشرقون ان المواد المستخدمة من القصص اليهودي والمسيحي كانت منذ أمد بعيد ، قد وجدت سبيلها الى التاريخ العربي ، وهو أمر لم يكن في مصلحته تماما ، وكذلك كان أثر الرواية الفارسية فيه سيئا (٢١) ·

وتأكيدا لهذا ، يذهب بعض الباحثين الى أن « كتاب الملوك » (خداي نامه) الفارسي الذي نقل الى العربية ، كان يشتمل في أقدم أجزائه على قصص تتناول أشخاصا خيالية (ميثولوجية) وعلى تأملات كهنوتية ، وخرافات ابستاقية وذكريات عن قصة الاسكندر ، وكثيرا ما كانت النزعة القصصية والبلاغية تطغى على الرواية الصحيحة في الحديث عن ملوك ساسان (١٢) ·

وبالاضافة الى هذا ، فان أخبار الأمم العربية في المدونات الاسرائيلية كان أكثرها محدودا في نطاق ضيق وخاضعا للخصومة التي كانت بين بني اسرائيل في سوريا وفلسطين منذ هجرتهم من مصر · فالأسفار الاسرائيلية لم تتحدث عن كثير من أحقاب التاريخ العربي فهي لم تذكر (الثموديين) ودولتهم في شمالي الحجاز · والأسفار الاسرائيلية عندما تتحدث عن

العرب ، تتحدث عنهم أعداء لدولتهم كافرين بعقيدتها ، فهي لذلك تحرص على ذكر الجوانب المظلمة في حياتهم • ولقد أقبل العرب على النقل من التوراة بدافع الاعتقاد في أن التبديل والتحريف الذي حدث في كتب بني اسرائيل كان محصورا في التأويل ، كما قال ابن عباس « انما بدلوه وحرفوه بالتأويل » (١٣) •

٤ ــ قلة الاهتمام بالتدوين ، فالظاهر أن غالبية أهل الجاهلية لم تكن لهم كتب مدونة في تاريخهم ، ولم تكن عندهم عادة تدوين الحوادث وتسجيل ما يقع لهم في كتب وسجلات ، بل كانوا يتذاكرون أيامهم وأحداثهم وما يقع لهم ، ويحفظون المهم من أمورهم مثل الشعر حفظا • ولما كانت الذاكرة محدودة الطاقة لا تستطيع أن تحمل كل ما تحمل ، ضاع الكثير من الأخبار بتباعد الزمان وبوفاة شهود الحوادث (١٤) •

يضاف الى هذا ، اساءة فهم بعض الأوائل ، ما سمعوه من كراهة التدوين في صدر الاسلام ، مما أدى الى الظن بأن هذا يعني اعدام كل ما هو غير اسلامي من التراث العلمي القديم ، فقد روى مسلم في صحيحه « ولا تكتبوا عني غير القران ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » (١٥) •

ومصدر الخطأ في الفهم هنا أن هذه النصوص وغيرها تدور حول تدوين الأحاديث النبوية . واطلاق عنان التدوين للجميع ، في الوقت الذي لم يجمع فيه القرآن ، وفي الزمن الذي كان الناس يدونون في الصحيفة الواحدة الى جانب الآيات القرآنية قصصا (١٦) فاطلاقه يترتب عليه مخاوف لا يأمنها المسلمون على القرآن وبعد أن جمع ووحدت قراءته في مصحف واحد . كره الصحابة أن يجمع الحديث في كتاب على نحو ما جمع به القرآن فيضاهي به ، وأكثر الاعلام كانوا يخافون على عقلية العامة فمن مثله كمثل حاطب ليل ، فحاطب ليل كما يقول (أبو عمر) : ربما ضم أفعى الى حطبه فنهشته (١٧) •

٥ ــ ليس من السهل بقاء العاديات التي تتألف من مواد منزلية وأدوات ضرورية لحياة الانسان مدة طويلة في أراض مكشوفة سهلة ، وفي مناطق صحراوية لا حماية فيها لتلك الأشياء (١٨) • وليس من السهل أيضا احتفاظ مثل هذه التربة بجسد الانسان وبعظام الحيوان أمدا طويلا ، وهي معرضة لحرارة شديدة قاسية ولرياح عاصفة قاسية •

هذا بالاضافة الى عادة قلع المباني القديمة لاستخدام أنقاضها في مبان جديدة ، والاعتداء على الأطلال والآثار والقبور بحثا عن الذهب والأحجار الكريمة والأشياء النفيسة الأخرى • وهذه العادة قديمة جدا ، ربما رافقت

الانسان منذ يوم وجوده ، وكان من نتائجها تلف كثير من الآثار وذهاب معالمها ، فصارت نسيا منسيا (١٩) ٠

كذلك يمكن القول بأن ما كان يحدث من حروب متعددة ، أدى الى تدمير هذه الآثار ، اذ استعمل القادة السياسيون حرق المدن والمواقع والمزارع وقتل السكان بالجملة ، وحتى في غير أوقات الحروب ، كان بعض القادة السياسيين يدأبون على محو كل أثر لمن سبقهم حتى لا تظهر على المسرح من هو أعظم منهم بدافع الحقد والحسد والغيرة ٠

٦ ـ ليس البحث في تاريخ بلد واحد بالأمر السهل على من كتب له حظ من البحث والنظر ، فما بالك بتاريخ أمة عظيمة تباعدت أرجاء بلادها كالأمة العربية ؟ ولذلك رأينا الغربيين لما بلغ العلم هذه الدرجة من الارتقاء والتشعب ، يقسمون التاريخ أقساما كثيرة ، فمن بحث منهم في تاريخ قرن أو قرون من تاريخ أمة ، لا يتطاول الى البحث في دور آخر من أدوارها ، أو من خاض في تاريخ اقليم أو بلد آخر ، ومن اختص بجانب من تاريخ الرومان ، يتعذر عليه معالجة التاريخ الحديث ، ومن ذاقت نفسه أن يتناول في أبحاثه النظر الى حال أمة من أمم الشرق ، لا يجود تاليفا له في تاريخ الغرب (٢٠) ٠

٧ ـ تأثر عملية « التاريخ بالألوان الخاصة ، والمؤرخ يحتاج الى كل ما يحتاج اليه القاضي من الشهادات والأسانيد والبيانات ، وقد يعوزه كل أولئك في أكثر الحوادث التي يتصدى لها بالبحث والتقرير ٠ فكل حادثة تاريخية قوامها الأشخاص والأخبار والمصالح والآراء ، ولكل عنصر من هذه العناصر آفة تتطرق اليه بالزغل والارتياب ٠ والأشخاص يحيط بهم الحب والبغض والرغبة والرهبة والظهور والخفاء ، والأخبار يعتورها الصدق والكذب والفهم والجهل والوضوح والغموض ، والمصالح تتفق ولا تتفق وتجاري الحقيقة وتناقضها ، وتصبغ الأشياء عامدة أو غير عامدة بصبغة تلوح لهذا غير ما تلوح لذاك ، والرأي عرضة لاختلاف العلم والنظر والمزاج وكل ما يدخل في تكوين الآراء وتقدير الأحكام (٢١) واذا تأتي للمؤرخ أسباب الحكم على الأعمال الظاهرة ، فقد تعوزه أسباب الحكم على النيات الخفية والبواعث المستورة والعوامل التي يحجبها الانسان عن خلده ويغالط فيها ضميره وهبة تأتي له كل ما يتأتى للقاضي من الشهادات الأساسية والبينات ، فهل يسلم القاضي من الذلل ؟ وهل يأمن الزيغ في الفهم والمحاباة في الهوى وانتشار الأمر عليه في القضايا التي لها خطر وللناس بها اهتمام ، أما سفساف الحوادث ، فسواء أصاب فيها القاضي أو أخطأ فهي أهون من أن يتعلق بها خبر في تاريخ أو مذهب في قضاء (٢٢) ٠

د٠ سعيد اسماعيل علي

الهوامش

١ ـ جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٨٧ ٠

٢ ـ المرجع السابق ٠

٣ ـ جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، دار الهلال ، (د٠ت٠) ، القاهرة ، ص ١٠٧ ٠

٤ ـ محمد أسعد طلس : تاريخ الأمة العربية ، عصر الانبثاق ، مكتبة الأندلس بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١٤٢ ٠

٥ ـ احمد فخري : مصر الفرعونية ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٣٧ ٠

٦ ـ انيدلا مونت ميدوكروفت : هبة النيل ، تاريخ مصر القديمة ، ترجمة علي فخري ، دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (د٠ت٠) ، ص ٢٢ ٠

٧ ـ جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩ ، ج١ ، ص ١١٠ ٠

٨ ـ جرجي زيدان : العرب قبل الاسلام ، ص ١٧ ٠

٩ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص ١١٠ ٠

١٠ ـ دائرة المعارف (الاسلامية) مادة (علم التاريخ) ، ج٤ ، ص ٤٩١ ٠

١١ ـ أمين مدني : التاريخ العربي ومصادره ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ ج ٢ ، ص ٢ ٠

١٢ ـ دائرة المعارف ج٤ ، ص ٤٩٢ ٠

١٣ ـ عبد الرحمن بن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٦ ، م ٢ ، ق ١ ، ص ١١ ٠

١٤ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص ١١٨ ٠

١٥ ـ صحيح مسلم (طبعة الحلبي) ج٤ ، ص ٢٢٩٨ ٠

١٦ ـ المرجع السابق ص ٥٥ ٠

١٧ ـ ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، بدون تاريخ ، ج١ ، ص ٧٥ ٠

١٨ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ، ص ٥٢ ٠

١٩ ـ المرجع السابق ٠ ص ١١٦ ٠

٢٠ ـ محمد كرد علي : الاسلام والحضارة الغربية ، لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٨ ، ج١ ، ص ٥ ٠

٢١ ـ عباس محمود العقاد : ساعات بين الكتب ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ ، ج١ ، ص ١٠٢ ٠

٢٢ ـ المرجع السابق ٠

القاضي الباقلاني

بقلم : معالى عبد الحميد حموده

حين أنزل الله عز وجل سبحانه معجزاته على أيدي أنبيائه عليهم السلام جميعا كانت تلك المعجزات تتناسب مع كل عصر كان به هذا النبي الذي أجرى الله على يديه المعجزة اظهارا لاعجاز الخالق سبحانه وشاهدا للخلق على الايمان بالله عز وجل والرسول الذي أتى بالمعجزة من عند الله تعالى ٠

ولكن المعجزة العظيمة التي أرسلها الله تعالى وستظل باقية أبد الآبدين هي القرآن المجيد الذي أنزله سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ٠

هذا القرآن العظيم ما أن أنزله الله سبحانه حتى تصدى ـ ومازال ـ من يشكك فيه من الكافرين ومنهم من اعتبره كتابا للحلال والحرام فقط (١) ومنهم من رفض القران الكريم رفضا تاما ـ نعوذ بالله من هذا ـ ومنهم من قال انه ليس من عند الله ومنهم من اعتبره كتابا عاديا وغيره كثير من المطاعن والطاعنين ٠

ولقد تصدى أبناء الاسلام الأجلاء للرد على كل هؤلاء فاوقفوا حياتهم على اعداد الكتب والمصنفات والرسائل لتوضيح اعجاز القرآن ردا على الأفاكين المارقين ٠٠ وكان من أبناء الاسلام الأجلاء الذين رفعوا راية اعجاز القران عالية القاضي الباقلاني ٠٠

ومع الباقلاني ٠٠ ومنهجه ٠٠ وفضائله ٠٠ ومصنفاته نقلب الصفحات ونقرأ السطور لنتعرف على هذا المسلم وكلمحة وفاء منا لهذا الرجل الذي كانت حياته كلها دفاعا عن كتاب الله المجيد ٠

من هو البـاقلاني ؟

هو أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم المعروف بالباقلاني أو ابن الباقلاني ولد بالبصرة بالعراق وتلقى العلم على أعلامها الكبار ثم رحل الى بغداد فأخذ من علمائها الكثير ثم اتخذها مقرا لاقامته حتى قضى نحبه فيها ٠

تألق نجم الباقلاني وظل مع (عضد الدولة) (٢) في بغـداد وتولى القضاء فكان قاضيا عادلا ٠٠ اعتمد في دفاعه على القرآن الكريم والسـنة النبوية المطهرة الشريفة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم جميعا وكان ملتزما بالسنة الشريفة بيد أنه كان بارعا في علم الكلام وعلم الأصول وعلم المذاهب وكان يعتمد في كل مساجلاته ومناقشاته على الحجـــة والدليل والبرهان وكان له حظا وافرا من العلم ٠٠ قوي الحجة بارع الحديث سريع البديهة طلق اللسان غزير البيان ٠٠

توفى الباقلاني حسب رواية الخطيب البغدادي (٣) في يوم السبت لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وأربعمائة ٠

شيوخ الباقلاني الذين أخذ منهم العلم

أتيح للباقلاني أن يأخذ العلم من مصابيح بغداد وقتئذ هؤلاء الذين جمعوا بين العلم والعمل واشتهروا بالورع والتقوى فمنهم :

- أبو بكر الأبهري (٤) أخذ عنه الباقلاني الفقه فأطال صحبته وانتفع منه الباقلاني كثيرا ٠

- أبو بكر القطيعي (٥) أخذ عنه الباقلانى علم الحـــديث وتبحر في علم الحديث ٠

- أبو محمد : عبد الله بن ابراهيم بن أيوب بن ماس (٢٧٤ـ٣٦٩) ٠

- أبو عبد الله : محمد بن خفيف الشيرازي المتوفى ٣٧٠ هجرية وقـد أخذ عنه الباقلاني علم الأصول ٠

- ابن بهته : محمد بن عمر البزاز المتوفى سنة ٣٧٤هـ ٠

- أبو أحمد : الحسين بن علي النيسابوري (٢٩٣ ـ ٣٧٥هـ) .

- أبو محمد : عبد الله أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ .

- أبو عبد الله الطائي : محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد البصري (٦) .

- أبو الحسن الباهلي البصري صاحب أبي الحسن الأشعري (٧) . تلقى الباقلاني عليه أصول المذهب .

تلاميذ الباقلاني الذين أخذوا منه العلم

شغف الباقلاني بالعلم ووقف حياته كلها على أمرين ملكا عليه نفسه وشغفاه حبا هما التدريس والتأليف ..

أما التدريس فقد اجتمعت له كل أدواته ولم يصرف عنه صارف حتى انه في أثناء مقامه مع عضد الدولة بشيراز وتدريسه لابنه الأمير أبي كاليجار المرزبان لم يمتنع منه بل عقد دروسا عامة لأهل السنة ومن الكتب التي درسها لهم كتاب (اللمع) لأبي الحسن الأشعري .

وقد تتلمذ على يد الباقلاني في البصرة وبغداد وغيرها عمالقة نذكر منهم :

- عبد الوهاب البغدادي (٨) قال عنه الباقلاني (الذي فتح أفواهنا وجعلنا نتكلم أبو بكر بن الطيب) .

- موسى بن عيسى الغفجومي (٩) قال (حين حضرت مجلس القاضي أبو بكر ورأيت كلامه من الأصول والفقه حقرت نفسي وقلت لا أعلم من العلم شيئا رغم أن الغفجومي هذا كان من أحفظ الناس وأعلمهم .

- الهروي المالكي (١٠) قال تدليلا على مكانة الباقلاني انه ـ أي الهروي ـ كان سائرا مع الدارقطني (٣٠٦ ـ ٣٨٥هـ) وما أدراك ما الدارقطني فمر بهما شاب فأقبل الدارقطني عليه وعظمه وأكرمه ودعا له وحين سأل الهروي من ذلك قال له الدارقطني : هذا أبو بكر بن الطيب الأشعري ناصر السنة وقامع المعتزلة .

- السكري الفارسي (١١) كان شاعرا كبيرا يشار اليه بالبنان في مدح الصحابة رضوان الله عليهم وكذا الرد ـ من ناحيـــة أخرى ـ على الرافضة والنقض على شعرائهم . صحب الباقلاني ودرس عليه الكلام ومدحه بقصيدة طويلة .

- أبو الحسن الحربي : علي بن محمد المالكي (٣٥٦ ـ ٤٣٧هـ) .

- القاضي ابو جعفر : محمد بن أحمد السمناني الحنفي (٣٦١ـ٤٤٥) .

- أبو الحسن البغدادي : رافع بن نصر المتوفى سنة ٤٤٧ .

- أبو طاهر الواعظ محمد بن علي المعروف بابن الانباري (٣٧٥ـ٤٤٨).

- أبو عبد الله : الحسين بن حاتم الأزدي المتوفى بالقيروان (١٢) .

- أبو عبد الرحمن السلمي : محمد بن الحسين الصوفي (٣٣٠ ـ ٤١٢).

- أبو محمد بن أبي نصر .

- أبو حاتم : محمـــود بن الحســـن الطبري المعروف بالقزوينـي (توفى ٤١٤هـ) .

- القاضي أبو محمـــد : عبد الله بن محمد الأصـــبهاني المعروف بابن اللبان الشافعي (٣١) .

- أبو بكر بن الحسين الاسكافي .

- أبو علي : الحسن بن شاذان (٣٩ ـ ٤٢٦) .

- أبو القاسم : عبيد الله بن أحمد الصيرفي (٣٥٥ ـ ٤٣٥) .

- أبو الفضل : عبيد الله بن أحمد المقري (٣٧٠ ـ ٤٥١) .

مؤلفـات ومصـنفات البـاقلاني

١ ـ كتاب اعجاز القرآن (أول كتب الباقلاني نشرا وأشهرها ذكرا وهو أعظم كتاب ألف في الاعجاز الى اليوم) .

٢ ـ كتاب التمهيـــد (١٤) ٠

٣ ـ كتاب هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين (١٥) ٠

٤ ـ كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفســـاد بزيادة أو نقصان ٠

٥ ـ كتاب الفرق بين معجزات النبيين وكرامات الصالحين ٠

٦ ـ كتاب مناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة (١٦) ٠

٧ ـ كتاب اكفار المتأولين ٠

٨ ـ كتاب الامامة الكبير ٠

٩ ـ كتاب الأصول الكبير في الفقه (١٧) ٠

١٠ ـ كتاب كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد ٠

١١ ـ كتاب نقض النقض ٠

١٢ ـ كتاب كشف الأسرار وهتك الأستار في الرد على الباطنية (١٨) ٠

١٣ ـ كتاب الايجاز ٠

١٤ ـ كتاب الابانة عن ابطال مذهب أهل الكفر والضلالة (١٩) ٠

١٥ ـ كتاب دقائق الكلام والرد على من خالف الحق في الأوائل ومنتحلي الاســـلام (٢٠) ٠

١٦ ـ كتاب رسالة الحرة ٠

١٧ ـ كتاب التعريب والارشاد ٠ وهو في أصول الفقه ٠

١٨ ـ كتاب التبصرة (٢١) ٠

١٩ ـ كتاب البيان عن فرائض الدين وشرائع الاسلام ووصف ما يلزم من جرت عليه الأقلام من معرفة الأحكام ٠

٢٠ ـ كتاب الحـــدود ٠

٢١ ـ كتاب تصرف العباد والفرق بين الخلق والاكتساب ٠

٢٢ ـ كتاب الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن ٠

٢٣ ـ كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة ٠

٢٤ ـ كتاب المقدمات في أصول البيانات ٠

٢٥ ـ كتاب المقنع في أصول الفقه ٠

٢٦ ـ كتاب الأصول الصغير ٠

٢٧ ـ كتاب مسائل الأصول ٠

٢٨ ـ كتاب مختصر التقريب والارشاد الصغير ٠

٢٩ ـ كتاب مختصر التقريب والارشاد الأوسط ٠

٣٠ ـ كتاب المسائل التي سأل عنها ابن عبد المؤمن ٠

٣١ ـ كتاب رسالة الأمير ٠

٣٢ ـ كتاب المسائل القسطنطينية ٠

٣٣ ـ كتاب جواب أهل فلسطين ٠

٣٤ ـ البغداديات ٠

٣٥ ـ الأصبهانيات ٠

٣٦ ـ النيسابوريات ٠

٤٧ ـ الجرجانيات ٠

٣٨ ـ كتاب الكرامات ٠

٣٩ ـ كتاب الأحكام والعلل ٠

٤٠ ـ كتاب امامة بني العباس (٢٢) ٠

٤١ ـ كتاب نقض النقض على الهمداني (٢٣) ٠

٤٢ ـ كتاب الامامة الصغير ٠

٤٣ ـ كتاب التعديل والتحوير ٠

٤٤ ـ شرح اللمع لأبي الحسن الأشعري ٠

٤٥ ـ كتاب شرح آداب الجدل ٠

٤٦ ـ كتاب أمالي اجماع أهل المدينة ٠

٤٧ ـ كتاب في أن المعدوم ليس بشيء ٠

٤٨ ـ كتاب فضل الجهاد ٠

٤٩ ـ كتاب المسائل والمجالسات المنثورة ٠

٥٠ ـ كتاب الرد على المتناسخين ٠

٥١ ـ نقض الفنون للجاحظ ٠

٥٢ ـ كتاب الكسب (٢٤) ٠

٥٣ ـ كتاب في الايمان (٢٥) ٠

٥٤ ـ كتاب النقض الكبير ٠

٥٥ ـ كتاب الرد على الرافضة والمعتزلة (٢٦) ٠

مناظرة للباقلاني (٢٧)

كان الباقلاني مشهورا بقراءته العميقة المتأنية وعلمه الضخم الوافر وكان معروفا عنه البراعة الكاملة في ادارة المناظرات والمناقشات والمحاورات وقد روت مصادر الكتب أن الباقلاني حضر يوما احدى المناظرات وأحضروا له كهنة النصارى وجاء القسيس وجلس القاضي الباقلاني واثقا من نفسه فقال الكاهن له : ما تقولون في المسيح عيسى بن مريم ؟ ٠

فقال الباقلاني : روح الله وكلمته وعبده ونبيه ورسوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ٠

فتلا عليه القاضي الباقلاني نص القرآن المجيد فقال له الكاهن : يامسلم تقولون المسيح عبد ؟؟ ٠

فقال الباقلاني : نعم كذا نقول به وندين ٠

قال : ولا تقولون انه ابن الله ؟ ٠

قال الباقلاني : معاذ الله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) انكم لتقولون قولا عظيما فاذا جعلتم المسيح ابن الله فمن أبوه وأخوه وجده وعمه وخاله ؟ وظل الباقلاني يعدد له الأقارب ٠

أراد الكاهن أن يمرق من المناظرة فقال للباقلاني :

يامسلم العبد يخلق ويحيي ويميت ويبرىء الأكمه والأبرص ؟ ٠

فقال الباقلاني : لا يقدر العبد على ذلك وان ذلك من فعل البارىء عز وجل ٠ ما أحيا المسيح الموتى ولا أبرأ الأكمه والأبرص ثم قال الباقلاني ماقال أحد من أهل الفقه والمعرفة ان الأنبياء عليهم السلام يفعلون المعجزات من ذاتهم وانما هو شيء يفعله الله تعالى على أيديهم تصديقا لهم يجري مجرى الشهادة ٠

الباقلاني يكشف مزاعم اللاهوت والناسوت (٢٨)

حين يحيا رجل مع القرآن بمثل الدرجة التي عاش بها القاضي الباقلاني فاننا حينئذ نعلم أنه وعى القرآن وحفظه وعمل به ولقد كان واضحا من المناظرات التي كان يعقدها القاضي الباقلاني أنه كان يولي اهتماما خاصا لتفنيد مزاعم وأكاذيب النصارى ٠٠

تكلم يوما في مجلس فوجه حديثه الى أحد كبراء النصارى سائلا : لم اتحد اللاهوت والناسوت ؟ ٠

فقال الكاهن : أراد أن ينجي الناس من الهلاك ٠

فاستدار الباقلاني وأمارات الايمان تلمع في عينيه ثم قال فاضحا مقولة اللاهوت والناسوت وهل درى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به كذا ولم يأمن من اليهود ؟ فان قلت : انه لم يدر ما أراد اليهود بطل أن يكون الها · واذا بطل أن يكون الها بطل أن يكون ابنا وان قلت : قد درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة فليس بحكيم لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء ·

فبهت الذي كفر ··

ثمن النجاح : الهجوم ضد الباقلاني

أصبحت سمة ظاهرة هامة وهي أن العمالقة الأول من العلماء والمفكرين كانوا دائما ضحايا للهجوم العنيف عليهم وعلى انتاجهم والباقلاني كان أحد هؤلاء العمالقة الذين تعرضوا للهجوم الغير مستند لأدلة ·· ورغم أن الأمر كان يمكن لنا أن نسقطه من الاعتبار الا أننا نقدم للقارىء المتخصص هذه النقاط الهامة التي توضح تلك السمة الخطيرة التي تجعل من لا يفقه ولا يدري يهاجم العمالقة والمفكرين ··

فشن أبو حيان التوحيدي في كتابه (الامتاع والمؤانسة) هجوما مريرا على القاضي الباقلاني بل وصل الأمر أن أبا حيان اتهم الباقلاني بأنه على مذهب الخرمية (وهم أتباع بابك الخرمي) والغريب أن أبا حيان كان هو الوحيد الذي زعم هذه الفرية الكاذبة عن الباقلاني كما أن أعمال القاضي الباقلاني وورعه وتقواه وتصديه للدفاع عن الدين الحنيف كل هذه شواهد تؤكد بعمق وثبات مدى تقرب الباقلاني من الله وايمانه العميق ··

ولم يقتصر الأمر على الهجوم السابق اذا بابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) فصور الباقلاني بأنه (كافر أصلع الكفر ·· مشرك يقدم في النبوات ·· ملحد خبيث المذهب ملعون يلحد في أسماء الله ويخالف القرآن ويكذب الله · نذل بوجب الشك في الله وفي صحة النبوة فظلم الجهالة من أهل الضلالة) (٢٩) ·

واضح من هذه الاتهامات العاجزة التي كالها ابن حزم للقاضي الباقلاني انها اتهامات لا أساس لها اذ أن ابن حزم كان متعصبا ضد الأشاعرة وكان يجب أن يكون هناك ضحية لهذا التعصب فكان أن تجاوز ابن حزم القدر اللازم في النقد فالصق بالباقلاني تهمة التكفير ··

واننا حين نقول عن ابن حزم انه لم يكن أمينا في نقله ولا صادقا في وصفه فاننا في هذا المقام لا نلقى القـــول على عواهنه ٠٠ ذلك أن كافة مصنفات القاضي الباقلاني تدحض كل الاتهامات التي كالها له ابن حزم ٠

وقبل أن نتعرف على آراء العلماء والعمالقة الأفذاذ في الباقلاني فاننا تستوقفنا بعض الأقوال عن ابن حزم صـــــدرت عن رجال يشار اليهم بالبنـــان ٠٠ فهـذا ابن خلـكان ـ وما أدراك ما ابن خلـكان ـ يقـول عن ابن حزم :

(وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت عنه القلوب واستهدف الفقهاء وقته فتمالئوا على بغضه وردوا قوله وأجمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنتـــــه ونهوا عوامهم من الدنو اليه والأخذ عنه فأقصته الملوك وشردته من بلاده) (٣٠) ٠

وهذا الحافظ الذهبي يقول عن ابن حزم :

(لم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فجج العبارة وسب وجدع فكان جزاؤه من جنس فعـــله بحيث أنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها وأحرقت في وقته (٣١) ٠

قالوا عن البـاقلاني

قال الخطيب البغدادي (كان الباقلاني ثقة وأما الكلام فكان أعرف الناس به وأحسنهم خاطرا وأجودهم لســـانا وأوضحهم بيانا وأصـــحهم عبارة) (٣٢) ٠

وقال القاضي عياض (ومن أهل العراق والمشرق : أبو بكر محمد ابن محمد القاضي المعروف بابن الباقلاني الملقب شيخ السنة ولســـان الأمة المتكلم على مذهب المثبتة وأهل الحديث) (٣٣) ٠

وقال الحافظ الذهبي :

(ابن الباقلاني الامام العلامة أوحـــــد المتكلمين مقدم الأصوليين صاحب التصانيف كان يضرب المثل بفهمه وكان بحق اماما بارعا صنف في الرد على المعتزلة والرافضة والخوارج والجهمية والكرامية) (٣٤) ٠

وقال ابن العماد :

(القاضي أبو بكر بن الباقلاني محمد بن الطيب بن جعفر البصري المالكي الأصولي المتكلم صاحب المصنفات وأوحد وقته في فنه وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة) (٣٥) ٠

وقال ابن خلكان :

(القاضي أبو بكر : محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ومؤيدا اعتقاده وناصرا طريقته وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره وكان أوحد زمانه وانتهت اليه الرياسة في مذهبه وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وسمع الحديث وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة) (٣٦) ٠

وقال الصفدي :

(أبو بكر الباقلاني البصري صاحب التصانيف في علم الكلام وكان ثقة عارفا بالكلام صنف الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية) (٣٧) ٠

وقال الامام ابن تيمية :

(القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني المتكلم وهو أفضل المتكلمين المنتسبين الى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده) (٣٨) ٠

وتطول القائمة ٠٠ قائمة هؤلاء العمالقة الذين خافوا ربهم واحترموا أمانة العلم فذكروا الحقائق الناصعة عن الباقلاني وغيره لا يقودهم في هذا سوى الخشية من الله واحترام أمانة القلم لذا احترم التاريخ هؤلاء العمالقة الحفاظ وجعل سيرتهم عطرة نقية ذكية ٠٠ وهل هناك أعظم من أن يكون الانسان سيرة عطرة ذكية نقية شريفة ؟؟ ٠

وفاة الباقلاني

مات القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في يوم السبت لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وأربعمائة ٠٠ (٣٩) ٠

صلى على الباقلاني ابنه الحسن وكان شابا طيب الخلق ودفن الباقلاني في داره ثم نقل بعد ذلك فدفن في مقبرة (باب حرب) في تربة بالقرب من قبر الامام الكبير أحمد بن حنبل ونقش على قبره :

(هذا قبر القاضي الامام السعيد فخر الأمة ولسان الملة وسيف السنة عماد الدين ناصر الاسلام أبي بكر : محمد بن الطيب البصري قدس الله روحه والحقه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم) (٤٠) ٠

جاء أبو الفضل التميمي الحنبلي (٣٤١ ـ ٤١٠) يوم وفاته العزاء حافيا مع اخوته وأصحابه وسارت الجنازة في مشـــهد رهيب ضخم وكانت تتردد في المشهد الرهيب :

(هذا ناصر السنة والدين)

(هذا امام المسلمين)

(هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين)

(هذا الذي صنف سبعين ألف ورقة ردا على الملحدين)

وبقى أبو الفضل الحنبلي ثلاثة أيام وكان يزور قبره كل يوم جمعة في الدار وكان من أبلغ الشعر الذي قيل في رثاء القاضي الباقلاني :

انظر الى جبل تمشي الرجـــال به وانظر الى القبر مايحوي من الصلف

وانظر الى صارم الاسلام منغمدا وانظر الى دورة الاسلام في الصدف

ومضى القاضي الباقلاني عن الحياة الدنيا ٠٠ ولكن لأن أعمـــاله كانت أمجد الأعمال وهي الدفاع عن القرآن والتصدي للكفرة والملحـــدين وفضح اليهود والنصارى لذا خلد الله عز وجل تاريخ هذا الرجل وحفظ له مكانا كبيرا بين العمالقة والعلماء أبناء هذا الدين الحنيف ٠

بقلم : معالي عبد الحميد حمودة

الهـــوامش

١ ـ قال بذلك (النظام) وهو : ابراهيم بن سيار بن هانيء النظام البصري وكان من الموالي وهو من فطاحل علماء المعتزلة وقد قال ان القرآن نفسه غير معجز وانما كان اعجازه بالصرف وهو كتاب ـ كما يقول النظام ـ بيان الأحكام في الحلال والحرام فقط ٠

٢ ـ توفي عماد الدولة ـ عم عضد الدولة ـ سنة ٣٣٨ وتولى الحكم فناخسرو بن ركن الدولة البويهي وتلقب بـ (عضد الدولة) وكان أميرا عظيم الهيبة غزير العقل شديد التيقظ واسع الثقافة مشاركا في العلم فكان يقدر العلم والعلماء وكانت له خزانة كتب عظيمة ٠

٣ ـ انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٠

٤ ـ محمد بن عبد الله (٢٨٩ ـ ٣٧٥ هـ) شيخ المالكية في عصره ومما يؤثر عنه أنه أخرج في آخر حياته ثلاثة آلاف مثقال وفرقها على تلامذته وكانوا جماعة وافرة وآثر الباقلاني فاعطاه منها مائة مثقال ٠

٥ ـ أبو بكر أحمد بن جعفر بن مالك القطيعي (٢٧٤ ـ ٣٨٦ هـ) راوي مسند الامام أحمد ٠

٦ ـ هو صاحب أبي الحسن الأشعري وقد درس عليه الباقلاني الأصول والكلام وكان من أخص تلاميذه ٠

٧ ـ قال الباقلاني عن هذه العلاقة : كنت وانا وابو اسحاق الاسفراييني وابن فورك معا في درس الشيخ الباهلي وكان يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة وكان منا في حجاب يرخى الستر بيننا كي لا نراه وكان من شدة اشتغاله بالله مثل واله أو مجنون ولم يكن يعرف مبلغ درسنا حتى نذكره بذلك ٠

٨ ـ القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي (٣٦٢ـ٤٢٢هـ) كان من مكانته الكبيرة أنه تلقى الفقه مع الأبهري وابن القصار وابن الجلاب ٠

٩ ـ أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي توفي سنة ٤٣٠ عن خمس وستين سنة وكانت رحلته في سنة ٣٩٩هـ كان من أعلم الحفاظ وأكبرهم ٠

١٠ ـ أبو ذر الهروي عبد بن أحمد المالكي الأشعري (٣٥٥ ـ ٤٣٤هـ) كان من كبار علماء مذهب الامام مالك ٠

١١ ـ أبو الحسن علي بن عيسى الســـــكري الفارسي (٣٤٧ ـ ٤١٣هـ) أورد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد قصائد السكري البليغة ٠

١٢ ـ اليه يرجع الفضل في انتشار مذهب الباقلاني في المغرب ٠

١٣ ـ توفي باصبهان سنة ٤٤٦ صحب الباقلاني ودرس عليه (المقدمات في أصول الديانات وكتاب أصول الفقه ٠

١٤ ـ ألفه الباقلاني أثناء اقامته بشيراز للأمير أبي كاليجار المرزباني بن عضد الدولة وولي عهـــده وهذا الكتاب يعــــد من أهم الكتب الكلامية التي تعلق بها أهل السنة تعلقا شديدا وقد أشار اليه أبو المضطر الاسفراييني في (التبصير) وابن قيم الجوزية في كتاب (الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ٠

١٥ ـ قال عنه القاضي عياض أنه كتاب كبير وأشار اليه أيضا الامام ابن تيمية في رسالة الفرقان بين الحق والباطل ٠

١٦ ـ اشارة اليه توجد في الخزانة الظاهرية بدمشق نسخة من الجزء الثاني ٠

١٧ ـ أشار اليه المظفر الاسفراييني في كتاب (التبصير) وقال انه يشتمل على عشرة آلاف ورقة ٠

١٨ ـ ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية وقد نقل منه ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة في كلامه عن نسب المعز وآبائه ٠

١٩ ـ نقل منه ابن تيمية في رسالة الفتوى الحموية الكبرى ٠

٢٠ ـ أشار اليه الامام ابن تيمية في كتاب (بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ٠

٢١ ـ ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٠

٢٢ ـ ذكره القاضي عياض ٠

٢٣ ـ ذكره الباقلاني في هداية المسترشدين ٠

٢٤ ـ ذكره أبو المظفر الاسفراييني في التبصير ٠

٢٥ ـ أشار اليه الامام ابن تيمية في رسالته : الفرقان بين الحق والباطل ٠

٢٦ ـ ذكره الصفدي في الوافي بالوفيات ٠

٢٧ ـ انظر كتاب اعجاز القرآن للباقلاني ٠

٢٨ ـ المصدر السابق ٠

٢٩ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ٠

٣٠ ـ انظر وفيات الأعيان ٠

٣١ ـ سير أعلام النبلاء ٠

٣٢ ـ تاريخ بغـــداد ٠

٣٣ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٠

٣٤ ـ سير أعلام النبلاء ٠

٣٥ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٠

٣٦ ـ انظر وفيات الأعيان ٠

٣٧ ـ الوافي بالوفيات ٠

٣٨ ـ رسالة الفتوى الحموية الكبرى ٠

٣٩ ـ انظر تاريخ بغداد وكذا ترتيب المدارك للقاضي عياض ٠

٤٠ ـ انظر كتاب اعجاز القرآن للباقلاني ٠

المصادر والمراجع

١ ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (مكتبة بلدية اسكندرية) ٠
٢ ـ البداية والنهاية (ج١١) : الحافظ ابن كثير ـ مكتبة المعارف بيروت لبنان ٠
٣ ـ النجوم الزاهرة : ابن تغري بردي ـ طبعة القاهرة ٠
٤ ـ الوافي بالوفيات : الصلاح الصفدي ـ دار الكتب المصرية ٠
٥ ـ وفيات الأعيان : ابن خلكان ـ دار الكتب المصرية ٠
٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل : ابن حزم القاهرة ٠
٧ ـ سير أعلام النبلاء : الحافظ الذهبي ـ مكتبة بلدية الاسكندرية ٠
٨ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد ـ دار الكتب المصرية ٠
٩ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك : القاضي عياض ـ القاهرة ٠
١٠ ـ اعجاز القرآن : الباقلاني ، تحقيق السيد أحمد صقر ـ دار المعارف القاهرة ٠
١١ ـ التبصير : أبو المظفر الاسفراييني ـ القاهرة ٠
١٢ ـ الفرقان بين الحق والباطل : الامام ابن تيمية ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة ٠
١٣ ـ رسالة الفتوى الحموية الكبرى : الامام ابن تيمية ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة ٠
١٤ ـ بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول : الامام ابن تيمية ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة ٠
١٥ ـ ضحى الاسلام (ج٣) : أحمد أمين ـ الطبعة العاشرة ـ دار الكتاب العربي لبنان ٠
١٦ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية : ابن قيم الجوزية ـ القاهرة ٠
١٧ ـ الامتاع والمؤانسة : أبي حيان التوحيدي ـ لجنة التاليف ـ القاهرة ٠

ملخص الأبحاث
بالانجليزية

addressing definite questions according to a sound scientific method to the population in that area and the results were very encouraging.

Whatever may be the method we followed in collecting the oral narrations, it seems to me that with the scarcity of the written references, we must hurriedly collect these narrations before the death of their narrators, specially in a time the dependence on the written word increases day after day. As a matter of fact I do believe that oral narrations as a reference of writing history deserves care and study from researchers.

the Fur territory.

Documents of Tribunal Records in Cairo : -

Dr. T. waltz discovered during his study on commerce between Egypt and the Sudan in the period (1700 - 1820 A.D.) important documents in some Islamic Personal Statute Courts in Cairo. Most of these documents are kept now in Real Estate Declaration Department. They are composed of a set of books that date back to year 1527. They comprise a lot of names of merchants who had commerce mith different parts of the African continent. Dr. waltz mentioned that he had found in it a profuse material of great help to his study.

Chapter IV

Oral Tradition and the importance of its collection

I had mentioned before that some works like the manuscript of "Kateb Al-Shuna" was in its origin a collection of historical news circulated through the people, collected and written in the form of books afterwards. This applies also to many of those works. Thus most of the material collected by travellers is issued from this tributary. At the outset of this century, many British administrators used to pass their time in addressing questions to citizens on some sociological phenomena or some circulated historical narrations. All this news represents an important treasure of great help to those who are interested in the study of history of this country. Nowadays the Sudanese Research Department (and afterwards the Institute of African and Asian Studies), Al Khartum University collected the circulated oral narrations among the population of a certian region. The best example in this respect is "The History of the Abdullab Based On Their Oral Narrations" and the oral tradition of Al Musabaat tribe. There is still a vast field for researches to extend valuable contributio. this respect. The writer of this essay collected some impo news on the Funj Sultanate in the upper Blue

the School of Oriental and African Studies, London University.

In the Turkish Egyptian era (1874 - 1885) Slatin Pasha gathered a similar material and published it in his book entitled "Fire and Sword in the Sudan." Naaoum Shoukeir singled out a big size of his important book entitled the "History of the Sudan" for the same purpose. He gathered a lot of his information from Al Sheikh Mohammad Al Tayeb the Imam of the mosque of Sultan Ali Dinar. We also find in the works of the Sudanese historian Mohammad Abd El Rahim traces of oral narrations in his writings on the history of the Fur and the Musabaat.

Landed property deeds

They represent an important reference to the history of the Fur Sultanate because the local documents in writing are few. In the middle of the year 1970 Dr. Rex S. O'Fahey found a great number of landed property deeds in the town of Fasher and its suburbs. The oldest of these documents go back to the era of the Sultan Abu Al Kassim (1764 - 1768). But most of them were written in the era of the Sultan Ali Dinar who was assassinated in the year 1916. Dr. O'Fahey in collaboration with Dr. Abd Al Ghaffar Mohammed Ahmad published a part of these documents in two volumes entitled "Documents from Darfur." Dr Mohammad Ibrahim Abu Selim studied recently all documents that had been discovered in a similar work to his book entitled "The Funj and the Land". He verified and studied twenty nine documents in this respect. Of the subjects he studied in his book "The Fur and the Land" were : the position of the peasant, the sultans policy towards land, donations and rented land properties.

Journeys' literature : -

Three explorers visited this region namely : Al Tunisi, Brown and Nachtigal. This literature comprises the writings of the travellers who visited or wrote about neighbouring regions and in the meantime recorded some news concerning

David Reubeni the Jewish traveller was the first to visit the Funj Sultanate on his way from Yemen to Europe He stayed in Sennar almost a year between 1522 - 1523 A. D.

The outset of the eighteenth century witnessed the advent of a group of missionaries pertaining to the sects of Jesuits and Franciscans who used Sennar as a starting point for their missionary activities in Christion Abyssinia. They were aiming at converting Abyssinians to followers of the Catholic Church in Rome. Those missionaries left valuable notes and reports. They also despatched some letters to their relatives. Some of these letters are now in some of the Italian libraries. These reports comprise various information on different countries and their political and social conditions.

Chapter III

The two Kingdoms of Darfur and Musabaat

The references from which the history of the two Kingdoms of Darfur and Musabaat is written do not differ from those mentioned concerning the Nile region.

Local references :

Of what is written on this region nothing excels the manuscript entitled "Katib Al Shuna" or "Tabakat wud Daif Allah". Despite this fact we could not overlook the local narrations that were written in the nineteenth century and at the outset of the twentieth century. McMichael had collected some of these narrations in his two books entitled "The History of the Arabs in the Sudan" and "The Tribes of North and Central Kordofan". The Sudan Magazine comprises letters and essays that depend to a large extent on the oral narrations such as "The Sudan Papers of Arkell." Mr. Arkell enriched the Sudanese library by keeping many originals of these narrations in the same manner by which he had collected them during his long stay in Darfur in the two periods namely : Between the years 1921 - 1926 & the years 1932 - 1937. These memoirs which have a lot of information are kept now in the Lib

First : - Books

Secondly : -

Landed Property deeds

First : Books

The manuscript entitled "The History of the Funj Kings in Sennar" may be the oldest manuscript available in this respect. It is a small document composed of six pages fetched by the Scot explorer James Bruce from Sennar in the year 1772 and is kept up to now in Oxford Bodleian Library.

A few years ago I found two similar manuscripts concerning the history of the Abdullab written by Abd Allah Ibn Al Arbab Al Hassan Ibn Sharo descendant of the Abdullab Kings. This manuscript comprise thirty five pages As to the second manuscript entitled "Clear Statements concerning Arab Kings in the Sudan", the date of its writing is not known. It is composed of twenty one pages.

Secondly : -

Landed property deeds

They represent an important reference that forms an essential footing for studying the history of the Islamic kingdoms in Eastern Sudan. These documents elucidate the standing relations pertainig to the property of land between the state and some of its citizens who are interested in the study of religion. Thus they help explain a lot of what is mentioned in other manuscripts.

Travellers' Literature

Reports written by visitors and travellers who visited ...ern Sudan represent an important reference that may complement other aspects such as the scarcity of national re[illegible]ces. We observe that most of those visitors were F[illegible]ns. They came to the Sudan like other African c[illegible]ries in the context of explorations begun by Europe — in ord[illegible] to define its geographical features and open the road to [illegible]tian Abyssinia.

written by the Arabs on Eastern Sudan in the Christian Era before the end of the fifteenth century. This study comprises detailed footnotes and an english translation.

Secondly : Family trees

These are a collection of lineage booklets. They are mostly in the form of lists that relate the history of a family or a tribe and trace the lineage up to the prophet Mohammad " May the blessing and peace of Allah be upon him" or his uncle Abbas or some of the companions of the prophet. The Sudanese specially those among them pertaining to Arab origin are very much interested in their lineage. This behaviour indicates a feeling of distinction with respect to those Arabs, a distinction of culture and not a distinction of race.

The Sudanese Researches Department took the initiative in 1965 (whose activities are transferred now to the Institute of African and Asian Studies, Khartoum University) and put down a scientific program to record the oral narrations of history, stories, poetry and lineage that are still inherited by some individuals and tribal groups with the purpose of preparing it for publication so that it might be protected from loss. This treasure of narrations was published in the series entitled "The Popular Legacy".

Some of these narrations were published in the form of publications on the following subjects : Al-Rabatab, Al-Fadnia, Al-Homr, Al-Homran, Al-Musabaat, Al-Shayekia, Al-Manaseer and the Abdullab.

Chapter II

References to the history of the Abdullab. Funj and Tekly Kingdoms

National references :

Manuscript national references could be classified

the lineage papers - into two categories

established in the period that followed the collapse of the Christian Nubian Kingdom in the year (1317 A. D.) and pending the Islamic Funj Sultanate specially after its alliance with Abdullab.

At the end of the fifteenth century a new political power under the leadership of Al Funj emerged and was able to conquer the Abdullab in the year 1504 A. D. That power dominated most parts of the central region of the River Nile valley. The Abdullab represented the small partner within the framework of the Islamic Funj Sultanate until its fall in the year 1821 A.D.

The Islamic Fur Sultanate emerged in the western parts of Eastern Sudan in the middle of the seventeenth century.

The Kordofan region that lies between the Sultanates of Fur and Funj witnessed the emergence of two small states namely Tekli and Al Musabaat.

First Chapter

The Arab emigration and its effect

There are two categories of works that dealt with the Arab emigration to the Sudan and the former's effect. First : The contemporary Arabic references.

Secondly : The lineage papers that are widespread among many Sudanese citizens.

First : The contemporary Arabic references

Despite the utmost importance of the Arabic references. I would not be exaggerating if I state that no Arab author wrote a complete work on that vast region save the excerpts from Al Maqrisi book of "Sermons" concerning information o. Nubia.

The references that dwelt upon the subject of the Arab emigration are more than sixty printed works and manuscripts. Dr. Mustapha Mohammad Musaad had collected some forty books and named them the Arab Sudanese library. Dr. Giovanni Vantini, did a similar work that gathers all what had been

A Summary of the essay

entitled

" References to the History of the

Islamic Sultanates in Eastern

Sudan

by

Dr. Yusuf Fadl Hassan

Translated by

Sabry Ibrahim

The fourteenth and fifteenth centuries (A.D.) witnessed great political and social changes in the region south of Egypt comprising the two Christian Kingdom of Nubia and Elwa. In the fifteenth century the surge of Arab emigration that emerged from the Arabian Peninsula and Egypt across the Eastern Desert parallel to the River Nile came to an end. Its effect overwhelmed Kordofan, Darfur and the territories beyond it. The penetration of such big groups of Arab tribes in those areas led to the predominance of the Arab culture and the propagation of Islam.

The military expeditions despatched by the Mameluke sultans (1250 - 1517 A.D.) were among the most important factors that weakened the political structure of the Christian Nubian Kingdom, hence paved the road for the prevalence of the Arab emigrants. Their pioneers of Beni AL-Kanz, a sub-division of Rabiaa that mixed with the Nubians, became related by marriage to the ruling family and were able to ascend the throne of Nubia in the year 1323 A.D.

In circumstances of which we knew a little of their details, the Arabs were capable of conquering the Christian Elwa Kingdom in the middle of the fifteenth century. The Arab tribal formations and the Islamic principles were soundly

It was the African dominions of the Omani empire that attracted the superpowers to enter into trade and friendship relations with Sultan Said. The United States concluded a trade agreement with Zanzibar in 1833 and had a consulate established in 1837. France did the same in 1844 and enjoyed the same trade and judicial capitulations accorded to Britian.

In the year 1864 Britain laid more constraints on the slave trade after Sultan Majid had refused to enter into a new agreement by which the trade was to be completely abolished. But Oman finally submitted to the British threats in 1873. The slave trade became outlawed in Zanzibar and its African dominions. But slavery itself remained legal in Zanzibar until 1890, seven years after Zanzibar had been declared a British protectorate.

Thus we realize that under the pretext of saving humanity tormented by slavery and the slave trade Britain tightened her grip over Zanzibar and Oman and annexed them to her empire.

taken to put it into practice gave Britain the best chance to strengthen her influence and to control the high seas everywnere in the world.

However, in the year 1839 Britain concluded a treaty with the Sultan of Muscat and with the Arab Emirates of Omani Littoral abolishing the slave trade. The treaty stipulated the right of the British warships to intercept vessels in the Indian Ocean and the Arabian Gulf and to have the sailors imprisoned and the ships destroyed if caught carrying slaves.

Another agreement was made in the same year with the Muscat Sultan concerning the organization of trade, navigation, custom tarriffs and the facilities to be rendered to British ships at the Arab ports.

In 1845 a further treaty on the slave trade was concluded with Sultan Said as Britain realized that the Morseby Agreement was not fully observed. In 1846 the Sultan privileged Britain with large custom exemptions. He even granted her the Kuria Muria islands in 1854. But Britain was ungrateful to him. she sided with Iran in the latter's dispute with Oman over Bandar Abbas and Karaman littoral. she enforced an Iranian - Omani treaty in which the Sultan abandoned his Iranian territories. Six months later Sultan Said died broken - hearted.

Following his death a sharp dissension happened between his two sons Majid and Thuwaini over the rule of the Sultanate.

This was averted by the arbitral decision of Britain in 1861 dividing the Sultanate between the two heirs. Majid got Zanzibar and the east African dominions. As this part of the Sultanate was economically rich Majid pledged to pay an annual compensation to his brother Thuwaini who got Muscat and Oman.

In 1862 Britain and France declared a reciprocal agreeme binding themselves to respect the independence of Omā. Zanzibar Sultanates.

relations with the two superpowers : England and France. He wanted to avoid falling an easy prey to either of them. Each of the two was striving hard to exploit the strategic position of Muscat sea port for its own ends. Sultan Said also succeeded in recovering his former African colonies.

By the end of the first decade of the 19 th century it became clear that the British sea power would be supreme in the Indian Ocean. The French 'Isle de France' fell in British hands. As the island commanded the entrance to the Indian Ocean its fall signified the decline of French existence there. Therefore in the year 1811 Sultan Said did not hesitate to link his destiny with that of Britain. He was driven by his fear of his strong unfriendly neighbours who encroached upon his territories. It happened that his country had been subject to attacks by the Saudi - backed Ras al-Khaima and the Sultan was defeated in the years 1809, 1810 and 1813. So he entered into an alliance with the British against Ras al-Khaima and their joint campaigns in the years 1809, 1816 and 1819 led to the capture by the British of not only Ras al-Khaima but of the neighbouring shaikhdoms as well. Britain enforced them to conclude the 1920 Treaty.

Britain and the Slave Trade

In the year 1807 the British Government legally abolished the slave trade in Britain and in her colonies. she issued a legislation by which British subjects were prevented from trading in slaves, catching or transporting them from Africa to anywhere.

Similarly she took measures to prevent Sultan Said's subjects from trading in slaves inspite of the importance of that trade in the Sultan's economy and the great sacrifice he would make in giving it up.

[illegible]w a question arises : why did Britain stand so strongly against the slave trade ? Was that stand motivated by human factors or did it have economic ends behind ? The answer is that the abolition of the slave trade and the executive measures

controlled Hormuz and some regions on the east African littoral (Mombassa, Zanzibar and Kilwa). On the Persian coast it took possession of Bandar Abbas. Besides. the Sultanate became a great regional sea power with a reputation for piracy.

On the outbreak of the French revolution and the subsequent Anglo - French war France began to give more weight to the Arabian Gulf and planned to attack the British colonies in India. She succeeded in establishing a consulate in Muscat and in concluding a treaty of friendship and trade with the Muscat Sultan. During his stay in Egypt Napoleon corresponded with the Sultan expressing France's desire to befriend him and France's readiness to protect all the Omani ships trading with Suez.

But soon Britain came to realize the serious outcome of French - Omani relations to her own interests. She despatched an English East India Company representative to the Sultan. The aim was to negotiate the deportation of French subjects from Oman, the replacement of French physicians with English ones, and the establishment of a trade agency in Muscat. The British emissary succeeded in concluding the first political treaty of friendship between Oman and Britain in 1798. The treaty also stipulated the exclusion of France from Omani foreign relations and the admittance of a military garrison to be stationed in the Persian port of Bandar Abbas possessed by the Imam of Muscat.

The treaty was renewed in the year 1800 when France managed to win back the sultan of Oman: The Sultan agreed that an English East India Company representative be a permanent resident there to care for the British interests in the Gulf. Britain appointed Dr. Bogle as political resident in Muscat. He was succeeded by David Seton who spent eight years there and laid down the foundations of the British influence in Oman.

The Muscat Sultan was murdered in the year 1804. [illegible] son Said Bin Sultan took over, His reign lasted for half a century. In the early years of his rule he maintained balanced

Also Oman submitted to the Karamatians (the Arabic word is 'qaramita') for half a century (919 - 985 A.D.). Later it was governed by Banu Nabhan (1144 - 1406 A. D.) who called themselves monarchs. But the Ibadhis revolted against them and chose an Ibadhi as ruler whereas Banu Nabhan's dominion diminished until it became limited to the Green Mountain (Gabal Akhdar).

The Ibadhi Imams continued to rule Oman until 1561 A.D. the date around which the Portuguese started their invasion of Oman.

The strategic position of Oman, as the gate to India and the entrance to the Arabian Gulf, attracted the Portuguese among other imperialist powers. The Portuguese were the first European invaders. The regional powers represented in the Persians, the Ottomans, the Memlukes and the inhabitant Arabs of Oman failed to drive back the invaders. However, the other imperialist rival powers, Britain and Holland, could put an end to the Portuguese occupation of Oman and to their influence in the Gulf region. They helped the native people to destroy them. Then Iran granted the English East India Company the right to establish a trade agency in Bandar Abbas as a reward for the help it offered in liberating the island from the Portuguese.

Throughout the 18 th century the colonial rivalry between England and France grew hotter. But after France's defeat in the seven years war (1756 - 1763) she lost most of her colonies in America and India. The only colonies she could keep were some few i... ls in the Indian Ocean. Britain then emerged as ...ving the upper hand in the Gulf and enjoyed monopol... in I aq and Iran.

At the time when Britain's attention was directed to Iraq ...trated on the Sultanate of Oman. This Sultanate ...d eco...my during the era of Albu Said dynasty ...ince 1741. This dynasty extended her control to ...stern part o the Arabian Peninsula and to the ...ions on the Indian Ocean. The Sultanate also

A Summary

of the Essay Entitled
The British - Omani Relations
in the 19th Century

by
Dr. Ismail Ahmed yaghi

Faculty of Social Sciences

abridged and translated by
Said Abdul Aziz Abdullah

Oman's location looks like a triangle bordered in the east by the Arabian sea, in the north by the Arabian Gulf, and in the west by the Kingdom of Saudi Arabia. In the past Oman included Muscat Sultanate, Oman Imamate, the Emirate of the Green Mountain (Gabal Akhdar) and the Seven Trucial States overlooking the Arabian Gulf : Ash shariqah, Dhubai, Abu Dhabi, Ajman. Um al - Quwain, Ras al - Khaymah, and al - Fujayrah.

The population of Oman are proud Arabs living there since early history. They consist of various tribes. Some of them belong to the Ibadhi sect (a branch of the kharidjites), and the others are sunni moslems. The people of Oman were converted into Islam in the year 630 A. D. when Amr B. al - As was dispatched there.

Oman witnessed the schism in moslem Con[illegible] du[illegible] the Umayyad era. The Omanis came t[illegible] belie[illegible] in [illegible] and renaissant sect Known as Ibadhi which called [illegible] return of the true islamic rule 'al-shura'. Consequently broke into many revolts against the Umayya[illegible] Abbaside caliphs. They established their indep[illegible] 754 A.D. Twenty-nine Ibadhi Ima[illegible]s ruled Oma[illegible] They were exposed to several mil[illegible]ary campaig[illegible] by the caliphs.

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' **prestige.**

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— Pr[illegible] :

a) **In Saudi Arabia :**
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) **In Arab Countries :**
— The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) **Non Arab Countries**
$1 a copy.
$6 per annum


مطابع الشريف
الرياض ـ ت : ٤٠٢١٨٧١ ص.ب : ١٤٩٠٦

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Research Centre
Concerned with

the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

EDITOR IN CHIEF
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN

EDITORIAL BOARD
ABDULLAH BIN KHAMIS
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY
ABDULLAH BIN IDRIS
ABDULLAH AL-MAJID

rY S'XTH YEAR
;O. : 3

.i
.DOM OF SAUDI ARABIA

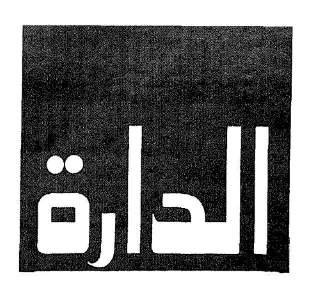


الدارة

مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
العدد الرابع/للسنة السادسة/شعبان ١٤٠١هـ/يونيو ١٩٨١م

الحلقة الخامسة
للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية

الرياض ١٦-١٨ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ
٢٠-٢٢ ابريل/نيسان ١٩٨١م



مجلة ربع سنوية تصدر عن دارة الملك عبد العزيز
تعنى بتراث وفكر المملكة والجزيرة العربية
والعالم العربي والاسلامي مماله صلة بالجزيرة العربية

رئيس التحرير
محمد حسين زيدان

هيئة التحرير
عبدالله بن خميس
الدكتور منصور الحازمي
عبدالله بن إدريس
عبدالله الماجد

العدد الرابع/للسنة السادسة
شعبان ١٤٠١هـ/يونيو ١٩٨١م

الرياض ص.ب ٢٩٤٥
المملكة العربية السعودية تلفون ٤٠٣٨٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

رقم الصفحة

● قيمة العدد في الداخل ريالان والاشتراك السنوي خمسة عشر ريالا وفي البلاد العربية ما يعادل خمسين قرشا سعوديا او ما يعادل خمسة عشر ريالا للسنة . في جمهورية مصر العربية خمسة وعشرون قرشا . تونس ٣٥٠ مليم . المغرب ٣ درهم . في خارج البلاد العربية دولار للعدد الواحد وستة دولارات للسنة .

رقم الصفحة

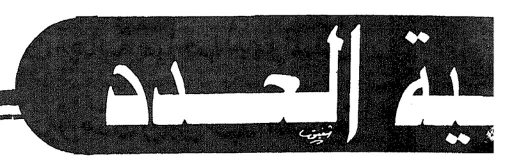
ترسـل الاشتراكات باسم أمين عـام الدارة أما المقـالات والبحوث فترسل باسم رئيس التحرير ـ الرياض ص.ب ٢٩٤٥ ترتيب المواضيع داخل العـدد يخضع لأسـباب فنيـة لا علاقة لهـا بمكانة الكاتب . آراء الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي المجـلة





والكلمة للقارىء تحمل معنى الاحترام له اعرابا عن الشكر للذين يقرأون المجلة كأنما هم يكتبون الحماسة لها وللكاتبين فيها فالمجلة اذا لم تجد قارئا لن تجد كاتبا فالقارىء يحمل الصفتين ٠٠ صفة المستفيد منها وصفة المفيد لها ٠ صفة الآخذ ومانح العطاء وليس ذلك بالجهد القليل ومن الطرافة بمكان أن تكون حاجة المجلة للقارىء مساوية لحاجتها الى الكاتب فمن ناحية أخرى يتمتع الكاتب بالصفتين أيضا صفة أنه كاتبها وأنه قارئها فأي شكر لقارىء ما هو الا الشكر للكاتب ٠

فأرجو من الكاتبين سواء الذين واصلوا المجلة بمقالاتهم أو الذين لم يتصلوا بها بعد سواء من أساتذة الجامعات لدينا داخل المملكة عرب سعوديين أو عرب اخوة لنا من كل قطر عربي فالمجلة وان كانت عربية سعودية فانها العربية للعروبة كلها والاسلامية للمسلمين كلهم ولدى المجلة كفرع في مؤسسة دارة الملك عبد العزيز لديها المترجمون فليس لدى المجلة ما يمنع أن نتقبل مقالا بلغة غير عربية من اخواننا المسلمين ومن الآخرين المستعربين في الأكاديميات ومن أي مكان فالامية هي من تراث هذا البلد الأم للعروبة والاسلام لانشذ عنها ٠ فالدعوة الى التضامن من أول الخطوات في



تحقيقها أن تكون المجلات والصحف والجامعات حافلة بهذا المبدأ لا ترفض ما يصلح لتقبل كل كلمة أو سعي يتحقق به الهدف فالمجلات والصحف والجامعات وكل وسائل الاعلام والندوات والمؤتمرات كلها مجامع يجتمع فيها المثقفون مباشرة في مواجهة أو غير مباشرة فيما يتبادلون من رسائل يكتبونها ليقرأوها •

ان هذه المجلة وبهذا العدد قد أكملت السنة السادسة لتبدأ بعون الله سنتها السابعة مطمئنة لأن تحقق في مسيرتها ما يصبو اليه القائمون عليها وفي مقدمتهم معالي رئيس مجلس الادارة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي وأمين عام الدارة الشيخ عبد الملك ابن عبد الله آل الشيخ •

فما يجيء منهما عن عون للمجلة انما هو الالتزام والالزام لا بحكم الهيمنة كعمل اداري وتوجيهي وانما هو منهما أداء ما توجبه الثقة وما تحتمه الوراثة وما يتمتع به كل ما يصون التراث •

ان المجلة تتقدم بهذا الشكر بعد حمد الله على توفيقه والله الهادي الى سواء السبيل •

محمد حسين زيدان

تحت رعاية صاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن عبد العزيز

استضافت

دارة الملك عبد العزيز

الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية

لا شك أن انشاء مراكز البحث العلمي بتخصصاتها المختلفة ، هو من أبرز السمات على وجود النهضة العلمية الشاملة لكل نواحي الحياة ..

وهو دليل على الاهتمام بنمو حركة التأليف والترجمة والنشر ، وجمع التراث ، وحفظه ، والعمل على نشره ٠٠

هادفة من وراء ذلك الى خدمة المجتمع وتطويره ، وترسيخ المبادىء القومية ، والوعي الثقافي ، وتنمية الطاقات الخلاقة المبدعة ، وتهيئتها لخدمة المجتمع ، بكافة الوسائل ، وبالأسلوب العلمي لمنهج البحث والتحليل ٠٠ وصولا بهذا الأسلوب الى أدق النتائج ، وأصدق الحقائق ، وان وجود مثل هذه المراكز والهيئات العلمية في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، هو في حد ذاته مؤشر ايجابي على وجود الوعي العلمي الحقيقي ٠٠ وتواجد هذا الوعي هو أقوى باعث على تحمل المسئوليات ، ومناط التكليف لبحث قضايا المنطقة واهتماماتها ، ومن هذا المنطلق نشأت فكرة التنسيق ، وتوحيد الجهود والطاقات ، والتعاون فيما بين تلك المراكز ، وتوطيد الصلات بينها ٠٠

ثم تبلورت هذه الفكرة عن صيغة التقاء ، تجمعها في اطار واحد ، لتوحيد الجهود ، فكان الاتفاق ٠٠ ثم كان اللقاء لتوثيق التعاون ، وتنمية الطاقات والامكانيات ، والنهوض بالمستوى العلمي فيما بين المراكز والهيئات العلمية التالية :

ـ دارة الملك عبد العزيز ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ·

ـ مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ جامعة البصرة ـ العراق ·

ـ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ـ الكويت ·

ـ مركز الوثائق والدراسات ـ أبو ظبي ·

ـ مركز الوثائق التاريخية ـ البحرين ·

ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء ·

ـ دائرة المحفوظات والمؤلفات العمانية ـ مسقط ـ عمان ·

ـ مركز الوثائق والأبحاث ـ قطر ·

وكان اللقاء بين هذه المراكز والهيئات العلمية ، في صورة حلقة تعقد سنويا في استضافة احدى هذه المراكز ، وبشكل دوري ، في ظل أمانة عامة تقوم بدور التنسيق والتنظيم فيما بينها ، ويحكم الأمانة العامة نظام داخلي ، يوضح مفهومها ، ونشاطها ، وينظم أعمالها واجتماعاتها ·

وتتناول المراكز والهيئـــات في اجتماعاتها ، بحث القضايا المشتركة ، التي تخدم أهدافها جميعا ، وتدور معظمها في اطـــار العمل على جمع الوثائق ، وصيانتها ، وتصنيفها ٠٠ والعمل على جلبها من خارج دول المنطقة ، والاهتمام بجمع المخطوطات وكتب التراث ، وأيضا الاهتمام بجمع المصادر والمراجع التي تخدم الباحثين والدارسين ، والعمل على تنشيط البحوث العلمية التي تخدم دول المنطقة ، في مختلف المجـــالات العلمية واعطاء العنـــاية اللازمة للدراسات التاريخية بشكل خاص ٠٠ مع الاحتفـــاظ لكل.مركز بنشاطه واهتمامه الخاص ٠

وقد استضافت دارة الملك عبد العزيز الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراســـات الحلقة الخامســـة في الفترة من ١٦ ـ ١٤٠١/٦/١٨هـ تحت رعـاية صاحب السمو الملـــكي الأمير ســـلمان بن عبد العزيز ، وباشراف معالي الشيخ حســـن ابن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العـــالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز ٠٠

وزيادة للفائدة نورد فيما يلي الكلمات التي ألقيت في الجلسة الافتتاحية والتوصيات التي اتخذت في الحلقة ٠



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز

كلمة صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبد العزيز
أمير منطقة الرياض

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ...

اخواني : رؤساء ومندوبو المراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ..

يطيب لي أن أنقل لكم تحية مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم « خالد بن عبد العزيز » .. وترحيبه بكم .. وتحية سمو ولي عهده الأمين الأمير « فهد بن عبد العزيز » ..

تحية لكم في بلدكم .. ومرحبا بكم في دارة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه .. تلك الدارة التي وجدت وفاء وتقديرا منا جميعا لأعماله .. وتحقيقا لآماله وطموحاته .. وتقديره للعلم والعلماء ..

وحين تتداعى الى الذهن محاسن الأعمال التي ارتقت بصاحبها الى قمة المعالي .. وينسب لأهل الخير خيرهم .. ولأولي الفضل أمجادهم نذكر في هذا المجال قليلا من كثير مما صنعه جلالة العاهل الكبير المغفور له « الملك عبد العزيز ، تغمده الله برحمته .. فخلال توحيده لهذا الكيان الكبير من الجزيرة العربية .. وهو يجوب الصحاري والوديان ، طولا وعرضا ، قد حول أهل المضارب والخيام الى سكان قرى ومدن .. وأمدهم بمن يعلمهم أمور دينهم ودنياهم .. وما أن استقر الأمن في ربوع هذا الكيان الكبير .. وأمن السبيل لكل خائف وعابر .. وبات الناس مطمئنين على أنفسهم وأموالهم ، لأن هناك من يسهر على راحتهم وحمايتهم .. وتلاقت القلوب وتوحدت الأفكار .. ما أن فرغ من ذلك كله حول جهده للبناء .. على أسس وقواعد ثابتة .. تتلاءم مع ديننا وعقيدتنا .. فبادر الى انشاء المدارس .. في وقت كان الآباء فيه يعرضون عن ارسال أبنائهم للمدارس .. رغبة في أن يظل الأبناء بجوارهم .. يعملون معهم .. ويساعدونهم في حياتهم المعيشية .. فشجع الآباء بكل الوسائل على أن يعلموا أبناءهم .. وعانى في ذلك كل المعاناة .. واهتم بارسال البعثات للخارج ، كي يتزود ابناؤنا بدراسة العلوم التي لم تتح لهم دراستها .. أو يتخصصوا في بعض فروع المعرفة .. العلمية منها والعملية ..

وكان رحمه الله يبادر لمقابلة الدفعات التي تتخرج من المدارس والمعاهد التي أنشأها ٠٠ وهو في غاية السرور والفرح ٠٠ بأكثر مما يفرح له الأب وهو يرى ابنه متفوقا في دراسته ٠٠ وأذكر أنه قال ، وهو يستقبل خريجي معهد الطائف عام ١٣٥٠هـ ، يشد على أيديهم قائلا :

« أنتم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه بالمعهد ٠٠ فاعرفوا قدر العلم ، واعملوا به ٠٠ لأن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر ٠٠ لقد من الله عليكم بالعلم ، وأرشدكم الى طريق الخير ٠٠ فاعملوا انا لعملكم منتظرون » ٠٠

وهانحن الآن أصبحت لدينا جامعات متعددة ٠٠ وتضم مختلف الكليات ٠٠ وصارت لدينا مراكز بحث متخصصة في الدراسات والبحوث ٠٠ لا تقل عن مثيلاتها في الخارج ٠٠ بل نالت الاعجاب والاستحسان ٠٠ وكل ذلك من غرس يده ، رحمه الله ٠٠ وعلينا أن نعمل بهمة ونشاط كل في تخصصه ٠٠

أما أنتم أيها الأخوة فتجتمعون اليوم لتبحثوا مايهم أوطاننا في المجالات التاريخية والوثائقية ٠٠ وغيرها من موضوعات ٠٠ أصبح زمام الأمر فيها بأيدينا ٠٠ بعد أن ظلت لفترة طويلة ، تعالجها أقلام ، لم يعرف أصحابها طبيعة أرضنا ٠٠ ولا قيمنا ، ولا عاداتنا ٠٠ ولا عاشت بين ظهرانينا لترى مانراه ، وتعبر عما يختلج في نفوسنا ٠٠ وانما كانت غريبة عن أوطاننا فعبرت عما رأته حسب تصورها ٠٠ ولهذا جاء ماكتبوه مشوها في معظمه ٠٠ غافلا في أحيانا كثيرة عن ذكر بعض الحقائق التاريخية ٠٠٠

مهمتكم صعبة وشاقة لكن الآمال الطموحة تكفيكم للتغلب على تلك الصعاب ٠

ولا يفوتنا في هذا الوقت أن نذكر بالخير مؤسس هذه الدارة جلالة الملك فيصل « رحمه الله » ٠

أدعو الله لكم بالتوفيق ٠٠ وأتمنى لكم الوصول الى أصوب النتائج في أعمالكم ٠٠٠ « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » ٠

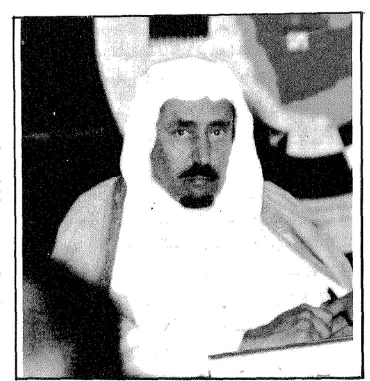
« صدق الله العظيم »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

« سلمان بن عبد العزيز »

كلمة أمين عام دارة الملك عبدالعزيز

الشيخ/ عبدالملك بن عبدالله آل الشيخ



الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين نبينا محمد الهادي الأمين .. وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره وسار على نهجه الى يوم الدين ..

- صاحب السمو الملكي ، الأمير سلمان بن عبد العزيز ، انه لشرف عظيم لدارة الملك عبد العزيز أن تحظى بسموكم مفتتحا أول مؤتمر تحتضنه وتشرف عليه ، لذا أرفع لسموكم أطيب تحية وأعظم تقدير ، من كافة منسوبي دارة الملك عبد العزيز .. فمرحبا بكم وأهلا ..
- صاحب المعالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز فضيلة الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ..
- سعادة الأمين العام للمراكز والهيئات العلمية ، المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ..

ـ الاخـوة أعضـاء الوفـود ··

ـ أصحاب المعالي والسعادة ضيوفنا الكرام ··

يطيب لي أن أرحب بكم جميعا ، لتلبيكم دعوة هذه المؤسسة العلمية ، التي أنشئت لغرض خدمة تاريخ المملكة ، وتاريخ الجزيرة العربية والعالم الاسلامي بوجه عام ، والاهتمام بجمع التراث الاسلامي والعمل على نشره ··

ومن هذا المنطلق ، كان هذا التلاقي في الأهداف مع المراكز والهيئات العلمية في دول الخليج العربي والجزيرة العربية ··

ومن واقع اهتمام الجميع بايجاد التنسيق المتكامل في القضايا العلمية التي تهم بلادنا ، كانت تلك الاجتماعات والحلقات التي تتولى اليوم دارة الملك عبد العزيز استضافة احداها ··

ولعلي أشير الى حقيقة هامة ، وهي أن انشاء هـذه المراكز والهيئات العلمية ، وتواجدها في بلادنا ، دليل بارز على اليقظة والنهضة العلميـة الشاملة ، وعلى صدق العزيمة في البحث والدراسة عن ماضينا المجيد ، وهي صحوة نواصل بها ماقام به أسلافنا ، الذين كانت لهم الريادة في مختلف العلوم والفنون ، حتى بهروا بأعمالهم العلمية ، أبصار العالم الغربي والشرقي على السـواء ··

وأستأذنكم في وقفة قصـيرة ، نستعرض من خلالها قصـة تراثنا الاسلامي ، كيف رحل عنا ؟ ، وما صاحب رحيـله من أعمال ونشاطات في العالم الغربي ، وكيف تم ذلك ؟ ·

فلقد انبثق الى الوجود ، نور متلألىء ناصع الاشعاع ، من ربوع مكة وهجير بطحائها المتوهج ، وافاء بظله الوارف سماء أرضنا الواسعة ، فجمع شتات العرب ، ووحد قواهم ، وأمدهم بروحانية من السماء ، تمثلت في عقيدة تسامت في غاياتها عن الماديات ، وقويت شوكة الاسلام ، فنهضت دولته ، فتية قوية ·· متحفزة متوثبة ، فتوحدت الأمة العربية تحت لواء الاسلام ، وسار المسلمون ففتحوا بلدانا وأقاموا مدنا لم يكن لها وجـود على ظهر البسيطة ، فرسخت عقيدة التوحيد بين أهالي تلك الأقطار ، وصاروا أنصارا لها ونشروا العلوم والفنون والآداب ··

فازدهرت الحضارة الاسلامية ، وبهر العالم الغربي بما شاهد من نهضة علمية في الأندلس ، فشدت انتباههم فراحوا يبحثون عن مصادر تلك الحضارة وأصولها ، فقرأوا مصنفات المسلمين وعلومهم ··

ومن هنا بدأت أولى مراحل استحواذهم على تراثنـــا ·· فلم يكتفوا بمجرد القراءة ·· وانما أنشأوا مدارس لتعليم اللغة العربية ··

فقد أنشئت مدارس في قرطبة ، وبرشلونة ، وليـــون ، وباريس ، وايطاليا ، وانجلترا ، وبلجيكا ، وهولندا ·· وغيرها من المدن الاوربية ··

وكانت مهمة تلك المدارس تخريج رهبان يتقنون علوم اللغة العربية ، كي يتولوا التنقيب عن كتب المسلمين وجمعها ، ثم ترجمتها الى لغاتهم ··

ثم بدأ الاستشراق أكثر ما يكون تنظيما وانتشارا في الفاتيكان ، فدرس المستشرقون اللغة العربية وأجادوها ، ودرسوا علوم المسلمين ، واهتموا بعلم المناظرة والجدل ، بقصد مناظرة فقهاء المسلمين ·· ثم دفعوا بتلامذتهم لكي يجوبوا الدول العربية والاسلامية لجمع تراث المسلمين ··

وجاءت الحروب الصليبية ، ومن خلالها انتقل جانب آخر من تراثنا الى تلك الدول ··

ثم كان دور الرحالة ، ومعظمهم من المستشرقين الذين تعمقوا داخل البلدان العربية والاسلامية ، وغاصوا في أعماقها ، وعرفوا مسالكها ودروبها أكثر مما يعرفه أهلها ·· وعن طريق هؤلاء الرحالة ·· رحل جانب آخر من تراثنـــا ··

ثم أغرق الكاثوليك الدول العربية والاســـلامية بمدارســـهم ، وجمعياتهم ، ومستشفياتهم ، ومكتباتهم ، وجامعاتهم ، التي تسير على النمط الاستشراقي ، وأنفقوا عليها الأموال الطائلة ·· وكانت لها عدة نشاطات من بينها ، الهيمنة على ماتبقى من تراثنا ··

ولقد أقاموا مكتبات في بلادهم تضم تلك المخطوطات ·· واســمحوا لي أن أذكر مثلا واحدا للدلالة على مقدار ماجمعوه من هذا العمـــل ·· فمكتبة باريس الوطنيـــة التي أنشئت عام ١٦٥٤م ، تضم ســـتة ملايين مخطوطة ، من بينها سبعة آلاف مخطوطة ، من أندر المخطوطات العربيـــة وأنفسها ·· عدا الاضبارات والوثائق ··

وان الحكم على عمل هؤلاء المستشرقين بالصواب أو الخطأ ليس مجال حديثنا الآن ·· وانما المطلوب عمله ، هو بحث الوسائل الكفيلة باسترداد تلك الوثائق والمخطوطات ··

هذه لمحة سريعة عن تراثنا ·· كيف رحل ؟

ومهمتنا اليوم ، وخاصة بعد تواجد هذه المراكز والهيئات العلمية ·· هو أن نبحث كيف يعود ؟ ·

ان جلب الوثائق ينبغي أن يكون من أهم الموضوعات المطروحة للبحث ، كما ينبغي على كل مركز وهيئة علمية أن تعطي هذه المسألة اهتماما بالغا ·· بجانب الاهتمام ببحث العديد من القضايا العلمية التي تهم منطقتنا ·· وتخدم بلادنا ··

وأنني أنقل لكم ما قاله الرحالة الدانمركي « نيبور » ، الذي قدم الى بلادنا عام ١١٧٦هـ ، وألف كتابه « رحلات في الجزيرة العربية وبلدان أخرى من الشرق » ، وبعد أن خرج من رحلته ببعض الحقائق ·· مؤكدا أن العرب كانت لهم الريادة والسيادة على البحار ، بل وعلى السواحل المواجهة للجزيرة العربية منذ ماقبل الميلاد ·· قال : « تلك حقيقـــــة لكن العرب لا مؤرخين عندهم ، يذيعون شهرتهم فيما وراء حدودهم » ·· اذا فلتثبت هذه الدور والمراكز بأن لدينا من المؤرخين والباحثين من يستطيعون أن يركبوا الصعاب لتذاع شهرة بلادهم في الآفاق بما يقدمونه من أبحاث ودراسات ··

ـ صاحب السمو :

ـ أيها الاخـــوة :

ان من حسن الطالع أن تكون هذه الأعمـــــال من أهداف دارة الملك عبد العزيز ، وأن لدارة الملك عبد العزيز طموحات وآمالا كبيرة ، لتحقيق ما تصبوا اليه الأمة العربية والاسلامية ·· حيث تلقى الرعــاية والعناية الكاملة من جلالة الملك خالد بن عبد العزيز المعظم ··

والاهتمام البالغ من سمو ولي عهده الأمين ، الأمير فهد بن عبد العزيز المعظم ·

كما يدفع الدارة ويلهب حماسها للقيام بهذا العمل ، رعاية وتوجيهات صاحب المعالي ، الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العـــالي ورئيس مجلس اداراتها ··

·· واننا لعاملون ، مستمدين العون والتوفيق من الله ··

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ··

« عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ »

كلمة الأمين العام للمراكز والهيئات العلمية
الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
مدير مركز دراسات الخليج العربي - جامعة البصرة



الدكتور مصطفى عبد القادر النجار

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز ·

صاحب المعالي وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز ·

الزملاء أعضاء الأمانة العامة ·

الأصدقاء الحضور ·

باسم الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية أحييكم أطيب تحية متمنيا للحلقة العلمية التي نعقدها اليوم النجاح وللقائمين على تنظيمها والاعداد لها التوفيق والسؤدد وأملي أن تحقق هذه الندوة الأهداف المرجوة ·

أيهـــا الســـادة ..

لا شك بأن اجتماع هذه النخبة الممتازة من العلماء العرب المتخصصين في قضايا الخليج العربي والجزيرة العربية هو مؤشر ايجابي على أن المنطقة تمر بمرحلة متطورة من الوعي العلمي والمعرفة بما يكفل معالجة المشاكل الأساسية لهذه المنطقة .

لقد مرت سنوات طويلة لم يأخذ الباحث العربي مكانتـه الحقيقية في مضمار البحث العلمي ، وكان الباحث الأجنبي هو الذي يتبوأ مكان الصدارة في هذا المجال ، وكانت أنظار المنطقة تتجه الى الجامعات الغربية ومراكز البحث الشرقأوسطية في العالم للاستعانة بها في دراسة قضايا ومشاكل منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية .

ولما كان الأجنبي مهما أظهر الموضوعية والحياد منحازا لمصالح بلاده وله منطلقاته الخاصة لذا فان آراءه وبحوثه ستنصب في التركيز على العوامل الخارجية مهملا الكشف عن البواعث الذاتية في المنطقة . فهو غالبا ما يفسر الأحداث في الخليج العربي والجزيرة العربية على أنهـــا نتيجة من نتائج الصراعات الخارجية وانعكاس للعلاقات الدولية .

ان الأحداث والظواهر تخضع للمؤثرات الداخلية والذاتية مثلمـــا تخضع للمؤثرات الخارجية ، وكان تفسير أحادي الجانب لا يمكن قبوله من وجهة النظر الموضوعية .

وعليه فلا يمكن الركون الى الدراسات الأجنبيـــــة في معرفة حقائق منطقتنا وشؤونها لأنها دراسات يعوزها الانصاف والصدق وهي كثيرا ما تأتي باهتة الصورة ان لم تكن مشوهة .

ومن هنا يأتي دور مراكز البحث العلمي العربية في منطقتنا لكي تنهض بمهمتها التاريخية في تقديم البحوث والدراسات بكل أمانة وجدية ومن منطلق الحرص والاخلاص وصولا الى النتائج العلمية الرصينة .

لقد شوه الباحث الأجنبي كثيرا من مفاهيمنا وقيمنا باسم الموضوعية والعلمية ، وترك بصماته مطبوعة على بعض الباحثين العرب فأخـذ بعض هؤلاء يدور في فلك التصورات والمفاهيم التي تلقاها في الغرب على أنهـــا مسلمات دون أن يكلف نفسه عناء التقصي والاستكشاف للوصول الى الحقيقة بنفسه . وكمثل على ذلك انسياق بعضـــهم من حيث لا يدري في المشاركة بالحملة التي شنت باسم العلم لتشويه واتهام الأبطال العظماء الذين حملوا

راية الجهاد ووقفوا ضد المحتل الأجنبي ومبوا بوجهه في مقاومة عربية باسلة للذود عن الأرض والانسان اتهامهم بالقرصنة واللصوصية كما حاولوا افراغ حملاتهم ومكافحتهم للغزو الاستعماري من محتواها الانساني النبيل ٠ ان صدور مثل هذا التقييم عن باحثين عرب لأمر مشين ومناف للروح الموضوعية والعلميـــة ٠

وكمثل آخر فقد أطلقت على الساحل العماني مصطلحات غريبة ومؤذية بغية تشويه هويته فأطلق عليه اسم ساحل القرصنة وساحل الصلح أو الساحل المهادن وغيرها من الأسماء ٠ ومما يؤسف له أن بعض الباحثين العرب تابعوا الأجانب في ذلك دون وعي عميق للمرامي والأغراض المقصودة التي تختفي وراء ذلك وكأنه لم يكن للساحل العماني اسم يعرف به قبل غزو الأجانب ٠

ان تناسي دور الشعب العربي في مقاومة الغزو البرتغـــالي للخليج العربي وتفسير معركة وادي الموت في الأطلسي على أنها السبب وراء انسحاب البرتغال من الخليج العربي وجعل حرب القرم هي السبب في تراجع بريطانيا عن اندفاعها في حكم منطقة الخليج العربي ٠ واعتبار انحسار الغزو الهولندي والفرنسي والألماني عن الخليج العربي بسبب مقاومة أجنبية أوربية لهم وغير ذلك كثير ، أمثلة على تجاهل الوجود العربي ودور القبائل الباســلة في المنطقة وماقامت به من تصد بطولي حفاظا على عروبة المنطقة ٠

ان تاريخ منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية يجب أن تعاد كتابته وفق منهج علمي رصين وبعقل عربي وروح عربية أصيلة ٠

ويقع العبء الأكبر على مراكز البحث العلمي في المنطقة لتنفيذ هذا الأمر الهام والحاسم لتخليص التاريخ من الأدران والتشويهات التي لحقت به وتحليل مواده وأحداثه واعطائها حقها في التفسير ٠

ان التاريخ سوف لا يرحمنا اذا كنا نحن الأحفاد لا نعطي الأجداد حقهم ونأتي باسم العلمية لنشوه الحقـــائق الكبرى أو نسكت عن ذاك التشـــويه ٠

ان الأمانة العامة لتأمل من حكومة المملكة العربية السعودية أن تأخذ على عاتقها تبني هذا المشروع الخطير واعادة كتابة تاريخ الخليج العربي قديمه ووسيطه وحديثه ، وأن تشكل لجنة عليا للاشراف عليه ٠ ولنجعــل من دارة الملك عبد العزيز في الرياض مركزا متميزا نفتخر به جميعـــا وقاعدة من القواعد التي ننطلق منها في خدمة العلم والمعرفة وأن نقـــوم

جميعا في اسناد مشاريعها العلمية لا سيما وأنها خطت خطوات موفقة في جمع تراث المنطقة وتصوير وثائق الجزيرة العربية المختلفة ..

أيهـــا الســـادة ..

ان انبثاق الأمانة العامة يعد حدثا فريدا من نوعه في تاريخ العـــلم في جزيرتنا العربية وخليجنا العربي ذلك أنها جاءت تعبيرا صادقا عن صدق النوايا والبناء العلمي الايجابي الهادف نحو التكامل والتنســـيق وبلورة الوعي وابعاد مراكز البحث العلمي عن التنافس والتنافر وايجاد صيغة حقيقية للتعاون واقامة مشاريع علمية مشتركة وسد الفراغ في البحث العلمي واخراج الدراسات العلمية الأصلية والمبتكرة والتي تعبر عن وجهة النظر العربية السليمة البعيدة عن التزوير والتشويه مع التأكيد على دراسة مخطوطاتنا التراثية ووثائقنا العربية .

وفي الختـــــام :

باسمكم جميعا أحيي دارة الملك عبد العزيز في الرياض على استضافة الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية . ونتقدم بالشكر الجزيل لما قوبل به أعضاء الأمانة العامة من حفاوة وتكريم بالغين . وهـــذا ان دل على شيء فانما يدل على عمق الروابط الصميمة بيننا والتعاون الصادق والبناء الذي ســـيطور الوعي والمعرفة بهذه المنطقة ويسهم في المعالجات الجادة لمشاكلها .

اسمحوا لي أن أحيي باسمكم

جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وولي عهده الأمير فهد بن عبد العزيز آملا منهما المزيد في دعم مسيرتنا العلمية الناهضة في هذه المنطقة الملتهبة من العـــالم .

كما نتقدم بالتحية والشكر الى زميلي الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ أمين عام الدارة الذي تحمس لعقد هذه الحلقة برغم الظروف التي تمر بها المنطقة وأعطى من جهده ووقته الشيء الكثير لها .

نتمنى أخيرا لمؤتمركم النجاح والتوفيق والسداد في تحقيق أهـــدافه وغاياته السامية خصوصا في هذه المرحلة الخطيرة التي تمر بها أمتنا العربية المجيدة وما يتهددها من أخطار جدية تتعلق بمستقبلها الحضـــاري المشرق وفق الله الجميع .. والسلام عليكم ..

الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
الأمين العـــام
لمراكز دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية



للحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية التي عقدت بدارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية ـ في الفتـــرة

من : ١٦ ـ ١٨/٦/١٤٠١هـ

٢٠ ـ ٢٢/٤/١٩٨١م

أولا : التقريـــر

بدعوة كريمة من « دارة الملك عبد العزيز » بالمملكة العربية السعودية تم عقد الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربيـــة ، وذلك في مدينة الرياض في الفترة الواقعة ما بين ١٦ ـ ١٨/٦/١٤٠١هـ ، (٢٠ ـ ٢٢/٤/١٩٨١م) تحت رعـاية صاحب السمو الملكي « الأمير ســـلمان بن عبد العزيز » وباشراف معالي الشيخ « حسن بن عبد الله آل الشيخ » ، وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز ٠٠

وقد حضر هذه الحلقة وفود المراكز والهيئات العلمية التالية :

- مركز الوثائق والدراسات في أبو ظبي ٠٠
- مركز الوثائق التاريخية بالبحرين ٠٠
- دارة الملك عبد العزيز بالرياض ٠٠
- مركز دراسات الخليج بجامعة البصرة ٠٠
- مركز الوثائق التاريخية بقطر ٠٠
- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت ٠٠

ـ مركز الدراسات والبحوث اليمني بالجمهورية العربية اليمنية ٠٠
وتخلف عن الحضور وفد دائرة المخفـــوطات والمؤلفات العمانيـــة بسلطنة عمان ٠٠

كما حضرها عضو مراقب عن جامعة الامارات العربية المتحدة ٠

وفي اطار التحضير لاجتماعات هذه الحلقة ، عقـــدت جلسة تمهيدية للهيئة التنفيذية للأمانة العامة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، وذلك في تمام الساعة السادسة من مســـاء يوم الأحد الموافق ١٥/٦/١٤٠١هـ (١٩/٤/١٩٨١م) ٠٠

وقد رأس هذه الجلسة الدكتور مصطفى عبد القادر النجار الأمين العام للمراكز وعضوية كل من :

ـ الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ
الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز ٠

ـ الدكتور عبد الله يوسف الغنيم
رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ٠

ـ الدكتور عبد الله محمد مصطفى بو عزة
مركز الوثائق والدراسات بدولة الامارات العربية المتحدة ٠

وقد اتفق خلال هذه الجلسة على بنود جدول الأعمال ، وخطة العمل ، والنظام العام للحلقة ، مع ربط ذلك كله بتوصيات الحلقة الرابعـــة التي عقدت في أبو ظبي في العام الماضي ، وما أسفرت عنه الاجتماعات الفرعية في الكويت والبحرين ٠٠ وقد انتهى الاجتماع حوالي الساعة الثامنة مساء ٠٠

وفي تمـــام الساعة العـــــــاشرة من صباح يوم الاثنـــــين الموافق ١٦/٦/١٤٠١هـ ، (٢٠/٤/١٩٨١) بدأت وقائع الجلسة الافتتاحية بتلاوة مباركة من القرآن الكريم ٠٠ ثم ألقى سعادة الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ الأمين العام للدارة كلمة عبر فيها عن ترحيبه بالوفود المشاركة والحضور ٠٠ وذكر أن التلاقي في الأهداف مع المراكز والهيئات العلميـــة في دول الخليج العربي ناتج عن اهتمام الجميع بايجاد التناسق المتـــكامل في القضايا العلمية التي تهم بلادنا ٠٠ وأن انشــــاء هذه المراكز والهيئات العلمية ووجودها في هذه المنطقة ، لدليل بارز على اليقظة والنهضة العلمية الشاملة ، وعلى صدق العزم في البحث العلمي والدراسة عن ماضينا المجيد ،

وهي صحوة نواصل بها ماقام به أسلافنا الذين كانت لهم الريادة في مختلف العلوم والفنون حتى بهروا العالم بأعمالهم العلمية ٠٠ وأكد سـعادته في كلمته أن جلب الوثائق وتجميعها ودراسـتها ينبغي أن يكون من أهم الموضوعات المطروحة للبحث بجانب الاهتمام بالقضايا العلمية الأخرى ٠٠

ثم أعطيت الكلمة للدكتور مصطفى عبد القادر النجار ، الأمين العام للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربيـة ، فتحدث باسم الأمانة العامة منوها بالحفاوة والتكريم البالغين اللذين أضفتهما دارة الملك عبد العزيز على هذه الحلقـة ، وبين أن انبثاق الأمانة العامة جاء تعبيرا صادقا عن الحاجة الملحة نحو التكامل والتنسيق بين مراكز البحث العلمي في هذه المنطقة وابعادها عن التنافس والتنافر وايجاد صيغة حقيقية للتعاون واقامة مشاريع علمية مشتركة والمساهمة في نشر البحوث والدراسات المبتكرة التي تعبر عن وجهة النظر العربية السليمة البعيـدة عن التزوير والتشويه مع التأكيد على دراسة مخطوطاتنا التراثية ، ووثائقنا العربية ٠٠

ثم ألقى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير سـلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض .كلمة رحب فيها برؤساء ومندوبي المراكز العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، ونقل اليهم تحيـات حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم « خالد بن عبد العزيز » وسمو ولي عهده الأمين الأمير « فهد بن عبد العزيز » وذكر أن دارة الملك عبد العزيز التي وجدت وفاء وتقديرا لرجل كان له أكبر الأثر في نشر المعرفة والعلم في ربوع المملكة العربية السعودية حتى أصبحت الحياة العلمية على ما هي عليه اليوم ، وان المهمة لاتزال صعبة وشاقة ، اذ أن معظم ماكتب حتى اليوم عن بلادنا لا يعبر عما يختلج في نفوسنا ، بل جاء مشوها في معظمه غافلا في أحيان كثيرة عن ذكر بعض الحقائق التاريخية ٠٠

وختم كلمته بتمنياته للندوة بالتوفيق في الوصول الى أصوب النتائج ٠٠

وفي نهاية حفل الافتتاح قدم الأستاذ الشـيخ عبد الملك بن عبد الله ال الشيخ درع دارة الملك عبد العزيز لصاحب السمو الملكي الأمير « سلمان ابن عبد العزيز » تقديرا من الدارة لرعايته وحضوره حفل الافتتاح ٠٠

وانتهت جلسة الافتتاح في حوالي الساعة الحادية عشرة صباحا ٠٠ ثم انتظمت الحلقة في ثلاث جلسات عمل رئيسية ٠٠ كانت على النحو التالي :

الجلسة الأولى :

بدأت هذه الجلسة في الساعة الخامسة مساء يوم الاثنين ، وقد تم خلالها اختيار الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ ، أمين عام دارة الملك عبد العزيز رئيسا للحلقة ·· والأستاذ عبد الرحمن السراء مقررا لها ··

كما شكلت لجنة صياغة برئاسة الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، وعضوية كل من :

- الدكتور محمد مرسي عبد الله
- الدكتور علي أبا حسين
- الأستاذ عبد الله حمد الحقيل
- الأستاذ عبد الواحد محمد راغب
- الدكتور قحطان الناصري
- الأستاذ أحمد العناني
- الأستاذ عبد الباري طاهر

ثم تولى بعد ذلك رئيس كل مركز أو ممثله اعطاء صورة مختصرة عن أعمال المركز أو الهيئة العلمية التي يمثلها ·· وماتم انجازه خلال السنوات الماضية ، والخطط المستقبلية للمراكز والهيئات ، وقد وزعت تقارير بذلك على الأعضاء المشاركين في الحلقة ··

وفي نهاية هذه الجلسة أبدى الدكتور مصطفى النجار ، استعداد مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة للقيام بما يلي :

(أ) تحمل نفقات طباعة كتابين من الكتب التي يعدهما ويرغب في نشرهما مركز الدراسات والبحوث اليمني ··

(ب) توجيه الدعوة للدكتور خالد الحامض ممثل جامعة الامارات العربية المتحدة لزيارة مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة ··

كما أبدى الأستاذ أحمد العناني رئيس مركز الوثائق التاريخية بدولة قطر استعداده لتزويد جميع المراكز بنسخ من كتاب « العرب في السند » لأحد المؤلفين الهنود ·· والذي يتضمن الحديث عن دور القبائل العربية في فتح السند ··

الجلسة الثانية :

عقدت في الساعة التاسعة والنصف من صباح الثلاثاء ، جلسة العمل الثانية ، وقد تم خلالها مناقشة التوصيات التي أقرت في الحلقة السابقة

لمعرفة مدى ماتم تنفيذه من بنودها ، والعمل على ايجاد الوسائل الكفيلة بدعم التعاون بين المراكز في مختلف المجالات التي تخدم أهدافها ٠٠ ثم نوقشت ورقة العمل المقدمة من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية بشأن اعداد وتنفيذ مشروع أطلس الخليج والجزيرة العربية ، وتم استعراض ماورد بها من خطوات ومراحل تنفيذ المشروع ، بحيث تبدأ مجلة دراسات الخليج بالأطلس التاريخي أولا بعد أن تقوم المراكز بتزويد مجلة دراسات الخليج بالمادة العلمية والخرائط اللازمة لتنفيذ المشروع ٠٠ ثم نوقش موضوع اخراج موسوعة الخليج العربي والجزيرة العربيـــة ورئي أن تقوم دارة الملك عبد العزيز باعداد مشروع متكامل ، وتصور واضح لما يمكن أن تكون عليه الموسوعة ٠٠ وبعد ذلك نوقش موضوع الشخصيات العلمية المعاصرة في الخليج والجزيرة العربية ، وقدم مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة أنموذجا لما قام به من اخراج هذا العمل ٠٠ وقد تم الاتفاق على أن تقوم الأمانة العامة بتوزيع هذا الكتاب على المراكز الأعضاء بهدف الاطلاع عليه ودراسته ٠٠ واستكمال ما قد يكون به من نقص ٠٠ ثم عرض موضـــوع الكتاب السنوي الذي يحتوي على بحوث تمثل المراكز المختلفة ٠٠ وقد رحبت دارة الملك عبد العزيز بطباعته والاشراف عليه ، كما بحثت فكرة تنفيـذ تقويم سنوي باسم المراكز والهيئات ٠٠ واتفق على الاكتفاء بالتقاويم التي تنتجها المراكز منفردة ٠٠ كما طرح موضوع تصميم شعار يحمـــل اسم الأمانة العامة ، وعهد الى مركز الوثائق التاريخية بدولة قطر تقديم التصميم المذكور في الدورة القادمة لاقراره ٠٠

الجلسة الثالثة :

بدأت الجلسة الثالثة في تمام الساعة الرابعة من مساء يوم الثلاثاء وقد تم فيها مناقشة لجنة تنسيق جمع الوثائق التاريخية بدولة البحرين في ١٤٠١/٤/٣هـ (١٩٨١/٢/٧م) ، وقد تبادل الأعضاء المعلومات بشأن ما تم القيام به في مجال جمع الوثائق وفهرسـتها ٠ وحث المراكز المختلفة بالاسراع في اتمام عملية الفهرسة تعميما للفائدة وتوفيرا للجهد ودار نقاش حول توحيد الاستمارة الخاصة بالفهرسة ، وقد ترك الأمر لامكانيات المراكز المختلفة مع التقيد بالاطار العام للفهرسة ٠٠ كما بحث موضوع ترجمـة الوثائق ، وضرورة التعاون وتبادل الخبرات في هذا المجال ٠٠

وعرض موضوع اجتماع الحلقة المكتبيـــة بالبصرة ، وتم الاتفاق المبدئي أن يتم الاجتماع خلال شهر يناير المقبل على أن يقوم مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة بتقـديم ورقة عمــل ترســل الى المراكز بغيـــة استكمالها ٠٠

ثم نوقشت بعض المقترحات الكفيلة بتطوير العمل في الأمانة العامة ، وقد طرح الدكتور مصطفى عبد القـــادر النجار رؤيته في ذلك الأمر من خلال ورقة عمل شاملة ، فتبنت الحلقة معظم ما جاء في تلك الورقة وطلب الدكتور النجار ضم المقترحات الكويتية في هذا الصـــدد الى ورقة مركز دراسات الخليج العربي بالبصرة ٠٠

وتم الاتفاق في هذا الاجتماع على اقامة معرض للمطبوعات والوثائق والمخطوطات التي تنشرها أو تقتنيها المراكز المختلفة على أن يصاحب ذلك المعرض دورات انعقاد الأمانة العامة المقبلة ٠٠

واتفق أيضا على ضرورة انضمام الأمانة العامة لعضوية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية مع تكليف الأمين العـام باتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك ٠٠

وبحث الطلبان المقدمان من كل من مركز الخليج للدراسات العربية التابع لدار الخليج للصحافة والطباعة والنشر ومكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض للانضمام الى عضوية الأمانة العامة للمراكز والهيئـات ورؤي ارجاء النظر فيهما الى أن يتم اعداد لائحة خاصة بقواعد وشروط انضمام مؤسسات أو مراكز أخرى الى عضوية الأمانة على أن تحدد فيهـــا صفة الانضمام ٠٠

وقد انتهى الاجتماع في تمام الساعة السادسة والنصف مساء ٠٠

ثانيـــا : التوصـــيات

بناء على المناقشات التي دارت في جلسات العمل الثلاث والتي طرحت فيها الكثير من الآراء والأفكار المتعلقة بموضوعات جدول الأعمال ــ وافق المجتمعون على ما يأتي :

أولا ــ في مجال دعم التعاون بين المراكز والهيئات العلمية الثمانية الأعضاء :

اتفقت آراء المجتمعين على أهمية توثيق الروابط بين المراكز والهيئات المعنية بدراسات الخليج والجزيرة العربية من أجل زيادة فاعلية كل منها ووصولا الى تحقيق صيغة ايجابية للعمل المشترك ٠٠٠ وقد رأى المجتمعون أن هذا التعاون يمكن أن يتم بالطرق والوسائل التالية :

١ ــ تبادل القوائم الببليوجرافيـــة بمقتنيات مكتبات المراكز من مصادر ووثائق ، ومخطوطات ومطبوعات عربية وأجنبية ، ودوريات كخطوة أولى لاعداد دليل ببليوجرافي موحد ٠٠٠

٢ ــ تبادل الخرائط والصور الجوية عن كل دولة من دول المنطقة من أجل اعداد دليل كرتوجرافي موحد ٠٠٠

٣ ـ تبادل المصادر الاحصائية في المجالات ـ السكانية ـ والبترولية والاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها ، تمهيدا لاصدار الكتاب السنوي الاحصائي الموحد لكي يمثل تجسيدا عمليا للتعاون العلمي ٠

٤ ـ دعم مركز الدراسات والبحوث اليمني عن طريق تولي الأمانة العامة طباعة بعض منشوراته ، وتزويده باحتياجاته من الخبرات الممكنة ، وذلك بعد أن يحدد هذا المركز احتياجاته في طلب مفصل ٠٠

وقد أبدى مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة استعداده للقيام بطباعة كتابين على نفقته ، من بين الأعمال العلمية التي أنجزها مركز دراسات البحوث اليمني ٠

٥ ـ أن تقوم الأمانة العامة بمعاونة المراكز الأعضاء باتاحة فرص التدريب للكوادر المحلية ، وذلك في مجال التوثيق من خلال الاتصال بالمؤسسات الاقليمية والدولية المختصة في هذا المجال ٠

٦ ـ يوصي المجتمعون باطلاق اسم « الدورة » على الاجتماعات السنوية للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، بدلا من « حلقة » في عام ١٩٨٢م ٠

٧ ـ تم الاتفاق على أن يكون موعد الحلقة المكتبية التي ستعقد بمركز دراسات الخليج العربي بالبصرة ، خلال شهر يناير عام ١٩٨٢م مع التوصية بارسال ورقة عمل الى المراكز لاضافة مايرونه من مقترحات ٠

٨ ـ الموافقة على اقتراح الأمانة العامة باقامة معرض للوثائق والمخطوطات والمطبوعات التي تقتنيها المراكز والهيئات خلال انعقاد كل دورة ، ابتداء من الدورة المقبلة ٠٠ وكذلك المشاركة في معارض الكتب السنوية بجناح يحمل اسم الأمانة العامة ، وتعرض به نماذج من مطبوعات جميع المراكز والهيئات ٠

٩ ـ التوصية بضرورة الاهتمام بالوثائق المعاصرة واتخاذ جميع السبل الكفيلة بالمحافظة عليها ٠ وحث الدول المعنية بوضع القوانين والتشريعات اللازمة التي تكفل تحقيق ذلك ٠

ثانيا ـ في مجال المشروعات المشتركة :

نوقشت في الجلسات الثلاث مجموعة من المشروعات المشتركة التي تم اقرارها في دورات الانعقاد السابقة ـ ووافق المجتمعون على مايأتي :

١ ـ العمل على دعم مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة فيما يقوم به من جهد في اعداد الدليل الموحد للشخصيات العلمية المعاصرة ، وذلك بتزويده ، بقوائم كاملة يعدها كل من المراكز الأعضاء ، وفق المواصفات الموضوعة لهذا الغرض ٠

٢ ـ تقوم دارة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية باعداد ورقة عمل متكاملة حول موسوعة الخليج والجزيرة العربية ، تحدد منهاجها ، وأهدافها ومحتواها العلمي ، وتقديمها الى الأمانة العامة ، تمهيدا لعرضها في الدورة السادسة ٠

٣ ـ تتولى دارة الملك عبد العزيز طبع الكتاب السنوي الأول الذي يضم بحوثا قدمتها المراكز الأعضاء ، على أن يصدر هذا العمل حاملا اسم الأمانة العامة ، ويشار في صدره الى دور الدارة في طبعه على نفقتها ٠

٤ ـ الموافقة على المضي قدما في مشروع أطلس الخليج والجزيرة العربية في مراحل متتالية تبدأ أولاها بالأطلس التاريخي وفق الشروع المقدم من مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، مع مراعاة أن تشمل المعالجة كل أنحاء المنطقة ، والترحيب بتولي مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية الاشراف على تنفيذ هذا المشروع ، على أن تبادر المراكز الأعضاء بتزويد المجلة بما يتوافر لديها من مادة علمية (وثائقية ، أو خرائطية ، أو مخطوطات) وعلى أن يتبع في أسلوب التنفيذ اعداد لوحات مستقلة ، وعرض ماينجز منها في اجتماعات الأمانة أولا بأول لاقرار اصداره ٠٠٠

ثالثا ـ في مجال العلاقات العربية والخارجية :

١ ـ التوصية بأن تتولى الأمانة العامة اعداد قائمة بالمؤتمرات المحلية والاقليمية والدولية التي تتناول قضايا المنطقة وتوزيعها على المراكز والهيئات وتنسيق التمثيل والمشاركة لتأكيد الحضور العربي الخليجي في مثل هذه اللقاءات ٠

٢ ـ التوصية بتبادل التقارير التي يعدها ممثلو المراكز الذين يشاركون في مؤتمرات محلية ، أو اقليمية ، أو دولية ٠

٣ ـ التأكيد على أهمية اقامة علاقات وثيقة بكافة المؤسسات والهيئات الحكومية وغير الحكومية المعنية بدعم وتعزيز التعاون بين دول المنطقة كصناديق التنمية ومراكز البحوث والمكاتب الاقليمية للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة ٠

٤ ـ توثيق الروابط بالمجلس الدولي للوثائق والاستعانة بخبرته الفنية وبقدرته في مجال التدريب ، وحث الأمين العام على تدعيم التواصل مع هذا المجلس ٠

٥ ـ اقامة جسور من العلاقات مع مكاتب الجامعة العربية في المنطقة ، والمراكز الاقليمية التي تتبع منظماتها المتخصصة (كمنظمة العمل

العربية ، ومجلس الوحدة الاقتصادية ، واتحاد الجامعات العربية ، واتحاد الاذاعات الخليجية ··· وغيرها) ·

٦ ــ تكليف الأمين العام باتخاذ مايلزم من اجراءات لانضمام الأمانة العامة للمراكز والهيئات الى عضوية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، وذلك وفق القواعد المعمول بها في هذه المنظمة ·

٧ ــ التوصية بعقد مؤتمر موسع كل عامين يستهدف رصد وتحليل احتمالات التطور المستقبلية ، ونحن نستشرف نهاية القرن العشرين · وخاصة في مجالات التنمية بشمولها ··· وعلى ضوء المتغيرات الاقليمية والعالميـــة المتوقعة الحدوث ·

٨ ــ وضع مخطط متكامل لحصر المصادر الخارجية للوثائق والمخطوطات التي تتناول المنطقة ، وتقسيم العمل بين المراكز الأعضاء ، وأن يناط بكل مركز اجراء الحصر والاستنساخ والتصوير في عدد من هذه الأماكن ···

على أن تتولى الأمانة العامة برمجة هذا العمـــل على نحو دقيق يتيح للمراكز تجميع واسترداد الوثائق والمخطوطات النادرة الموجودة بالخارج ·

وقد تم الاتفاق بصورة مبدئية على أن يعقد الاجتماع القادم في دولة قطر بدلا من البحرين نظرا لانشغال البحرين بعقد مؤتمر تاريخي خلال هذه الفترة ، ويتم ذلك في مطلع عام ١٩٨٢م (١٤٠٢هـ) وعلى أن يقـــوم مركز الوثائق التاريخية بدولة قطر باشعار الأمانة بامكانية استضافة هذا الاجتماع بعد مراجعة المسئولين في دولة قطر الشقيق ·

وفي نهاية الاجتماع قرر المجتمعون توجيه برقيات شـــكر الى جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، والى سمو ولي عهده الأمير فهد بن عبد العزيز ، والى سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز ، والى معالي الشيخ/ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز على ما لمسوه من رعاية وترحيب وكرم ضيافة ·· وتوجيه الشكر الى سعادة/ الدكتور الأمين العام للمراكز والهيئات العلمية الدكتور/ مصطفى النجار ومعاونيه على مابذلوه من جهد ·· وكذلك توجيه الشكر لسـعادة الشيخ/ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ وللمسئولين بالدارة على جهودهم الطيبة في انجاح الحلقة ·

وبالله التوفيق ؟

أسماء أعضاء الوفود المشاركة
في اجتماعات الحلقة الخامسة للمراكز
والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج
العربي والجزيرة العربية المنعقدة بدارة
الملك عبد العزيز

خلال الفترة من : ١٦ ـ ١٨/٦/١٤٠١هـ
٢٠ ـ ٢٢/٤/١٩٨١م

م	اسم الدولة	اسم المركز أو الهيئة	أسماء الوفود
١	دولة الامارات العربية المتحدة (أبو ظبي)	مركز الوثائق والدراسات	١ ـ الدكتور محمد مرسي عبد الله ـ مدير المركز ٢ ـ الدكتور عبد الله محمد مصطفى أبو عزه نائب المدير
٢	البحرين	مركز الوثائق التاريخية	١ ـ الدكتور علي عبد الرحمن أبا حسين ـ مدير المركز ٢ ـ الأستاذ أحمد بن محمد ابن عيسى الغتم ـ المدير المساعد للشئون المالية والادارية •
٣	المملكة العربية السعودية	دارة الملك عبد العزيز	١ ـ الأستاذ/ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ رئيسا ٢ ـ الأستاذ/ عبد الله الحقيل عضوا ٣ ـ الأستاذ/ عبد الرحمن السراء عضوا ٤ ـ الأستاذ/ حمد عبدالرحمن العمرو عضوا ٥ ـ الأستاذ/ عبد الواحد محمد راغب عضوا

م	اسم الدولة	اسم المركز أو الهيئة	أسماء الوفود
٤	العراق	مركز دراسات الخليج العربي ـ جامعة البصرة	١ ـ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار مدير المركز والأمين العام للمراكز والهيئات العلمية ٢ ـ الدكتور قحطان سليمان الناصري ٣ ـ الدكتور فاروق العمر ٤ ـ الأستاذ/ عقيل الجزائري
٥	دولة قطر	مركز الوثائق التاريخية	١ ـ الأستاذ/أحمد عبدالمحسن العناني رئيس قسم الوثائق والأبحاث ٢ ـ الأستاذ أحمد محمد القطان
٦	الكويت	مجلة دراسات الخليج	١ ـ الدكتور/ عبد الله يوسف الغنيم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ٢ ـ د. محمد صفي الدين أبو العز
٧	الجمهورية العربية اليمنية (صنعاء)	مركز الدراسات والبحوث اليمني	١ ـ الدكتور سيد مصطفى سالم ٢ ـ الأستاذ عبد الباري طاهر ٣ ـ الأستاذ عبد الرحمن علي الأمير
٨	سلطنة عمان مسقط	دائرة المحفوظات والمؤلفات العمانية	لم يحضر أحد
٩	جامعة الامارات العربية المتحدة	مركز البحوث والدراسات الخليجية « كعضو مراقب »	الدكتور خالد الحامض

آثار الشيخ عبد الرحمن بن حسن

مجدد الدعوة الإصلاحية في نجد

للأستاذ : أحمد بن حافظ الحكمي

كتاب الجنائز : (ص ٢٤٣ ـ ٢٩٣) :

٧٤ ـ جواب سؤال عن الذين اذا مرض أحدهم يحفــون ويحوطون فيقرأون شيئا من الآيات بحساب وأعــداد ، فاذا انتهى قالوا : يا قاضي الحاجات : (ص ٢٤٣) ـ الجواب في ٤ أسطر تقريبا ٠

٧٥ ـ رد له لقول من قال بجواز بناء المساجد على القبور ، والتعلق بأرواح أصحابها من وجوه : (ص ٢٥٤ ـ ٢٧٠) :

ـ الوجه الأول : (ص ٢٥٤ ـ ٢٥٨) ٠
ـ الوجه الثاني : (ص ٢٥٨ ـ ٢٦٠) ٠
ـ الوجه الثالث : (ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣) ٠
ـ الوجه الرابع : (ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤) ٠
ـ الوجه الخامس : (ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥) ٠
ـ الوجه السادس : (ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧) ٠
ـ الوجه السابع : (ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨) ٠
ـ الوجه الثامن : (ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠) ٠

٧٦ ـ جواب له يتعلق بالذهاب الى المقابر التي بنيت عليها القباب وأوقدت فيها المصابيح : (ص ٢٧٠) ـ في ٦ أسطر ٠

٧٧ ـ جواب له يفيد أن بناء القباب على القبور واسراجها وســيلة الى عبادتها والخضوع له ٠٠٠ الخ : (ص ٢٧١) ـ في ٣ أسطر ٠

٧٨ ـ جواب سؤال عن الآذان والقراءة عند القبر بعد دفن الميت : (ص ٢٨٠) ـ في ٦ أسطر ٠

٧٩ ـ جواب سؤال عن بدعية تصــدق أقارب الميت وذبحهم الذبائح ودعوة الناس : (ص ٢٨٥) ـ في ٥ أسطر ٠

٨٠ ـ جواب سؤال عن قوله صلى الله عليه وسلم : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) هل عمت الرخصة النساء ؟ أم الخطاب خاص للرجال ؟ : (ص ٢٩٠) ـ في ٦ أسطر .

٨١ ـ جواب سؤال عن دعاء الزائر عند القبر بقوله : (يا ربنا بحرمة نبيك ووليك اقض حاجتي .. الخ) (ص ٢٩٠ ـ ٢٩١) .

كتاب الزكاة : (ص ٢٩٤ ـ ٢٤٠) :

(فصل في زكاة الحبوب والثمار) :

٨٢ ـ قول له حول تحريم أخذ الزكاة من الحبوب والثمار التي ما بلغت النصاب : (ص ٣٠٢) .

(فصل في اخراج الزكاة) :

٨٣ ـ جواب له عن قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تستحلفوا الناس على صدقاتهم) (ص ٣٢٥) ـ في ٥ أسطر .

٨٤ ـ جوابه عن سؤال دار حول قول شارح (بلوغ المرام) على قوله (أو غاز في سبيل الله) ويلحق به من كان قائما بمصلحة عامة ... الخ : (ص ٣٣٤) ـ في ٤ أسطر .

كتاب الصيام : (ص ٣٤٠ ـ ٣٩٠) :

٨٥ ـ رده على ابن منصور تشنيعه على من نهى عن صوم الشك (يوم الثلاثين من شعبان اذا حال دون مطلع الهلال غيم أو قتر ، وذكر الأدلة على عدم وجوب صومه ، فقد زعم ابن منصور أن صيامه بنية رمضان واجب جزما : (ص ٣٤٠ ـ ٣٥٠) .

٨٦ ـ جواب له عن (مسألة الفطر للمسافر في رمضان والصيام) : (ص ٣٨٢) ـ في ٧ أسطر .

٨٧ ـ جوابه عن سؤال ما يخص به المولد من النحر ، وما يفعل في السابع والعشرين من رجب من تخصيصه بالصوم والنحر ، وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من النحر وصيام اليوم ، وما يخص به يوم عاشوراء من النحر) : (ص ٣٨٩) الجواب في ٨ أسطر .

كتاب الحج : (ص ٣٩٠ ـ ٤١٧) :

٨٨ ـ جواب له يتعلق بمن له الاستنابة في الحج : (ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣) .

٨٩ ـ جواب له حول ماوقع من بعض الحجاج أنهم تركوا طواف الافاضة .. الخ : (ص ٣٩٣) .

٩٠ ـ جواب له عن المال الذي يجعـــل لمن ينوب في الحج ٠٠ : (ص ٣٩٥ ـ ٣٩٦) ٠

٩١ ـ قول له نشره لطلبة العلم ولمن سأله من عوام المسلمين أنهـا لا تصح بالنيابة في الحج اذا أخـــذ ما أوصى به الموصى الا اذا أخـــذ ليحج ٠٠٠ الخ : (ص ٣٩٦) ـ في ٩ أسطر ٠

٩٢ ـ قول له يوضـــح فيه صفة ما يقـــول النائب في الحج : (ص ٣٩٨) ٠

٩٣ ـ جواب سؤال عن (من حمل الرافضة الى مكة) : (ص ٣٩٨) ـ في أقل من سطرين ٠

٩٤ ـ جواب سؤال عن (الحائض اذا قدمت مكة ، هل تسعى قبل الطواف ؟) : (ص ٤٠٠ ـ ٤٠١) ٠

٩٥ ـ جواب عن سؤال نصـــه : (اذا شهد عدول برؤية هـلال ذي الحجة ولم ير ليلة احدى وثلاثين ٠٠٠ الخ : (ص ٤٠٢) ـ الجواب في ٦ أسطر ٠

٩٦ ـ جواب له عن قولهم : (أركان الحج : الوقـــوف ، وطواف الزيارة ٠٠ الخ) (ص ٤٠٤) ٠

٩٧ ـ جواب سؤال هو : (من نفر من الحج ولم يطف طواف الزيارة والسعي ، ثم أراد السفر لقضاء ماتركه ، فهل يحرم بعمرة مفردة ، ثم يأتي بما بقى عليه ؟ ٠٠٠ الخ (ص ٤٠٥) ـ الجواب في ٨ أسطر ٠

٩٨ ـ جواب له حول (السفر الى قبور الأنبيـــاء والصالحين) : (ص ٤٠٨ ـ ٤٠٩) ٠

ج ٥ ، ٦ في مجلد واحد ، بأرقام متسلسلة تضمهما معا :

كتاب البيع : (ص ٣ ـ ٢٤٣) :

٩٩ ـ جواب سؤال عن بسكوت المرأة عن بيع نصيبها من العقـار ، هل يوجب صحة البيع أم لا ؟ : (ص ٥) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

١٠٠ ـ جواب سؤال عن من باع شيئا من عقار بيت المال حال وضع يده عليه ثم رجعت في بيت المال ، هل يحـــكم برد الثمن ؟ : (ص ٧) ـ الجواب في أقل من سطر ٠

١٠١ ـ تعليق له على أجوبة مختصرة لأعمـــامه : (ص ١٦) ـ في نحو سطرين ٠

١٠٢ ــ جــواب له عن سؤال يتعلق بالاحتــــكار : (ص ١٨) ــ في نحو سطر واحد ٠

(باب الخيــار) :

١٠٣ ــ جواب له حول (تلقي الركبان للمشترى منهم ما جلبوه) : (ص ٣٣) ــ الجواب في نحو سطر واحد ٠

١٠٤ ــ جواب يتعلق بخلط البر بالشعير : (ص ٣٣) ــ الجواب في سطر واحد ٠

١٠٥ ــ جواب سؤال عن (حكم عيب الجرب) : (ص ٣٥) ــ في نحو سطرين ٠

١٠٦ ــ جواب له عن قولهم : (اذا انقصت الناقة بالاستعمال والثوب كذلك) : (ص ٤٠) ــ في نحو سطرين ٠

١٠٧ ــ جواب فيما اذا اختلف المتبايعان والسلعة تالفة : (ص ٤٥) ــ في نحو ثلاثة أسطر ٠

١٠٨ ــ جواب ســـؤال عن (من باع طعاما قبل قبضه وجعــل ميزانين ٠٠٠ الخ) (ص ٤٦ ــ ٤٧) ٠

١٠٩ ــ جواب له عن قولهم : (ومؤنة رد مبيع تقايلاه على بائع) : (ص ٤٩) ــ في نحو سطر واحد ٠

(باب الربـا) :

١١٠ ــ قول طويل حول (تحريم الربا وأكله) : (ص ٥٠ ــ ٥٤) ٠

١١١ ــ جواب من سأله عن (بيع النوى بحب أو تمر) : (ص ٥٨) ــ في ٩ أسطر وزيادة ٠

١١٢ ــ جواب له حول مسألة (بيــع مد ودرهم بدرهمــين) : (ص ٥٩) ــ في ٨ أسطر ٠

١١٣ ــ جواب سؤال عن (بيع اللحم بالطعام نسيئة) : (ص ٦٠) ــ في ٧ أسطر ٠

١١٤ ــ جواب له عن (قلب الدين على المدين) : (ص ٦٥ ــ ٦٦) وهو لا يخلو من ثلاثة أحوال :

الحال الأول : أن يضيق المال عن الدين ، الحال الثاني : أن يكون ماله أكثر من دينه ، الحال الثالث : أن يكون عليه دين وفي يده مال ٠

١١٥ ـ جواب سؤال عن رجل اشترى تمرا بنسيئة من آخر ، ثم رده عليه عما في ذمته : (ص ٦٦) ـ في نحو ٤ أسطر ٠

١١٦ ـ جواب سؤال عن (من عليه دين لآخر فأسلم عليه دراهم قضى دينه منها) : (ص ٦٦ ـ ٦٧) ـ في نحو ٣ أسطر ٠

١١٧ ـ جواب له عن (اذا وقع عقد فاسد في معاملة في الاسلام قد انقضت بالتقابض في أكثرها ٠٠٠ الخ : (ص ٧١ ـ ٧٢) ٠

١١٨ ـ جواب له بالمشاركة مع عمه الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب يتعلق بـ (الجدد لما رخصت وصار فيها من الفضة أكثر مما في الريالات المقابل لها في المصارفة) : (ص ٧٣) ـ في ٥ أسطر ٠

١١٩ ـ قول طويل تحدث فيه عن ما عمت به البلوى بين العوام من الجهال الاعتياض بالنقود المسماة بالجدد عن الريال ، وقد ورد عليه وهو بالديار المصرية من بعض أعيان البلاد النجدية كتاب يتضمن السؤال عن ذلك ، فأجاب عليه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ولما عاد الشيخ عبد الرحمن فصل القول في ذلك في هذا الجواب : (ص ٧٤ ـ ٧٦) ٠

١٢٠ ـ قول له يتعلق بصرف الفلوس التي فيها فضة بدراهم : (ص ٧٦ ـ ٧٧) ـ في ٩ أسطر ٠

١٢١ ـ قول له عن معنى المكسرة في كلام الفقهاء) : (ص ٧٧) ـ في نحو ٣ أسطر ٠

١٢٢ ـ جواب سؤال عن (من أراد أن يسعر ببعض الريال (نصفه) وصرف باقيه) : (ص ٧٧) ـ الجواب في نحو ٤ أسطر ٠

(باب بيع الأصول والثمار) :

١٢٣ ـ جواب سؤال عن (استثناء حمل النخل قبل اطلاعه) : (ص ٨٣) ـ الجواب في ٣ أسطر ٠

١٢٤ ـ جوابه عن (قوله في النخل : أن تحمار وتصفار ٠٠٠) : (ص ٨٧) ـ في نحو سطر وقليل ٠

(باب السلم) :

١٢٥ ـ جواب سؤال عن (من اذا أسلم الى آخر في طعام معلوم ، ثم

طلب منه أن يبيع عليه أرضا يملكها بدين السلم المذكور في مجلس عقد السلم) : (ص ٩٢) ـ الجواب في نحو سطر واحد ·

١٢٦ ـ جوابان له حول بيع دين السلم قبل قبضه وبعده : (ص ٩٦ ، ٩٦ ـ ٩٧) ـ الجوابان في نحو ٤ أسطر ·

١٢٧ ـ جواب سؤال عن أخذ دابة ونحوها عما في الذمة ··· الخ : (ص ٩٨) ـ في سطرين وقليل ·

١٢٨ ـ جواب سؤال عن (من اشترى تمرا نسيئة من غريمه ثم رده عليه عما في ذمته) : (ص ١٠٣) ـ الجواب في ٤ أسطر ·

١٢٩ ـ جواب له مع عمه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب يتعلق بأخذ الثمار في السلم خرصا (ص ١٠٥) ـ في نحو سطرين ·

١٣٠ ـ جواب له عن (أخذ بعض دين السلم خرصا) : (ص ١٠٥ ـ ١٠٦) ـ في نحو سطرين ·

١٣١ ـ جواب له آخر عن ذلك أوله : « باب اذا قاصه أو جازفه في الدين فهو جائز ·· الخ » : (ص ١٠٦) ·

١٣٢ ـ جواب سؤال هو : « اذا خاف صاحب الدين عدم الوفاء فطلب من الغريب أن يعطيه الثمرة عما في ذمته » : (ص ١٥٦) ـ الجواب في ٩ أسطر ·

(باب القرض) :

١٣٣ ـ جوا بسؤال عن (صاحب السفينة اذا أقرض أجيره وقوله سلفني ··· الخ) (ص ١١٧) ـ في نحو سطر واحد ·

(باب الرهن) :

١٣٤ ـ جواب سؤال عن (من اذا رهن نخله أو زرعه واحتاج لما يصلح الرهن وامتنع المرتهن من مداينته) : (ص ١٢٢ ـ ١٢٤) ·

١٣٥ ـ جواب له أيضا حول (الصحيح من أقوال العلماء أن القبض والاستدانة شرط للزوم الرهن) : (ص ١٢٤ ـ ١٢٦) ·

١٣٦ ـ جوابه حول مسألة الرهن : (ص ١٢٦) ـ في ٦ أسطر ·

١٣٧ ـ جوابه عن (قبض العقار في الرهن كغيره) : (ص ١٣٠) ـ في نحو سطرين ·

(باب الحوالة) :

١٣٨ ـ جواب له عن ما اذا أحال انسان آخر ، ولم يعلم بذلك حتى قضاه دينه أو قضى من أحاله عليه ثانيا : (ص ١٣٧ ـ ١٣٨) ـ الجواب في ٥ أسطر ٠

١٣٩ ـ جواب له عن (براءة ذمة المدين عند الدفع) : (ص ١٣٨) ـ في أربع أسطر ٠

(باب الصلح) :

١٤٠ ـ جواب سؤال بعضهم : (اذا غير الطريق النافذ مسجدا هل هو جائز أم لا ؟) : (ص ١٤٠) ـ في ٧ أسطر ٠

(باب الحجر) :

١٤١ ـ جواب سؤال عن (من اذا استأجر أرضا للزرع ونحوه ثم رهنه ، فقصرت الثمرة عن الدين وأجرة العامل وغيره) : (ص ١٥١) ـ الجواب في نحو ٣ أسطر ٠

(باب الوكالة) :

١٤٢ ـ جواب سؤال عن (الأب اذا عجز عن القيام في أمور دنياه ، وأقام أحد أبنائه العدول الموثوق فيهم ، وجعله وكيلا على ما قاله) : (ص ١٥٤) ـ الجواب في نحو ٣ أسطر ٠

(باب الشركة) :

١٤٣ ـ جواب سؤال عن (من اذا جعل قيمة العروض رأس مال المضاربة) : (ص ١٦١) ـ الجواب في نحو ٤ أسطر ٠

١٤٤ ـ جواب سؤال يتعلق بمن أخذ من رأس المال شيئا أو خسر ففسخ العامل ، هل عليه أن يعمل فيه حتى يكمل رأس المال ؟ : (ص ١٦٢ ـ ١٦٣) ـ الجواب في ٩ أسطر ٠

(باب المساقات) :

١٤٥ ـ قول له عن (ما اذا جعلوا للعامل بعض الأرض) : (ص ١٦٤) ٠

١٤٦ ـ جواب سؤال في حكم ما ينبت على ماء المساقي أو المستأجر من الشجر لمن يكون ؟ : (ص ١٦٦) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

١٤٧ ــ جواب سؤال أوله : (عن رجل غرس أرضا وقفا ، وادعى تملكها ، وأخذ مدة يستغلها ، ثم ثبتت وقفيتها بعد ذلك ٠٠ الخ) : (ص ١٦٧ ــ ١٦٨) ــ الجواب في ٥ أسطر ٠

١٤٨ ــ جواب له عن سؤال يتعلق بقول صاحب الانصاف نقلا عن الفروع في جواز اجازة الشجر مفردا ٠٠ الخ : (ص ١٧٠ ــ ١٧١) ٠

١٤٩ ــ جواب سؤال نصه (هل حكم المزارعة والاجارة واحد ، وهل العقد لازم أم لا ؟) : (ص ١٧٢) ــ في نحو ٤ أسطر ٠

١٥٠ ــ جواب سؤال عن أرض سبل في ملك انسان ٠٠٠ الخ : (ص ١٧٧) ــ الجواب في نحو سطر واحد ٠

١٥١ ــ جواب في عقار الوقف : (ص ١٧٩) ــ في نحو سطر واحد ٠

١٥٢ ــ قول له يتعلق بالوقف الذي ينزل به ضيف من الناس النائين عن البلد : (ص ١٧٩) ــ في سرين وزيادة ٠

(باب الاجارة) :

١٥٣ ــ قول يتعلق باجارة الأرض بحث معلوم وجزء من التبن : (ص ١٨١) ــ في ٣ أسطر وقليل ٠

١٥٤ ــ جواب سؤال عن رجل أجر وقفا ثم مات : (ص ١٨٦) ــ الجواب في نحو ٤ أسطر ٠

١٥٥ ــ جواب سؤال عن (من غرس أرضا مستأجرة للغراس ومضت مدة الاجارة ٠٠٠ الخ) : (ص ١٨٨) ــ الجواب في ٦ أسطر ٠

١٥٦ ــ جواب سؤال (ما اذا ترك الأجير شيئا مما التزم به ٠٠٠ الخ) : (ص ١٩٢) ــ في نحو ٣ أسطر ٠

(باب الغصب) :

١٥٧ ــ جواب له فيه بعض مشاركة مع عمه الشيخ عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب يدور حول (ما يأخذه الاعراب ممن هو مثلهم) : (ص ٢٠٣) ــ في ٩ أسطر ٠

١٥٨ ــ جواب سؤال نصه : (ما حكم مال المسلم اذا أخذه الكفار ثم اشتراه بعض التجار ؟) : (ص ٢٠٣ ــ ٢٠٨) ٠

١٥٩ ـ جواب سؤال عن حديث عمران بن حصين في قصة العقيلي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (بم أخذتني وأخذت سابقة الحاج ؟ ٠٠ الخ) : (ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢) ٠

١٦٠ ـ جواب له حول ما يفعله بعض الأمراء بنجد من أخذ ابن العم بجريرة ابن عمه أو غير ابن عمه من الأصول والفروع ، هل له مستند شرعي أو لا مستند له ؟ : (ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣) ثم تذييل عليه لابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن : (ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤) ٠

(باب الشفعة) :

١٦١ ـ جواب له عن (شريك الأصل أحق من شريك المصالح ٠٠٠ الخ : (ص ٢٢٧) ـ في نحو سطرين ٠

١٦٢ ـ جواب له حول الشفعة بالمصالح ٠٠٠ الخ ، وشيء تابع له مكمل لبعضه : (ص ٢٢٧) ـ في نحو ٥ أسطر ٠

١٦٣ ـ قول له يؤكد به قولا للشيخ عبد العزيز بن حسن حول (الشفعة ببيت المال) : (ص ٢٢٩) ـ في أقل من سطرين ٠

(باب احياء الموات) :

١٦٤ ـ قول له يؤكد به ما أمضاه عبد العزيز بن عثمان حول (سيل ٠٠٠) : (ص ٢٣٩) : في نحو سطر ونصف ٠

(باب الجعالة) :

١٦٥ ـ جواب سؤال عن (من التقط لقطة وكتمها ليبذل له جعل) : (ص ٢٤١) ـ الجواب في نحو ٣ أسطر ٠

كتاب الوقف : (ص ٢٤٤ ـ ٢٨٧) :

١٦٦ ـ جواب سؤال عن (مراعاة شرط الواقف) : (ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧) ـ الجواب في ٥ أسطر وقليل ٠

١٦٧ ـ جواب يتعلق بالوقف اذا كان جزءا مشاعا معلوما ، أو كان مقدما في غلة ٠٠٠ : (ص ٢٥٤) ـ في نحو ٥ أسطر ٠

١٦٨ ـ رسالة له الى أحدهم تتعلق بـ (الوقف) : (ص ٢٥٤ـ٢٥٥) ٠

١٦٩ ـ جواب حول قسم نخل المغارسة اذا كان أصلح للوقف : (ص ٢٥٥) في أقل من سطر ٠

١٧٠ ـ جواب له عن (من وقف على ذريته الذكور ٠٠٠ الخ) : (ص ٢٦٦) في نحو ٦ أسطر ٠

١٧١ ـ جواب سؤال عن (رجل وقف على الضعفاء من عياله وأقاربه) : (ص ٢٦٧) ـ الجواب في سطرين ٠

١٧٢ ـ جواب سؤال عن (من وقف على أولاده ٠٠٠ الخ) : (ص ٢٦٨) ٠

١٧٣ ـ صورة وقف أفتى فيه الشيخ عبد الرحمن ، ونص قوله : (ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩) ـ صورة الوقف والفتوى في نحو ٤ أسطر ٠

١٧٤ ـ جواب سؤال عن (رجل وقف على الضعفاء من عياله وأقاربه) : (ص ٢٧١) ـ الجواب في ٣ أسطر ٠

(باب الهبة والعطية) :

١٧٥ ـ جواب سؤال عن امرأة دفعت حليها الى ابنتها تجمل به لزوجها ، وهم في بيت واحد ، فكانت تستعمله في حياة أمها ، فلما ماتت ادعت البنك استحقاقه بذلك) : (ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧) ـ الجواب في نحو ٧ أسطر ٠

١٧٦ ـ جواب سؤال عن (ما اذا كان لرجل أرض ووهبها لابنه الصغير) : (ص ٢٧٨) ـ الجواب في نحو ٣ أسطر ٠

١٧٧ ـ جواب سؤال نصه : (اذا فضل الوالد بعض أولاده لمعنى فيه كفقر أو نحوه ٠٠) : (ص ٢٨١) ـ في أقل من ٣ أسطر ٠

كتاب الوصايا : (ص ٢٨٧ ـ ٢٩٨) :

١٧٨ ـ جواب سؤال عن (من أوصى لبعض ولده بقصد التعديل ٠٠٠ الخ) : (ص ٢٩٠ ـ ٢٩١) ـ الجواب في ٩ أسطر وقليل ٠

١٧٩ ـ جواب سؤاب عن (من أمضى بثلث ماله على أعمال بر وذريته ضعفاء) : (ص ٢٩٤) ـ الجواب في ٤ أسطر ٠

١٨٠ ـ جواب سؤال عن (من له مائة وخمسون وقد أوصى لرجل بثلث ماله ولآخر بعشره) : (ص ٢٩٦) ـ الجواب في سطرين ٠

كتاب الفرائض : (ص ٢٩٨ ـ ٣٠٩) :

١٨١ ـ جواب له يتعلق بمسألة الجد والاخوة : (ص ٣٠٢) ـ في نحو سطرين ٠

١٨٢ ـ جواب سؤال عن (من ادعت أن زوجها أبانها وأقامت معه حتى مات ٠٠ الخ) (ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩) ـ الجواب في أقل من ١٠ أسطر بقليل ٠

١٨٣ ـ جواب له فيما يتعلق ببطلان العقد اذا ثبت الرضاع بين زوجين : (ص ٣٠٩) ـ في أكثر من سطرين بقليل ٠

كتاب العتق : (٣٠٩ ـ ٣١٥) :

١٨٤ ـ جواب سؤال عن (من دبر عبده أو أمته ثم بدا له أن ينجز عتقه فأعتق المدبر واشترط خدمته مدة حياته : (ص ٣١٤) ـ الجواب في نحو ٦ أسطر وقليل ٠

ج ٦ ـ كتاب النكاح : (٣١٩ ـ ٣٧٤) (١) :

١٨٥ ـ جواب له عن سؤال : (اذا قال ولي البكر : استأمرتها فلم تتكلم وشاهد الحال قد قرر ذلك ٠٠ الخ) : (ص ٣٢٢) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

١٨٦ ـ جواب له يتعلق بالاستشهاد على العقد : (ص ٣٢٥) ـ في نحو سطر واحد ٠

(باب المحرمات في النكاح) :

١٨٧ ـ جواب سؤال : (اذا انقضت أربع سنين هل تزوج ولو ارتابت في انتفاء الحمل) : (ص ٣٣٣) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

١٨٨ ـ جواب له يتعلق بالنكاح الفاسد : (ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨) ـ في نحو ٦ أسطر ٠

١٨٩ ـ جواب له يفرق فيه بين الباطل والفاسد : (ص ٣٣٨) ـ في ٩ أسطر ونصف ٠

(باب نكاح الكفار) :

١٩٠ ـ جواب سؤال عن (زوجة الكافر اذا كانت مسلمة ومات ، هل عليها عدة ؟) : (ص ٣٤١ ـ ٣٤٢) ٠

(كتاب الصداق) :

١٩١ ـ جواب سؤال يتعلق بمن عقد عليها ثم طلقت قبل الدخول : (ص ٣٤٥) ـ في نحو ٧ أسطر ٠

(باب وليمة العروس) :

١٩٢ ـ جواب سؤال هو : (ما قولكم فيمن يقول لمن شرب : هنيئا ، ويدعي جواز ذلك ٠٠ الخ) : (ص ٣٤٨) ـ الجواب في نحو ٧ أسطر ٠

١٩٣ ـ جواب له عن تقبيل يد السادة المنسوبين لأهل البيت : (ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣) .

١٩٤ ـ جواب سؤال عن (الدف في العرس) : (ص ٣٦٠) ـ الجواب في نحو سطرين .

(باب عشرة النساء) :

١٩٥ ـ جواب له عن (خروج النساء بالزينة .. الخ) : (ص ٣٦٥) ـ الجواب في نحو سطر واحد .

١٩٦ ـ جواب له عن سؤال يتعلق بالمرأة الناشز : (ص ٣٦٦) ـ الجواب في نحو ٧ أسطر .

كتاب الطلاق : (ص ٣٧٥ ـ ٤٠٧) :

١٩٧ ـ جواب له يتعلق عن قولهم : (يقع الطلاق في النكاح الفاسد ولا يقع في الباطل اجماعا) : (ص ٣٧٦) ـ الجواب في أكثر من ٥ أسطر .

١٩٨ ـ جواب عن طلاق الثلاث ووقوعه مفرقا أو مجموعا : (ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦) ـ في نحو ٩ أسطر .

١٩٩ ـ جواب سؤال لبعضهم عن قول الانسان لزوجته : الله يرزقك بالثلاث ناويا الطلاق ، ولكن لم يرد الثلاث : (ص ٣٨٨) ـ في سطرين .

٢٠٠ ـ جواب عن (كنايات الطلاق) : (ص ٣٩٠) ـ في ٣ أسطر .

٢٠١ ـ جواب سؤال عن (من حرم زوجته .. الخ) : (ص ٣٩٦) ـ الجواب في ٩ أسطر وقليل .

٢٠٢ ـ جواب له حول استعمال الناس الحلف بالطلاق : (ص ٣٩٨) .

(باب تعليق الطلاق بالشروط) :

٢٠٣ ـ جواب سؤال هو : (اذا قال شخص لزوجته : ان لم تقومي فأنت طالق ، أو قال لها : ان كنت تبغضيني فأنت طالق) : (ص ٤٠٤) ـ الجواب في ٤ أسطر وقليل .

كتاب الظهار : (ص ٤٠٧ ـ ٤١٢) :

٢٠٤ ـ جواب حول (مسألة المظاهر) : (ص ٤١٢) ـ في نحو ٣ أسطر .

٢٠٥ ـ جواب سؤال عن (كفارة ظهار المملوك هل هو كالحر ؟) (ص ٤١٢) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

كتاب العدد : (ص ٤١٢ ـ ٤٢١) :

٢٠٦ ـ جواب سؤال عن (من تزوج امرأة بلا ولي ، هل تعتد اذا طلقها ؟) : (ص ٤١٢) ـ الجواب في أقل من سطر ٠

٢٠٧ ـ جواب سؤال عن أكثر مدة الحمل ٠٠ وهل لها اذا انقضت أن تتزوج ولو ارتابت : (ص ٤١٥) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

٢٠٨ ـ جواب سؤال عن (المرأة يأتيها الدم ولا تحققت خروج الولد ، هل تبقى في عدة ولو أكثر من أربع سنين) : (ص ٤١٥) ـ الجواب في ٣ أسطر ٠

(باب النفقات : ٤٢٤ ـ ٤٢٦) :

٢٠٩ ـ جواب له عن سؤال يتعلق بزوجة مفقود تعذر الانفاق عليها من ماله : (ص ٤٢٦) : ـ الجواب في سطرين ٠

كتاب الديات : (ص ٤٣٦ ـ ٤٤٧) :

٢١٠ ـ جواب قولهم : (هل المرأة تعاقل الرجل حتى تبلغ ثلث الدية ؟) : (ص ٤٤٠) ـ الجواب في ١٠ أسطر ٠

كتاب الحدود : (ص ٤٤٧ ـ ٤٦٣) :

٢١١ ـ جواب حول المعاصي التي فيها الحد : (ص ٤٤٧ ـ ٤٤٨) ـ الجواب في نحو سطرين ٠

كتاب الأطعمة : (ص ٤٦٤ ـ ٤٨٤) :

٢١٢ ـ جواب سؤال عن الزعفران واستعماله في المأكل والمشرب : (ص ٤٦٦) ـ الجواب في أكثر من ٣ أسطر ٠

(باب الذكاة) :

٢١٣ ـ جواب سؤال عن ذبحة الكافر والمرتد اذا ذبحت للحم وذكر اسم الله عليها فهل هناك نص بتحريمها غير الاجماع ٠٠ الخ : (ص ٤٦٨ ـ ٤٦٩) ـ الجواب في نحو ٧ أسطر ٠

٢١٤ ـ جواب سؤال عن قوله في شرح الاقناع (اذا ذبح السارق المسلم أو الكتابي المسروق مسميا حل لربه ونحوه أكله ٠٠ الخ السؤال) : (ص ٤٧٤) ـ الجواب في نحو ٥ أسطر ٠

٢١٥ ـ جواب له عن قوله صلى الله عليه وسلم في شأن ذبيحة المرأة : (اطميه الاسارى) : (ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥) ـ الجواب في ٥ أسطر ٠

كتاب الأيمان والنذور : (ص ٤٨٤ ـ ٤٨٩) :

٢١٦ ـ جواب سؤال عن قول الحالف (وعهد الله) : (ص ٤٨٤) ـ الجواب في أقل من سطر ٠

٢١٧ ـ جواب سؤال عن (الطعام المنذور لغير الله ، هل هو حرام أم حلال ؟ وان كان حراما فبأي سبب حرم ؟) : (ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨) ـ الجواب في نحو ٨ أسطر ٠

٢١٨ ـ جواب له حول كفارة اليمين : (ص ٤٨٩) ـ في نحـــو سطرين ٠

كتاب القضاء : (ص ٤٨٩ ـ ٥١٦) :

(باب القســـمة) :

٢١٩ ـ جواب سؤال عن (قسم مسبل مشترك) ، هل هو على قدر الحصص أم على عدد النخل وسعة الأرض ؟) : (ص ٥١٠) ـ الجواب في أقل من سطر ٠

٢٢٠ ـ جواب له يتعلق بخرص النخل واعطائه للشريك ليأخذ مثله وقت الجذاذ : (ص ٥١١) ـ في نحو ٤ أسطر ٠

(باب الدعاوي والبينات) :

٢٢١ ـ جواب سؤال عن (مواريث كانت في الأصل فصارت اليوم في يد غير أهلها يتصرفون فيها تصرف الملاك) : (ص ٥١٢) ـ الجواب في نحو ٥ أسطر ٠

٢٢٢ ـ جواب سؤال عن (بستان ادعاه اثنان أصله لجدهما من قبل الأم وليس مع أحدهما بينة بانتقال ملك مورثه عنهما) : (ص ٥١٣) ـ الجواب في نحو ٨ أسطر ٠

كتاب الشهادات : (ص ٥١٦ ـ ٥٢٣) :

٢٢٣ ـ قول له حول ما يضمنه شهود التزكيـــــة : (ص ٥٢٢) ـ في ٨ أسطر ٠

ج ٧ ـ كتاب الجهاد : (ص ٣ ـ ٣٩٩) :

٢٢٤ ــ رسالة منه الى كافة الاخوان في فضل الجهاد : (ص ٥ ــ ٦) ٠

٢٢٥ ــ قول له عن (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) : (ص ٣١) ــ في ٧ أسطر ٠

٢٢٦ ــ رسالة منه الى الابن صالح ، بعد أن بلغه أن الباز أرسلوا لابن نبهان رسالة كتبها حمد بن عتيك متضمنة للاستدلال بالآيات المحكمات في تحريم طاعتهم والركون اليهم ٠٠ الخ ٠

وفيها رد على قول ابن نبهان في قوله : (أنه لا جهاد الا مع امام ، وانه لا حجة فيما قاله الصحابة في معاني القرآن) : (ص ٨١ ــ ٨٢) ٠

٢٢٧ ــ رسالة منه أخرى يبين فيها الرد على كل اعتراضات ابن نبهان ، بعد وصول رسالة من الشيخ حمد بن عتيق ، حيث وقف عليهـــا ، وعلى معارضات ابن نبهان وردوده الخاطئة عليها : (ص ٨٢ ــ ٩٩) ٠

٢٢٨ ــ رسالة له في الرد على بعض الضلال المقترين من العوام الذي يحاول بسجعه نقض عرى الاسلام : (ص ١٠٠ ــ ١٣٤) ٠

٢٢٩ ــ رسالة منه الى الأخ عبد في الجمع بين الآية والحـــديث : (ان الذين توفاهم الملائكة ــ الآية) : (ص ١٣٤ ــ ١٣٥) ــ في نحو ١٠ أسطر ٠

٢٣٠ ــ جواب له عن ما جاء من الأسئلة في مخالطة المشركين وأهل البدع : (ص ١٣٥) ــ في أكثر من ٤ أسطر ٠

٢٣١ ــ جواب سؤال عن قوله تعالى : (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) وعن بعض الأحاديث : (ص ١٣٥) ــ في نحو ١٠ أسطر ٠

٢٣٢ ــ جواب سؤال عن (من سافر الى بلاد المشركين للتجـــارة) (ص ١٣٥ ــ ١٣٦) ــ في ٤ أسطر وقليل ٠

٢٣٣ ــ جواب على قول بعضهم : (الانسان اذا لم يحصل له الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر أنه يهاجر) : (ص ١٣٦) ــ في نحـــو ٦ أســـطر ٠

٢٣٤ ــ رسالة منه الى من تصل اليه من الاخوان في وجوب الاجتماع والوفاء ببيعة الامام عبد الله بن فيصل : (ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣) ٠

٢٣٥ ــ جواب سؤال عن (من يقول لا اله الا الله ويدعو غير أهل الله هل يحرم ماله ودمه بمجرد قولها أم لا ؟) : (ص ٣٥٣ ــ ٣٥٥) ٠

٢٣٦ ـ جواب سؤال نصه : (اذا كان في البلدة وثن تدعا من دون الله ولم ينكر ، هل يقال هذه بلدة كفر أو بلدة اسلام ؟) : (ص ٣٥٦) ـ الجواب في ٥ أسطر ٠

٢٣٧ ـ قول له عن الامام واهتمامه بالدين : (ص ٣٧٧) ـ في أثناء كلام له في نحو ٩ أسطر ٠

٢٣٨ ـ قول له في النهي عن الغلول ، أوله : « وكل من أخذ مالا يستحقه من الولاة والأمراء والعمال فهو غال ٠٠ الخ » : (ص ٣٨٠ـ٣٨١) ـ في نحو ٨ أسطر ٠

٢٣٩ ـ قول له موضوعه (وجوب تمييز الأموال الداخلة على ولي الأمر) : (ص ٣٨٩) ـ في ٩ أسطر وقليل ٠

ج ٨ ـ كتاب حكم المرتد : (ص ٣ ـ ٢٨٦) :

٢٤٠ ـ جواب سؤال عن مذهب الخوارج ٠٠ الخ السؤال : (ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥) ـ الجواب في ١٠ أسطر ٠

٢٤١ ـ رسالة منه الى الاخوان علي بن حمد واخوانه في أمر الهيتمي الذي معه الحيات ويبيع سقوة على الناس البدو والحضر يسقيهم من ريقه ويأخذ عليهم العهد ويدعي أن من سقاه من ريقه لا تلدغه الحية ٠٠ الخ : (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ٠

ج ٩ ـ كتاب مختصرات الردود : (ص ٣ ـ ٤٤٨) :

٢٤٢ ـ رسالة طويلة له (لعلها بيان المحجة في الرد على اللجة ، وبيان ما في البردة من الغلو والشرك) : (ص ٤٥ ـ ٧٩) ٠

٢٤٣ ـ رسالة في بيان أن البردة تحتوي على أبيات شركية تنافي ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من توحيده : (ص ٧٩ ـ ٨٤) ٠

٢٤٤ ـ رسالة منه ومن ابنه عبد اللطيف الى عبد الخالق الحفظي لاشتغاله ببردة البوصيري يبينان ما فيها من الشرك الأكبر الذي لا يخفى : (ص ٨٤ ـ ٨٥) ٠

٢٤٥ ـ رسالته في الرد على عبد المحمود (لعله الحميد) الكشميري : (ص ٨٥ ـ ١٠٩) ٠

٢٤٦ ـ المورد العذب الزلال « في الرد على رسالة لمن لم يسم نفسه مشعرة انه من بلاد الخرج متضمنة لأنواع من الكذب والمرج ٠٠ الخ » : (ص ١٠٩ ـ ١٢٨) ٠

٢٤٧ ـ رسالة في الرد على رسالة رجل من أهل فارس تضمنت الكثير من الجهل والشقاق لأهل التوحيد : (ص ١٢٨ ـ ١٣٥) .

٢٤٨ ـ رسالة في الرد على رسالة كتبها رجل من الأحساء « مشتملة على الكذب والبهتان والاثم والعدوان ، قد صدرها صاحبها بشبهة تنبىء عن شكه في الدين وانحرافه عن سبيل المؤمنين » : (ص ١٣٥ ـ ١٥١) .

٢٤٩ ـ رسالة في الرد على ماجاء في أوراق جاء بها رجل من أهل جبل سليمان بطلب رد ما فيها من الأباطيل .. : (ص ١٥١ ـ ١٦٣) .

٢٥٠ ـ رسالة منه في الرد على أوراق صدرت من رجل سوء (لم يصرح باسمه) يتضمن التحذير من التكفير من غير تحقيق ولا تحرير : (ص ١٦٣ ـ ١٧٩) .

٢٥١ ـ رسالة منه الى عبد الله بن محمد ، وفيه جواب لكثير من الأسئلة التي وجهها اليه تتعلق بأمور كثيرة ، منها : الفرق بين الشركين الأكبر والأصغر ، والذهاب الى المقابر المقببة ، والاستعانة بالموتى ، وعن دلائل الخيرات ، وبردة البوصيري وهمزيته ، والسفر الى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشد الرحال الى مكانات الأنبياء والأولياء ـ الى غير ذلك : (ص ١٧٩ ـ ١٨٧) .

٢٥٢ ـ رسالته في الرد على عثمان بن منصور ، ذلك أنه اطلع على أشياء وجدها في كتبه بعد وفاته ، منها منظومة أنشأها في مدح داود بن جرجيس وتعظيمه بما تصدى له من الرد على المسلمين الموحدين : (ص ١٨٧ ـ ١٩٤) .

٢٥٣ ـ رسالة منه في رد ما وجده في كتب عثمان بن منصور أيضا « من أمور تتضمن الطعن على المسلمين وتضليل امامهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما دعا اليه من التوحيد » : (ص ١٩٤ ـ ٢٠٠) .

٢٥٤ ـ رسالة في الرد على عثمان بن منصور « في رسالة كتبها نال فيها من امام الدعوة الاسلامية محمد بن عبد الوهاب ومن تابعه من المسلمين وأنهم كالخوارج يكفرون المسلمين » : (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

٢٥٥ ـ قول له في الرد على شيء من أراء عثمان بن سند الكائن بالبصرة : (ص ٢٠١ ـ ٢٠٢) .

٢٥٦ ـ رسالة له في الرد على عثمان بن منصور أيضا فيما ابتلى به من كراهة هذه الدعوة الاسلامية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (ص ٢٠٢ ـ ٢١٠) .

٢٥٧ ـ رسالة له في الرد على عثمان بن منصور أيضا بعد أن اطلع على أوراق بعد وفاته تنبىء عن سوء اعتقاده في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (٢١٠ ـ ٢١٤) ٠

٢٥٨ ـ رسالة أخرى في الرد على عثمان بن منصور فيما اعترض به على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما دعا اليه من توحيد الله : (٢١٤ ـ ٢١٨) ـ من بحث المقامات ٠

٢٥٩ ـ قول طويل له في ذكر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانتصارها على كل من عاداها ، ويضرب على ذلك الصور والأمثلة ليدلل على أنها كانت فوق كل العقبات ، ولهذا فهي اسلامية حقة مؤيدة من عند الله : (ص ٢١٨ ـ ٢٣٠) ـ من بحث المقامات ـ ٠

٢٦٠ ـ رسالة منه موجهة الى عثمان بن منصور : (ص ٢٣٠ـ٢٣١) ٠

وقد وردت هذه الرسالة أيضا في (المجموع المفيد من رسائل أهل التوحيد ـ الجزء الأول ، منشورات المكتب الاسلامي ، بيروت ط أولى ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م : (ص ٣٧ ـ ٣٩) ٠

٢٦١ ـ رسالة منه الى محمد بن عمر : (ص ٢٣١) ـ في ٩ أسطر (موضوعها يتعلق بعثمان بن منصور) ٠

٢٦٢ ـ رسالة منه الى محمد بن عمر بن سليم تتعلق برسالة أخرى ضد الدعوة (ص ٢٣١ ـ ٢٣٢) ٠

ج ١٠ ـ كتاب تفسير القرآن : (ص ٣ ـ ٢٠٠) :

٢٦٣ ـ جواب سؤال عن (حديث : خذ من القرآن ما شئت لما شئت) : (ص ٢٤ ـ ٢٥) ـ الجواب في سطر واحد ٠

٢٦٤ ـ تفسير الاستعاذة والبسملة ، وتفسير سورة الفاتحة : (ص ٣٥ ـ ٣٩) ٠

٢٦٥ ـ تفسير قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) ، ـ ٢٩ سورة الأنفال ـ : (ص ٩٢) ـ في ٨ أسطر ٠

٢٦٦ ـ جواب له عن معنى قوله تعالى : (ولايزالون مختلفين ، الا من رحم ربك) ـ ١١٨ ، ١١٩ سورة هود ـ : (ص ١٠٢ ـ ١٠٤) ٠

ج ١١ ـكتاب النصائح : (ص ٣ ـ ١٨٨) :

ويتضمن مجموعة من رسائله في النصح والتوجيه :

٢٦٧ ـ رسالة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٢١ ـ ٢٨) ٠

٢٦٨ ـ رسالة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٢٨ ـ ٣٠) ٠

٢٦٩ ـ رسالة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٣٠ ـ ٣٢) ٠

٢٧٠ ـ رسالة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٣٢ ـ ٣٤) .

٢٧١ ـ رسالة الى الامام فيصل بن تركي : (ص ٣٤ ـ ٣٦) . تاريخهـا ١٢٨١هـ .

٢٧٢ ـ رسالة منه الى من يراها من أئمة المسلمين وعامتهم : (ص ٣٦ ـ ٣٨) .

٢٧٣ ـ رسالة منه الى من تصل اليه من الاخوان : (ص ٣٨ ـ ٤١) .

٢٧٤ ـ رسالة الى من يراها من اخواننا المسلمين : (ص ٤١ ـ ٤٤) .

٢٧٥ ـ رسالة الى من تصل اليه من الاخوان : (ص ٤٥) .

٢٧٦ ـ رسالة الى الشيخ عيد بن حمد : (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

٢٧٧ ـ رسالة الى الامام عبد الله بن فيصل : (ص ٤٦ ـ ٤٧) .

٢٧٨ ـ رسالة الى الاخوان صالح بن محمد الشتري وزيد بن محمد آل سليمان واخوانهم : (ص ٤٧ ـ ٤٨) .

٢٧٩ ـ رسالة الى الأخ محمد بن عمر آل سليم : (ص ٤٨) ـ في نحو ٩ أسطر .

٢٨٠ ـ رسالة له قصيرة لم يذكر من وجهت اليـه : (ص ٤٨) ـ في ٦ أسطر وقليل .

٢٨١ ـ رسالة الى الاخوان من المسلمين الموحدين المجاهدين أمـراء جعلان : (ص ٤٨ ـ ٤٩) .

٢٨٢ ـ رسالة الى الأخ عبد الرحمن بن علي بن عبيد : (ص ٤٩) .

٢٨٣ ـ رسالة الى الأخ محمد بن عمر آل سليم ، وقد طلب منـه الاجازة (ص ٤٩ ـ ٥٠) تاريخها في ٩ ب (كذا) سنة ١٢٨٣هـ .

٢٨٤ ـ رسالة له بالاشتراك مع فيصل بن تركي وعلي بن حسين الى من يصل اليه من الكتاب من المسلمين : (ص ٥٢ ـ ٥٣) .

٢٨٥ ـ رسالة منه بالاشتراك مع الامام عبد الله بن فيصل وابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن : (ص ٦١ ـ ٦٣) .

● **ملحوظة :** وهذه النصائح كلها غير ذات موضوع واحد ، ولا تستقل كل واحدة منها بموضوع خاص بها ، وانما هي تشتمل على عدة معـان دينية ودنيوية ، غايتها وجوب اتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، وهدفها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحكم بالعدل ـ الى غير ذلك من المعاني الاسلامية القيمة التي لا يستغنى عنها كل مسلم **أحمد بن حافظ الحكمي**

تعـــليق

ولعل هذا المقال حبرته ثقافة أستاذنا العلامة الدكتور أحمــد الحوفي لا يحتاج الى تقديم واطراء فمقام الاستاذ عالما مثقفا يدعوني الى ذكر كلمة ليست تضيف تكملة للموضوع وانما الكمـال به هو أن نذكر تهميشا مادام الموضوع يتعلق بكتاب النبى سيدنا محمد بن عبد الله الى عظيم الروم (هرقل) ·

فالحاشية هي أن الدكتور شلبى قد حقق أن الفاروق عبقري هذه الأمة عمر لم يكن هو الذي بدأ بالتاريخ الهجري وانما الذي بدأ به مؤرخا هو رسول الله في كتابه الى هرقل كما هو موجود عليها الآن لأن الكتاب أو الرسالة أصلها موجود في المملكة الاردنية ·

فالدكتور شلبى قد أثار بهذا التحقيق ما يحتاج الى اثبات واشهار ولا يفوتني أن يذوق القارىء نكهة البيان الرفيع البالغ القمـة من سحر البيان · هذا البيان هو في كلام السيد العظيم محمد فقد أطرى البيان في الحديث الصحيح في الجامع الصحيح (ان من البيان لسحرا) والسحر الذي أذوق نكهته وطعمه الآن هو في تعبير النبير يخاطب هرقل فلا يقول الامبراطور ولا يقول القيصر ولا يقول السلطان أو الملك وانما قال وما أحلى ما قال (الى عظيم الروم) : بيان مشرق لا يحمل النفي الى تلك الألقاب وانما يعلمنا القصد · الذوق في ترك بعض الألقاب الى الأحسن من الألقاب ·

والشكر بعد لأستاذنا الحوفي راجيا منه ألا يبخل علينا بقديم عنده أو جديد منه ·

رئيس التحرير

محمـــد حسـين زيـدان

كلمة الأريسيين
في كتاب النبي إلى هرقل

د . أحمد الحوفي

بعث النبي عليه الصلاة والسـلام رسائل الى الملوك والأمراء ، يدعوهم فيها الى الاسلام ، منها رسـالة الى هرقل امبراطور الرم (الامبراطورية البيزنطية) جاءت فيها كلمة الأريسيين .

وقد اتفق مدونو السيرة النبوية وكتاب التاريخ ومؤلفو المعاجم اللغوية على النطق بهذه الكلمة ، ولكنهم اختلفوا في معناها ، فرأيت أن أجعلها موضوع هذا البحث .

واقتضى هذا أن يتقـدم نص كتاب النبي الى هرقل ، وكيف نطق السابقون بكلمة أريسين ؟ وبم شرحوها ؟ ثم أعقب عليهم بكلمة ممهدة للكشف عن الصـواب في نطق الكلمة وفي معناها ، ثم يجيء الرأي الذي لعلني اهتديت اليه .

(١)
رسالة النبي الى هرقل

أما رسالة النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل فهي (١) :

من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم .

سلام على من اتبع الهدى .

أما بعد ، فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين .

فان توليت فعليك اثم (الأريسيين) « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون » (٣) ٠

لكن كلمة الأكارين أو كلمة الفلاحين وردت في بعض الروايات بدلا من كلمة الأريسيين (٤) ٠

ولم أجد في سيرة ابن هشام نصا لأية رسالة من رسائل النبي الى الملوك والأمراء ، واكتفى ابن هشام بالاشارة الى الرسائل (٥) ٠

وأرجح أن كلمة الأريسيين هي الأصيلة في كتاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن كلمة الأكارين أو الفلاحين رواية بالمعنى ، كما حدث في كثير من النصوص ٠

١ ـ فكيف نطق القدماء كلمة الأريسيين ؟ لقد نطقوها هكذا (الأريسيين) بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة ممدودة (٦) ٠

وجاء في شرح صحيح مسلم أربع روايات في ضبط الكلمة ٠

أشهرها في روايات الحديث وفي كتب أهل اللغة هو الضبط السابق ٠

وثانيها مثله لكن بعد السين ياء واحدة ٠

وثالثها بكسر الهمزة وتشديد الراء وبعدها ياء واحدة وسين ممدودة ٠

ورابعها هكذا (اليرسيين) بياء مفتوحة وراء ساكنة وسين مكسورة بعدها ياء مشددة ممدودة ٠

٢ ـ وبماذا فسروها ؟

جاء في السيرة الحلبية وفي شرح صحيح مسلم أن المراد الفلاحون ، وأشار أصحاب هذا التفسير الى أن كلمة الأكارين أو كلمة الفلاحين وردت في بعض روايات الرسالة بدلا من كلمة أريسيين ، وقالوا ان الأكار هو الفلاح ، لأن أهل السواد ومن والاهم أهل فلاحة ، والمراد عليك اثم رعاياك الذين يتبعونك ، وينقادون لأمرك ، وخص هؤلاء بالذكر ، لأنهم أسرع انقيادا من غيرهم ، اذ الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين (٧) ٠

وقال القلقشندي ـ بعد أن أورد صورة ثانية للرسالة من كتاب الأموال لأبي عبيدة جاء فيها **قول النبي لهرقل :**

« فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام أن يدخلوا فيه » ـ ان أبا عبيدة قال : اراد بالفلاحين أهل مملكته ، لأن العجم عند العرب كلهم فلاحون ، وأهل زرع وحرث (٨) ٠

وفي شرح صحيح مسلم أن المراد اليهود والنصارى ، أو أتباع رجل اسمه عبد الله بن أريس ٠

وفي المعاجم الثلاثة : لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس (٩) : الأريسي ، والأريس على وزن جليس ، والاريس على وزن سكيت : الخادم ، والأكار ، وفلاح السواد الذي لا كتاب له ٠

وقيل ان الأريسيين قوم من المجوس لا يعبدون النار ، ويزعمون أنهم على دين ابراهيم ، ويعبدون الله تعـــالى ، ويحرمون الزنا ، وصناعتهم الحراثة ٠

وقيل انهم الأمراء وكبراء القوم الذين يمتثل النـــاس أمرهم ، ويطيعونهم ٠

فهم في الكتاب النبوي القادرون على هداية قومهم ولم يهدوهم ، وأنت أريسيهم الذي يطيعونك ، ويجيبون دعوتك ، ويمتثلون أمرك ، واذا دعوتهم الى أمر أطاعوك ، فلو دعوتهم الى الاسلام لأجابوك ، فعليك اثمهم ٠

وقيل ان في اتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالأروسية ، فجاءت كلمة الأريسيين على النسب اليهم ٠

أوهم عبدة النار من الفرس ، لأنهم كانوا يفلحون الأرض بالشام ، اذ أنهم زراع ، وأهل الشام صناع ٠

وقيل انهم أتباع عبد الله بن أرس ، وهو رجل كان في الزمن الأول ، وقد قتلوا نبيا بعثه الله عليهم ٠

أما اريسي فجمعه أريسيون ، وأما أريس فجمعه أريسون ، وأرارسة ، وأراريس ، وأرارس ٠

والفعل أرس يأرس من باب ضرب ، وأرس يؤرس تأريسا ٠

وفي كتاب من معاوية الى ملك الروم ، وقد بلغه أنه يقصد بلاد الشام أيام صفين : لأردنك أريسا من الأرارسة ترعى الدوابل (١٠) ٠

وفي حديث آخر : فعليك اثم الأريسيين ٠

٢ ـ لكن هذا التفسير يقتضي التعقيب :

(أ) فهو لا يتفق على معنى كلمة (أريسيين) ، لأنهم الفلاحون ، أو الخدم ، أو الفلاحون الذين لا كتاب لهم ، أو قوم من المجوس يعبدون الله ولا يعبدون النار ، أو الأمراء والكبراء ، أو القــــادرون على هداية الناس ، أو هم فرقة من أتباع هرقل لم يبين الشراح حقيقتها ، أو هم أتباع رجل اسمه عبد الله بن أرس أو ابن أريس ، أو هم اليهود والنصارى ٠

(ب) واني أستبعد من المناقشة الزعم بأنهم أتباع رجل اسمه عبد الله ابن أرس أو ابن أريس لأن هذا كلام لا أصل له ، ولا سند ، ولو فرضنا أنه شبه صحيح لجاء النسب الى أرس على هذه الصورة أرسيون ٠

كما أستبعد أنهم جماعة من المجوس يعبدون الله تعالى ، ولا يعبدون النار ، لأن المجوس كلهم منذ كانوا عبدة للنار ، وليست فيهم طائفــة تعبد الله ، والا ماكانوا مجوسا ٠

وليس من الصواب في شيء أن تفسر الكلمة بأنهـــا تعني الأمراء والكبراء والقادرين على هداية الناس ، فانه لا مسوغ لهذا التفسير ٠

ومن الميسور دحضه بعدة اعتراضات :

لماذا اختص النبي الأمراء والكبراء بالذكر ؟

وهل كان الأمراء والكبراء في أي بلد وفي أي عصر سباقين الى اتباع المذاهب الجديدة ؟ ٠

ألم يكونوا حراصا أشد الحرص على مناصبهم ومنافعهم ونفوذهم ؟

وهل كانوا يطمئنون الى أن الدين الجديد سيكفل لهم ما يتمتعون به من نفوذ ومكانة ؟ ٠

لا ، فانهم كانوا يتخوفون من الدين الجديد أن يسلبهم ما ليس لهم بحق ، فلابد أن يعارضوه وأن يصدوا الناس عنه ٠

وقد حدث فيما بعد ما يؤكد هذا ، اذ تصدى كثير من كبراء الشام للدعوة الاسلامية ، وحاربوها حينما بلغتهم ، حتى نصر الله دينه في خلافة أبي بكر وعمر ٠

ولم يكن النبي عليه الصلاة والسلام ليحمـــل هرقم أوزارهم ، وهم ليسوا أسرع تقبلا للاسلام من غيرهم ، ولم يكن النبي ليختصهم ويهمل ذكر الشعب وهم الأكثرية ، وهم الأقربون قبولا للاسلام ٠

ومما ذكروه في معنى الكلمة أنهم الفلاحون ٠

وهذا تفسير بعيد ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يذكر في كتبه الأخرى الى الملوك والولاة صنفا من الناس ذوي حرفة ، فمثلا في كتابه الى المقوقس عظم مصر قال : فان توليت فانما عليك اثم القبط ، (١١) ولم يقل : فعليك اثم الأكارين أو الفلاحين ٠

وأنذر كسرى بأنه ان تولى فعليه اثم المجوس (١٢) ، وأوعد النجاشي أنه ان صد عن الاسلام فعليه اثم النصارى من قومه (١٣) ٠

فلماذا اختص الفلاحين في كتابه الى هرقل ؟ ٠

أما القول بأنهم سكان السواد فانه واضح البطلان ، لأن السواد جزء من العراق الخاضع لفارس في ذلك الوقت ، لا جزء من الشام ٠

وكأنما حاول القائل به أن يسوغه فقال ان سكان السواد من أبناء الفرس كانوا يفلحون الأرض بالشام اذ أن أهل الشام صناع لا يجيدون الفلاحة ، وأهل فارس زراع لا يحسنون الصناعة ٠

وهذا تأويل لا سند له من تاريخ الأمتين ٠

ثم انه ليس من المعقول أن يلقي النبي على كاهل هرقل ملك الروم وزر قلة ضئيلة من مجوس الفرس مقيمين في ملكه ، ويخليه من أوزار أكثر قومه ، وهم نصارى أقرب من المجوس الى تعاليم الاسلام والى تقبله ٠

وليس من الصواب الزعم بأن العجم كلهم في نظر العرب أهل زرع وحرث ٠

وانه ليدحض هذا الرأي أن كتب النبي الأخرى الى العجم الآخرين لم ترد فيها كلمة الفلاحين ٠

ومن مجافاة الصواب بأن الأريسيين هم اليهود والنصارى ، لأن هذه الكلمة لم تستخدم للدلة عليهم في أي عصر وفي أي وطن ٠

وقد جرى القرآن الكريم على اطلاق (أهل الكتاب) على اليهود تارة وعلى اليهود والنصارى تارة ، على حين أنه اذا أراد اليهود وحدهم كان يسميهم أحيانا اليهود وأحيانا بني اسرائيل ، واذا أراد النصارى وحدهم كان يطلق عليهم كلمة النصارى ٠

واذا ما رجعنا الى كتب النبي التي بعثها الى الملوك نجده ذكر كلمة النصارى في كتابيه الى النجاشي والمقوقس ، فمن غير المعقول أن يعبر عن اليهود والنصارى معا بكلمة الأريسيين في كتابه الى هرقل ٠

أما الزعم بأن اليهود والنصارى اتبعوا ذلك الشخص المسمى بعبد الله بن أرس أو أريس (١٤) فهو زعم يحمل بطلانه ، لأنهم لم يجتمعوا في عهد ما على عقيدة ، ولم يلتفوا يوما ما حول داعية ، اذ أن بينهم من العداء والاختلاف مالا تنطفىء ناره ، وذلك الاسم المزعوم لا يعدو أن يكون أسطورة ٠

أما قول الزبيدي : وقيل ان في أتباع هرقل ملك الروم فرقة تعرف بالأروسية ، فجاءت كلمة الأريسيين على النسب اليهم ، فهو أقرب الى الصواب مما عداه ٠

ولكن النسب الى الأروسية كان ينبغي أن يكون أروسيين لا أريسيين كما وردت الكلمة في الروايات المعتمدة ٠

(٢)
كلمة كاشفة

في تاريخ المسيحية داعية كبير عظيم الشأن ، اسمه أريوس (١٥) Arius دعا في مصر الى التوحيد الخالص ، وأنكر ما جاء في الأناجيل يوهم ألوهية السيد المسيح عليه السلام ، وقال ان الأب وحده هو الله ، وان المسيح مخلوق مصنوع ، وقد كان الأب اذ لم يكن الابن ، وبهذا عارض ماكانت تذيعه كنيسة الاسكندرية من ألوهية المسيح (١٦) ٠

وذاعت تعاليم أريوس ، وصار له كثير من الأشياع ، فدانت بها كنيسة أسيوط ، واعتنق مذهبه كثير من الأتباع الأقوياء في الاسكندرية نفسها ، وفي مقدونية وفلسطين والقسطنطينية ٠

وأراد بطريك الاسكندرية أن يقضي على تعاليم أريوس ، لكنه خشى ان اعتمد على المحاجة والمناقشة أن ينتصر عليه أريوس ، فعمد الى لعنه وطرده من حظيرة الكنيسة ، واعتمد في هذه العقوبة على أنه رأى في المنام أن السيد المسيح يتبرأ من أريوس ويلعنه ٠

لكن آراء أريوس لم تزل قوية منتشرة ٠

فلما تولى أمر كنيسة الاسكندرية البطريرك اسكندر لجأ الى الأناة والدهاء ، فكتب الى أريوس وكبار أنصاره يدعوهم الى الخضوع لتعاليم كنيسة الاسكندرية ، فلم يستجيبوا له ، فعقد مجمعا بكنيسة الاسكندرية ، حكم على أريوس بالحرمان ، فلم يرهب أريوس ، ولم يخضع ، وغادر الاسكندرية الى فلسطين ، وشجعه على اصراره أن كثيرا من الأساقفة يدينون بما يدين به ، مثل أسقف فلسطين وأسقف مقدونية وأسقف نيقومدية ، وكنيسة أسيوط ٠

فلما تفاقم الخلاف تدخل قسطنطين الأول امبراطور الروم ، فأرسل كتابا الى أريوس والى أسقف الاسكندرية يدعوهما الى الوفاق ، ثم جمع بينهما ، فلم يتفقا ، فدعا الى عقد مجمع كنسي عام في مدينـــة نيقية (أرتيك الحالية في آسيا الصغرى) سنة ٣٢٥م ٠

اجتمع في هذا المجمع ألفان وثمانية وأربعون أســـقفا من مذاهب متعددة في شأن السيد المسيح وأمه السيدة مريم ٠

وكان رأي بولس الرسول أن المسيح اله ، وتبعه في هذا الرأي ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفا ، وخالفه الباقون ، وجنح الامبراطور قسطنطين الأول الى هذا الرأي الذي دانت به الأقلية ، وعقد مجلسا خاصا لهؤلاء ، وجلس في وسطهم ، وانتهى الى فرض اعتقاد ألوهية المسيح بالقوة والسيف ، واحراق الكتب المخالفة لها ، وتحريم قراءتها ، والحكم على تعاليم أريوس بأنها بدعة والحاد ، وتقرر نفيه ٠

لم يغرب رأي أريوس ، على الرغم من قوة الامبراطور وقرار مجمع نيقية ، بل ظل قويا بأنصاره والدعاة اليه ، ومن مظاهر قوته أنه في المجمع الاقليمي بمدينة صور احتدم الجدال بين أوسابيوس أسقف مدينة نيقومدية والفريق المشايع له — وهم يدينون بمذهب أريوس — وبين رئيس كنيسة الاسكندرية ، حتى انهم ضربوه ، وكادوا يقتلونه ٠

كذلك من مظاهر قوة تعاليم أريوس أنها في عهد قسطنطين الثـــاني ابن قسطنطين الأول سادت في القسطنطينية وبيت المقدس وأنطاكية وبابل والاسكندرية وأسيوط ، حتى ان ابن البطريق قال ان أكثر سكان مصر والاسكندرية كانوا على مذهب أريوس ، وقد غلبوا الكنائس ، ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الاسكندرية ليقتلوه ، فهرب واختفى ٠

كانت القوة الحاكمة تصادر مذهب أريوس ، ولكنه كان أقوى منها بالدعاة اليه ، مثل مقدونيوس ، اذ جاهر بأن الروح القدس ليس الها ، بل هو مخلوق مصنوع ، فاجتمع في القسطنطينية مئة أسقف وخمسون ، واختاروا أسقف القسطنطينية رئيسا عليهم ، وقرروا لعن مقدونيوس ومن يقول بمقالته ٠

وظهر بعد ذلك من أتباع تعاليم أريوس داعية آخر اسمه نسطور ، دان بأن المسيح انسان مملوء بالبركة والنعمة ، وأنه رسول من الله وملهم وموحى اليه ، وكان لنسطور أتباع هم النساطرة ٠

فاجتمع مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م ومجمع أفسس الثاني سنة ٤٤٩م ، وصدر من كل منهما قرار ببطلان رأي نسطور ، ولعنه ، ونفيه الى مصر ٠

ثم كان مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م لتأييـــد قرار مجمع أفسس الثاني ·

لكن المذهب بقى ذا آثار في العراق والموصل والفرات والجزيرة ·

ثم ظهر يعقوب البراذعي ــ وهو من أشياع مذهب أريوس ــ فجعل يذيع في حماسة وقوة حجة واقناع مذهب التوحيد في البلاد الرومية وفي مصر ، ورسم تسعة وثمانين أسقفا وألوفا من الكهنة والقساوسة ، وكان ذلك في القرن السادس الميلادي ·

ويعنينا في هذا المقام أن تعاليم أريوس كانت ذائعة وقوية في الشرق منذ عصره الى القرن السابع الميلادي ·

وقد كانت رسالة النبي الى هرقل في سنة ٦٣٠م أي في الثلث الأول من هذا القرن ·

(٣)

رأي جديد

بعد هذا التطواف آمل أن أكون قد عثرت على المفتاح الذي أستفتح به الخزانة المغلقة التي كنزت النطق الصحيح والمعنى الصواب لكلمة أريسيين هذا الزمان الطويل ·

والذي أرجحه أن الكلمة منسوبة الى أريوس ، على هـــــذه الصورة (أريسى) ، وجاء جمعها على هذه الصورة (أريسيون) ·

فهي تعني أتباع أريوس ، لأنهم يدينون بالتوحيد الخالص الذي جاء به الاسلام ، وأكده القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ·

وقد اختصهم النبي بالذكر ، لأنهم سيرحبون بالاسلام ، ويعتنقونه ويذيعونه حينما تبلغهم دعوته القائمة على التوحيد الخالص ، وعلى التصديق بالرسالات السابقة والكتب المنزلة الماضية ، وعلى الاعتقاد بأن عيسى عليه السلام انسان ولدته أمه السيدة مريم العذراء من غير أب ·

فعلى هرقل أن يفسح الطريق لابلاغهم هذه الدعوة ، ليكون له أجران ، أجر على نصرانيته ، وأجر على اسلامه اذا أسلم ·

فان أعرض عن الاسلام ، وصد عن الدعوة اليه ، كان عليه وزر هذه الفرقة المسيحية الموحدة التي ستتلقى الاسلام اذا بلغها بهشاشة وتأييد ·

وانه ليعزز هذا أن كلمة أريوس Arius تنطق هكذا (أريس) بغير مد الياء ، فالنسب اليها أريسى ، وجمعه أريسيون ٠

فهل اتضح النطق الصحيح للكلمة التي وردت في كتاب النبي ؟ ٠

نعم ، ان الصواب النطق بها في التعبير هكذا : فعليك اثم الأريسيين (بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الياء وكسر السين وبعدها ياء مشددة مكسورة ممدودة) ٠

وليس من الصواب النطق بها هكذا : أريسيين (بفتح الهمزة وكسر الراء الممدودة وكسر السين وبعدها ياء مشددة مكسورة ممدودة) كما نجد في المصادر القديمة كلها ٠

. ويعزز هذا أن رسم الكلمة واحد في النطقين ، فالتبس النطق الصحيح على المدونين ، فاختلفوا في معناها كما تقدم ٠

وبعـــــد

فانني أرجو أن يكون قد تكشف النطق الصائب والتفســـــير الصحيح للكلمـــة ٠

أغلب ظني أن كلا منهمــــــا قد اتضح واســـتبان ، والله الموفق والمستعان ٠

المراجـــع

١ ــ أخبار قبط مصر ــ المقريزي ــ طبعة جونتجن ١٨٤٥م ٠

٢ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ــ ابن عبد البر ٠ مطبعـــــة نهضة مصر ٠

٣ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ ابن حجر العسقلاني ــ مطبعة نهضة مصر ٠

٤ ــ انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية برهان الدين الحلبي ٠

٥ ــ تاج العروس ــ الزبيدي ٠

٦ ــ تاريخ الأقباط في مصر ــ زكي شنودة ٠

٧ ــ تاريخ الأمة القبطية ــ سليم سليمان ــ مطبعة التوفيق ١٩٣١ ٠

٨ ــ تاريخ الرسل والملوك ــ المطبعة الحسينية بمصر ٠

٩ ــ تاريخ الكتاب المقدس ــ الدكتور يوسف منصور ٠

١٠ ــ الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ٠ مطبعة ١٩٢٣ ٠

١١ ــ السيرة النبوية ــ ابن هشام ــ تحقيق السقا وزميليه ٠

١٢ ــ سيرة الآباء البطاركة ــ أو البشر ساويرس أســــقف مدينة الأشمونيين (الملقب بابن المقفع) بيروت سنة ١٩٠٧م ٠

١٣ ـ صبح الأعشى ـ القلقشندي ٠ مطبعة دار الكتب المصرية ٠
١٤ ـ صحيح البخاري ـ المطبعة الأميرية ١٣١٤هـ ٠
١٥ ـ صحيح مسلم ـ دار احياء الكتب العربية (١٣٧٥هـ ١٩٥٥م) ٠
١٦ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ـ ابن حزم ٠
١٧ ـ قصة الكنيسة القبطية ـ ايريس حبيب المصري ٠
١٨ ـ القاموس المحيط ـ الفيروزابادي ٠
١٩ ـ الكامل في التاريخ ٠ ابن الأثير مطبعة بولاق ١٣٠٣هـ ٠
٢٠ ـ لسان العرب ٠ ابن منظور ٠
٢١ ـ مجموعة الوثائق النبوية والخلافة الراشدة محمد حميد الله الحيدرآبادي ٠
٢٢ ـ محاضرات في النطراية ـ محمد أبو زهرة ٠
٢٣ ـ الملل والنحل ـ الشهرستاني ٠
٢٤ ـ نظم الجوهر ٠ سعيد بن البطريق ٠ مطبعة اليسوعيين ١٩٠٦م ٠
25 - The Oxford Dictionary of the Christian Church.

الهــوامش

(١) كان هذا سنة ٩هـ (٦٣٠م) وقيل سنة ٦هـ (تاريخ الطبري ٨٩/٣ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٨٠/٢ والاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤٦١/١ والاصابة في تمييـــز الصحابة ٣٨٥/٢ ٠

(٢) صحيح البخاري ٤٤/٤ ، ٤٧ وصحيح مسلم ١٣٩٦/٣ ، وانسان العيون المعروف بالسيرة الحلبية ٢٨٣/٣ ، وصبح الأعشى ٣٧٦/٦ ومجموعة الوثائق النبوية في المعهد النبوي ٢٩ للدكتور محمد حميد الله الحيدرآبادي ٠

(٣) سورة آل عمران ٦٤ ٠

(٤) تاريخ الطبري ٨٧/٣ ، والكامل في التـاريخ لابن الأثير ٨٠/٢ ، وصـــبح الأعشى ٣٧٧/٦ ٠

(٥) سيرة ابن هشام ٢٥٤/٤ ٠

(٦) المراجع السابقة ٠

(٧) انسان العيون ٢٨٣/٣ ٠

(٨) صبح الأعشى ٣٧٧/٦ ٠

(٩) مادة ارس ٠

(١٠) الدوابل : جمع دوبل وهو الخنزير ٠

(١١) تاريخ الطبري ٨٥/٣ وانسان العيون ٢٩٥/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٠ وصبح الأعشى ٣٧٨/٦ ٠

(١٢) تاريخ الطبري ٩٠/٣ وصبح الأعشى ٣٧٨/٦ وانسان العيون ٢٩١/٣ ومجموعة الوثائق النبوية ٥٤ وتاريخ الكامل لابن الأثير ٨١/٢ ٠

(١٣) تاريخ الطبري ٨٩/٣ ومجموعة الوثائق ٢٦ ٠

(١٤) كما جاء في شرح مسلم أو ابن أرس كما جاء في تاج العروس ٠

(١٥) ولد حوالي ٢٥٦ وتوفى سنة ٣٢٥م بالقسطنطينية ٠

(١٦) كتب أريوس تعاليمه في رسالته ثاليا Thalia ولم تصل الينـا منهـا الا مقتبسات فيما كتبه اثناسيوس Athnasius

من تراثنا : مخطوطة عنوان السّعد والمَجد

تأليف : عبد الرحمن بن ناصر   تحقيق : د. محمد بن سعد الشويعر

المظاهر البارزة عنده : ـ

- ٣ -

ان كل تأليف لابد أن ترتسم فيه شخصية مؤلفه ، وتبين عليه بسماته الفكرية ، ومنهجه الخاص ، الذي يميزه عن غيره ·

ورغم أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر حاول في مؤلفه هذا ، أن يقتفي أثر من سبقه في هذا الميدان في نقاط معينة تتجلى أمام القارىء : ـ

١ ـ فهو متأثر بابن غنام (··· ـ ١٢٢٥هـ/··· ـ ١٨١١م) ، في عنايته بالسجع ، والاهتمام بهذا الأسلوب ، عندما يسرد الأحداث التاريخية ، رغم أن هذا الأسلوب يعتبر من العيوب التي أخذت على ابن غنام ، حتى أن الأمر قد بلغ ببعض المهتمين بتاريخ ابن غنام الى اعادة طبعه بصورة تبعد عن السجع الطويل والممل ، رغبة في جعل النفس تميل الى الى قراءته وتتبع مجرى أحداثه ·

ومع أن الأسلوب الغالب في مطلع هذا القرن في المنطقة التي عاش فيها المؤلف ، كان يميل الى السجع ، ويستأثر بمشاعر وأحاسيس المؤلفين ، الا أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر كان لا يلتزم هذا اللون من الأسلوب التزاما ثابتا ، اذ بدأ يتحرر منه ، ذلك أن بروز السجع عنده في بعض الحالات ، لا يعطيه صفة الديمومة ، فهو يسترسل ويزاوج في هذا الأسلوب كثيرا ·

ويصح اطلاق سمة الترسل عنده ـ كمظهر بارز في أسلوبه ـ تلك السمة التي برزت في أسلوب الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ/٧٨٠ ـ ٨٦٩م) وغيره من كتاب العصر العباسي الثاني ·

وزيادة على هذا فانه في سجعه الذي يسعى اليه ، لا يتكلف ، أو يحاول

قسر الكلمات ، في معان مخلة أو متكلفة ٠٠ اذا استثنينا حالات قليلة جدا يشعر القارىء فيها بأن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ، قد سار على معهود عصره ، ولبى رغبة مثقفي زمانه بترسم خطى ابن غنام ، واقتفاء أثره ٠٠ عندما يقسر الكلمات قسرا لتنسجم مع ما أراده من سجع ٠

كما أنه يقلد ابن غنام أيضا في مصطلحات لفظية ابتدأها ، وسار عليها ابن بشر أيضا (١٢١٠ ـ ١٢٩٠هـ/١٧٩٥ ـ ١٨٧٣م) في تاريخه ، عندما يطلقون جميعا كلمة المسلمين ، ويسمون جيوشهم بجيوش المسلمين ، على من يسير على منهج الدعوة السلفية ، التي قاد زعامتها المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وآزره في نشرها الأئمة من آل سعود ٠

كما أنهم يطلقون على الملك من أسرة آل سعود كل في عهـــده لقب الامام ٠ الا أن مؤلفنا هذا انفرد باصطلاح جديد هو كلمة « الرئيس » وأحيانا يقرنها بالامام فيقول « الرئيس الامـــام » ، ويعني بذلك الملك عبد العزيز رحمه الله ٠

ولعل القارىء يتطلع الى نموذج من سجعه ، وأسلوبه الترسلي ٠٠ وهذا الموضوع الذي قد يأخذ منا وقتا طويلا ، مجاله كتب الأدب ، التي يجب أن تورد نماذج مما سار عليه الكاتب كأسلوب سائد في زمانه ٠٠

الا أنه من الملائم ايراد نماذج من سجعه فقط كمظهر سار عليه فهو يقول : « كلام الشيخ أشهر من الشمس ، تشـــهد به الحواس الخمس ، ويعرفه الموافق والمخالف ، ويقر به المنصف والمجازف » [١ : ٢٥٧] ٠

ومن قوله في مقدمته الطويلة المســـجوعة ، وهي التي تبرز ظاهرة السجع المتكامل : « فقام من بعده بواجب الجهاد خلفاؤه والأفاضل الأمجاد ، فجندوا الأجناد ، وخفقت راياتهم في كل البلاد ، وفتحوا البـــلدان شرقا وغربا ، ودوخوا الجبابرة طعنا وضربا ، فحين تحملوا أثقال التكليف ، ورفضوا التمادي والتسويف » [ص ٤] ٠

٢ ـ يسرد الحوادث حسب السنين بالتوالي ابتداء من عام ١٣٠٠هـ ، فهو يسير على طريقة ابن غنـــام ، وابن بشر ، اللذين سارا على الطريقة الحولية ، وذلك بذكر السنة ، وتســـجيل الحوادث التي وقعت فيها ، ٠ ولذا فانهم جميعا ومن شايعهم لا يفصلون في دقائق الأحداث والمسببات ، ولا يحللون الأبعاد التاريخية لتلك الأحداث سواء منها ما يعود على الفرد أو الجماعة أو التأثير على المجاورين ٠

الا أن مؤلفنا هذا يمتاز عنهم بذكره أحيانا للشهر واليوم ٠

ومع أن هناك معاصرين للشيخ عبد الرحمن بن ناصر كثيرون ، من داخل البلاد وخارجها رصدوا الأحداث التاريخية للجزيرة العربية ـ وخاصة المملكة العربية السعودية ـ والفوا فيها ·· الا أنه لم يستفد من المنهج الحديث في تفصيل الأحداث التاريخية ، الذي سار عليه بعضهم ، وهو الذي عاصر أغلبها ·

كما أنه لم تتبلور عنده الفكرة الحديثة في التبويب لما يريد كتابته ·· أو وضع عناوين تبرز الموضوع الذي يريده ·

ومع أهمية هذا لكل كتاب في العصر الحديث ، حتى يسهل على القارىء معرفة الأحداث والموضوعات المهمة لديه من عناوينها ·· الا أنني أعزو هذا لقلة قراءته للمؤلفات الحديثة ، التي تمتاز بظاهرة الاخراج والتحقيق ، والتبويب ، وأن ما يقرؤه من المؤلفات سواء كانت خطية أو مطبوعة ، هي ما سار على من سبقه ، ذلك النهج الذي يسرد فيه المؤلف معلوماته سردا ، ولا يبين للقارىء انفصال موضوع عن موضوع الا بالقرينة ·

ومثل هذه الطريقة ، يلمسها المتتبع لكتب الأدب ، والتاريخ ، وكتب التراث ، التي لم تحقق ، في الطبعات الأولى منها ، وكذلك تلك الكتب التي لم يستفد مخرجوها من منهجية المستشرقين في التبويب والاخراج ·

كما يبرز مثل هذا في الكتب الدينية من فقه ، وتوحيد ، وتفسير ، وحديث · وهذه الظاهرة يجدها القارىء في الطبعات الأولى من تاريخ ابن غنام ، وابن بشر ، وتاريخ ابراهيم بن عيسى (١٢٧٠ ــ ١٣٤٣هـ ، ١٨٥٤ ــ ١٩٢٥م) ، وهي المصادر التي استفاد منها في تاريخه ، وقرأها وتأثر بها ·

٣ ــ المؤلف كثير التعديل والطمس ، والشطب في الجزء الأول ، الذي أطلعنا عليه واطلع عليه عبد الله فلبي في مسودته التي نجري التعريف بها ، فقد علل فلبي هذا الطمس الكثير بأنه يعود الى سبب جوهري في نظره ، فهو يعتبره مسودة الجزء المفقود من تاريخ ابن عيسى ، وأن عبد الرحمن بن ناصر شطب على الكلمات غير المستحسنة ، لأسباب توهمها فلبي ·

لكنه المؤلف رحمه الله الذي اطلع على مرئيات فلبي حول تاريخه هذا ، رد عليه في كتاب بعثه للشيخ حمد الجاسر بتاريخ ١/٩/١٣٨٠هـ ، نشر بعضا منه في مجلة العرب الجزء العاشر ، السنة الخامسة ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ ، مبينا وجهة نظره ، ورادا على ما زعمه فلبي حول هذا الكتاب ، ومما جاء في هذا الرد قوله : « لقد وقع في يدي أحد أعداد اليمامة ، التي نشرتم فيها بعضا من محاضرتكم القيمة عن مؤرخي نجد ،

وقد لاحظت عند نقلكم كلام عبد الله فلبي ، عن تاريخ ابن عيسى ، أنه ذكر عن تاريخنا المسمى : « عنوان السعد » ، أنه يعتبر مسودة للجزء المفقود من تاريخ ابن عيسى ، وأننا شطبنا على الفقرات غير المستحسنة ، الى آخر كلامه ·· وأحب بهذه المناسبة أن أحيطكم علما ، وأبين لكم الحقيقة ، ان ما ذكره عبد الله فلبي غير صحيح ، اذ أنه مجرد ظن « وان الظن لا يغني من الحق شيئا » ، ولم يسبق لي أن أطلعت على الجزء المفقود من التاريخ المذكور ، وانما طريقتي في كتابة التاريخ ، أنني عندما أردت أن أسوده ، التزم لي فضيلة الشـــيخ العنقري رحمه الله ، باملائه علي من موقف ابن عيسى ، الى وفاة محمد بن رشيد ، وقال : انني أميز من ابن عيسى بما حدث في ذلك الوقت ، وأحفظ منه ، وأملاه علي من حفظه رحمه الله ، وأما ما كان بعد وفاة محمد بن رشيد ، وكان غير خاف علي ، وعلى الشيخ ، فكنت أسعى في رقمه ، وأقرأه على الشيخ ، وأتراود أنا واياه فيما يشكل ، فاذا نقحه ، أثبته ، وفيما تقدم طلب مني صاحب السمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن المسودة التي قد قرأناها على فضيلة الشـــيخ ، وبعثتها اليه وسلمها لفلبي ليشرف عليها » [العرب ص ٨٩٩ حاشية] ·

ومن هذا يستبين أن الشطب كان من أجل التحري عن الصحة ، ولم يكن فيه ما يثير الظنون التي ذكرها فلبي » ·

٤ ــ يسرد الأحداث باختصار ، مع أنه عاش في معمعة التغيير الكامل لهذه البلاد ، وعاصر الأحداث وتسلسلها ، وعاين مجريات الأمور والوقائع ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان حافظة الشيخ العنقري تعينه في توسيع المعلومات ، واستقاء المسببات ، والتحقق من دقائق الأمور ، خاصة وأن الفترة التي عايشها المؤلف ، وسجل أحداثها في كتابه هذا ، في جزئه الأول من عام ١٣٠٠هـ الى عام ١٣٥٥هـ ، هي فترة حافلة فالأحداث التي غيرت معالم الجزيرة العربية ، وأحداثها بنت جيلا كاملا ، بزعامة رجل فذ لم يحفل السجل التاريخي منذ أجيال بمثل بسالته وقوة شكيمته ، وصلابة عوده ، انه المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ، الذي شهد له بذلك كل من درس حياته ، حتى أعدائه قالوا ذلك بتجرد ·

ولم يكن أحد من المؤرخين الذين رصدوا تاريخه ــ رحمه الله ــ على كثرتهم ــ لديه معرفة بواقع البلاد وأعيانها ، وعادات المجتمع والمؤثرات فيه ، بمثل ما لدى المؤلف هذا ــ عبد الرحمن بن ناصر ــ ، كما أنه لم يعش أحد منهم مدة طويلة من عمره ، يراقب ما يجري في البلاد عن كثب ، وينقل الصدى الداخلي ، ويدون النتائج أول بأول ، ولم يتح لواحد منهم كما أتيح له ·

ومع هذا نرى مقبل الذكير (١٢٩٩ - ١٣٦٣هـ/١٨٨٢ - ١٩٤٤م) ، وهو الذي عاش أغلب حياته في الكويت والبحرين ، وأمين الريحاني (١٢٩٣ - ١٣٥٩هـ/١٨٧٦ - ١٩٤٠م) ، وفؤاد حمزة (١٣١٧-١٣٧١هـ ١٧٩٩ - ١٩٥١م) ، وعبد الله فلبي (١٣٠٣ - ١٣٨١هـ/١٨٨٥ - ١٩٦٠م)، وحافظ وهبه (٠٠٠ - ١٣٨٧هـ/٠٠٠ - ١٩٦٧م) ، وخير الدين الزركلي (١٣١٠ - ١٣٩٦هـ/١٨٩٣ - ١٩٧٦م) ، وغيرهم ، كلهم يبرزون في معلوماتهم التاريخية جوانب أكثر مما رصده الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر ٠ ولا نعزو هذا الا لمنهج رصده ، وطريقة اختطها ، رغم أنه أتيح له فرصة استقاء المعلومات من رجل له بصر بالتأريخ ، واهتمام بمجرى أحداثه ، وبقدرة وحافظة على تمييز كل ما يمر به من أحداث ، وادراك لدقائقها ، ذلك هو الشيخ العلامة الفقيه عبد الله بن عبد العزيز العنقري (١٢٨٧ - ١٣٧٣هـ/١٨٧١ - ١٩٥٣م) رحمه الله ، قاضي المجمعة ٠ وسدير ، الذي عرف بمكانة مرموقة طوال حياته اجتماعيا ودينيا ٠

٥ - ومع أنه جعل عنوان كتابه : « عنوان السعد والمجد ، في أخبار الحجاز ونجد » ، فانه أتى فيه بمعلومات لا تمت للحجاز ونجد بصلة مثل : -

- احتلال الانجليز البصرة في أحداث عام ١٣٣٢هـ [ص ١١٥] ٠
- استيلاء الانجليز على الشام في أحداث عام ١٣٣٦هـ [ص ١٢٤] ٠
- هلاك رئيس النصارى في أحداث عام ١٣٥٥هـ [ص ٣٣٦] ٠
- استيلاء الايطاليين على الحبشة في أحداث عام ١٣٥٥هـ [ص ٣٣٦] ٠

ولا مأخذ عليه في ذلك ، اذ المؤرخ يهتم برصد أهم الأحداث التي تشغل الرأي العام في زمنه ٠

ولم يكن ليدون هذه المعلومات ، وهو الذي عاش في بيئة لم تتوفر فيها وسائل الاعلام الحديثة ، التي تعين في ايصال كل جديد الى ذهن المتتبع والراغب ، وتسهل عليه مهمة البحث والاستقصاء ، من اذاعة وصحافة وغيرهما ، كما هو واقع الحال ٠

نقول ان المؤلف ما كان ليهتم بمثل هذه المعلومات ، ويرصد أحداثها ، الا عندما رأى انعكاسها على المجتمع الذي يعيش فيه ، واهتمام بعض أفراده بها ، ممن تربطهم مصالح تجارية أو اجتماعية ، بالبصرة والشام - والمؤلف واحد من أبناء مجتمعه يحس بأحاسيسهم ، ويسجل صدى انفعالاتهم ٠

٦ ـ لديه اهتمام ودقة في تحديد كثير من الأمور التاريخية ، وبصر بما لا يهتم بتمييزه الا من عاش في مثل بيئة المؤلف ، الذي يهتم بتسجيل ما يختلج في مجتمعه ، وهذه النقطة تبرز عنده في حالتين : ـ

الأولى : أشياء قد يكون المؤلف ألصق بها من غيره ، وأدرى بدقائقها ممن يأتي بعده ، وفي هذه النقطة ، نعتبر الشيخ عبد الرحمن بن ناصر هو المرجع الأول لمثل ما يورده من أحداث ، وكتابه هو المعول عليه ، مالم تثبت لنا قرينة من مصدر أوثق ..

ونموذج الأشياء التي تعول عليه في المعلومات : ـ

ـ تعيين الشيخ عبد الله العنقري قاضيا على سدير سوى المجمعة عام ١٣٢٤هـ [ص ٨٦] . واضافة المجمعة اليه في عام ١٣٢٦هـ ونزوحه اليها [ص ٩٦] .

بينما نرى بعض المؤرخين والباحثين ، يرى أنه عين في المجمعة وسدير عام ١٣٢٤هـ كالشيخ عبد الله بن بسام في كتابه علماء نجد في ستة قرون [٢ : ٥٨٤] .

أو في حديثه عن بلدة المجمعة ، وذكر أخبار رجالها الذين تولوا مناصب للدولة ، أولهم مكانة اجتماعية ووجاهة عند قومهم ، ويدخل في حكم المجمعة منطقة سدير عموما ، لأنها قريبة التناول منه ، ولا تشت عنه أخبارها ، كما في ص ٩٦ ، عن عبد الله بن عسكر ، وص ٥٧ في وفاة بعض أهل المجمعة ومثلها ص ١٢٥ في وفاة الثميري ، وص ١٦٢ ـ ١٦٣ في وفيات رجال من المنطقة ، ووفاة والده ونسبه ومشايخه وتلاميذه عام ١٣٣٨هـ ، وغير ذلك مما أعطاه كثيرا من الاهتمام والعناية كما في الصفحات ٤٥ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

والثانية : أحداث ذات صبغة شعبية ، يتناقلها الصغار عن الكبار ، والأحفاد عن الأجداد ، يهتم بها المجتمع الذي تنتشر فيه الأمية ، ويقل فيه القراء الذين يرصدون الأحداث ، ويدونون المهم من الوقائع ، فلا يجدون رابطا الا بأهم حدث في حياتهم .

وقد لقيت هذه الوقائع ، وتلك الأحداث من الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر ، اهتماما كبيرا فكثرت عنده ، كما كثرت عند الشيخ ابراهيم ابن عبيد ، في كتابه تذكرة أولي النهى والعرفان ، في وقت نراها شبه معدومة عند فؤاد حمزه ، وحافظ وهبه ، وخير الدين الزركلي ، وأمين الريحاني وغيرهم .

لكنها أيضا كما لقيت اهتماما عند هذين المؤرخين ، أخذت أهمية عند سعود ابن هذلول في كتابه تاريخ ملوك آل سعود ، كما أخذت أهمية مسبقة عند حسين بن غنام ، وعثمـــان بن بشر ، وابراهيم بن عيسى ، ومقبل الذكير ٠

وهذه الأحداث مثل : ــ

- عزل الدولة التركية صدقي باشا ، وتعيين الفاروقي في مكانه في بريدة عام ١٣٢٤هـ [ص ٨٦] ٠
- اتفاق الفاروقي مع الامام عبد العزيز وترحيل العسكر من نجـــد للمدينة والعراق ، بأمان عام ١٣٢٤هـ [ص ٨٧] ٠
- السيل الذي دخل الكعبة مع بابها عام ١٣٢٧هـ [ص ٩٩] ٠
- القحط المسمى ساحوت عام ١٣٢٨هـ [ص ١٠٠] ، الجدب وغلاء والأسعار عام ١٣٢٧هـ [ص ٩٩] ، وقد ذكره ابن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان [٢ : ٩١] ٠
- الوباء في نجد ــ سنة الرحمة ــ عام ١٣٣٧هـ [ص ١٢٦] ٠
- الاعتداء على الحجر الأسود وكسره من رجل أفغاني وقتله عام ١٣٥٠هـ [ص ٢٨٥] ٠
- رد ماء العيينة بعد غوره عام ١٣٥٤هـ [ص ٣٣٢] ٠
- بناء عدة حصون في بعض المدن في المملكة العربية السعودية في أحداث عام ١٣٥٥هـ [ص ٣٣٦] ٠
- سماع صوت في السحاب في مدينة الجوف كنذير للناس ، وهذا من المعجزات ، وقد نقل هذا عن مصدر أشار اليه ، ووثقه ، وحدد هذا بيوم ١٣٥٥/٥/٢٣هـ [ص ٣٣٦] ٠

هذه الأشياء تعطي للكتاب قيمة ، وللمؤلف منزلة ٠

ذلك أنه بعمله هذا يستطيع الاعتناء بأمور تهم الباحث عن الحقائق والمصطلحات ودراسة النواحي الاجتماعية ، لبيئة عاصرها المؤلف ، ولا يوجد من معالمها في عصر الباحث الا ما دونه السابقون له من أحداث ، وما رصد في الكتب من معلومات ولا ينقص من قدر الكتاب اغفاله لأحــــداث عام ١٣١٣هـ ، أو تجاهله لها فقد يكون لا أحداث فيها لديه ، بدليل أنه ذكر من أحداث عام ١٣١٢هـ الخلاف بين آل صباح في الكويت [ص ٤٦] ، بينما هي عند مقبل الذكير في تاريخه [١ : ١٠١] ، والزركلي في الأعلام [٦ : ١٥٠] ، في عام ١٣١٣هـ ٠

مكانة الكتاب التاريخية وأهميته : ـ

الى جانب المظاهر البارزة في هذا الكتاب ، وهي من الجودة والكثرة ، بحيث تضفي على هذا الكتاب مكانة جيدة ، وتزيد الاهتمام به كمصدر من مصادر التأريخ ، فان المؤلف قد حرص على الاهتمام بأحداث تاريخية ، اختلف فيها المؤلف عن غيره ممن دون تاريخ الحقبة الحافلة بكل جديد ، تلك الفترة التي تمثل لم الشمل ، وتوحيد ما تفرق من أجزاء البلاد ، وبناء وحدتها ، على يد المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ٠

ولا شك أن مثل هذه الاختلافات ، ـ وهي كثيرة عنده ـ اذا قورنت بمجهودات الآخرين ، تهم الباحثين ، وتفتح أمامهم بابا واسعا للنقاش ٠ والمحاورة ، ومن ثم الترجيح ، وتقريب وجهات النظر اذا وجد بينهـا تناسب ٠ كما وأن كثرة المخطوطات في أية أمة ، واهتمام أبنائها بالتدوين والتأليف ، دليل مادي ، يوضح المكانة العلمية التي تتمتع بها هذه الأمة ، وبرهان يقيني على نضج عقلي عند أبنائها ٠

كما أن الاختلافات بين مؤلف وآخر ، يسلط الضوء على استقلالية المؤلف ، وحرصه على أخذ المعلومات من مصادر متنوعة ٠

ومن تلك الاختلافات التي برزت عنده : ـ

١ ـ المؤلف يرى أن امارة عبد الله بن جلوي (٠٠٠ ـ ١٣٥٤هـ ٠٠٠ ـ ١٩٣٥م) على القصيم عام ١٣٢٧هـ [ص ٩٩] ٠

بينما يرى الزركلي في كتابه شبه الجزيرة ، أن ذلك عام ١٣٢٦هـ [٢ : ٤٦٠] ، وبرأي الزركلي هذا قال الشيخ ابراهيم بن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان [٢ : ٨٩ ٩٣] ٠

٢ ـ يرى المؤلف أن الشريف حسين خرج للقويعية عام ١٣٢٩هـ [ص ١٠٣] ، بينما الأمير سعود بن هذلول في كتابه تاريخ ملوك آل سعود ، أثبت أن ذلك عام ١٣٢٨هـ [ص ٩٢] ٠

٣ ـ أوضح أن أول هجرة للبادية ، بعدما دينوا كانت الأرطاوية عام ١٣٣٠هـ [ص ١١٥] ٠

بينما قال فؤاد حمزة في كتابه قلب جزيرة العرب ، ان أول هجرة عام ١٣٣٤هـ ، [ص ١٠٢] ، لكن الناشر استدرك عليه في الحاشية ، بما يوافق رأي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ٠

٤ ـ في أحداث عام ١٣٣١هـ أوضح بأن الشيخ قاسم بن ثاني توفى في قطر ، في تلك السنة ، وأن ولادته كانت عام ١٢١٦هـ ٠

وقد اختلف في هذا مع ابن هذلول ، الذي أثبت أن وفاته عام ١٣٣٤هـ [ص ١٠٨] والزركلي الذي قال في الأعـــلام بأنه ولد عام ١٢٣٦هـ [٦ : ١٩] • ومثل هذا وفاة الشيخ مبارك الصـــباح الذي أورده في عام ١٣٣٣هـ [ص ١٢١] ، بينما خالفـــه في هذا كل من الزركلي في الأعلام [٦ : ١٤٩] ، وسعود بن هذلول في تاريخـــه [ص ١٠٨] ، وابن عبيد في تذكرة أولي النهى والعرفان [٢ : ١٩٤] ، حيث اعتبروا وفاته عام ١٣٣٤هـ ، وقال عن سليمان بن سحمان [١٢٦٦ ــ ١٣٤٩هـ] بأنه توفى عام ١٣٤٨هـ (١) هو والشيخ سعد بن عتيق ، الأول في شهر صفر والثاني في جماد أول [٢٦٦] ، بينما يرى الزركلي أن وفاتهما (٢) •

٥ ــ وهناك أمور يكون الاختلاف واضحا بين المؤرخين أنفسهم ، وهذا الاختلاف اما بالتأريخ ، وتحديد الشهر والسنة ، كما في وقعة الجهراء ، أو بالسنة كما في الشقاق الذي حصل بين أفراد بيت آل رشيد ، وقتال بعضهم لبعض ، أو في المسببات لبعض الوقائع ، وهذه الأمور من الأشياء المسلم بها في المؤلفات التأريخية •• لأن الاختلافات لا ضابط لها في أمور تستقى أغلب أحداثها ، ومعلوماتها من أفواه النـــــاس ، دون تمحيص أو تدقيق في السند ورجاله ، والأمور وملابساتها •

وتكبر أهمية المعلومات ، ويزداد ثقلها ، عندما يرصد المؤلف أوليات تتعلق بالمجتمع الذي يعيش فيه ، والبيئة التي تحيط به ، اذ هي لا تقل أهمية عن تدوين أهم الوقائع التأريخية ، التي ترتسم في مخيلة الصغار ، لما يسمعونه من أنبـــاء تناقلوها وتوارثوها عن آبائهم وأجـــدادهن ، في المجالس والمنتديات •

تلك الأوليات تكبر أهميتها ، عندما يتتبع الباحث دورها في تغيير المجتمع ، وتهيئة البيئة ••

ومن هذه الأوليات التي أشار اليها المؤلف :

١ ــ أول من دين من البادية مطير وحرب عام ١٣٣٠هـ [ص ١١٤] •

٢ ــ أول هجرة لهم الأرطاوية شرق المجمعة ، وأوضح سبب اختطاطها في أحداث عام ١٣٣٠هـ [١١٥] ، ومن أولياته تعمير قصر جوى بمنطقة سدير [ص ٣٠٨] •

٣ ــ قدوم خالد بن لؤي رئيس الخرمة للرياض بعـــد خلافه مع الشريف حسين ثم تقديمه الولاء للملك عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٣٦هـ [ص ١٢٦] •

٤ ــ أول من اتخذ العمامة شعارا ، ثم غلو الأخوان في أشياء كثيرة عام ١٣٣٧هـ [ص ١٤١] •

٥ ـ البيعة العامة من أهل نجـد والأحساء للامام عبـد العزيز ابن عبد الرحمن عام ١٣٣٩هـ [ص ١٦٨ ـ ١٦٩] ٠

٦ ـ تعيين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر في مكة وسببه عام ١٣٤٣هـ ، [ص ٢١٠] ، وقد سبقها مناظرة بين العلماء من أهـل نجد ، وأهل مكة في مسائل الدين في ١١/٥/١٣٤٣هـ

٧ ـ استعمال عبد الله السليمان للجباية « الوزارة » عام ١٣٤٤هـ [ص ٢٢٥] ٠

٨ ـ ولعل أهم هذه الأوليـات في نظر العسكريين ، ودراسـة الاستراتيجية الحربية ، اعطاء معلومات عن أول وقعة بالمصـفحات ، في تأريخ الجزيرة العربية ، وذلك في يوم ١٨/٨/١٣٤٣هـ [ص ٢١٣] ٠

٩ ـ أما حياة الملك عبد العزيز رحمه الله ، الذي يسميه المؤلف مرة بالامام ، ومرات بالرئيس ، فانه قد أضفى عليها من التتبع والرصد الشيء الكثير ، اذ حياته مقترنة بتأريخ البلاد بأسرها ٠

لكن البارز عنـد المؤلف تلك الفترة ، التي سبقت الاسـتيلاء على الرياض عام ١٣١٩هـ فقد أثبت أن ولادته في ٢٩/١٢/١٢٩٧هـ ٠

كما أنه خرج وعمره أحـد عشر عاما مع الشـيخ عبـد الله ابن عبد اللطيف ، ومحمد بن فيصل في صلح الرياض ، مع ابن رشـيد عام ١٣٠٨هـ [ص ٣٩] ٠

وأن ابن رشيد قد هدم سور الرياض عام ١٣٠٩هـ بعد عودته من حريملاء ، كما هدم قصر الامام فيصل ، وقصر ابنه عبد الله [ص ٤٣] ٠

وفي ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ عن ارسـال الامام عبد الرحمن ابنـه عبد العزيز للبحرين ، وذهابهما سويا للأحساء ثم الكويت ، وعلل رغبة الامام عبد الرحمن البقاء في الكويت في أحداث عام ١٣٠٩هـ ٠

وفي ص ٥١ أبان بأن الملك عبد العزيز دخل الرياض عام ١٣١٧هـ ، وأسباب انصرافه عنها ٠

وفي ص ٥٤ ـ ٥٥ تحدث عن استعادة الرياض في عام ١٣١٩هـ على يد المغفور له الملك عبد العزيز رحمه الله ، وتحصينها ، واستبشار أهلها بعودته ٠

مصـادره :

تبين مكانة المؤرخ العلميـة ، وحرصه على توثيق المعـلومات ،

واستقصائها من مظانها ، في تتبعه للمصادر ، وبحثه عن الحقيقة المعينة ، التي ترشده للمعلومات ، وتربطه بتسلسل الأحداث ، وتعطيه الآراء المختلفة ، ليوازن بينها ، ويرجح ما تتأصل قوتها لديه ٠

يقول ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) في مقدمته : « ان المؤرخ يحتاج الى مآخذ متعددة ، ومعارف متنوعة ، وحسن نظر ، وتثبت ، يفضيان بصاحبهما الى الحق وينكبان به عن المزلات ، والمغالطة ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة ، وقواعد السياسة ، وطبيعة العمران والأحوال ، في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومزلة القدم ، والحيدى جادة الصدق » [ص ٧] ٠

والمؤلف عبد الرحمن بن ناصر في كتابه هذا ، اجتهد وحرص في أن يأخذ معلوماته من مصادر متعددة ، أشار الى كثير منها ٠٠ وأغفل البعض ٠

وهذه منهجية حديثة لا يهتم بها الى المتعمقون في البحث ، ولذا فانها تذكر لمؤلفنا هنا بميزان الترجيح ، والمكانة ٠

كما أنه التمس لنفسه عذرا أمام القارىء ، فيما يقع فيه من زلل ، أو يصاحبه من اختلاف ، في سرد الحقائق التاريخية ، وما جاء به من معلومات ، اذ الكمال لله وحده ، وأن من يعمل لابد أن يأتي من يستدرك عليه [انظر مقدمته ص ٢٢ ـ ٢٣] ٠

وان المتتبع لمقدمة المؤلف ، التي تتصف بالابانة عن أكبر عدد من مصادره ، واستعراض أسماء بعض المؤلفين الذين استقى منهم ، لتعطي القارىء فكرة عن المنبع الذي أخذ منه ، والمنهج الذي سار عليه ٠

ويكمل هذا ، ويزيده رسوخا ، الجزء الذي أشرنا اليه من رسالته للشيخ حمد الجاسر ، في دفاعه عن نفسه ، وكتابه هذا ، عما توهمه فلبي بأنه ليس من جهد المؤلف وانما هو الجزء المفقود من كتاب عقد الدرر لابراهيم بن صالح بن عيسى ٠٠ ثم بما يذكره عرضا من تلميحات عن مصادر استقى منها هذه المعلومات كالجريدة الرسمية للدولة ـ أم القرى ـ ٠

ومن المراجع التي أبان عنها المؤلف في الجزء الأول من كتابه : ـ

١ ـ لعل المصدر الرئيسي ، والمرجع الأول الذي استقى منه المؤلف فكرة التأليف ، وتجميع المعلومات ، ومن ثم رصدها في مؤلف تاريخي متبلور ، هو الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، الذي طلب منه أن

يضع كتابا ، يتضمن ذكر ما وقع في أول القرن الرابع عشر من الحوادث والوقائع [انظر مقدمته ص ٢١ ـ ٢٢] .

فهو يقرأ عليه ما كتبه ، وينقل عنه مايجهله ، فيملي الشيخ العنقري على المؤلف ، ويصحح ما رصد من معلومات .. كما أوضح ذلك في خطابه للشيخ حمد الجاسر الذي نشر بعضه في مجلة العرب ج١٠ م ٥ عندما قال : « وانما طريقتي في كتابة التاريخ أنني عندما أردت أن أسـوده ، التزم لي فضيلة الشيخ العنقري رحمه الله باملائه علي من موقف ابن عيسى ، الى وفاة محمد بن رشيد ، وقال انني أميز من ابن عيسى بما حدث في ذلك الوقت ، وأحفظ منه ، وأملاه علي من حفظه رحمه الله » [ص ٨٩٩ الحاشية] .

١ ـ وقوله : « وأما ما كان بعد وفاة محمد بن رشيد ، وكان غير خاف علي وعلى الشيخ فكنت أسعي في رقمه ، وأقرأه على الشيخ ، وأتراود أنا واياه فيما يشكل ، فاذا نقحته أثبته » [نفس المصدر] .

٢ ـ يعتبر والده واحد من مصادره فهو ينقل عنه ، يقول في مقدمته : « قال الوالد رحمه الله ، ومن خطه نقلت » [ص ٦] .

٣ ـ وينقل عن ياقوت الحموي (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ/١١٧٨ ـ ١٢٢٩م) من كتابه الجمهرة ، في حديثه عن نسب الشيخ محمـد بن عبد الوهاب (١١١٥ ـ ١٢٠٦هـ/١٧٠٣ ـ ١٧٩٢م) عندما قال : « ومن عقبة الى مر منقول عن صاحب الجمهرة » [ص ٦] ، ولعـله يعني كتاب ياقوت : « المقتضب من كتاب جمهرة النسب » .

٤ ـ كما ينقل عن مجموعة من علماء الوهبة المشهورين ، نسـب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قوله : « وهذا النسب من ريس الى عقبة منقول من خط أحمد بن منيف ، ابن بسام القاضي ، ومن خط علماء الوهبة المشهورين مثل الشيخ أحمد بن بسام ، وحمد بن محمد بن حسن القصير ، الشيخ سليمان بن علي ، وأحمد البجادي ، وعبد المحسن بن شارخ البشري وغيرهم » [ص ٦] ، لكنه لم يسم المصادر التي نقل عنها وهل لهؤلاء كتب مؤلفة لا نعرف عنها شيئا ؟؟ أم أن بعضهم نقل عن بعض ؟ لكن عبارته توحي بالنقل من خطوط هؤلاء .. وهذا الايحاء يفتح مجالا للتساؤل عن المصادر التي أخذ منها ؟؟ .

٥ ـ ينقل عن الشعبي ، لكنه لم يسم المرجع الذي أخذ منه هذا الكلام أيضا ، ذلك أن غالبية كتب التاريخ ، والتراث ، تنقل كلام الشعبي هذا ، الذي يشير الى بداية التاريخ منذ أن هبط آدم من الجنة [راجع المقـدمة ص ٢٣ ـ ٢٤] .

٦ ــ من مراجعه أيضا : كتاب الشيخ حسين بن غنام الأحسائي : روضة الأفكار والأفهام ، لمرتاد حال الامام ، وغزوات أهل الاسلام ، حيث أوضح أنه ابتدأ من ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانتهى بنهاية عام ١٢١٢هـ [ص ٢٦] ٠

٧ ــ وعثمان بن بشر في تاريخه ، ولم يذكره بالاسم : « عنوان المجد في تاريخ نجد » ، الا مرة واحدة ، وأوضح أنه ابتداه عام ٨٥٠هـ ، وتوقف فيه بنهاية عام ١٢٦٨هـ [راجع كتابه ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦] ٠

٨ ــ وعقد الدرر ، فيما وقع في نجد من الحوادث والغير ، في آخر القرن الثالث عشر ، وأول الرابع عشر ، وقال بأنه ابتدأ من نهاية ابن بشر ، وأنهاه الى نهاية عام ١٣٠٢هـ [ص ٢٦] ، وينقل عن خط ابن عيسى حتى نهاية هذه السنة مما يدل على اعتماده في تاريخه عليه ، فقد قال : « انتهى ما نقلت من خط ابراهيم بن صالح بن عيسى ، ثم أعقب ذلك بقوله : ثم دخلت السنة الثالثة بعد الثلاث مائة والألف » [ص ٣١ ــ ٣٢] ، لكن المطبوع من هذا الكتاب حاليا انتهى يوم ١٣٤٠هـ لكنها من عام ١٣٠٢هـ نتف مجملة ، وفي كتابه الآخر تاريخ بعض الحوادث في نجد كذلك ٠

٩ ــ هناك مؤرخون نقل عنهم ، لكنه لم يسمهم ، واقتفى أثرهم ولم يشر اليهم ، فهل يعني بذلك هؤلاء الذين مر على أسمائهم ، أم هناك غيرهم ؟؟! ٠

أغلب الظن أنه يعني الطرفين ٠٠ ويشملهم بهذا المصطلح المجمل الذي لا يحدد أحدا بعينه ٠٠ فهو يقول : « وطلبت من الله الاعانة والتوفيق والرشاد ، وسلكت مسلك المؤرخين ، واقتفيت آثارهم ، وضربت صفحا عن ما سبقني اكتفاء بما حررته أقلامهم ، وشرعت في المقصود ، وجعلت ماجمعت ذيلا على تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى » [ص ٢٧] ٠

وفي وفاة الامام محمد بن سعود ذكر أن ذلك عام ١١٧٩هـ ، على ما ذكره المؤرخون [ص ١٢] ٠

وفي حوادث الدرعية ، وما أوقعه ابراهيم باشا (١٢٠٤ ــ ١٢٦٤هـ ١٧٩٠ ــ ١٨٤٨م) بأهلها من القتل والنهب قال : « على ما ذكره المؤرخون » [ص ١٤] ٠

١٠ ــ ينقل عن الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٦ ــ ١٣٤٩هـ ١٨٥٠ ــ ١٩٣٠م) بعض قصائده ، ومن المحتمل أن يكون نقل عنه شخصيا لأنه معاصر له ، أو أنه تحصل على هذه القصائد ودونها ، أو سمعها فكتب ما تراءى له منها ، لكن المأخذ عليه هنا أنه يتصرف في الشعر عندما قال بعد ايراده قصيدة لابن سحمان في الحاشية : « انتهى ما نقلته من كلام

الشيخ بعد التصرف ، وقد امتدح رئيس المسلمين ، بقصائد عديدة تركناها للاختصار » [ص ٧٥] .

ومن المعروف عند النقاد ، أن التصرف يتم في النثر ، أما الشعر فلا يصح التصرف فيه ، بل يبقى على حالته ، وما على من يريد التصرف أو التعديل الا التعليق في الحاشية بما يراه .

١١ ـ ينقل عن جريدة أم القرى ، الجريدة الرسمية للدولة معاهدة الطائف ، وبنود تلك الاتفاقية ، لكنه لم يشر للعدد ، أو تاريخ الصدور ، ولا يسميها باسمها ، بل يطلق عليها اسم « جريدة مكة » [ص ٣٢٣] .

١٢ ـ ينقل رسائل يبعثها الملك عبد العزيز لأجزاء المملكة ، ارشادية وتوضيحية ، في أمور الدين والدنيا ، ومثلها رسائل كبار المشايخ ، التي تتلى في المساجد على الناس بعد صلاة الجمعة .

وفي هذه الرسائل استدلالات من كتب الحديث والفقه ، وكلام الأئمة الأعلام كابن تيمية في الدلائل الشرعية ، وابن رجب ، والفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل وغيرهم [ص ٢٤٦ ـ ٢٥٧] .

وبعد : فهذا عنوان السعد والمجد ، ومؤلفه عبد الرحمن بن ناصر ، له حسنات وعليه مآخذ ، لا أقول هنا انني أوفيت الموضوع حقه ، فدراسته تحتاج الى جهد ووقت ، لكن الذي أتمناه أن يوجد الجزء المفقود « الجزء الثاني » ليضم مع الموجود .. لعلهما سويا يكونان في صورة منقحة ، يبرز فيها جودة الكاتب ، وتبين فيها آثاره ، ويتجلى في جنباتها جهده .

فلكل عمل سقطات ، ولكل مجهود نواقص ، ولا أشك أن الجهد المبذول من المؤلف ينبىء الا عن حرص شديد ، ودراية بالموضوع ، واجتهاد في تتبع الأحداث وان الأمل في وجود واحدة من النسخ المنقحة ، التي أشار اليها الشيخ حمد الجاسر ، يقضي على كثير مما طرحناه هنا ، اذ ربما تكون جميع هذه الاستدراكات أو أغلبها قد راعاها المؤلف ، أو تلافاها .

كما وأن محاولة تبويب الكتاب وتنقيحه عند اخراجه ، أمر تدعو اليه الحاجة ، ويزيد المكتبة التاريخية ، والحصيلة التراثية عندنا ، بمرجع نعتبره مكملا لما بين أيدينا من تاريخ متسلسل لنجد ، حيث ينتظم عقد فترة تاريخية ابتدئت من تاريخ ابن غنام ، فابن بشر ، وابن عيسى ، ثم ابن ناصر .

خاصة وأنني أتوقع أسبقية ابن ناصر في بدء التدوين ، للفترة التالية لتاريخ ابن عيسى ، وللبادىء الفضل دائما .. مهما حصل عنده من قصور .

ومن جهة أخرى فان هناك جهودا تبذل لاخراج تاريخ الفاخري ، كما أخرج قبله تاريخ المنقور ، واشاعات غير مؤكدة حول الباقي من تاريخ ابن عيسى وغيرهما من الكتب التي تعرضت لتاريخ هذه البلاد ، واهتمت بما فيها من أحداث ٠

ولعل سائلا يستوضح عن المردود من هذه الدراسة المطولة ، لمثل هذا الكتاب ومؤلفه ، وعن فترة من الزمن حظيت بدراسات عديدة ٠

وجوابي على ذلك أن التراث جزء من حياة الشعوب ، وكلما كثر الاعتناء به ودراسته دل على يقظة فكرية ، وكلما تكاثرت الكتب المؤلفة في هذا المجتمع ، لرصد علومه ومعارفه ، والابانة عن رجالاته ودورهم القيادي والاجتماعي ، كان هذا برهان على مستوى المعرفة التي وصل اليها أفراد هذا المجتمع ، والمكانة التي تبوأها المفكرون فيه ٠٠ وهناك ناحية تهم العالم الاجتماعي ، والمستنتج للمؤثرات في البيئة ، وعادات وتقاليد أفرادها ٠٠ ومستواهم الثقافي والعلمي ، يستلهم ذلك من جوانب هذا المؤلف ، ليترجمه في قالب آخر حسب فهمه وادراكه ٠

والناحية التاريخية دليل على الماضي العريق ، والمنزلة الرفيعة التي احتلتها الأحداث والعناية التي تلقاها ، وما تتركه من صدى ٠

والشيخ عبد الرحمن بن ناصر واحد من مجموعة ، اهتم وعمل ، وبذل جهدا ووقتا ، في المشاركة العلمية ، وتأدية الواجب ٠٠ فأخرج كتابا له مكانة علمية وتاريخية ٠

رأيت لزاما علي أن أسلط الضوء عليه ، وعلى نتاج فكره ، في وقت لم أر من اهتم به ، أو درس تاريخه ، أو جد في البحث عما نقص منه ٠

راجيا أن تسعى دارة الملك عبد العزيز ، بجهود معالي الشيخ الشاب حسن بن عبد الله ، والقائمين عليها ، الى البحث عن واحدة من النسخ الأربع المنقحة ، والجزء الثاني الذي أشار اليه المؤلف ٠٠ لتضم ذلك لخزانتها الحافلة ، فهي المرجع في مثل هذا ٠٠ اذ دورها الأول التجميع ، ودور الدارسين والباحثين التنقيح ، ومهمة المتعمقين الترجيح والتصحيح ، ثم يأتي الدور الأخير ، وهو من مهمة الدارة في نظري باخراج التاريخ المتكامل للبلاد ، والذي يشمل النواحي المتعددة في موسوعة تاريخية تضم القرون السابقة ٠٠ رجالا وأحداثا ٠٠

وما ذلك على همم الرجال ٠٠ وجهودهم بعسير ٠٠ والله الموفق ؟

أهم المصـــادر

١ ـ الأعـــلام ـ خير الدين الزركلي الطبعة الثـــانية مطبعـة كوستاتسوماس عام ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م ٠

٢ ـ بحث عبد الفتاح أبو عليه المقدم لجامعة الرياض عن مصادر التاريخ في الجزيرة العربية « مخطوط باسم مصادر تأريخ الجزيرة » ٠

٣ ـ تاريخ الأمم والملوك ـ للطبري ـ دار القاموس الحديث للطباعة والنشر ـ بيروت ٠

٤ ـ تاريخ ابن غنام المسمى : روضة الأفكار والأفهـــام لمرتاد حال الامام ، وغزوات ذوي أهل الاسلام ٠ الطبعة الأولى عام ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ٠

٥ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد للشيخ ابراهيم بن صالح ابن عيسى ، من منشورات دار اليمـــامة بالرياض الطبعـــة الأولى عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م باشراف حمد الجاسر ٠

٦ ـ تاريخ مقبل الذكير ـ مخطوط بمكتبة معهد الدراسات الاسلامية بجامعة بغداد ٠

٧ ـ تاريخ ملوك آل سعود ٠ الأمير سعود بن هذلول الطبعة الأولى مطابع الرياض عام ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ٠

٨ ـ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م الناشر دار العلم للملايين بيروت ٠

٩ ـ تذكرة أولي النهى والعرفان ـ ابراهيم بن عبيد الطبعة الأولى ، مطابع مؤسسة النور للطباعة والتجليد ـ الرياض ٠

١٠ ـ عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر ـ ابراهيم بن صالح بن عيسى ٠ طبع على نفقة وزارة المعارف بالرياض ٠

١١ ـ علماء نجد خلال ستة قرون ـ عبد الله بن بسام ٠ الطبعـة الأولى عام ١٣٩٨هـ مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ٠

١٢ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد ـ عثمان بن عبد الله بن بشر ـ طبع على نفقة وزارة المعارف بالرياض ، مطبعة صادر بيروت عام ١٣٨٧هـ ٠

١٣ ـ قلب جزيرة العرب ـ فؤاد حمزة الطبعة الثانيـــة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م الناشر مكتبة النصر الحديثة بالرياض ٠

١٤ ــ مجلة اليمامة عام ١٣٨٠هـ العدد ٢٦٩ ــ تصدر بالرياض عن مؤسسة اليمامة ٠

١٥ ــ مجلة العرب ج١٠ م ٥ عدد ربيع الثاني عام ١٣٩١هـ يونيو عام ١٩٧١هـ تصدر عن دار اليمامة بالرياض ، والعدد ج ٧ ، ٨ س ١١ شهر محرم وصفر عام ١٣٩٧هـ ــ فبراير عام ١٩٧٧م ٠

١٦ ــ مقدمة ابن خلدون ــ مطبوعات مكتبة ومطبعة الحاج عبد السلام محمد شقرون بمصر ٠

١٧ ــ معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ــ دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر بيروت ٠

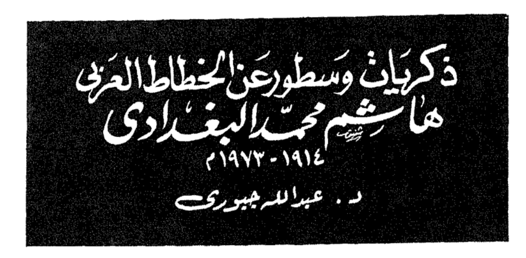
١٨ ــ نجد وملحقاته ــ أمين الريحاني ــ مؤسسة دار الريحاني ــ بيروت الطبعة الرابعة عام١٩٧٠م ٠

د٠ محمـد الشـويعر

الهـــوامش

١ ــ ٢٠ بيتا من قصيدة الغزاوي التي جاءت في ص ٢٩٠ ٠ كما يبدو وجود سقط بين ص ٣٠٧ وما بعدها لعدم تسلسل الأحداث ٠

٢ ــ عام ١٣٤٩هـ [الأعلام ٣ : ١٣٣ ، ١٨٧] وتابعـه كحالة في معجم المؤلفين [٤ : ٢١١ ، ٢٦٤] ، وعندي أنهما أرجح من المؤلف حيث أيدهما ابن بسام في علماء نجد [١ : ٢٦٦ ــ ٢٦٨ ، ٢٧٩] وعبد الرحمن بن عبد اللطيف في مشاهير علماء نجـد [٢٩١ ــ ٢٢٨] ٠



تنفس سحر يوم الاثنين ٢٧ ربيـــع الأول ١٣٩٧هـ الموافق ٣٠/٤/١٩٧٣م (عن نبأ هز بغداد ، اذ هوى علم ضخم من أعلام فن الخط العربي في العراق ، لقد مات هاشم محمد البغدادي الخطـــاط العظيم ...) .

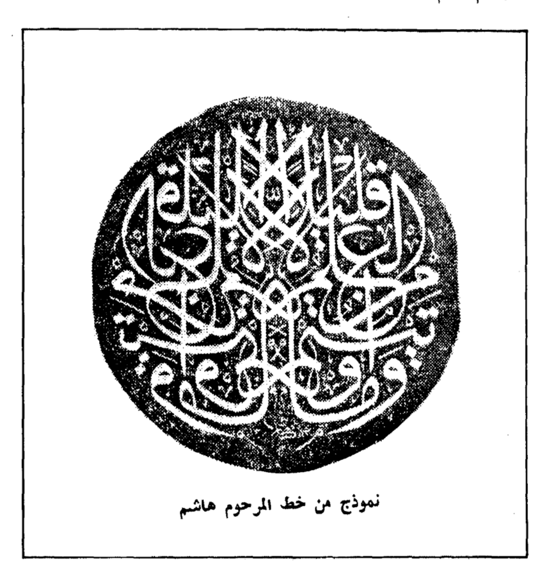
عرف الخط العربي فحولا من أهل الصـــناعة الحرفية ، واحتفل بأنماط فذة من ميامينهم ، أمثال ابن مقلة ، وابن البواب ، والمستعصمي ، وغـــيرهم .... حيث ظلت آثارهم نماذج تحتذى عند القوم ، ثم جاءت عصور واندرجت أخرى ، فنجم في السعدي والوهبي والرشدي وغيرهم من أعيان القرن الثالث عشر الهجري .

ولكن بقي هذا الفن يحن الى عملاق يعيد اليه روعتــه العظيمة ، حتى قيض الله (سبحانه) للغة القرآن الكريم فذا نابغا في القرن الرابع عشر الهجري ، ذلكم هو : هاشم محمد البغدادي ، الذي أعاد الى الخط العربي عبقريته وقوة سحره اللتين خبتا حيناً من الدهر .

ولد هاشم محمد في بيت متواضع ، نابه الشرف ، عريق المحتد ، وهذا البيت مازال شاخصا في محلة (العزة) من محال الرصافة من بغداد وذلك في عام ١٩١٤م .

ولابد من الالماع الى سنة ولادته لأن اختلافا وقع في ضبطها ، ... ورد في دليل الجمهورية العراقية ١٩٦٠م في الصفحة (٧٩٤) أن سنة ولادته هي : ١٩١٧م ، وكان المرحوم قد كتب مادة : « الخط العربي في العراق » في الدليل المذكور ، وأشرف على كتابة خطـــوطه ثم أن أخاه لأمه الدكتور

« نوري حمدي القيسي » الاستاذ المساعد في كلية الآداب : جامعة بغداد ، روى لي أن صواب سنة ولادته هو : ١٩٢١م نقلا عن والدته التي تذكر أن ولدها هاشم ولد في سنة دخول الملك فيصل الأول بغداد ١٩٢١م ، وقد روى لي الخطاط النابغ الأستاذ : « يوسف ذنون الموصلي » وأحد خلصاء المرحوم هاشم ومن أصدقائه الأوفياء أن هاشما قال له : ان ولادته كانت أكثر



نموذج من خط المرحوم هاشم

من التاريخ المثبت في دليل الجمهورية وفي « دفتر النفوس » وهذا مما يجعلنا نميل الى سنة ولادته في : ١٩١٤م ، ويقوى هذا الرأي أنه اشتغل مستخدما في وزارة الدفاع العراقية في (معمل العتاد) في حدود سنة ١٩٣٤م ٠

وفي ١٩٣٧/١١/١٧م عين في مديرية المساحة العامة ، وفي حدود عام ١٩٣٣م كان يراسل الخطاط السوري المعروف المرحوم « بدوي » كل هذا يجعل الباحث يميل الى أن سنة ولادته كانت قبل عام : ١٩١٧م ٠

ولما اشتد عوده انتظم طالبا في المدرسة الأحمدية ، احـــدى مدارس بغداد الدينية وتتلمذ للشيخ (الملا) عارف الشيخلي (١) . فختم القرآن الكريم وأخذ أصول الخط العربي عليه ٠

ثم تتلمذ لجمهرة من خطاطي بغداد ، كان من أظهرهم المـــلا علي الدروش « محمد علي الفضلي » أحد الخطاطين المبرزين في عصره والمتوفي سنة ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٨م وكان يدرس الطلاب علوم الشريعة والخط في جامع الفضل ببغداد ، قضى حياته في غرفة من غرفه (٢) وقد تفنن باجادة فنون الخط العربي وبخاصة : النسخ والتعليق ، لذلك كان يكلف بكتابة (الارادات الملكية) ٠ ومن آثاره : سجلات المحكمة الشرعية في بغداد وبعض المخطوطات التي كان ينسخها لنفسه ولشيخه العلامة الزاهد « قاسم القيسي » مفتي بغداد الأسبق المتوفي سنة ١٩٥٥م ٠

وعلي الملا علي برع هاشم حيث صقل مواهبه الثرة ومنه استمد قوة خطه وبخاصة : الثلث والتعليق كما حدثني بذلك نفسه ـ رحمه الله ـ ثم قدم الى الامتحان في القاهرة عن طريق مدرسة تحسين الخطوط في الاسكندرية وبواسطة المرحوم محمد ابراهيم مديرها فقد كانت هناك منافســـة بين الاسكندرية وبين القاهرة ، اذ كانت في القاهرة مدرسة تحسين الخطـــوط الملكية ، وقد حصل على الدبلوم بدرجة (امتياز) في سنة ١٩٤٥م وذلك بموجب قرار وزارة المعـــارف المصريـــة ذي الرقم (٦٦٣٥) والمؤرخ في ١٨/ديسمبر/١٩٤٥م ، وكان وزير المعارف آنذاك العلامة الفقيه الدكتور عبد الرزاق السنهوري المتوفي سنة ١٩٧١م ، ومدير الدار الأستاذ المرحوم محمد ابراهيم ٠

فاتصل في أثناء مكثه هناك بالخطاط المشهور (حسني) المتوفي سنة ١٩٧٢م ، والمرحوم سيد ابراهيم فأجازاه اجازة تامة في أنواع الخطوط ٠

شغف المرحوم هاشم بالخط وفنونه ، وراح يبحث عن آثار أساطينه في المحاريب والقباب وواجهات الجوامع في بغداد واستانبول ، وقد استبد به الاعجاب بجمهرة من خطاطي الأتراك أمثال : مصطفى راقم الذي : « اختزل كثيرا من قواعد الخط العربي وأبدع فيه بحيث أصبح رئيس الخطاطين في عصره ، وتعتبر خطوطه من أروع ما ورثناه من الكتابة العربية كما قال هاشم ٠ حتى أنه أسمى كبير أنجاله باسمه (راقما) كما حدثني بذلك ٠ ذكرى واعجابا بمصطفى راقم ٠

ثم اتصل بالخطـــاط العظيم حامد الآمدي « موسى عزمي » والذي يعده : أحسن من خلف راقما في جمال خطه ومتانة قواعده وسيطرته على ضوابطه ٠ أهـ ٠.

فأجازه باجازة أولا ثم بعد ذلك على « التقدير » كانت اجازته الاولى له بين خطاطي البلاد العربية وذلك في سنة ١٣٧٢هـ واليك نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي هاشم محمد البغدادي الخطاط

شاهدت فيك الصدق والاخلاص والمحبة لهـــذا الفن الجميل الذي لم يندثر مادام الاسلام قائما وأعهـد فيـــك أن تكون من أخيارهم وأول الخطاطين في العالم الاسلامي فلك أهدي أزكى التحيات لما أنت فيه من تقدم دائم ·

كتب في الاستانة سنة ١٣٧٢هـ
أستاذك المخلص
موسى عزمي المعروف بحامد الآمدي

ثم اتصل بالخطاط التركي ماجد الذي ساعد على تعيينه أستاذا للخط العربي في معهد الفنون الجميلة في بغداد وذلك في سنة ١٩٥٧م ·

ومما جعل لهاشم الصدارة في فنه تمكنه من فنون الريازة الاســلامية الذي تخصص في ابداع فنونها وفي اجادته أنواع الخطوط العربيـــة كافة وبحسن التزويق بالذهب الخالص والمينا اللازوردية · وهذا ما كان يقصر دون البلوغ اليه فطاحل أهل الفن ·

ومما ميزه عن أقرانه وأعيان عصره في فنه أنه كان يخط على **قاعدة** (٤) ياقوت المستعصي ويرى أنها القاعدة البغدادية الصحيحة ·

آثـــاره :

ترك هاشم آثارا وفيرة من فنون الخط العربي في بغداد وفي غيرها من حواضر العالم الاسلامي ومن هذه الآثار الخرائط التي صدرت عن مديرية المساحة العامة في بغداد ، ومن آثاره : الاشراف على طبع المصـــحف (٥) « الأوقافي » الذي صدر عن مديرية الأوقاف سنة ١٣٧٠هـ وطبع في مديرية المساحة العامة وهذه النسخة من أجمل النسخ الخطية للقرآن الكريم التي وصلت الينا وقد كتبها الخطاط التركي الشهير « محمد أمين الرشدي » في سنة ١٢٣٦هـ ·

ثم أصبحت هذه النســـخة المباركة من (موقوفات) والدة السلطان عبد العزيز خان ، حيث وقفتها على مرقد الشيخ الجنيد البغدادي ثم آلت الى مكتبة الامام الأعظم ثم انتقلت الى مكتبة الأوقاف العامة ونظرا لنفاستها من جهة ولنفاد نسخها من جهة أخرى قررت مديرية الأوقاف العامة اعادة طبعها في ألمانيا فندبت لهذه المهمة الجليلة (أبا راقم البغـــدادي) وذلك للاشراف على طبعها واصلاح ماتمس الحاجة اليه أمثال : كتابة عنـــاوين السور ونحوها ، فطبعت للمرة الثانية في مطبعة (لوزة) في فرانكفورت في ألمانيا الغربية ١٣٨٦هـ ثم أعيد طبعها للمرة الثالثة في سنة ١٣٩٢ ـ ١٣٩٣هـ في المطبعة نفسها ·

ومن آثاره أيضـــا :

الخطوط النفيسة على مسكوكات (الجمهورية العراقية والتونســية والليبية والسودانية والمملكة المغربية) وكتابة الخطوط الجميلة في عدد من جوامع بغداد لعل آخرها كان جامع الوجيه الحاج المرحوم محمود بنية المتوفي في ١٦/١٢/١٩٧١م في جانب الكرخ ·

ومجموعة كبيرة من اللوحات الجدارية لمديرية الأوقاف العامة (رئاسة ديوان الأوقاف) وأسامي جملة وفيرة من المطبوعات العراقية ·

ومن آثاره المنشورة كراسة (قواعد الخط العربي) المكتوبة ســنة ١٩٦١م والمطبوعات في بغداد ١٩٦٢م والتي ضمت مجموعة نادرة من أنواع

الخطوط العربية كتبها ورسمها بنفسه وكذلك (كراسة الخط العربي) التي نعمت بها أجيال من طلاب المدارس في العراق والجزء الثاني من (قواعد الخط العربي) تركها وهي في المرحلة الأخيرة من تبييضها ٠

وأخيرا ، انتقلت آثاره وجميع ما ترك من آلة وأداة ، الى مكتبة المتحف العراقي ببغداد ٠

ومن آثاره أيضـا :

الجزء الثاني من كتابه (قواعد الخط العربي) والذي قامت لجنة من كاتب السطور والخطاط يوسف ذنون ، و د٠ نوري القيسي ، مهمتهـا جمع آثاره (اللوحات وعنـوانات الكتب وغيرها) تمهيـدا لنشرها في (أطالس) كبيرة ٠٠ ومنها كتابه آنف الذكر ٠٠ وبالفعل تم (تصوير) جمهرة كبيرة من هذه اللوحات والعنوانات ، ٠٠٠٠ الا أن أمرا ما ساور أحد (المباشرين) على طبع هذه الآثار ، وصَرَف همته ٠٠ كل ذلك كان استدراجا لانشاء (متحف) في بغداد يحمل اسم (دار الخط الاسلامي) ويلم جميع آثار المرحوم هاشم ٠٠ أسوة بمتاحف الخط الاسلامي الأخرى ، في استانبول والقاهرة وكابل ، وغيرها ٠٠

ومما يؤسف له حقا أن الخط العربي قد خسر تحفة غاليـة من آثار هاشم البغدادي وهي بداية مشروع لكتابة نسخة من المصحف الكريم حيث كتب مايقرب من ثلثه ثم أتلفه بسبب حالة نفسية ألمت به ٠

ثم أخذت فكرة خطه من جديد تدق أبوا بهواجسـه ، وقد اقترن الحاج الخلص من أصحابه ومن محبي هذا الفن الرفيع بوجود هذه الفكرة ، فقر قراره على تنفيذ ما كان أضاعه بالأمس ٠

فبدأ فعلا بالمشروع وطلب ورقا خاصا بذلك من ألمانيا في أثناء وجوده فيها وبعد رجوعه الى بغداد وفراغه من الاشراف على طبع المصحف الشريف وصل الورق بصناديقه ولكن ؟ ٠٠ كان وصوله في صـبيحة يوم الاثنـين ١٩٧٣/٤/٣٠م كما حدثني الخطاط غالب صبري والدكتور نوري حمودي القيسي والمشيعون لم ينتهوا بعد من دفنه في مقبرة الامام الأعظم (الأعظمية) وقد مرقد أبي بكر الشبلي ٠

كان موته مفاجئا للناس حيث أنه أنهى مباشرته في معهد الفنون الجميلة في تمام الساعة الثامنة والنصف مساء ، وفي الساعة الثانية بعد منتصـف ليلة الاثنين شكا آلاما حادة في صدره ، وعند نقله الى (مستشفى الخيال)

أجري عليه الفحص الطبي وأخذ (الاسعافات اللازمة) ٠٠ وكان يصر على أنه معافى ولم يأسره مرض ، حتى أنه تمرد على تعليمات الأطباء في الخلود الى الراحة والسكون وبعدها قبض الى العلي الأعلى ٠

رحمك الله يا أبا راقم ٠٠ وجعل لنا آثارك الكثار سلوانا عن غيابك وسيذكرك كل حرف أبدعته أناملك في الطروس وفي الألواح وستدعو اليك بالرحمة آيات الكتاب المسطرة في المحاريب والقباب عند تكبيرة كل آذان ٠٠ جزاء ما أسديت لأمتك وللغة كتاب الله العظيم ٠٠ انه سميع الدعاء ٠

مراجع الكلمـــة :

١ ــ قواعد الخط العربي لهاشم محمد البغدادي ٠

٢ ــ البغداديون أخبارهم ومجالسهم لابراهيم الدروبي ، بغداد ١٩٥٨م ٠

٣ ــ مكتبة الأوقاف العامة ، تاريخهـــا : نوادر مخطوطاتها لعبـــد الله الجبـــوري ٠ بغداد ١٩٦٩م ٠

٤ ــ دليل الجمهورية العراقية ، بغداد ١٩٦٠م ٠

٥ ــ دليل المملكة العراقية لسنة ١٩٣٥م ، بغداد ١٩٣٥ ٠

٦ ــ مجلة مدرسة تحسين الخطوط الملكية ، العدد الأول ، القاهرة ٠

٧ ــ مجاميع خطية خاصة ٠

٨ ــ أحاديث خاصة عن المرحوم هاشم محمد البغدادي ٠

٩ ــ حدائق الامتحان ، مصطفى راقم ، استانبول ١٢٧٧هـ ٠

١٠ــ جريدة الثورة العراقية ، عدد (١٤٣٩) الصادر في ١/آيار/١٩٧٣م ٠ ٢٨٠ ربيع الأول ص ٤ ٠

١١ــ أحاديث خاصة أدلى بها لي الأستاذ الخطاط يوسف ذنون الموصلي ٠

(١) انظر عنه : البغداديون ، لابراهيم الدروبي ، ص ٢٧٧ ٠

(٢) كان موضعها في مكان بناية مكتبة الأوقاف العامة سابقا ، في شارع الكفاح ، انظر : مكتبة الأوقاف العامة ، تاريخها ونوادر مخطوطاتها ، ص ١٠٥ ٠

(٤) يقول الأستاذ يوسف ذنون : أنه كان يخط على القاعدة التركية ٠

(٥) انظر وصفها وخبرها في : مكتبة الأوقاف ص ١٣٢ ٠

البحاثة "أمين التميمي"

للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

يسرني أن أكتب اليوم على صفحات مجلة الدارة الغراء ترجمة لأديب فاضل ساهم في تاريخ هذه المملكة الحبيبة الى كل قلب • ساهم عن طريق تعريب مايتعلق بها وترجمته ، وذلك هو الاستاذ الأديب المتحدث البليغ محمد بن عبد الرزاق التميمي نسبة الى تميم الداري اللخمي الصحابي • ولد المترجم ببلدة (يافا) سنة ١٣٢٨هـ ونشأ بها ودرس بالمكتب السلطاني في القدس في عهد العثمانيين ثم درس بالمدرسة الرشيدية في عهد الانتداب ووظف في ادارة البرق والبريد بفلسطين ونزح الى المملكة السعودية سنة ١٣٤٥هـ ووظف بوزارة الخارجية ثم نزح الى مصر وتعاقدت معه الحكومة المصرية مترجما للوثائق التأريخية التركية وفي عام ١٩٤٦م عمل شجرة تضم أسرتي آل سعود وآل الشيخ ثم جاء الى المملكة السعودية ووظف بوزارة المعارف وعين مديرا عاما لادارة المكتبات ثم اختير مستشارا لشئون التأليف واستمر في هذه الوظيفة وفي سنة ١٣٨٨هـ عمل شجرة لآل سعود أدام الله عزهم ومجدهم وهذه الشجرة تنم عن معرفة تامة ومقدرة فنية وقد طبعت وتوزعت • وقد كلف من قبل وزارة المعارف ببحث الوثائق التأريخية عن الجزيرة العربية وتصويرها ثم تعريبها لأنه رحمه الله يحيط باللغتين التركية والانجليزية فسافر من أجل ذلك عدة مرات خارج المملكة وأدى هذه المهمة على أكمل وجه • وقد عمل شجرة لآل الشيخ توفي وهي مخطوطة لم تطبع وقبل ذلك شرح المعلقة الاسلامية في تأريخ الكعبة والمسجد الحرام • نظم اليعربي محمد محمد توفيق شرحها وسعى في نشرها فطبعت مع الشرح في ٢٣٦ صفحة على نفقة السيد حسن عباس شربتلي وقد توفي بمدينة الرياض سنة ١٣٩٦هـ وخلف ستة أبناء هم الدكتور توفيق الطبيب وعبد العزيز وفيصل وطارق وفهد وغاب عن ذاكرتي الابن السادس رحم الله الأستاذ أمين التميمي وايانا وجميع المسلمين •• انه سميع مجيب •

عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

تعليق المجلة

وأتحفنا بهذه الترجمة للأستاذ محمد أمين التميمي فبين فيها أن نسبته لتميم ليست للقبيلة المعروفة وانما كانت النسبة لجده الأعلى الصحابي الجليل سيدي تميم الداري ، وكأن من نسابه البحاثة المنقب عن الوثائق العاشق للتراث ، الحريص على الميراث قد وجد من وفاء الشيخ عبد الرحمن مافيه بعض الانصاف له ، ولا أجدني الا تابعا للشيخ أسير على خطة الوفاء فدارة الملك عبد العزيز مدينة له بالشيء الكثير من الوثائق التي كد وجد وأتعب نفسه في خزائن الأستانة فجاء بها ذخيرة تحفظ بالدارة لتأتي الظروف بعد تكتب بها تاريخ التاريخ ، وحين وصلتني هذه الترجمة وجدتني أحتفل بها ولعله لا يفوتني أن فلسطين أعني عرب فلسطين من أشد قومنـــا العرب تعلقا بأنسابهم واحتفاظا بها كأنما هم وقبائل جزيرة العرب على نسق واحد في هذا الاحتفاظ. فلا تجد أسرة في فلسطين عريقة الجـــذور في هذه الأرض المباركة الا وتعرف نسبها ، أعرف ذلك كأمر مؤكد فهم لم يضيعوا ارتباطهم بالأجداد ليربوا الأحفاد على الاحتفـــاظ بالقيم ، رحم الله أمين التميمي رحمة واسعة فلقد كافح وصـــبر وصابر حتى أنجز ما كلف به .

رئيس التحرير



تعتبر القضية الفلسطينية من أعقد قضايا العالم السياسية ، فقد شغلت أذهان الملايين على مـــدى قرن من الزمان ، وذلك لتعدد مظاهرها وتشابك المصالح الأجنبية التي تتصارع من حولها ، وتعمل على تصاعد التأزم ، الأمر الذي يقتضي اشتراك جيل بل أجيال من الباحثين الموضوعيين ، كل في مجال تخصصه لكشف جوانبها الغامضة ، وتسليط الضوء على زيف الادعاءات المتناقضـــة والتي استطاعت ـ بكل أسف ـ كسب السبق في ايهام الرأي العام العالمي .

كانت فكرة انشاء دولة تؤوي يهود العالم ـ في أي مكان ـ حلما من الأحلام راود أفكار رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر . وقد استطاع هؤلاء في نهاية ذلك القرن رسم الخطط لوضع هذه الفـــكرة موضع التنفيذ . ثم حددوا فلسطين مكانا لها . وبعـــد عمل دؤوب دام نصف قرن ، استغل غلاة الصهيونية خلاله الأوضاع العالمية واستثمروا بشكل

علمي ومنظم تناقض مصالح الدول العظمى ، وجهل وفقر الدول الصغرى وشعوبها ، وأنشأوا في سنة ١٩٤٨م دولة صغيرة على جزء من فلسطين قابلة للتوسع وصار لهم ماأرادوا ٠

اعتبر الصهاينة انشاء الدولة بداية العمل الجدي لتثبيت أركانها وترسيخ جذورها ، وترويض السكان الأصليين لقبول الأمر الواقع ، بعد أن قبل العالم بأجمعه وجودهم ، وذلك برفع مستواها العسكري والاقتصادي والحضاري بحيث تسبق جميع الدول المجاورة لها في جميع هذه المجالات ٠ وكانت الخطة أن يدعوا أنهم محاطون بدول معادية ولابد من تأمين حدود آمنة لدولتهم ٠ وبعد كل بضع سنين تصل الدولة الى وضع انفجاري تنوء بسكانها الذين يتزايدون عن طريق الهجرة ، وتثقل بترسانات الأسلحة ومخازن التموين والوقود والتي تخزن ليوم موعود ٠

عندها تفتعل حربا موضعية خاطفة توسع حدودها السياسية عقبها على حساب جاراتها مرة تلو الأخرى ، الى أن تصل أهدافها البعيدة وهي أن تتحول الى أكبر قوة ضاربة في المنطقة وتصل حدودها مابين النيل والفرات ، وتتحكم بمصائر واقتصاد شعوب هذه المنطقة الأصليين الذين يتحولون بالتدريج الى مستضعفين كما حصل للهنود الحمر في أمريكا ٠

ورغبة في القاء مزيد من الضوء على زيف شعار الحدود الآمنة لدولة اسرائيل ، هذا الشعار الذي ينال تعاطفا من معظم دول العالم ، بل يجد ضمانا من بعض الدول العظمى ، رأيت أن يقتصر حديثي على تتبع خلق وتغير خطوط الحدود باستمرار ولصالح توسيع دولة اسرائيل بأسلوب موضوعي ٠

ومن هنا كان عنوان هذا البحث ما طرأ على حدود فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى أي منذ وجود اقليم فلسطين ضمن حدود سياسية ، بعد أن انسلخ عن الدولة العثمانية وحتى الآن ٠ ولما كانت لمشكلة الحدود أبعاد جغرافية وتاريخية وحقوقية وهي لا تتضح الا في ضوء تطور الأحداث التاريخية في المكان ، وجدت لزاما على الالمام – ولو بايجاز – بالفقرات التالية :

١ – موجز لجغرافية فلسطين ٠
٢ – ظهور الحركة الصهيونية في القرن التاسع عشر ٠
٣ – الاستعمار يرسم الحدود خلال القرن العشرين ٠
٤ – ايجاد دولة اسرائيل ضمن حدود مؤقتة سنة ١٩٤٨م ٠
٥ – محاولات اسرائيل المستمرة لتوسيع الحدود ٠

٦ ــ الحدود الآمنة كشعار زائف ٠

٧ ــ الخاتمــة ٠

١ ــ موجز لجغرافية فلسطين :

تشغل فلسطين الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام أو (ســوريا الكبرى) ، وتقع فيما بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط ونهر الأردن ٠ وتبلغ مساحتها حسب حدودها زمن الانتداب البريطــاني ٢٧٠٠٩ كم بما في ذلك ٧٠٤ كم مساحة بحيرتي الحولة وطبريا ونصف البحر الميت ٠ وتمتد فلسطين بشكل طولي على هيئة الاسفين من الشمال الى الجنوب ، بطول ٤٣٠ كم ، ويختلف عرضها بين ٥٠ كم في الشــمال و ٩٠ كم في الوسط و ١١٧ كم (١) عند عرض رفح ، ثم تضيق باتجاه الجنوب على شكل مثلث رأسه على خليج العقبة ٠

وتتكون فسلطين من أربع مجموعات فزيواغرافية مميزة في مظاهرها الطبيعية والبشرية (شكل ١) هي :

١ ــ السهل الساحلي : ويمتد من رأس الناقورة عند الحدود مع لبنان شمالا حتى رفح عند الحدود مع مصر جنوبا ، أي بامتداد يبــلغ ٢٢٤ كم ٠ ويتكون السهل من رسوبيات حديثة رباعية انحدرت اليه من المرتفعات المجاورة وكذلك من الرسوبيات الشاطئية والبحرية خاصة تلك التي تقذف بها التيارات البحرية من الغرب والتي جاءت أصلا من النيل وقد تشكلت بعض الكثبان الرملية الشاطئية ٠ وتبلغ مساحة هذا السهل نحو ٣٢٢٠ كم معظمه صالح للزراعة (٢) ٠

ويقسم جبل الكرمل الذي يمتد من حيفا باتجاه الجنــوب الشرقي السهل الساحلي الى قسمين : سهل عكا في الشمال وهو ضيق اجمالا ، وسهل يافا (سهل شرعون) في الجنوب ، والذي يزداد اتساعا حتى يصل عرضه الى نحو ٣٢ كم في منطقة غزة ٠

٢ ــ الهضاب الوسطى : وهي في الأصل جزء من المحدب الجيولوجي الغربي في بلاد الشام والذي نتج عن الحركة الالتوائية المرافقة للحركات الالبية في الزمن الثالث ٠ وهي اجمالا قليلة الارتفاع تمتد طوليا من الشمال الى الجنوب ٠ ويمكن أن نقسمها الى قسمين : القسم الأول جبال الجليل في الشمال ، وتعتبر امتدادا لجبل عامل في لبنان ، وفيه أعلى قمة في فلسطين قرب صفد (جبل جرمق ويصل ارتفاعه الى ١٢٠٨م عن سطح البحر) ٠ والقسم الثاني جبال نابلس والخليل وتمتد طوليا ١٢٥ كم بعرض يقرب من ٢٠ كم ٠ ويفصل القسمين عن بعضهما أراض منخفضة مختلفة نتجت

عن حركات انكسارية أنتجت هضاب الناصرية وسهول مرج ابن عامر وبيسان ٠ وتتكون الهضاب بوجه عام من صخور كاسية تتضح فيها المظاهر الكارستية اذ تكثر فيها الكهوف وتختفي المياه السطحية بسرعة وتكثر الينابيع ٠

٣ ـ الغور : وهو المنطقة المنخفضة التي تفصل هضاب فلسطين عن هضاب شرق الأردن وقد نتج الغور في الأصل عن الانكسارات الثلاثية في منطقة المقعر الالتوائي الموجود بين المحدب الشرقي والمحدث الغربي ، وقد انخفض فيها السطح الى دون مستوى سطح البحر (٤٠٠ م عند سطح البحر الميت) ٠

ويجري في الغور نهر الأردن الذي ينبع من سفوح جبل الشيخ ٠ وينحدر الى منطقة الحولة (وهي بمستوى سطح البحر) ، ثم يتجه جنوبا الى بحيرة طبريا (ـ ٢٠٠ م عن سطح البحر) ، وبعد خروجه من طبريا يستقبل مياه نهر اليرموك القادم من الشرق وهو أهم روافده ٠ ثم يواصل مجراه بطريق التعرج الى أن يصب في البحر الميت الغني بأملاحه لا سيما البوتاسيوم ٠ ويشغل الجزء الواقع جنوب البحر الميت وادي العربة ٠

يبلغ متوسط عرض الغور بين ٨ ـ ١٦ كم ولذلك تنحدر الأرض باتجاهه بشدة من الجانبين الشرقي والغربي ، وتتكون أرضيته من سهول رسوبية حديثة ذات تربة تميل للملوحة ٠ ويبلغ طول البحر الميت ٧٦ كم وأقصى عرض له ١٦ كم (٣) وترتفع فيه نسبة التبخر ولذا ارتفعت نسبة ملوحته الى ٣٤٠ غم/لتر ٠

٤ ـ النقب : ويتكون من هضبة واسعة قليلة الارتفاع تحتل الجزء الجنوبي من فلسطين وتبلغ نحو ثلث مساحتها ، تبدأ من منطقة بئر السبع وتتجه جنوبا الى العقبة ٠ وتعتبر هذه الهضبة امتدادا طبيعيا لشمال صحراء سيناء باتجاه الشمال الشرقي ٠

المناخ وموارد المياه في فلسطين :

يسود فلسطين مناخ حوض البحر المتوسط المعتدل ، والذي يميل الى الحرارة والجفاف صيفا والى البرودة والأمطار شتاء ، غير أن موقع فلسطين بين خطي عرض ٣٠° ـ ٣٣° ش ، وفي الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط ، جعلها تقع على حدود المنطقة شبه الجافة ، ففي جنوب فلسطين (النقب) وفي منطقة الغور التي تقع في ظل مطر الهضاب تقل الأمطار الساقطة عن ٢٠٠ ملم سنويا وتبلغ مساحتها نحو نصف مساحة فلسطين ٠

أما النصف الآخر فتختلف أمطاره حسب الموقع والتضاريس ، حيث

تتراوح في الساحل بين ٦٥٠ ملم في عكا و ٣٠٠ ملم في غزة • وتختلف في الجبال بين ٩٠٠ ملم في المطلة على الحدود الشمالية و ٥٠٠ ملم في الخليل • وقد يتساقط الثلج في المناطق الجبلية في الشتاء (٤) •

ومن هنا كانت موارد المياه في فلسطين محـدودة على عكس ما كان يشيع غلاة الصهيونية فغير نهر الاردن الذي يحد فلسطين من الشرق والذي ينبع من سفوح جبل الشيخ ويستقبل عددا محدودا من السيول من الأرض الفلسطينية لا يوجد سوى نهرين صغيرين في السهل الساحلي هما : نهر المقطع ويصب شمال حيفا ، ونهر العوجا ويصب شمال يافا وعدد من السيول غير الدائمة الجريان • ولكن تكثر العيون الفكلوزية في المناطق الجبلية بسبب طبيعة الصخور الكليسية ، وتحوي السهول الساحلية غشاء مائيا كافيا لتقوم عليه الزراعة •

ويغلب وجود (تربة البحر المتوسط) في جبال وسهول وكلها ترب غنية اجمالا ، مما ساعد على انتشار الزراعة اعتمادا على الأمطار منذ أقدم الأزمنة • ولكن هذا لا ينفي أن محدودية موارد المياه تحدد مجال التوسع الزراعي على نطاق كبير • ولهذا خطط الصهاينة منذ البداية وقبل وجودهم في فلسطين لاستغلال مياه نهر الاردن والأنهار والسيول الساحلية من أجل مشاريعهم الاستيطانية •

وضع فلسطين قبل الانتداب البريطاني :

كانت فلســطين منذ الفتح العــربي الاســلامي عام ٦٣٦م ، بلادا عربية خالصة شعبا ولغة وديانة • وكانت تشكل جزءا صغيرا من الدول العربية المتعاقبة ، تتبع الحــكم المركزي في المدينة أو دمشق أو بغــداد أو القاهرة أو استانبول مركز الخلافة اذ ذاك • وبالتالي لم تعرف فلسطين الحدود السياسية • وحتى في عهد الدولة العثمانية كانت أراضيها جزئين من ايالتين مركزاهما دمشق وبيروت وليس جزءا في ايالة واحـدة • وفي عام ١٩١٨م ولأول مرة في التاريخ سلخت فلسطين عن بلاد الشام ، وصار لها حدود سياسية ترسم ويعاد رسمها حسب مخططات الاستعمار والصهيونية • وكان يعيش فيها نحو ٧٠٠٠٠٠ من العرب يملكون نحو ٩٧٫٥٪ من مساحة فلسطين ويعيش معظمهم من انتاج أراضيهم أو حيواناتهم • ولم يتجاوز عدد يهود فلسطين اذ ذاك ٥٠٠٠٠ نسمة ولا يملكون سوى ٢٫٥٪ من مساحة الأرض ، وكانت ثلث مساحة أرض فلسطين صالحة للزراعة •

٢ ـ ظهور الصهيونية العالمية في القرن التاسع عشر :

ظهرت القوميات في أوروبا في القرن التاســع عشر ، وكرد فعل لانعزالية اليهود نشط غلاتهم للترويج ليهوديتهم ، وراحوا يدعون يهود

العالم للتنظيم ليبعثوا فيهم روح اسرائيل ومجدها ، مستمدين من التوراة والتلمود شواهد القوة والانبعاث ٠

أعلنوا أن اليهودية دين وشعب وقومية ، ودعوا اليهود الى التكتل كشعب ، والى تعلم اللغة العبرية والى ولائهم الى قوميتهم الجـديدة لا الى القوميات التي خلقوا فيها ٠ وكان هذا هو بدء ظهور اليهودية بمظهرها الجديد الذي أطلق عليه اسم (الصهيونية) نسبة الى جبل صهيون في مدينة القدس ٠ فنشأت المشكلة اليهودية في معظم دول أوروبا وتعمقت هذه المشكلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حتى تحولت الى صراع وطني داخلي ، حيث كانت عنصريتهم تظهر بمظهر الأجانب ، وتظهر احتكاراتهم ورأسمالهم كالاحتكارات ورؤوس الأموال الأجنبية ولقد أثار ذلك حفيظة الشعوب ضدهم فحاربوهم ، وقد تطور هذا الصراع أحيانا الى درجـــة الاضطهاد ٠

وعلى اثر الاضطهادات التي حلت باليهود في رومانيا وروسيا وبولونيا في عام ١٨٨١م أصدر سمحا بينكر ـ أحد زعمائهم ـ كتابا أسماه (التحرير الذاتي) أوضح فيه أن العالم يحتقر اليهود لأنهم ليسوا أمة ولأنهم أجانب في كل بلد يعيشون فيه ، وليس من علاج لهذا الداء الا بايجاد قوميـــة يهودية لشعب يعيش في أرض الوطن (٥) فأثار هذا النداء حماس غلاة اليهود ، فألفوا جمعية باسم (عشاق صهيون) تدعو الى أحياء اللغة العبرية والى الهجرة الى فلسطين والسيطرة على أراضيها (٦) ٠

أعلن اليهود اثر اجتماع عقدوه في ١٨٨٢م « أن فلسطين يجب أن تكون وطنا للشعب اليهودي ، وأن بالامكان نقل أهل فلسطين العرب الى الأقطار العربية المجاورة لأنها بلاد واسعة وقليلة السكان » ٠ ولم يكن في فلسطين وقتها أكثر من ١٢ ألف يهـــــودي ٠ ثم أعلن اسرائيل زانكويل مؤسس المنظمة الصهيونية (أن فلسطين وطن بلا شعب ، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن ٠ وان واجب اليهود في المستقبل أن يضـــيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم الى الخروج منها (٧) ٠

وأعلن تيودور هرتزل الصـــحفي النمســـاوي في كتابه (الدولة اليهودية) في عام ١٨٩٥م (ان الحل لجميع مشكلات اليهود المضطهدين في هذا العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تصـــلح لانشاء وطن محدد لهم (٨) ٠ وفي المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في بال سنة ١٨٩٧م الذي ترأسه هرتزل أجمعت الصهيونية العالمية على انشاء وطن قومي للشعب اليهودي ونص في قراراته أن تكون البلاد كافية لحاجات خمسة عشر مليونا من اليهود المشتتين في أنحاء العالم (٩) وأقر المؤتمرون

علم الدولة المنتظرة ونشيدها القومي · ورسموا هيكل الوكالة اليهودية التي ستتولى تنظيم يهود العالم وقيادتهم للعمل على تحقيق هذه الدولة ·

غير أن هرتزل فشل في سنة ١٩٠١م في اقناع السلطان عبد الحميد لمنح اليهود امتيازات دينية تخولهم انشاء المستعمرات وشراء الأراضي في فلسطين رغم اغراءات اليهود المالية والاقتصادية ودعاياتهم الخادعة ·

٣ ـ الاستعمار يرسم حدود فلسطين ويطورها في القرن العشرين :

لو لم تتفق أحلام الصهيونية مع مصالح الاستعمار وخططه منذ مطلع القرن العشرين خاصة بريطانيا لبقيت جميع قرارات الصهيونية ومخططاتها أماني وأحلاما · وعلى سبيل المثال حاولت بريطانيا منذ مطلع القرن ايجاد جبهة استعمارية موحدة تضم بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وايطاليا وأسبانيا لتحاشي الصدام فيما بينها ، ولقطع الطريق على حركات استقلال المستعمرات والوقوف أمام ألمانيا وحليفاتها · واتفقوا على تأليف لجنة من خبراء هذه الدول تتولى دراسة الحلف الجديد ضمت مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والنفط والزراعة وغيرهم · وقد اجتمعت هذه اللجنة في لندن سنة ١٩٠٧م · وقد جاء في الخطاب الافتتاحي لرئيس وزراء بريطانيا (هنري كامبل بندمان) في تحديد مهمتها (١٠) مايلي :

« ان الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما ، ثم تنحل رويدا رويدا ثم تزول ، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات ، فهناك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين وقبلها بابل وآشور والفراعنة وغيرها ·· فهل لديكم أسباب أو وسائل يمكن أن تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي أو انهياره أو تؤخر مصيره وقد بلغ الآن الذروة ، وأصبحت أوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، بينما العالم الآخر لايزال في شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ··· ؟ هذه مهمتكم أيها السادة ، وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا ·· »

بعد دراسة مستفيضة دامت أشهرا قدمت اللجنة تقريرها الى وزارة الخارجية البريطانية التي أحالته الى وزارة المستعمرات لخطورته · وقد جاء في مقدمة التقرير تصنيفا لمصالح الدول الاستعمارية في العالم · ثم انتقل الى اثبات أهمية البحر المتوسط كشريان حيوي ، وضرورة السيطرة عليه لحماية المصالح الاوروبية المشتركة · واستعرض التقرير الأخطار المحتملة على الاستعمار ، وصنفها الى أولويات ، ووجد الباحثون أن الخطر يكمن في البحر المتوسط ، صلة الوصل بين الشرق والغرب · وعلى طول

ساحله الجنوبي والشرقي وعلى جانبي البحر الأحمر وقناة السويس بينهما ، والبحر العربي والخليج العربي يعيش شعب واحد تتوفر له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وثقافته وآماله كل مقومات الترابط والاتحاد ، وتتوفر في نزعاته التحررية وفي ثرواته الطبيعية ، ومن كثرة تناسله كل أسباب القوة والتحرر والنهوض ٠ ثم تساءل الباحثون في تقريرهم عن وضع المنطقة اذا توحدت فعلا آمال شعبها ؟ واذا دخلت الوسائل الفنية الحديثة والمكتسبات الصناعية اليها ؟ واذا انتشر التعليم وعمت الثقافة في أوساط أفرادها واذا استغل أهلها ثرواتها ؟ ٠

يجيب التقرير على هذه التساؤلات : عند ذلك ستحل الضربة القاضية حتما بالامبراطوريات الاستعمارية وستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود ، فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما انهارت الامبراطوريات الغابرة ٠ ثم يضع التقرير توصياته لتلافي هذا المصير ومؤداها أن تعمل الدول ذات المصالح المشتركة على بقاء وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر ، وابقاء شعبها على ما هو عليه ، ومحاربة اتحاده بأي رباط ٠ وكوسيلة مستعجلة لدرء الخطر أوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي ، واقترح لذلك اقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا ويربطهما معا بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة (١١) ٠

وعلى ضوء هذه التوصيات سارت سياسة الدول الاستعمارية جميعا في الوطن العربي منذ مطلع القرن العشرين ، وعلى هديها يمكننا تفسير مواقفهم من جميع القضايا العربية وتصرفاتهم فيها قبل استقلال دول هذه المنطقة وبعده ، ويوضح محتواها التقاء فكرة الصهيونية مع مصالح الاستعمار ، هذا الالتقاء الذي استغله زعماء الصهيونية بذكاء واستثمروه الى أقصى حد ٠

اتفقت بريطانيا بادىء ذي بدء مع زعماء الصهيونية على تأسيس دولة اسرائيل في فلسطين فقد عرضت على مصر في سنة ١٩٠٧م اقتراحا يقضي باستيطان اليهود في سيناء ، ثم عرضت على الصهيونيين استيطان اليهود في أوغندة كمنطقة تجمع مؤقتة قبل نقلهم الى فلسطين لأن فلسطين كانت خارجة عن النفوذ البريطاني وفشلت في ذلك ٠ وأثناء الحرب العالمية الأولى ألزمت بريطانيا نفسها بثلاثة اتفاقات أو عهود متناقضة مع ثلاثة جهات مختلفة تتعلق بالمنطقة العربية (١٢) ومنها فلسطين وهي :

١ ـ مباحثات حسين ـ مكماهون من تموز سنة ١٩١٥م حتى آذار سنة ١٩١٦م ٠ وقد تعهدت بريطانيا من خلالها للحسين بتمكينه من تأسيس

مملكة في جميع المشرق العربي تمتد من أضانة ومرسين في الشـــمال ومن حدود ايران والخليج العربي في الشرق الى المحيط الهندي جنوبا ، والبحر الأحمر وسيناء غربا ، بما في ذلك فلسطين بطبيعة الحال ، مقابل مساعدة العرب لجيوش الحلفاء في القضاء على الدولة العثمانية ٠ وقد ساهم العرب فعلا في القضاء على تركيا لكنهم لم يحققوا شيئا من أمانيهم ٠

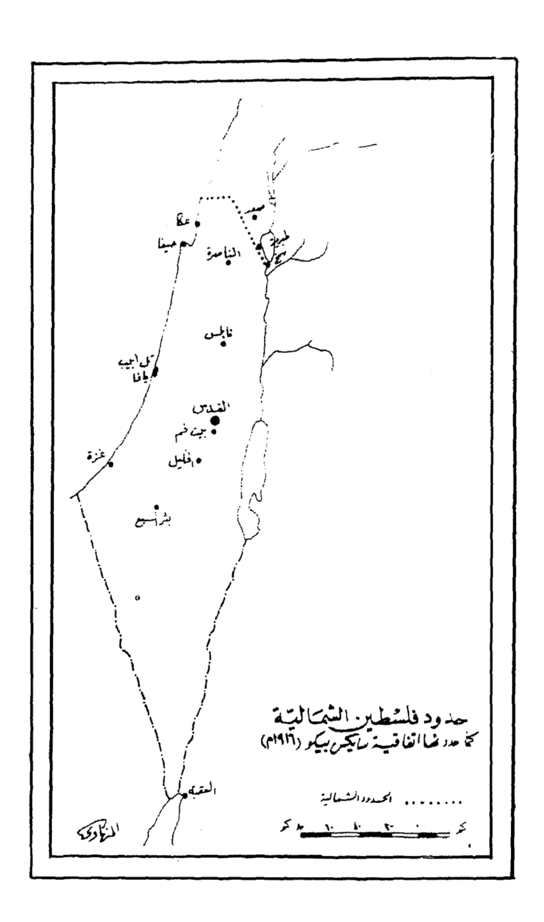
٢ ـ اتفاقية سايكس ـ بيكو : أبرمت بريطانيا في آذار سنة ١٩١٦م مع فرنسا وروسيا معاهدة بطرسبرج لتقسيم أملاك الدولة العثمانية بعد القضاء عليها ٠ وتنفيذا لهذه المعاهدة أبرمت بريطانيا وفرنسا اتفـاقا تفصيليا لاقتســـام المتلكات العربية بينهما أطلق عليهـــا اسم اتفاقية « سايكس ـ بيكو » ، في أيار سنة ١٩١٦م ٠ وكان من نصوصه : تنشأ ادارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بعض الحلفاء وممثلي شريف مكة ٠ وتظهر في هذا النص نية بريطانيا المبيتة لمحو عروبة فلسطين ومن ثم تهويدها ٠

٣ ـ وعد بلفور : وهو تصريح سياسي صـــدر عن وزير خارجية بريطانيا وموجه الى ادموند روتشيلد أحد زعماء الصهاينة في ٢/١١/١٩١٧م، وكان قد اقترن بموافقة حكومات الحلفاء قبل نشره وبصورة خاصة ويلسون رئيس الولايات المتحدة ٠ وينص الوعد على مايأتي :

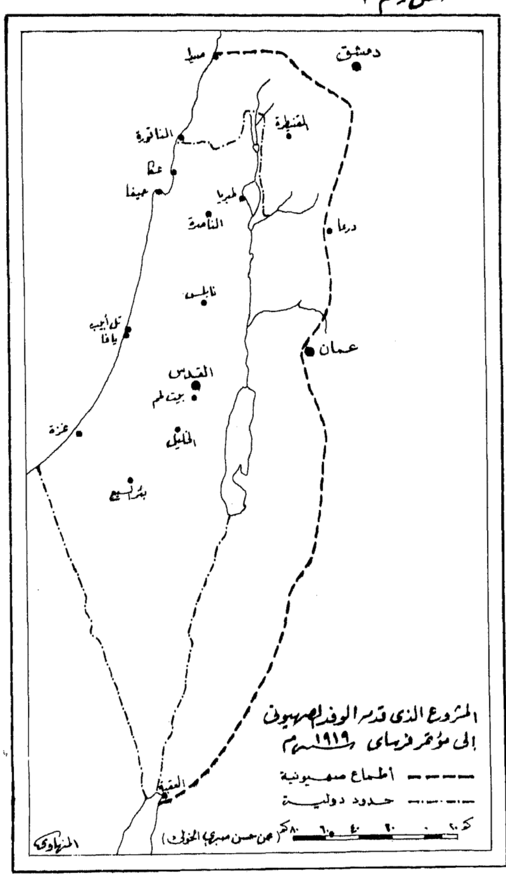
« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ٠ وسوف تبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية ، على أن يفهم جليا أنه لا يجوز عمل شيء قد يغير الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ولا الحقوق أو المركز السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلاد غيرها » (١٣) ٠

وما أن انتهت الحرب العالمية الاولى بفوز الحلفاء واحتلال فلسطين حتى بدأت بريطانيا والصهيونية جديا في تنفيذ ما أضـمروه لفلسطين ٠ وكانت خطواتهم مدروسة وتحظى باقرار وتأييد دول الحلفاء بحيث كان « يدور البحث فيما بينهم فقط حول حدود هذه الدول وموعد اعلانها » حســب تصريح المستشار الســياسي للجنـــرال اللــنبي الكولونيــل ماينز تساغن (١٤) ٠ وكانت الدولة العربية التي نشــأت عقب الحرب بزعامة فيصل بن الحسين تسيطر على سوريا الداخلية من حلب الى العقبة ٠

نشط زعماء الصهيونية مستخدمين كل السبل للتأثير على مؤتمر الصلح الذي أعقب الحرب وللاشتراك في تخطيط المعاهدات والمواثيق التي انبثقت عنه ، موجهين اهتمامهم نحو هدفين : الأول محاولة وضع فلســطين تحت الحكم البريطاني ، والثــاني محاولة توسيع حـدود فلسطين الى أقصى

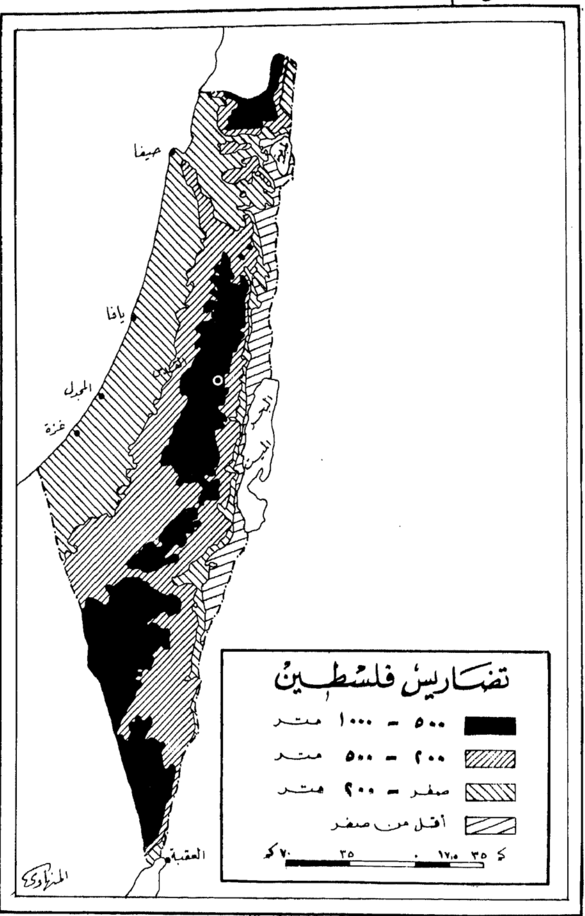

صفد
عكا
حيفا
الناصرة
طبرية
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
غزة
بئر السبع
العقبة
حدود فلسطين الشمالية
كما حددتها اتفاقية سايكس بيكو (١٩١٦م)
.... الحدود الشمالية

شكل رقم ٢



دمشق
صيدا
القنيطرة
الناقورة
عكا
حيفا
طبريا
الناصرة
درعا
نابلس
تل أبيب
يافا
عمان
القدس
بيت لحم
غزة
الخليل
بئر السبع
العقبة
المشروع الذى قدمه الوفد الصهيونى
إلى مؤتمر فرساى ١٩١٩م
أطماع صهيونية
حدود دولية
كم ٢٠ ٠ ٢٠ ٤٠ ٦٠ ٨٠ كم
(عن حسن صبرى الخولى)

شكل رقم ١


تضاريس فلسطين
٥٠٠ - ١٠٠٠ متر
٢٠٠ - ٥٠٠ متر
صفر - ٢٠٠ متر
أقل من صفر
كم ٣٥ ١٧,٥ ٠ ٣٥ ٧٠ كم
حيفا
يافا
القدس
المجدل
غزة
البحر الميت
العقبة

مايستطاع · لأن تلك الحدود ستكون بمثابة حدود دولتهم المنتظرة في أول مراحل تكوينها ·

ففي أيلول من عام ١٩١٨م فاجأت بريطانيا العرب بوضع فلسطين تحت اشراف (ادارة أراضي العدو المحتلة) أي الاستمرار في الحكم العسكري ، وادعت أن اجراءات الادارة العسكرية لن تؤثر على التسوية النهائية في مؤتمر الصلح · لكنها اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية ، ومنحت اللجنة الصهيونية كثيرا من الامتيازات دون العرب (١٥) ·

وقدم المؤتمر الصهيوني العالمي الى « مؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي في ١ كانون الثاني ١٩١٩م مذكرة طالب فيها بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين وشرق الأردن وجنوب لبنان مستندا الى وعد بلفور ومشيرا الى موافقة جميع دول الحلفاء التامة والمسبقة عليه (شكل ٢) ولم يكن اليهود قد بلغ عددهم في فلسطين ٥٠ ألف نسمة آنذاك رغم نشاط الصهيونية العالمية في تهجير اليهود الى فلسطين خلال ربع قرن ·

ومن جهة أخرى تنكرت كل من بريطانيا وفرنسا في مؤتمر الصلح لوعودهما وعهودهما للعرب ، بل عارضتا اقتراح ارسال لجنة تحقيق دولية الى سوريا بما فيها لبنان وفلسطين للتأكد من رغبات السكان الحقيقية في الحكم · وقد وصلت الى المؤتمر قرارات المؤتمر السوري ومئات العرائض التي تعبر عن رغبات سكان فلسطين لكنها أهملت ، كما أهمل تقرير لجنة كنج ــ كرين الأمريكية التي زارت المنطقة واتصلت بسكانها ورفعت تقريرها الموضوعي الى مؤتمر الصلح ·

وقد انتهى مؤتمر الصلح في فرساي في ٢٨ حزيران من وضع ميثاق عصبة الأمم ومن توقيعه · وتوصلوا فيه الى استبدال تعبير الاستعمار بتعبير الانتداب لحل مشاكل الأقطار التي كانت تحكمها تركيا أو ألمانيا ، وصنفوا الانتداب وأوضحوا طرق تطبيقه ·

وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٠م انعقد المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو وقرر وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي استنادا الى ميثاق عصبة الأمم · فغزت الجيوش الفرنسية سوريا ، ودخلت الجيوش البريطانية من فلسطين الى شرق الاردن وباشرت من القدس عملية تهويد فلسطين ·

ثم أعلن مشروع صك الانتداب على فلسطين في عصبة الأمم في ٦ تموز ١٩٢١م · ولكن اقراره تأخر بسبب تصارع الحلفاء على مصالحها الاقتصادية خاصة أمريكا ، الى أن اتخذ مجلسا الشيوخ والنواب الأمريكيان قرارا مشتركا بتأييد انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين وباقرار صك

انتداب بريطانيا عليها ، وضرورة عقد معاهدة مع بريطانيا تضمن المصالح الأمريكية بفلسطين (١٦) ٠

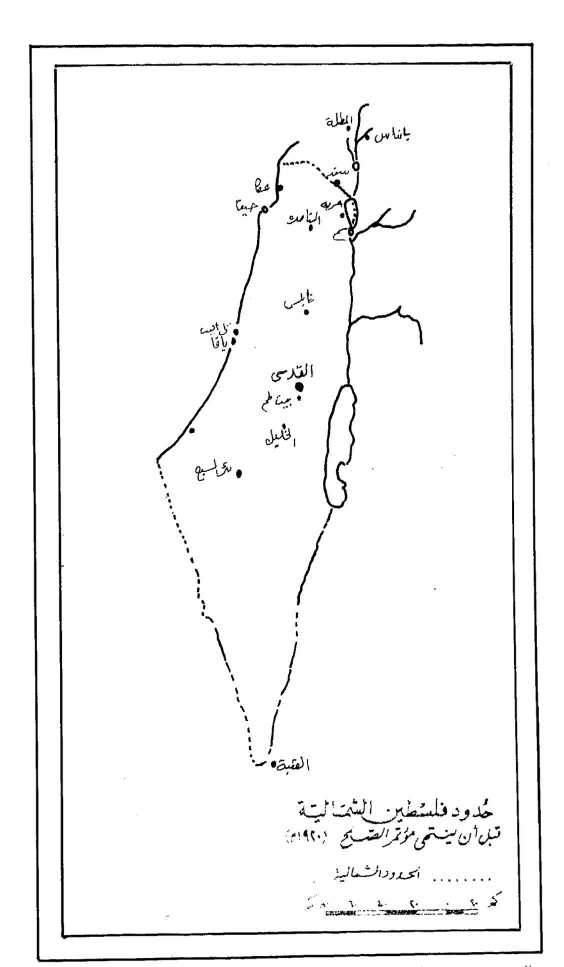
أقرت عصبة الأمم مشروع صك الانتـــداب كما اقترحته الجمعية الصهيونية على بريطانيا دون تبديل ٠ وقد أشير في مقدمته الى وعد بلفور وموافقة دول الحلفاء على انشاء الوطن القومي اليهودي ومسؤولية الدولة المنتدبة في انشائه ٠ وأوضحت مواد المشروع سبل تهويد فلسطين والتخلص من شعبها ، وذلك باعطاء الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والادارة حتى تضع البلاد في أحوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي » ، « والاعتراف بوكالة يهودية صالحة لاسداء المشــورة والمعونة الى ادارة فلسطين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها » ٠ « وتسهيل هجرة اليهود ، والاســـتيلاء على الأراضي الأميرية والأراضي الموات ، وتسهل اكتساب الجنسية الفلسطينية لليهود ، وأن تكون الانجليزية والعربية والعبرية لغات فلسطين الرسمية (١٧) ٠

وهكذا نجح الاستعمار والصهيونية في وضع فلسطين تحت السيطرة البريطانية ٠ أما بالنسبة لتقرير حدودها فقد طالب الصهاينة منذ البدء أن تضم فلسطين ضمن حدودها شرق الأردن وجنوب لبنان وجنوب غرب سوريا وصحراء سيناء ٠ غير أن اتفاقية سايكس ـ بيكو اعتبرت فلسطين بين نهر الأردن وساحل البحر المتوسط ، ويفصلها عن مصر صحراء سيناء ، ويفصلها عن لبنان خط يبدأ من رأس الناقورة على البحر الى منتصف المسافة بينها وبين بحيرة الحولة ، ثم يتجه نحو الجنوب الشرقي الى بحيرة طبريا ، ثم الى سمخ في جنوب البحيرة مباشرة (شكل ٣) ٠

غير أن المفاوضين البريطـــانيين وبالحاح من زعمـــاء الصهيونية استطاعوا تعديل هذا الخط عدة مرات لصالح حدود فلسطين قبل الوصول الى التسوية النهائية (١٨) ٠ وكانت المنطقة التي تلي هذا الخط شـمالا تتبع الادارة الفرنسية حتى تم توقيع اتفاق لويد ـ كلمنصو في ســبتمبر ١٩١٩م فأصبح خط الحدود الشمالي يمتد من رأس الناقورة الى شمال بحيرة طبريا وأدخلت طبريا ضمن فلسطين (شكل ٤) ٠

وفي الاسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٢٠م تم التوصل الى وضع حدود مؤقتة تبدأ من الناقورة غربا وتسير الى الشرق باستقامة الى مقربة الحولة ، ثم جنوبا بخط مستقيم يقسم طبريا حتى سمخ ـ وضمت بذلك الجليل الأعلى واصبعا باتجاه الشمال عرضه ١٢ كم (شكل ٥) ٠

ثم زحفت هذه الحدود حسب اتفاقية باريس في ديســمبر ١٩٢٠م شرقا لتضم كل بحيرة طبريا وشريطا من ساحلها الشرقي عرضه في جنوبها ٤ كم ، ثم الى نهر اليرموك ليســير خط الحدود مع هــذا النهر مسافة


المطلة
بانياس
عكا
حيفا
طبريه
الناصرة
نابلس
تل ابيب
يافا
القدس
بيت لحم
الخليل
بئر السبع
العقبة
حُدود فلسطين الشمالية
قبل أن ينتهي مؤتمر الصلح (١٩٢٠م)
.... الحدود الشمالية
كم

١٥ كم (١٩) ٠ ولا تتجاوز مساحة ماضم الى فلسطين جميعا ١٠٠٠ كم ٠ وهي مساحة تافهة لا تستحق أن تنحدر بريطانيا العظمى التي كانت لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس وتساوم حليفتها فرنسا عليها ٠ ولكن يزول هـذا العجب اذا تذكرنا أن الصهاينة كانوا من وراء هذا التغيير لتضم معظم موارد مياه نهر الاردن ٠

بقيت حدود فلسطين في عهد الانتداب البريطـاني كما رسمت في سنة ١٩٢٠م ٠ غير أن بريطانيا عملت علنا خلال هذه الفترة على تهـويد فلسطين ٠ فعينت في حزيران ١٩٢٠م أي قبل صك الانتـداب ومعاهدات الصلح وعصبة الأمم الصهيوني هربرت صاموئيل أول منـدوب سامي لفلسطين ، الذي هود الادارة ووضع القوانين التي سهلت نقل ملكية أراضي الدولة الى اليهود ، والتي أثقلت كاهل الفلاحين حتى يبيعـوا أراضيهم لتسديد ديونهم ، وأعطى امتيازات توليد الطاقة الكهربائية واستغلال أملاح البحر الميت والاسمنت والزيوت النباتية لليهود وفرض الحماية الجمركية لمنتوجاتهم ، وشجع استيراد الحبوب والمنتوجات التي ينتج مثلها العرب ، واعتبر الوكالة اليهودية هيئة استشارية للسلطة ، وأهم من هذا سـهل الهجرة اليهودية بشتى الوسائل (٢٠) ، حتى بلغ عدد المهاجرين في عهـده وحتى سنة ١٩٢٨م ١٠٣ آلاف مهاجر (٢١) ٠

واستمرت سياسة بريطانيا على هذا النسق حتى نهاية عهد الانتداب سنة ١٩٤٨م رغم استنكار العرب وكفاحهم وثوراتهم ضـد الانتداب والصهيونية ، ورغم وعود بريطانيا وسياسة لجان التحقيق وتقصي الحقائق والكتب البيضاء ومراوغاتها للعرب ٠

دخلت بريطانيا فلسطين سنة ١٩١٨م وفيهـا ٧٠٠ ٠٠٠ عربي و ٥٠ ٠٠٠ يهودي ، وخرجت منها عام ١٩٤٨م بعد مانجحت في تكوين دولة اسرائيل في فلسطين وفيها ٦٢٩٠٠٠ يهودي وطردت العرب منهـا الذين تحولوا الى لاجئين ولم يبق منهم سـوى ١٨٠ ٠٠٠ عربي واستولت على أراضيهم حيث قدر أن ٨٠٪ من مساحة اسرائيل أخذت من العرب حسب أحد القوانين التالية :

١ ـ قانون المناطق المهجورة ٠
٢ ـ لائحة الطوارىء ٠
٣ ـ لائحة أملاك الغائبين ٠
٤ ـ قانون أملاك الغائبين ٠
٥ ـ قانون نقل الملكية ٠

٤ ـ تقسيم فلسطين وخلق دولة اسرائيل سنة ١٩٤٨م :

اعتمدت الصهيونية في تحقيق مآربها خلال نصف قرن الى حد كبير على بريطانيا ، غير أنها منذ بدء الحرب العالمية الثانية بدأت تتحول نحو أمريكا حيث التقت أهدافهما في خط واحد خاصة وأن أمريكا خرجت من الحرب كأقوى دولة في العالم ، وتسعى لبسط نفوذها في كل مكان ومنهـــا المنطقة العربية التي كانت تحت النفوذ البريطاني أو الفرنسي • فوجدت في خلق كيان اسرائيل بمساعدتها مدخلا لها كقاعدة أمينة ورأس جسر ثابت لامتدادها وســـيطرتها • وكانت قد هيمنت على معظم دول الأمم المتحدة وصارت تتحكم في قراراتها •

وأثناء الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا وكل دول الحلفاء قد تنكرت لوعودها وعهودها المقطـــوعة للعرب ، وبدأت تتسابق في ارضاء الصهيونية وكسب ودها متذرعة بمأساة اليهود في ألمانيا : وبذلك بدأ عهد التآلف الانجلو ـ أمريكي ـ الصهيوني •

وحينما اطمأنت بريطانيا أنها هيأت فلسطين لتكون وطنا لليهود ، وبعد دراسة المشكلة مع أطراف المؤامرة الثلاثة أرسلت في نيسان ١٩٤٧م مذكرة للأمم المتحدة ذكرت فيها أنها عجزت عن التوفيق بين شعبي فلسطين العربي واليهودي ، وطلبت اعفاءها من الانتداب على فلســطين ، وكانت قد بدأت بسحب جيوشها قبل ذلك التاريخ بشهرين •

وفي ١٩٤٧/١١/٢٩م صدر قرار الجمعية العامة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود بأغلبية الأصوات نتيجة لضغوط أمريكا بشكل سافر لانجاح القرار ، وقد كشف الفرد ليلينتال جانبا من هذه الضغوط (٢٢) • وقال الكاتب الأمريكي ميلر بوروز (الواقع أن التصويت) على التقسيم انما فرض من جانب حكومتنا فرضا ، وبعد أن التجأت هذه الحكومة من غير أن تخجل الى اصطناع أساليب التهديد الســـياسي ••• وكان نجاح المشروع نصرا لا أخلاقيا ، وكان برهانا مخجلا على أن أساليب التهويل والضغط الدبلوماسي غير المتحفظة تستطيع أن تسيطر على مؤسسة أنشئت لغرض نبيل) (٢٣) •

ويقضي مشروع القرار بتقسيم فلسطين الى ثلاثة أقســـام هي : (شكل ٦) •

١ ــ المنطقة العربية وتتكون من ثلاثة مناطق معزولة عن بعضها هي الجليل الغربي ، ومنطقة الهضاب الوسطى والغور الأوسط ما عدا منطقـة القدس ، ومنطقة الساحل من جنوب أسدود الى الحدود المصرية • وتبلغ مساحتها ١٢٠٠٠ كم أي ٤٤ر٤٪ من مساحة فلسطين لا يملك اليهـــود منها سوى ١٠٠ كم ويقطنها ٦٥٠٠٠٠ عربي و ١١٠٠٠ يهودي •

٢ ـ المنطقة اليهودية وتمتد من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب وتحيط بالمناطق العربية الثلاث من كل جانب وتبلغ مساحتها ١٤٢٠٠ كم أي نحو ٥٣٪ من مساحة فلسطين · ويملك العرب الذين يشكلون ٤٦ر٥٪ من سكانها نحو ثلثي مساحتها ·

٣ ـ الأماكن المقدسة وتشمل منطقة القدس وتقع في وسط المنطقة العربية الجبلية ، وتسلم لمجلس وصاية يتبع الأمم المتحدة · وكان يقطنها ١٥٠٠٠٠ عربي ، ١٠٠٠٠٠ يهودي · (أنظر الشكل) ·

ثم أعلنت بريطانيا سحب آخر قواتها قبل ١٩٤٨/٥/١٥م ، غير عابئة بواجبها كدولة منتدبة ولا بنداءات مجلس الأمن · وقد أخلت المناطق المخصصة لليهود أولا ، فاستولى هؤلاء عليها ، وسلمتهم خط استحكامات ايدن (٢٤) في الجليل الأعلى وكثير من المعسكرات والمطارات بأسلحتها ومعداتها وحتى المراكز الحكومية · في حين بقيت تحافظ على واجبها في المنطقة المخصصة للعرب ، فقاومت ادخال الأسلحة والمتطوعين وأي مظهر من مظاهر المقاومة · وقد أدت هذه السياسة الى قتل وتشريد معظم العرب العزل المقيمين في المناطق التي يكثر فيها اليهود ، وساءت حالة المناضلين العرب وعم الزعر والسخط في كافة البلاد العربية (شكل ٧) ·

فرأت بريطانيا أن الفرصة قد سنحت لتضرب الفلسطينيين ضربة قاصمة ، وذلك بعزلهم نهائيا عن قيادة وتنظيم حركتهم ، وتسليم هذه القيادة للجامعة العربية · وكانت ثلاثة من دول الجامعة السبعة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات ، وكان لبريطانيا بموجبها اشراف كامل على جيوشها ، وكانت الدول الباقية ضعيفة لا حول لها ولا قوة ·

ازاء هذه الأحداث أعلنت لجنة الجامعة العربية في ١٢ نيسان ١٩٤٨م فجأة دخول الجيوش العربية بعد ١٥ أيار لتحرير فلسطين وأبطال قرار التقسيم · واتخذت الجامعة عدة قرارات فرعية اعتبرت كتنظيمات ضرورية لسلامة الجيوش الزاحفة (٢٥) هي :

١ ـ اعتبار الجيوش العربية هي الوسيلة الوحيدة الصالحة لحماية عرب فلسطين · ولذلك توقفت المساعدات نهائيا ـ رغم ضآلتها ـ عن المجاهدين الفلسطينيين ·

٢ ـ حل جميع المنظمات العسكرية الشعبية في فلسطين وتوقيف نشاطها وابعادها عن ميدان المعركة · وكانت النتيجة التخلص من الخطر الأساسي على كيان اسرائيل وبالتالي استطاع اليهود تصفية العرب من كثير من المناطق عجزوا عن الوصول اليها قبل دخول الجيوش العربية ·

٣ ــ عزل جميع الأحزاب والهيئات السياسية الفلسطينية عن مباشرة معالجة قضية فلسطين وترك هذه المهمة للجامعة • علما بأن هذه الهيئات هي التي وقفت بصلابة بوجه الخطط والمؤامرات وقادت الكفاح ضد بريطانيا والصهيونية •

٤ ــ وضع خطة عسكرية مشتركة لجميع تحركات الجيوش العربية في فلسطين ، وتكوين هيئة قيادة عامة وتعيين القائد الأعلى للجيش الاردني رئيسا لها وبالتالي تعيين رئيس أركانه الجنرال البريطاني جون جلوب قائدا عاما للجيوش العربية بفلسطين •

٥ ــ اعلان حالة الطوارىء والأحكام العرفية في البلاد العربية ، وذلك لضرب الحركات الوطنية تحت شعار مكافحة النشاط الهدام •

وماذا كانت النتيجة ؟ في ليلة ١٥/٥/١٩٤٨م أعلن اليهود عن تشكيل دولتهم في القسم الذي منحتهم اياه الأمم المتحدة وبدأت الدول بالاعتراف بها تباعا • وأخذت عصاباتها المدربة والمجهزة تطرد العرب من ديارهم • وحصلت بينها وبين الجيوش العربية معارك صورية عقد على أثرها الهدنة بين الطرفين مرتان الأولى بتاريخ ٢٠/٦/١٩٤٨م والثانية في ١٨/٧/١٩٤٨م، كان الجانب اليهودي يستغلها في لقط الأنفاس وفي استقبال الهجرة لا سيما المقاتلين والمرتزقة ، وفي التسليح والتوسع ومزيد من طرد السكان العرب ، في حين كان الجانب العربي يلتزم ببنود الهدنة حتى استطاع اليهود احتلال الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة بالاضافة الى أجزاء أخرى من الحصة العربية بعد أن طردوا سكانها •

وأخيرا جاءت كارثة اتفاقية رودس بين اسرائيل ودول المواجهة العربية منذ شباط حتى تموز من سنة ١٩٤٩م ، والتي رسمت حدود الهدنة بين اسرائيل وكل دولة عربية على حده (٢٦) • وقد تنازل المفاوضون العرب خلالها عن مناطق جديدة كانت بيد العرب ، وتعتبر من أجود أراضي النصيب العربي من فلسطين مثل منطقة المثلث بالاضافة الى أراضي جميع النقب • وقد فوجىء سكان القرى العربية بقرارات التنازل التي حولتهم الى لاجئين • ورغم أن اتفاقية رودس عسكرية ولا تمس المطالب التي تنتج عن التسوية النهائية الا أن اسرائيل كانت تعلن باستمرار أن حدود الهدنة لسنة ١٩٤٩م هي حدود اسرائيل السياسية ولن تتراجع عن شبر منها (شكل ٨) •

وهكذا صار لدولة اسرائيل حدود عرفت فيما بعد بخطوط هدنة ١٩٤٩م وتبلغ مساحتها ٧٠٠ ٢٠ كم أي نحو ١٤٦٪ من مساحة الحصة المقررة

لها حسب قرار التقسيم ، وحيل بين عرب فلسطين وتشـــكيل دولتهم في الجزء الذي خصصته لهم الأمم المتحدة · وضم شرق ووسط فلسطين وتبلغ مساحته ٥٧٩٢ كم والذي عرف فيما بعد باسم الضفة الغربية الى الاردن في نيسان سنة ١٩٥٠م ، كما بقى الجزء الثاني في جنوب غرب فلســطين ومساحته ٢٠٢ كم والذي عرف فيما بعد باسم قطـــاع غزة تحت اشراف الجيش المصري ، وجمدت القضية الفلسطينية عند هذا الحد رغم عشرات القرارات الصادرة عن مجلس الأمن أو الجمعية العامة الخاصـــة بالقضية أو باعادة اللاجئين الى أوطانهم ·

ادعت اسرائيل أن أحكام الهدنة قد اكتسبت صفة الدوام وبالتـــالي رفضت البحث في الانسحاب عن شبر من الأرض العربيـــة وتخطت قرار التقسيم · وقد دعمها في هذا الاتجاه « التصريح الثلاثي » الصادر عن أمريكا وبريطانيا وفرنسا في أيار سنة ١٩٥٠م والذي مفاده أن هذه الدول ستتدخل لحماية الحدود التي رسمتها اتفاقية الهدنة ، أو في حالة استخدام القوة في المنطقة وذلك لاعـــادة السلام والاستقرار (أي لاعادة ســـلام اسرائيل) ·

لم يحدث أي طارىء على خطوط الهدنة في السنوات التالية ســـوى اعتداءات الجيش الاسرائيلي النظامي المتكررة على أراضي الدول العربية حيث أدانت الأمم المتحدة معظمها (٢٧) ، وسوى توسع اسرائيل المستمر في المناطق المنزوعة السلاح بينها وبين مصر وسوريا والاردن حتى بلغت مساحة اسرائيل ٧٦٪ من مساحة فلسطين ·

وقد حظيت اسرائيل بحماية الأمم المتحدة لحدودها مع مصر عقب حرب ١٩٥٦م وفتح أمامها خليج العقبة لأول مرة ، واســـتطاعت بذلك الاتصال بدول جنوب شرق آسيا وشرق افريقيا واستيراد البترول الايراني · وكانت تعمل خلال هذه الفترة دون هوادة في استقبال المهاجرين وفي رفع القوة القتالية لدى شبابها وشاباتها وفي تكديس السلاح الى أقصى قـــدر ممكن والحصول على المساعدات والقروض والهبـــات من كل مكان استعدادا لجولات قادمة ·

وقد حدثت الجولة التالية في سنة ١٩٦٧م ، حيث بدأت اسرائيل في ٥ حزيران عدوانا شاملا على الدول العربية كان من نتيجته احتلال كامل الأرض الفلسطينية ، وكل جزيرة سيناء من مصر ومنطقة الجولان وجبل الشيخ من سوريا (شكل ٩) وتشبثت فيها وعملت على تهويدها والتخلص

من سكانها العرب وتجريدهم من أراضيهم . وتجاهلت كل قرارات المنظمات الدولية . وهكذا مضى ١٢ عاما على الاحتلال وهي تعرقل جميع مشاريع السلم بينها وبين الدول العربية حتى تكسب الوقت فيرضخوا لشروطها أو حتى يحين الوقت وتستطيع أن تستوعب الأرض المحتلة فتضمها رسميا في النهاية لدولة اسرائيل ، ثم تبدأ بالتحضير لجولة جديدة .

الحدود الآمنة كشعار زائف يخفي حقيقة أطماع اسرائيل التوسعية :

لم يتوان حكام اسرائيل منذ تأسيس دولتهم سنة ١٩٤٨م عن التصريح بعدم اقتناعهم بحدود الدولة ، وكانوا يعتبرونها دائما مرحلة من مراحل التوسع ، غير عابئين بقرارات المنظمات الدوليـــــة المتكررة ، اذ صدر فيما بين عامي ٤٧ ـ ١٩٦٧م ١٠٨ قرارات عن الجمعية العامة و ٤٤ قرارا عن مجلس الأمن و ١٠ قرارات عن مجلس الوصاية في جوانب مختلفة من النزاع (٢٨) . واليكم بعض الأمثلة من هذه التصريحات :

قال بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل صراحة في ســـــنة ١٩٤٨م (ستنشأ في المستقبل ظروف ، وعلينا أن نستغل هذه الظروف لتوسيع حدود الدولة ، واذا لم تنشأ هذه الظروف تلقائيا فعلينا أن نصنعها بأنفسنا (٢٩). وأشار بن غوريون أيضا في سنة ١٩٤٩م في حفلة تخريج الضباط اليهـود أن اسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل الا جزءا مما يجب أن تكون عليه وحث الضباط المتخرجين لعدم التواني لتحقيق هذه الغاية .

وخطب مناحيم بيغن زعيم عصابة أراغون ورئيس الوزراء الحالي في تل أبيب قائلا أن اسرائيل بوضعها الحالي لا تمثل الا خمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء وأنه يجب العمـــــل على تحرير الأربعـــــة أخماس الباقية » . . وقال النائب آريه التمان في الكنيست في مارس سنة ١٩٥٢م « واجبنا افهام العالم بصراحة أن غاية اسرائيل حشد اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بســـرعة وكثافة هي أن تخـــــلق حــدودا لهـــا بين العراق والسويس » (٣٠) .

وجعل الكنيست الاسرائيلي شعاره « حدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » وعززه بخريطة تشير الى تلك الحدود (شكل ٩) .

وبعد حرب ١٩٦٧م أعلنت اسرائيل بلسان العديد من المسئولين فيها أنها لن تنسحب من الأراضي التي احتلتها الا لحدود آمنة ومعترف بها ، بالرغم من صدور عدة قرارات من الأمم المتحـــــدة ومنظماتها تنص على انســـحاب اسرائيل من الأراضي المحتلة وعدم أحقيـــة اكتساب الأراضي بالقـــوة .

تنظر الدول العربية الى الحدود الآمنة التي يمكن الاعتراف بها تلك التي حددها قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م للدولة اليهـودية ٠ لكن اسرائيل تنفي صفة الحدود الآمنة عن أي خطوط معروفة من قبل ٠ فقد أوضحت اسرائيل صراحة في اجابتها على أسئلة الدكتور غونار يارينج ، ممثل الأمين العام للأمم المتحدة سنة ١٩٧١م أن الحدود الآمنة والمعترف بها لم تتوافر أبدا بين اسرائيل والدول العربية ، وبالتالي فان من الواجب انشاؤها الآن كجزء من عملية حفظ السلام بحيث تستبدل قرارات وقف اطلاق النـــار بمعاهدات سلام تنشىء حدودا دائمة ومعترفا بها لما يتفق عليه خـــلال مفاوضات بين الحكومات المعنية وهذا يعني أن مفهومها للحدود الآمنة أوسع من أي خطوط سابقة ، وبالتالي فهي تعني التوسع ٠

وبالرغم من مطالبة اسرائيل بالحدود الآمنة الا أنها لم تصرح حتى الآن عن الخطوط التي تريدها حدودا لها ولا عن طبيعتهـــا الجغرافية ٠ وبالاضافة الى ذلك تصدر عن المسئولين الاسرائيليين تصريحات تبـــدو متناقضة في بعض الأحيان حول حدود اسرائيل ومستقبل الأراضي المحتلة تمثل وجهات نظر مختلفة كحكام ومعارضة أو حمائم وصقور ، ولكن تلك التصريحات تتفق جميعا على أمر واحد هو التوسع ٠ والا فما معنى اجراءات عملية ضم القـــدس العربية الى اسرائيل عقب احتلالهـــا في حزيران سنة ١٩٦٧م ٠

وما معنى الاصرار على مصادرة أراضي العرب في الضفة الغربيـــة وقطاع غزة والجولان واقامة مستوطنات يهودية عليها ؟ وما معنى مطالبة اسرائيل بعدم السماح للقوات العسكرية بعبور نهر الاردن أو نزع سلاح سيناء أو معظمها أو الجولان في حالة الوصول الى تسوية ٠ وكانت رئيسة وزراء اسرائيل جولدا مائير قد صرحت لجريدة « تايمز » اللنـــدنية في ١٣ مارس ١٩٧١م بأن على اسرائيل أن تحتفظ بمرتفعات الجولان والقدس وشرم الشيخ مع طريق يؤدي اليـــه مع نزع سلاح ســيناء مهما كانت التسويات ٠

ومشروع ايغال آلون للسلام عام ١٩٧٢م خير مايعبر عن مفهـــوم اسرائيل للحدود الآمنة حيث يقول بأن البلاد العربية واســعة وان خسر العرب حربا فيمكنهم احتمال نتائجها ، أما اسرائيل فلا تستطيع أن تخسر حربا واحدة لأن معنى ذلك القضاء عليها ، ولابد في ضوء ذلك من أن يكون لاسرائيل حدود تستطيع الدفاع عنها ٠٠٠ وبعد أن انتقد الخطوط السابقة أكد ضرورة اجراء مفاوضات مباشرة بين الأطراف المعنية لتحديد الخطوط النهائية على أن يكون الحل ضمن اطار الأفكار العامة التالية :

أن لا تضم اسرائيل مواطنين عرب جدد بأعداد ذات أهمية اليها ، وعلى اسرائيل أن تشرف اشرافا تاما على المناطق الاستراتيجية تجاه الشرق وهي المناطق التي يسكنها العرب والتي تقع بين جبال القدس ونابلس ونهر الاردن . غير أنه رأى منح العرب ممرا من الشرق الى الغرب ليسهل الاتصال عبر أريحا ورام الله ويحل بذلك مشكلة الكيان الفلسطيني . ورأى الون كذلك ضرورة وجود خط دفاعي فعال في مرتفعات الجولان لاحباط أية محاولة سورية جديدة لمنع اسرائيل من استغلال مصادر مياهها ، ومنع أي هجوم سوري مكثف ، ورأى كذلك أن قطاع غزة الذي يسكنه الفلسطينيون بصورة مكثفة يمكن أن يشكل جزءا من الدولة الاردنية الفلسطينية ، وتكون ميناءها على البحر المتوسط ، ويمكن ربطها بهـا بممر يستعمل لتأمين المواصلات . على أن تشرف اسرائيل على الصحراء الاستراتيجية بين غزة والعريش . ويشير كذلك الى ضرورة اشراف اسرائيل على كثير من المواقع الاستراتيجية في سيناء ، وضرورة الاحتفاظ بشرم الشيخ وكل الشريط بينه وبين ايلات . وأصر أن القدس عاصمة اسرائيل ورفض أن تعود الى وضعها المجزأ السابق ، مع امكانية وضع حل ديني يجعل لممثلي الديانة المختلفة وضعا خاصا .

هذا ومشروع بيغن الذي قدمه في معرض مباحثاته « السلمية » مع مصر سنة ١٩٧٨م ليس عنا ببعيد اذ أنه لا يختلف في جوهره عن مشروع الون ولكن باسم جديد هو مشروع الحكم الذاتي لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، وقد أصر فيه بيغن على بقاء المستوطنات الاسرائيليـة في الأراضي المحتلة بل وأصر على حق توسيعها وبناء الجديد منها ، كما أصر على عدم الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني . وماوثيقتا «كامب ديفيد» ، سوى صيغ جديدة لهذه الأفكار .

وفي آذار سنة ١٩٧٨م احتلت اسرائيل نحو خمس مساحة لبنـان بذريعة القضاء على الفدائيين الفلسطينيين وتأمين حدود اسرائيل الشمالية . ولم تنسحب منها الا بعد تسليمها لقوات سعد حداد الكتائبي المعروف بولائه لها ولاتزال ترفض دخول قوات الأمم المتحدة الى الحدود حسب قرارات الأمم المتحدة تمهيدا لتقسيم لبنان وانشاء دويلة موالية لها على الحدود .

جميع هذه المشاريع أو الآراء الاسرائيلية عن الحدود الآمنة تهدف الى تبرير السيطرة على أراضي العرب ، وهدر مبادىء عـدم جواز اكتساب الاقليم عن طريق الحرب ، وتجيز لليهود الانتقاص من سيادة الدول العربية على أراضيها وتتجـاهل أمنهم وحقوقهم . وهـذا يذكرنا بالامتيازات الاستعمارية التي كانت سائدة حتى عهد قريب ، والتي كانت تعتمد على

الغزو العسكري لتبرير التوسع الاقليمي ، وقد أصبحت مرفوضة من المنظمة الدولية ، وحلت محلها قاعدة عدم جواز استخدام القوة لتحقيق مكاسب اقليمية القانون الدولي وضرورة اعادة الأراضي التي احتلت على هذا النحو ·

الخاتمة :

تبنت بريطانيا انشاء وطن قومي لليهود منذ كان فكرة ، وعملت على تحقيقها تحت حماية عصبة الأمم ، ثم احتضنتها أمريكا وسائر الدول الاستعمارية وأنشئت دولة اسرائيل تحت علم الأمم المتحدة ، وأخذت هذه الدولة في التوسع على حساب الأرض العربية بتشجيع وتأييد من تلك الدول · اذ تصرح أمريكا بمناسبة وبدون مناسبة أنها ملتزمة بحماية حدود اسرائيل ، ولم تنفك تقدم لها المساعدات المالية والسلاح وتحميها في المحافل الدولية بل وتوجه قرارات تلك المحافل لصالحها ، وتسند اعتداءاتها ·

قامت اسرائيل على أساس انتهاك مبادىء القانون الدولي والاتفاقات الدولية ، وعلى أساس اهدار حق تقرير المصير لشعب فلسطين واغتصاب حقوقه وأرضه متسما بالعنف والالتجاء الى السلاح ، وباستمرار هي المعتدية على الشعب الفلسطيني والدول العربية المجاورة وقد أدينت من الأمم المتحدة عشرات المرات · وليس في جعبتها سوى التوسع المستمر الى أن تحقق أهدافها البعيدة على مراحل زمنية مدروسة ·

وبالتالي لم يبق أمام الحق الفلسطيني وسيلة أخرى غير احقاق الحق بقوة السلاح · فاذا كانت القوى المعادية للقضية الفلسطينية قوية بحيث أجهضت نضالها على مدى قرن من الزمان ولم تمكنها من احراز انتصارات حتى الآن بل مكنت إسرائيل من تنفيذ خططها في التوسع ، فان هذا الوضع لا يفقدها حقها الأزلي والذي لن يتخلى الفلسطينيون والشعب العربي عنه حتى تتاح الفرصة لتحقيقه في يوم من الأيام ·

مراجع مختارة

١ ـ ابراهيم شحاته ـ الحدود الآمنة والمعترف بها ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت سنة ١٩٧٤م ·
٢ ـ ابراهيم شريف ـ نهر الأردن ومشاريع الري ـ بغداد سنة ١٩٦٢م ·
٣ ـ أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية · دار المعارف بمصر ١٩٥٥م ·

٤ ـ حسن صبري الخولي ـ سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ـ المجلد ١ ـ دار المعارف بمصر ٠
٥ ـ الحكم دروزه ـ ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي (أبحاث فلسطينية رقم ٣٤) ٠
٦ ـ سالم الكسواني ـ المركز القانوني لمدينة القدس ٠ عمان ١٩٧٧م ٠
٧ ـ شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ـ بيروت ١٩٦١م ٠
٨ ـ شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ـ مطبوعات الأمانة العامة لاتحاد المحامين العرب ١٩٦٨م ٠
٩ ـ قسطنطين خمار ـ موسوعة فلسطين الكنغرافية ـ منظمة التحرير ـ مركز الأبحاث ـ بيروت ١٩٦٩م ٠
١٠ـ كامل محمود خلة ـ فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩م مركز الأبحاث ٠
١١ـ الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيل ـ ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري ٠ كتاب الملايين ٠
١٢ـ محمد عبد الرحمن حسين ـ العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ٠ منشأة المعارف الاسكندرية ٠
١٣ـ محمد عزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ٠ الجزء الأول ٠ منشورات المكتبة العصرية ٠
١٤ـ مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ـ تسعة أجزاء ٠ طباعة رابطة الجامعيين بمحافظة الخليل ٠ بيروت ١٩٦٥م ٠
١٥ـ منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطنية ـ سلسلة الوثائق الأساسية ـ بيروت ١٩٦٨م ٠
١٦ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ ملف وثائق فلسطين الصادر عن وزارة الارشاد القومي المصرية جـ ١ ٠
١٧ـ الهيئة العربية العليا ـ كارثة اغتصاب المياه العربية سنة ١٩٦٤م ٠
١٨ـ يوسف مجلي ـ فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ـ مكتبة الانجلو المصرية ٠
١٩ـ وزارة الخارجية المصرية ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ٠ الفصل الرابع ـ حدود اسرائيل والمناطق المحتلة ٠

الهوامش

(١) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ٠ الجزء الأول ٠ القسم الأول ص ٢٠ ٠
(٢) ابراهيم شريف ـ نهر الأردن ومشاريع الري ص ٨ ـ ١٧ ٠
(٣) يوسف مجلي ـ فلسطين والمظهر الجغرافي لمشكلتها ـ ٢١ و ٢٤ ٠

(٤) مصطفى مراد الدباغ ـ بلادنا فلسطين ٠ الجزء الأول ٠ القسم الأول ص ٣٧ وما بعــدها ٠

(٥) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٣١ ٠

(٦) محمد عبد الرحمن حسين العرب واليهود في الماضي والحاضر والمستقبل ص ٨١

(٧) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق ص ٣٢ ٠

(٨) حسن صبري الخولي ـ سياســة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسـطين المجلد ١ ص ٦٦ ٠

(٩) أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية ص ٢٨٨ ٠

(١٠) المصدر السابق ص ١١٢ ـ ١١٦ ٠

(١١) الهيئة العامة للاستعلامات ـ ملف وثائق فلسطين الصادر عن وزارة الارشاد القومي ـ المصرية ـ ج١ ص ٥٧ ٠

(١٢) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق ٠ ص ٣٧ ـ ٤٤ ٠

(١٣) محمد عبد الرحمن حسين ـ العرب واليهود في المـاضي والحاضر والمستقبل ص ١٥٣ ٠

(١٤) شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ص ٣٧ ٠

(١٥) شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ص ٦٦ ٠

(١٦) شفيق الرشيدات ـ العدوان الصهيوني والقانون الدولي ص ٥٠ ـ ٥١ ٠

(١٧) حسن صبري الخولي ـ المصدر السـابق ص ٤٣٤ ـ ٤٣٦ ومحمد عـزة دروزة ـ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ـ الجزء الأول ص ٢٦٣ ـ ٢٧٠ ٠

(١٨) كامل محمود خلة ـ فلسطين والانتداب البريطاني ص ٨٤ ـ ٨٦ ٠

(١٩) الهيئة العربية العليا لفلسطين ـ كارثة اغتصاب المياه العربيــة ـ أيلول ١٩٦٤م ص ٣ ـ ١٥ ٠

(٢٠) الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيــل ترجمة حبيب نحـــولي وياسر حواري الطبعة الثانية ٠

(٢١) محضر الجلسة ٢٢/٢٥ لعام ١٩٣٢م ، تقرير رئيس لجنــة الانتداب في عصبة الامم ٠ والهجرة اليهودية الى فلسطين ٠ وضع الجامعة العربية ٠

(٢٢) الفرد ليلينتال ـ ثمن اسرائيل ٠ ترجمة حبيب نحــولي وياسر هواري ـ الطبعة الثانية ـ ص ٥٧ ـ ٦٨ ٠

(٢٣) انظر شفيق الرشيدات ـ فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ٠ ص ١٧٨ ٠

(٢٤) وهو خط دفاعي أقيم في شمال فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية ٠

(٢٥) شفيق الرشيدات ـ المصدر السابق ـ ص ٢٥٣ ـ ٢٥٦ ٠

(٢٦) أكرم زعيتر ـ القضية الفلسطينية ٠ ص ٢٣٧ ومابعدها ٠

(٢٧) الحكم دروزة ـ ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي ٠ مركز الأبحاث : أبحاث فلسطينية رقم ٣٤ ص ٧٦ ٠

(٢٨) ابراهيم شحاته ـ الحدود الآمنة والمعترف بها ص ٣ ـ ٤ ٠

(٢٩) ابراهيم شحاته ـ المصدر السابق ص ١١ ٠

(٣) وزارة الخارجية المصرية ـ تصريحات المسؤولين الاسرائيليين ٠ الفصل الرابع ٠ حدود اسرائيل والمناطق المحتلة ٠

ملامح من تاريخ الحجاز

في أوائل عهد الدولة السعودية الأولى

د. أحمد فؤاد متولي

امتلأت منطقة الحجاز بالقلاقل والفتن في أوائل عهد الدولة السعودية الأولى . فقد تميزت هذه الفترة بالصراع المرير بين بعض الأشراف وبعض على منصب الامارة في مكة المكرمة . واتخذ الصراع صورا دامية سجلتها بعض الكتب المعاصرة للفترة ، وأشفقت على البلد الحرام من هذه المنازعات التي اتخذت شكلا مسلحا ، ازداد عنفه في بعض الفترات .

وفي هذه الفترة التي اشتد فيها الصراع في الحجاز ، ظهر السعوديون في نجد وقويت شوكتهم بسرعة وازداد أنصارهم وأتباع دعوتهم . وقد عدهم الأشراف خصوما لهم بل وأعداء للدين الحنيف ، على الرغم من أن الدعوة السلفية التي ناصروها لم تخرج عن تعاليم الاسلام السمحة . وتعد احياء لتعاليم الدين الحنيف وعودة اليها .

ورغم الصراع المرير الذي دار بينهم على منصب الامارة ، الا أنهم اتخذوا بعض الاجراءات العدائية الاستفزازية ضد أتباع الدعوة السلفية . كان من بينها منع الحجاج من أهل نجد من أداء فريضة الحج خاصة في عهد الشريف احمد بن سعيد (١) .

أما الشريف سرور بن مساعد (حكم ١١٨٦ ــ ١٢٠٢هـ) ، فقد أذن للحجاج من أهل نجد بأداء الفريضة ، كما أنه لم يقم بمعاداة نجد في أوائل عهده (٢) . لكنه عاد ومنع الحجاج النجديين فيما بعد (٣) .

وتطالعنا الوثائق التركية بمراسلات أرسلها الشريف سرور الى السلطان العثماني يحثه على أخذ الحيطة والحذر والبدء في الاستعداد لصد هجـــوم مرتقب من قبل الوهابيين على الحجاز ، ويطالب السلطان بامداده بالمساعدات المادية والعسكرية ، لكي يتمكن من صد السعوديين ومقاومتهم (٤) · كما أرسل يطلب مساعدة والي بغداد ثم والي الشام ، لدرء الخطر المنتظر من آل سعود على حد قوله (٥) ·

وتشير بعض الكتب التركية الى أن المساعدات لم تأت من أي مكان للشريف سرور ، وباءت مساعيه بالفشل · فقد قوبل طلبه من جانب الدولة العثمانية بالفتور ، حيث اعتقد السلطان أن الخلافات بين نجـد والحجاز لا تعدو أن تكون خلافات في الرأي ، لن تؤدي الى اعتداء بين الطرفين · هذا فضلا عن أن الحرب مع روســيا والنمسا والبندقية كانت شـــغل الدولة الشاغل (٦) · كما تهاون والي بغداد ووالي الشام ، وتكاسلا ولم يحرك أي منهما ساكنا ، يدفعهما الخوف والفزع من العواقب (٧) ·

وتابع الأشراف سيرة الدعوة السلفية باهتمام وماكانوا كأكثر الناس في ذلك العهد ، يتوقعون لها نجاحا · على أن نظرتهم اليها أخذت تتبـــدل بعد أن شرقت وغربت ، وضمت معظم مقاطعات نجد اليها وأدخلتها في دائرة طاعتها ، وأنشأت فيها دولة جديدة يحسب حسابها (٨) ·

والواقف على تاريخ الأشراف في الحجاز يرى أنه تاريخ مملوء بالدماء والفظائع ، فالشريف منهم لم يكن يتورع عن قتل أخيه وأبناء عمومته في سبيل الحكم (٩) ·

يورد المؤرخ التركي أحمد جودت باشا (١٠) في المجلد الخامس من كتابه « تاريخ جودت » مايأتي عن الأشراف في الحجاز في عهد الشريف غالب ابن مساعد (١١) :

« سالت دماء غزيرة من جراء الحروب التي وقعت بين الأشراف بعضهم البعض في مكة المكرمة مهبط الوحي الالهي · ولما تمادى اخوة الشريف غالب ابن مساعد أمير مكة المكرمة في الخلاف فيما بينهم في العام الماضي (١٢٠٣هـ)، جهز كل طرف جنوده ، ونشبت معارك طاحنة ، فسعى قاضي مكة المكرمة ومفتيو المذاهب الأربعة للتوسط بين المتخاصمين ، وتمكنوا من اقامة الصلح بينهم » ·

ويفهم من التحريرات التي وردت الى أغا دار السعادة سنة ١٢٠٤هـ ، أن حربا شديدة دارت بين الشريف غالب أمير مكة المكرمة وابن أخيه الشريف عبد الله داخل مكة المكرمة في التاسع والعشرين من شهر صـــفر الخير ·

وقد نتج عن شدة التراشق الذي استمر ثلاثة أيام متوالية بالبنادق والمدافع المقامة على القلعة ، أن توقف الأذان ، وأعيقت الصلاة تسع عشرة مرة . وقد كسرت قطعة من الحجر الأسود تقدر بعرض ثلاثة أصابع ، من جراء انهمار الرصاص الكثيف الذي أصابه . ثم سقط الحجر كله ، وأعيد الى مكانه بعد انتهاء المعارك ، ملصوقا بالكلس المعجون بالزيت . وبعد ذلك تجمهر الناس غاضبين ، وقدموا النصيحة للأشراف : « أن قاتلوا خارج الحرم ان قاتلتم كما جرت العادة لديكم قديما ، ثم أنهوا خلافاتكم ان حربا أو سلما » .

التجأ الشريف عبد الله الى قبيلة هذيل بجنوده ، ثم دخل مكة المكرمة في جمع غفير مرة أخرى . وعندما نزل بموضع يقال له المعابدة ، خرج الشريف غالب لمقابلته بعساكر كثيرة . ونشب بين الطرفين قتال شديد ، سقط على أثره عدد كبير من الطرفين . ولما لم تحسم المعركة ، انسحب الشريف غالب الى مكة المكرمة ، واستولى الشريف عبد الله على الطائف (١٢) .

ونظرا الى أن الوضع ظل على حاله ، فقد علم أنه صدر أمر عال للشريف غالب ، يقضي بدرء الخلافات ويوصي برفع الأذى بكل صوره عن فقراء الحرمين الشريفين . وفي نفس الوقت أرسل أمر آخر الى « أوزون (١٣) ابراهيم باشا » أمير الحج لحثه على تقديم النصيحة للفريقين ودفعهما الى التحلي بضبط النفس ، واصلاح ذات البين (١٤) .

وطبقا لما أورده المؤرخ عبد الشكور أفندي ، حدثت هذه القلاقل منذ أن كان للشريف سرور (المتوفي) أخي الشريف غالب معاون يدعى يحيى سلتوح ، واذا كان الشريف غالب قد زج به في السجن لتأكده من أنه مجبول على اثارة الفتن والقلاقل ، الا أنه تمكن من الفرار من سجنه بعد مدة ، واختفى في منزل أبناء الشريف سرور . ولما لم يحصل الشريف غالب على خبر له في أي مكان رغم التفتيش الدقيق ، ذهبت به الظنون الى أنه قصد مكانا بعيدا . أما يحيى سلتوح فقد هيأ أسباب الفتنة والفساد خفية ، باغرائه للشريف عبد الله ابن الشريف سرور بدعوى الامارة . ومع أن الشريف عبد الله كان طفلا غير بالغ ، حيث لم يصل عمره الثانية عشرة بعد ، الا أنه خدع بكلامه ، وسيطرت عليه فكرة الامارة . وأمر بمحاصرة منزل الشريف غالب واطلاق الرصاص عليه . ثم التقيا في ناحية ، واستمر اطلاق الرصاص بينهما داخل مكة المكرمة لمدة أربعة أيام متوالية بلياليها ، خلت فيها الشوارع من المارة لتعذر المرور ، وتوقفت الصلاة في الحرم الشريف ، حتى لم تقم صلاة احدى الجمع .

وبعد ذلك ، خرج الشريف عبد الله وأخوه الشريف محمد وكثير من الأشراف المناصرين له ، وتوجهوا الى « المابدة » · وتبعهم يحيى سلتوح وعدد من عبيد الشريف سرور (المتوفي) وأتبـاعه · فأعد الشريف غالب عساكره وتحرك لمواجهتهم ، وانتصر عليهم ، فمضوا الى الطائف واستولوا عليها ، ثم تحركوا قاصدين مكة المكرمة بقوة كافية جمعوها من عدد من القبائل · وخرج الشريف غالب من مكة المكرمة · وانتصر عليهم في الملحمة الكبرى التي وقعت في وادي الريان (١٥) · وقبض على الشريف عبد الله وأخيه ، وفرق جموعهم وجنودهم وشتتها · ومع ذلك عفا الشريف غالب عن ابني أخيه وعاملهما معاملة حسنة ، حيث خصص لهما الرواتب والتعيينات ·

وبعد هذه الهزيمة ، فر يحيى سلتوح قاصدا الشام عن طريق المدينة المنورة · ولما وصله ، كتب « عرضحال » (١٦) ضمنه المطالبة بتوجيـــه الامارة للشريف عبد الله · وقصد الآستانة · ومع أنه قدم العرضحال المذكور للأعتاب العلية ، الا أنه لم يجد استجابة ، فتوجه الى مصر يائسا (١٧) » ·

ويعلق المؤرخ التركي أحمد جودت باشا على هذه الأحداث ، قائلا : « لو كان زمام الأمور في مكة المكرمة انتقل الى ذلك الصبي الصغير ، لساد الفساد وعمت الفوضى في جنبات هذا البلد الأمين مهبط الوحي الالهي » ·

الهـوامش

١ ـ أحمد السباعي : تاريخ مكة ، جـ١ ، ص ٣٠٢ ـ القاهرة ١٩٥٢ ·

٢ ـ انظر : د· منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية ، جـ ١ ، ق١ ، ص ١٣٦ بيروت (د·ت) ·

٣ ـ انظر أحمد السباعي : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ ·

٤ ـ انظر الوثيقة رقم ٣٤٥٣ المحفوظة في متحف طوبقبو سرايي باستانبول ·

٥ ـ انظر الوثيقة رقم ٦٨٢١ المحفوظة في متحف طوبقبو سرايي باستانبول ·

6. Bir Heyet : Mufassal Osmanli Tarihi, cilt 5, s. 2703 Istanbul 1962

٧ ـ انظر : أحمد جودت باشا : تاريخ جودت ، م٥ ، ص ٩٢ استانبول ١٣٠٣هـ ·

٨ ـ أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ٦٢ ، ٦٣ بيروت ١٩٦٤ ·

٩ ـ حافظ وهبه : جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ١٥٠ القاهرة ١٩٦٧ ·

١٠ ـ أحمد جودت باشـا : مؤرخ تركي مشـــهور ، ولد في ٢٧ مارس ١٨٢٢م · (١٢٣٧هـ) في لوفجة ببلغاريا ، أيام أن كانت تابعة للامبراطورية العثمانية ·

عينه السـلطان عبد الحميد الثـاني ١٢٩٣ ـ ١٣٢٧ (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) مؤرخا للوقائع في وظيفة (وقعة نويس) ، ثم كلفه بكتابة تاريخ للدولة العثمانية · بدأ المؤرخ كتابه عن التاريخ العثماني في سنة ١٢٧٠هـ ، وسماه « تاريخ جودت » · وقد أكمل اثنى عشر مجلدا ، بداها من ١١٨٨هـ (١٧٧٤م) الى ١٢٤١هـ (١٨٢٦م) =

= ويعد الكتاب مرجعا هاما في تاريخ الدولة العثمانية في الفترة التي تمتد من ١١٨٨ ـ ١٢٤١هـ ، لأن المؤلف بذل فيه قصارى جهده معتمدا على الوثائق والمخطوطات التي اتاحتها له وظيفته الرسمية في الدولة ككاتب للوقائع . كما اعتمد على بعض المصادر العربية والانجليزية والفرنسية والألمانية في كتابة تاريخه .

وقد طبع الكتاب عدة طبعات بالحروف التركية العثمانية . وقام عبد القادر افندي الدنا رئيس محكمة تجارة بيروت ، بترجمة المجلد الأول من الكتاب ، وطبعه في مطبعة جريدة بيروت ١٣٠٨هـ .

ومن الجدير بالذكر أن الكتاب طبع طبعة حديثة مبسطة بالحروف التركية الحديثة في خمسة مجلدات . وقد قام دوندار كونداي بتبسيط الكتاب ، كما رتبه ونظمه مؤمن جويك . وصدر في جريدة صباح ١٩٧٢م .

[انظر مقدمة كتاب
Dündar Cünday : Tarihi Cevelet, 5. 1 - 12 Jst 1972]

١١ ـ أحمد جودت باشا : المرجع السابق ، م٥ ، ص ٣٠ ، ٣١ .

انظـــر :

12. Bir Heyet : Geçen Eser, cilt 5, s. 2703

وانظر أيضا :

Yilmaz Oztuna : Osmanli Tarihi, cilt 11, s. 124 Ist. 1967

١٣ ـ أوزون : كلمة تركية الأصل معناها طويل .

انظـــر :

14. Bir Heyet : Ayni Eser, ayni cilt, ayni sayfa

وانظر أيضا :

Ismail Hami Danismend : Izahli Osmanli Tarihi Kronolojisi, cilt 4. s. 85 Istanbul 1972.

١٥ ـ يقول الدكتور منير العجلاني في كتابه « في سنة ١٢٠٣هـ أغرى أحد أنصار الشريف سرور أحد أولاده ، وهو الشريف عبد الله بن سرور ، وكان صبيا لا يتجاوز عمره الثانية عشرة ، بان يطلب الشرافة لنفسه ، وجمع له ٥٠٠ عبد ، وضربوا بالرصاص على بيت الشريف غالب ، وقطعوا طرقات مكة أياما ، ثم تم التغلب عليهم .

[د. منير العجلاني : المرجع السابق ، جـ١ ، ق٢ ، ص ١٣٨] .

١٦ ـ عرضحال : شكوى ، ظلامة . اصطلاح عربي الأصـــل مكون من لفظين : (عرض) و (حال) .

انظر أيضا :

17. Bir Heyet : Geçen Eser, s. 2704.



في الحلقة السابقة استعرضت بايجاز تأسيس مديرية المعارف وأهم مؤسسات التعليم في ذلك العصر ، واستكمالا لذلك نستعرض دور معاهد المعلمين القديمة والتي كانت أداة نافعة في المسيرة التعليمية التاريخية والمعلم حينما يحظى بهذا الاهتمام في اعداده وتكوينه فلا غرو في ذلك اذ هو الينبوع الذي يعطي دائما كل خير وينير للأجيال طريقها ولايزال دوره بالغ الأهمية في بعث النهضات الحضارية فهو من أهم ركائز التطور ٠

وهكذا فان هذه الفترات التاريخية لاعداد المعلم تمثل تراثا ثقافيا ويمكن لهذا التراث أن ندرك من خلاله الدور الحيوي الفعال للنهضة المباركة كما نستلهم من خلاله العزم والقوة في مسيرتنا التعليمية والثقافية لتحقيق الأهداف نحو مستقبل علمي رفيع وحياة ثقافية كريمة تحمل الأصالة والوعي والمعرفة ٠

معاهد المعلمين

متى بدأت ـ عدد المعاهد ـ تطورها :

مسايرة للتطور الحثيث الذي يهدف الى النهوض في كافة الميادين وعملا بدفع عجلة التعليم قدما الى الأمام ، عمدت وزارة المعارف الى تهيئة الوسائل الكفيلة لاعداد المعلمين المؤهلين للقيام بمهمة التدريس اذ أن اعداد المعلم الصالح للمدرسة الابتدائية هو الموضوع الذي يجب العناية والاهتمام به ٠٠ ورغبة في أن يكون معلم المرحلة الابتدائية من أبناء البلاد اذ هو بلا شك أكثر فهما لأحوال التلاميذ وأعرف بعاداتهم وأدري بأساليب تفكيرهم ونشاطهم وبالتالي هو أقدر على التفاعل معهم ٠

ولذلك أنشأت وزارة المعارف معاهد لاعداد معلمي المرحلة الابتدائية منذ عام ١٣٧٣هـ ١٩٥٣م حتى عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م وقد تم خلال تلك الفترة :

(أ) انشاء معاهد المعلمين الابتدائية ·

(ب) معاهد المعلمين الثانوية ·

(جـ) دورات تربوية لتدريب المعلمين أثناء الخدمة ·

معاهد المعلمين الابتدائية :

أنشئت هذه المعاهد في مطلع عام ١٣٧٣هـ ــ ١٩٥٣م واخـــذت في النمو والتطور والاتساع حتى بلغ عددها في عام ١٣٨١هـ ــ ١٩٦١م ستة وثلاثين معهدا وانتشرت في مختلف مناطق المملكة وكانت نسبة الملتحقين بهذه المعاهد من خريجي المدارس الابتدائية ٢٥٪ · وسأوضح في جدول احصائي عدد هذه المعاهد وطلابها وفصولها ·

ولقد كانت الدراسة في هذه المعاهد في مستوى مرحـــلة الدراسة المتوسطة وكانت مهمتها تخريج معلمين أشبه بمعلمي الضرورة للمرحـلة الابتدائية وقد بلغ مجموع من تخرج من هذه المعاهد « ٩٦٠٠ » معلما ·

وكان شروط القبول في هذه المعاهد تنص على مايلي :

١ ــ أن يكون الطالب حائزا على الشهادة الابتدائية ·

٢ ــ ألا يقل عمره عن الـ١٥ عاما ولايزيد عن ٢٠ سنة ·

٣ ــ سلامة الجسم وحسن السلوك ولياقته للخدمة في مهنة التعليم ·

ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وقد خصصت مكافأة شهرية تتراوح بين (٦٠ ــ ١٥٠) ريالا سعوديا حسب المســـتوى المعيشي في مكان كل معهـــد ؟

وينال الطالب بعد تخرجه شهادة تسمى « كفاءة معاهد المعـــلمين الابتدائية » ·

(الخطة الدراسية)

مواد الدراسة	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	ملاحظات
العلوم الدينية	٨	٧	٧	بما في ذلك الطرق
اللغة العربية	٩	٩	٩	الخاصة لتدريس كل
التاريخ	٢	٢	٢	مادة منها
الجغرافيا	٢	٢	٢	
الرياضيات	٥	٤	٤	
مبادىء العلوم	١	٢	٢	
الصحة العامة والمدرسية	٢	١	١	
أصول التربية وطرق التدريس وعلم النفس التعليمي	٢	٢	٢	
التربية العلمية	ــ	٤	٤	بما فيه حصة واحدة
الرسم	٢	٢	٢	للطرق الخاصة في
الأشغال اليدوية	٤	٢	٢	الثانية والثالثة
التربية البدنية	١	١	١	
المجموع	٣٨	٣٨	٣٨	

جدول احصائي يوضح عدد المعاهد والفصول والطلاب
منذ عام ١٣٧٣هـ الى عام ١٣٨٨هـ

السنة	عدد المعاهد	عدد الفصول	عدد الطلاب	ملاحظات
١٣٧٣	٣	٣	٧٩	
١٣٧٤	٣	٦	١٣٩	
١٣٧٥	٥	١٣	٢٥٢	
١٣٧٦		١٨	٣٩٩	
١٣٧٧	٢٨	٥٢	١٠٥٢	
١٣٧٨	٢٨	٨٧	١٦٦٨	
١٣٧٩	٣٢	١٢٨	٢٦٨٧	
١٣٨٠	٣٥	١٤٦	٣٤٩٧	
١٣٨١	٣٧	١٦٤	٤٣٩٥	
١٣٨٢	٣١	١٩٤	٥٥٧٥	
١٣٨٣	٣١	٢١٩	٦٨٧٦	
١٣٨٤	٣٠	٢٣٨	٧٧٥٦	
١٣٨٥	٣٠	١٦٢	٤٧٩٥	بدأت تصفية المعاهد
١٣٨٦	٣٠	٩٨	٢٧٩٥	
١٣٨٧	١٤	٢٧	٨٣٢	
١٣٨٨	٣	٤	١٤٨	

ان مناهج الدراسة في هذه المعاهد تماثل مناهج المرحلة المتوسطة باستثناء موضوع اللغة الأجنبية حيث استبدلت بمادة التربية وعلم النفس ودروس التربية العملية ثم جرى تعديل لتلك الخطة في عام ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م حيث أضيفت مادتي الرسم والأشغال اليدوية كما قد خصص أسبوع للتدريب العملي بالنسبة لطلاب السنة الثانية وخصص أسبوعان لطلاب السنة الثالثة في تمرين متصل كما جرى تعديل في منهج التربية وعلم النفس ثم استقرت الخطة بعد ذلك لتعليمها النهائي وحينما رات الوزارة أن هذه المعاهد بحاجة الى التطوير والتحسين عمدت الى تصفية هذه المعاهد منذ عام ٨٥/٨٦هـ ـ ٦٥/٦٦ وتحويلها الى مدارس متوسطة • وقد انتهت تصفيتها بنهاية عام ١٣٨٨/١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٨/١٩٦٩م • لقد تخرجت أول دفعة من هذه المعاهد مع بداية العام الدراسي عام ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م حيث باشرت عملها في المدارس الابتدائية كمعلمين مؤهلين وأخذ عددهم يزداد عاما بعد عام وأصبحت نسبتهم في العام الدراسي ١٣٨٣هـ/١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٣/١٩٦٤م تمثل ٥ر٦٢٪ من مجموع المعلمين السعوديين •

ونتيجة للتطورات التربوية ورغبة في تكوين المعلم الناجح الذي هو في الواقع العامل الأساسي للمضي بالعملية التعليمية بنجاح فقد تقرر منذ العام الدراسي ١٣٨٧/٨٦هـ ٦٥/١٩٦٦م الغاء هذه المعاهد القديمة وانشاء سبعة معاهد جديدة تتناسب وتطورات التربية الحديثة كما وكيفا وقد اختير لها في البداية سبع مدن رئيسية هي :

١ ـ الرياض
٢ ـ مكة المكرمة
٣ ـ جده
٤ ـ المدينة المنورة
٥ ـ الدمام
٦ ـ بريده
٧ ـ الطائف

وأطلق عليها اسم معاهد اعداد المعلمين للمرحلة الابتدائية وقد اتت هذه المعاهد أكلها فتخرجت أول دفعة في عام ١٣٨٧ ـ ١٣٨٨هـ ٦٧ ـ ١٩٦٨م •

ونتيجة للاقبال على هذه المعاهد وارتفاع نسبة الملتحقين بها والاقبال الشديد عليها نتيجة لهذا النمو والتطور فقد تقرر افتتاح معهدين آخرين

في عام ٨٩/١٣٩٠هـ أسس أحدهما في مدينة الهفوف والآخر في مدينة أبها • ثم بوشر بافتتاح أربعة معاهد أخرى في عام ٩٠/١٣٩١هـ ٧٠/١٩٧١م في كل من الباحة وجيزان والقنفذة وحائل ، كما أن الخطة الخمسية لوزارة المعارف تتضمن افتتاح معاهد جديدة في كل من الوشم والجوف وبيشه •

تدريب المعلمين :

حرصت وزارة المعارف على معالجة مشكلة معلمي الضرورة الذين لا يحملون مؤهلات علمية أو مسلكية فوضعت خطة لتدريبهم ورفع مستواهم وتنميتهم من الناحية المسلكية اذ أن تطوير المدرس ونموه سيساعد حتما على الوصول الى الأهداف التربوية المنشودة والمعلم أحوج من غيره للتدريب لأنه يعمل في مجال متطور وفي ميدان يتطلب النمو والتقدم ليتفاعل مع متطلبات التربية والتعليم وهو ما كانت تهدف اليه هذه الدورة ليتمكن الدارسون من الاطلاع على النظريات والتطورات العلمية توسيعا لآفاقهم والنأي بهم عن الجمود وقد أختير للتدريس فيها صفوة مختارة من أساتذة المدارس الثانوية والمعاهد الى جانب الاستعانة ببعض العاملين في جهاز الوزارة من مفتشين ومديري ادارات ومختصين في الشئون التربوية •

ولقد شرفت بالعمل والتدريس في تلك الدورات والتي عقدت في مدينة الطائف وكم لنا من ذكريات مع طلاب هذه الدورات مازالت عالقة في الذهن فقد كنا نعقد الأمسيات الثقافية والندوات الاجتماعية والتربوية والشعرية في منتزهات الطائف وبين جباله وأوديته خلال الرحلات التي ننظمها للدارسين في هذه الدورات ووقفنا وقفات متعددة في موقع سوق عكاظ تحقيقا للتقارب بين المدرسين فكريا وشعوريا •

ولقد كنت وزملائي نستدل على سوق عكاظ من خلال أقوال علمائنا الأجلاء من القدامى والمعاصرين فمن القدامي كالأصمعي والواقدي والفيروزابادي وابن الأثير والأصفهاني وياقوت الحموي ومن المعاصرين كابن بليهد والجاسر وابن خميس •

ولكي يلم القارىء ببرنامج هذه الدورات أضع نموذجا لخطة الدراسة لعام ١٣٧٩/١٣٨٠هـ •

مواد الدراســـة	عدد الحصص في الأســـبوع السنة الأولى	السنة الثانية
اللغة العربية وطرق تدريس اللغة والدين	٨	٨
العلوم والصحة العامة والصحة المدرسية والاجتماعية وطرق خاصة	٤	٤
الحساب والهندسة وطرق خاصة	٦	٦
الجغرافيا والتاريخ وطرق خاصة	٥	٥
التربية وعلم النفس التعليمي	٤	٤
المدرسة الابتـــدائية	١	١
التربية الفنية ووسائل الايضاح التعليمية	٦	٦
مكتبة وأبحاث ومناقشات	٢	٢
	٣٦	٣٦

ونموذج آخر لخطة الدراسة لعام ١٣٨٢هـ

	عدد الحصص في الأسبوع السنة الأولى	السنة الثانية
١ ـ اللغة العربية وطرق تدريس اللغة العربية والـــدين	٩	٩
٢ ـ العلوم والصحة العامة والصحة المدرســية والاجتماعيـــة	٥	٥
٣ ـ الحساب والهندسة وطرق خاصة والوسائل	٦	٦
٤ ـ الجغرافيا والتاريخ وطرق خاصة والوسائل	٦	٦
٥ ـ التربية وعلم النفس التعليمي	٤	٤
٦ ـ المدرسة الابتدائية « مناهجها ومشكلاتها »	١	١
٧ ـ المكتبة والبحوث والمناقشات	٢	٢
٨ ـ الرسم والأشغال ووسائل الايضاح	٣	٣

لقد روعي أن يشتمل منهاج هذه الدروات الصيفية لتدريب المعلمين على التعريف بوظيفة المعلم وكيفية تأديته لعمله واعداده لدروسه والطريقة المثلى في ذلك وتوجيه نشاطاته وتنمية روح المسؤولية في نفسه ٠

والصفات الواجب توافرها في المعلم الناجح وضرورة تعرف المعلم على طبيعة تلاميذه وأسلوب معاملتهم الى غير ذلك مما يساعد على نجاح المعلم في مهنته مع تمكينه من الاطلاع على كتب التربية وعلم النفس وطرق التدريس وتعميق معلوماته عن ذلك واستنباط أفضل الوسائل للتغلب على الوان المشكلات التي تصادفه ٠

والواقع أن خطة الدراسة تقوم على أسلوب اجتماعي مرن يتسق مع مستوى تفكير الدارسين بهذه الدورة وبذلك أتاحت هذه الدورات فرصة التحصيل والتثقيف ٠ والاستنارة العقلية والاستفادة من الخبرات التربوية والفنية الحديثة في التعليم والوقوف على أنجع الطرق في كيفية التدريس وطرائق الأداء الى جانب ضروب شتى من الخبرات والمهارات التربوية وعلاوة على ما لهذه الدورة من أثر تربوي فهي عامل من عوامل بث روح التعاون والانسجام والتفاهم والتجاوب وغرس تلك المعاني في نفوس الدارسين وتعزيزها في أفئدتهم ومشاعرهم ٠

والواقع أن هذه الدورات حققت هدفين : الهدف الأول تربوي والثاني اجتماعي فاجتماع المعلمين وحضورهم من مناطق يبعد بعضها عن بعض وتتباين في طباعها وعاداتها ونفسياتها وتتغاير في تقاليدها فيلتقون على صعيد واحد وفي جو يسوده الصفاء والحب والود ويظلله الوئام والاخوة المتينة والهدف الموحد ٠ فهذه الصلات الحيوية الوثيقة لها أهميتها وشأنها في توطيد الصلات والتفاعل بين معلمي الجيل وحاملي مشاعل التربية والتعليم اذ ينطلقون بروح صادقة وعزيمة قوية الى ارتياد آفاق العلم والمعرفة ٠٠٠ والواقع أن هذه الدورات أخذت بيد الدارسين الى المجالات المفيدة وتوجيههم ليكتسبوا الخبرة والمران والمعرفة ٠

جدول بعدد من تم تدريبهم في هذه الدورة

السـنة	عدد الدارسين
٧٥	٥٦
٧٦	٦٩
٧٧	١١٤
٧٨	١٣٨
٧٩	٢٦٧
٨٠	٦١
٨١	٦٦
٨٢	٩١
٨٣	٧٣
	٩٣٥

أما الدورات الرياضية فقد قامت بتدريب ٤٥٠ معلما ٠

وحيث أن هذه الدورة أنجزت تدريب عدد كبير من معلمي الضرورة فقد صدر الأمر الوزاري في ١٧/٣/١٣٨٥هـ ١٩٦٥ بالغاء هذه الدورة ٠

معاهد المعلمين الليلية :

لكي يكون المعلم قادرا على تأدية رسالته وأكثر فهما لواجبه فلابد من اتاحة الفرصة له وتدريبه تدريبا يتيح له التطـــور والنمو والتقدم وتزويده بالقدر الكافي من الدراسات الثقافية العامة والدراسات التي تتصل بأصول التربية وعـــلم النفس التعليمي لتجعل منه معـــلما مدربا فاهما لنفسيات التلاميذ وطبـــائع الأطفال الذين يقـــوم بتربيتهم وتوجيههم وتعليمهم في المدرسة الابتدائية ٠ ومراعيا للأهداف والغايات والواجبــات التي يضطلع بها خاصة وأن الكثيرين من أولئك المعلمين غير مؤهلين تأهيلا تربويا والكثيرون منهم لا يحملون مؤهلات ٠

ولما لهذه الدراسات الليلية من أثر فعـــال في تنمية ثقافة أولئك المعلمين وتطوير كفاءتهم واعدادهم ٠٠ فقـــد رأت الوزارة اقامة معاهد المعلمين الليلية وكان تأسيسها عام ١٢٧٥هـ ــ ١٩٥٥م ٠

ووضع لها منهج يتفق وظروف الدارسـين واستعداداتهم وشجعت المدرسين على الانتساب الى هذه المعاهد ووضعت مكافأة شـهرية مقدارها خمسون ريالا لكل دارس بها · وتدعيمها بمختلف الوسائل المادية والمعنوية حرصا على أن يتم الاستفادة منها ·· وليحقق المعلم لنفسه التقدم وليشارك مشاركة ايجابية فعالة في تعليم نفسه بضروب العلم وفنون المعرفة ووسائل التربية ·

وكانت الدراسة في هذه المعاهد مسـائية ولمدة ثلاث سنوات حسب الخطة التالية :

خطة الدراسة

دراسات ثقافيـة	عدد الحصص في الأسبوع			ملحوظات
	الأولى	الثانية	الثالثة	
لغة عربية ودين	٣	٣	٣	مايدرس في النصف
الرياضيات ومبادىء العلوم والصحة	٣	٣	٣	الأول من العـام الدراسي ـ
جغرافيا وتاريخ	٢	٢	٢	
رسم وأشغال يدوية	٢	٢	٢	
	١٠	١٠	١٠	

(تابع) خطة الدراســـة

دراسات تربوية وثقافية	عدد الحصص في الأسبوع الأولى	الثانية	الثالثة	ملحوظات
لغة عربية ودين	٢	١	٠	
أصول التربية وعلم النفس	٢	٣	٣	
طرق تدريس اللغة العربية والدين	٢	٢	٢	
طرق تدريس الرياضيات	١	١	١	
طرق تدريس المواد الاجتماعية	١	١	١	
طرق تدريس الرسم والأشغال	١	١	١	
مناقشات عـــامة	١	١	١	
	١٠	١٠	١٠	

ولقد ألغيت هذه المعاهد في عام ٨٤/٨٥هـ ـ ٦٤/١٩٦٥م بعد أن أدت مهمتها في تدريب معلمي الضرورة ٠

معاهد المعلمين الثانوية :

تمشيا مع مرحلة النمو والتطوير والتي تســـير قدما الى الأمام في مملكتنا الفتية والتي تستهدف النهوض بهذا البـلد الأمين في شتى المجالات قامت وزارة المعارف بدورها في تحمل مسئولياتها التربوية والتعليمية اذ أن أي تقدم وتطور يعتمدان الى حد كبير على اعداد المواطن الصالح وهذا يتطلب ولا شك اعداد وتكوين المعلم الصالح الذي سيقوم بهذه المهمة وعلى هـــذا الأساس فقد عمدت وزارة المعارف الى اعداد المعلمين للتعـــليم في المدارس المتوسطة ٠

ففي عام ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م أسست المعاهد الثانوية للمعلمين وحددت مدة الدراسة فيها بأربع سنوات واشترط للقبول فيها ٠

١ ـ أن يكون الطالب سعودي الجنسية ٠

٢ ـ وسليما من العاهات الجسمية

٣ ـ ولائقا للخدمة التعليمية

٤ ــ وألا يقل عمره عن الـ (١٥) عاما ولا يزيد عن الـ (٢٠) عاما
٥ ــ وأن يكون حائزا على شهادة الكفاءة المتوسطة
٦ ــ وأن ينجح في الاختبار الشخصي الذي تجريه وزارة المعارف ٠

أما ما يخص الخطة الدراسية فنوضحها في الجدول التالي :

عدد الحصص في الأسبوع

المواد	السنة الأولى	السنة الثانية	السنتان الثالثة والرابعة				
			لغة عربية	لغة انجليزية	المواد الاجتماعية	الرياضيات والعلوم	التربية الفنية
العلوم الدينية	٤	٤	٢	٢	٢	٢	٢
اللغة العربية	٦	٦	١٨	٢	٢	٢	٢
اللغة الانجليزية	٧	٧	٢	١٥	٦	٢	٢
المواد الاجتماعية	٤	٤	٢	٥	١٤	ـ	ـ
الرياضيات والعلوم	٨	٨	ـ	ـ	ـ	١٨	٢٠
التربية الفنية والتربية	١	١	١	١	١	١	٢٠
التربية العملية	١	١	٢	٢	٢	٢	٢
التربية الرياضية	٢	٢	١	١	١	١	١
علم النفس	١	١	٢	٢	٢	٢	٢
المكتبة والبحث	٢	٢	٢	٢	٢	٢	١
الخدمة الاجتماعية	ـ	ـ	١	١	١	١	١
التربية العلمية والنقد	ـ	ـ	٣	٣	٣	٣	٣
المجموع	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦

وقد استمرت هذه المعاهد في تخريج دفعات من الطلاب لمدة أربع سنوات ثم ألغيت بقرار وزاري في عام ١٣٨٥هـ ــ ١٩٦٥م على أساس أن ارتفاع مستوى التعليم في المرحلة المتوسطة يتطلب اعداد مدرسين جامعيين مؤهلين لهذا الغرض ٠

كما اتجه البعض من خريجي هذه المعاهد الى مواصلة دراستهم في كلية التربية كما انخرط البعض الآخر للتعليم وفي المدارس الابتدائية ٠

الأصوات العربيّة
دراسة موازنة باللغات السامية الأخرى
د . صلاح الدين حسنين

العربية واللغات السامية

تنتمي اللغة العربية الى مجموعة من اللغـات كانت ولا تزال سائدة في غرب آسيا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، انقرض بعضها ومازال بعضها الآخر مستعملا ، وأطلق الباحث الألماني شلوتسر عليها المجموعة السامية ، وتمتاز هذه المجموعة بعـــدد كبير من العناصر المشتركة في الأصوات والصرف والنحو والكلمات ، وتتبع اتجاهات عامة معينة في تطورها •

وتنقسم المجموعة السامية الى شمالية وجنوبية ، وتنقسم الشمالية الى شمالية شرقية وتشمل اللغة الأكادية أي اللغتين البابلية والآشوية ، وشمالية غربية ، وتشمل المجموعتين الكنعانية والآراميـــة ، وتضم الكنعانيـــة : الفينيقية والمؤابية والأوجاريتية والعبرية ، وتضم الآرامية : الآراميـــة الشرقية وتشمل السريانية ولهجة التلمود البابلي والمندعية ، أما الآرامية الغربية فتشمل لهجة التلمود الأورشليمي والسامرية •

وتضم اللغات الجنوبية مجموعتين هما العربية والحبشـــية القديمة المسماة بالجعزية ، والعربيـــة تنقسم الى قسمين : شـــمالية وجنوبيـــة ، أما الشمالية فهي لغة القرآن الكريم والشعر الجاهلي ، أما الجنوبية فتضم عدة لهجات منها الحميرية والقتبانية والحضرموتية والسبئية •

مناهج دراسة الأصوات :

هنالك منهجان لدراسة الأصوات هما المنهج الوصفي والمهنج التاريخي الموازن •

المنهج الوصفي :

يميز هذا المنهج تمييزا واضحا بين علمين اثنين هما علم الصـــــوتيات الفونتيكس Phonetice وعلم الفونولوجيا Phnolagy

(أ) علم الفونيتكس :

يهتم بدراسة الأصـــــوات الموجودة في اللغات الانسانية بوجـــــه عام ويدرسها من ثلاث زوايا ، ويتناول كل زاوية فرع مستقل ، هذه الفروع هي : –

١ – علم الأصوات النطقي Articulatory Phonetics ويهتم بدراسة انتاج الأصوات الانسانية بوساطة الجهاز الممتد من صدر الانسان حتى رأسه وبتحديد مكان انتاجها وخصائصها ·

٢ – علم الأصوات الأكوستيكي Acoustic Phonetics ويهتم بتحليل انتقال الصوت من فم الانسان الى أذن السامع لهذا يدرس الموجات الصوتية وتحليلها الى ذبذبات وانتقالها في الهواء ·

٣ – علم الأصوات السمعي Audiotary Phonetics ويهتم بدراسة استقبال أذن السامع للصوت وكيفية فهم المخ لكل صوت على حده (١) ·

(ب) علم الفونولوجيا : Phonology

يشمل البحث في هذا العلم :

١ – حصر أصوات اللغة المعينة موضع الدراسة التي تؤدي الى اختلاف في المعنى ، ويطلق اللغويون على كل صوت يقوم بهذه الوظيفـــــة مصطلح الفونيم Phoneme

٢ – طريقة نطق الصوت الواحد في السياقات اللغـــــوية المختلفة . ويطلق اللغويون على الاختلاف في نطق الصوت الواحد نتيجة لاختلاف سياقاته مصطلح ألوفونيم alo-phoneme

٣ – العلاقة بين تتابع صوتين Syntagmatic phonemenon وتتبع التغيير الذي يطرأ على الصوت نتيجة لهذا التتابع (٢) ، وظن بعض الباحثين أن هذه الدراسة تتجاوز علم اللغة الوصفي الى علم اللغة التاريخي

لأنها ضمن الدراسة التاريخية للأصوات ، ولكن النظرية التحويلية Tranpformational gr. ترى أن التركيب اللغوي سواء أكان صوتيا أو صرفيا أو نحويا يتكون من بنيتين : عميقة Deep structure وسطحية Surface - structure ، وتنتج البنية السطحية بعد القيام بعدة عمليات تحويلية ، فمثلا الفعل اصطبر ، يتكون من بنية عميقة هي الفعل صبر في وزن افتعل أي ا ص ت ب ر ، وبنية سطحية هي اصطبر ، ومرت البنية العميقة بعدة عمليات تحويلية أدت الى انتاج البنية السطحية ، وتتمثل هذه العمليات في تحويل صوت التاء المرقق الى نظيره المفخم وهو الطاء .

ويرجع ذلك الى أن الانسان عندما يحول الفونيمات المتتابعة الموجودة في ذهنه للتعبير عن المعنى الذي يريده الى رموز صوتية سيجد أنه من الصعب على أعضاء جهازه النطقي أن تنطق صوتين متتاليين ، أحدهما مفخم والآخر مرقق ، لذلك تلجأ هذه الأعضاء الى الاختصار في المجهود الذي تبذله فتحول صوت التاء المرقق الى نظيره المفخم وهو الطاء تحت تأثير صوت الصاد ، وهذه القاعدة التحويلية تعرف باسم قانون المماثلة assimilation

وهناك قاعدة تحويلية عكس القاعدة السابقة تعرف باسم المخالفة Dissimilation وتحدث هذه القاعدة عندما يقوم الانسان بتحويل مجموعة متتابعة من الفونيمات المتشابهة الموجودة في ذهنه للتعبير عن معنى معين الى رموز صوتية سيجد أنه من الصعب على أعضاء جهازه النطقي أن تنتج مثل هذه المجموعة ، واذا حاول نطقها ستصاب عضلات عنقه بالتشنج ، لهذا يوجد عند الانسان اتجاه عام لتجنب مثل هذه المصاعب بتغيير أحد الأصوات المتشابهة (٣) فمثلا كلمة شمس تتكون من بنيتين عميقة هي شمش ومستخدمة في اللغات السامية الشمالية مثل الأكادية والعبرية والآرامية ، وبنية سطحية هي شمس ، وقد مرت البنية العميقة بقاعدة تحويلية تمثلت في تحويل الشين في طرف الكلمة الى سين ، لأنه يصعب على العربي نطق صوتين متماثلين في كلمة واحدة ، وكذلك كلمة سنبلة ، بنيتها العميقة sibbo'let كما في العبرية والآرامية وبنيتها السطحية سنبلة ، معنى هذا أن الباء الأولى في البنية العميقة تحولت الى نون في البنية السطحية ، وكذلك قنفد ، بنيتها العميقة qippodh فتحولت الباء الأولى الى نون في البنية السطحية (٤) .

لهذا فظاهرة تتبع التغيير الذي يطرأ على تتابع الأصوات تخص علم اللغة الوصفي كما تخص علم اللغة التاريخي (٥) .

ويهمنا الآن أن ندرس بشيء من التفصيل القاعدتين التحويليتين وهما المماثلة والمخالفة · assimilation

تعريفها : هي عملية احلال صوت محل صوت آخر تحت تأثير صوت قريب منه في الكلمة (٦) ·

أنواعها :

قد يتغير الصوت الى صوت مماثل للصوت السابق له أو اللاحق له أو قريب منه ، وقد يكون الصوت الآخر متصلا به أو منفصلا عنه بحركة من الحركات (٧) ، وهكذا يكون للمماثلة ثمانية أنواع :

١ ــ تقدمية كلية متصلة ، ويكون فيها الصامت الأول غير منفصل عن الثاني بحركة بينهما وأن يؤثر الصوت الأول في الثاني وأن يكون الصوتان متماثلين أو متجانسين ·

يؤدي هذا النوع الى سقوط الصامت الثاني ، وفي هذه الحالة يطرأ تغيير في فترة انتاج الصوت الأول من المخرج ، فالزمن الذي ستبقى فيه أعضاء النطق في الوضع اللازم سيكون ضعف الزمن اللازم لنطق الصوت العادي ء لأن الأعضاء الصوتية ستقوم أولا بنطق الصوت الأول مع عدم مغادرتها هذا المكان ، ثم تقوم بعد ذلك بانتاج الصوت الثاني المشابه للصوت الأول ، وهذا ما أسماه القدماء بالادغام في العربية و habla'aa في العبرية · ومن أمثلة المماثلة ماجاء في كتاب الله العزيز قـ/لا بدلا من قل لا ، ربحـ / تجارتهم بدلا من ربحت تجارتهم ، كـ / من بدلا من كم من ا/ظلموا بدلا من اذ ظلموا ، وفي العبرية 'essaq بدلا من 'eslaq, hissiq بدلا من hisliq

٢ ــ تقدمية كلية منفصلة : وهي مثل السابقة تماما الا أن الصوت الأول يتبع بحركة مثل قوله تعالى : يدركم بدلا من يدرككم ·

٣ ــ تقدمية جزئية متصلة ، وهي مثل السابقة تماما الا أن الصوت الثاني وهو المتأثر بالصوت الأول يستبدل بصوت آخر يماثله في الصفات فقط ولن يماثله في المخرج كالحالة السابقة (٩) نحو اصطبر بدلا اصتبر ، histaddeq بدلا من histaddeq و ازدهر بدلا من ازتهر ، hizdaher بدلا من hiztaher

٤ ـ تقدمية جزئية منفصلة ، وهي كالسابقة الا أن الصامت الأول يتبع بحركة نحو أفلت وأفلط (عند بني تميم) فقد أثرت اللام المفخمة على التاء المرققة فحولتها الى نظيرها المفخم وهو الطاء ، وكذلك دمدم ودندن (عند بني أسد) فقد أثرت الدال اللثوية على المميم الشفوية فتحولت الى نظيرها اللثوي وهو النون ونحو الأيم والأين (عند بني تميم) ونحو كبد فأصله في السامية الأم Kbt ، وعبد وأصله cbt

ومن هذا النوع أيضا عكوف الطير وعكوب الطير ، فقد أثر الصوت الأول وهو صوت انفجاري على صوت الفاء الاحتكاكي فتحول الى نظيره الانفجاري وهو الباء (٩) ٠

٥ ـ رجعية كلية متصلة : وفيها يؤثر الصوت الثاني على الصوت الأول ٠ وفي هذه الحالة يكون الصوت الأول ساكنا ويسقط تحت تأثير الصوت الثاني نحو قوله تعالى (اذهـ/فمن تبعك) بدلا من (اذهب فمن تبعك) ، ونحو أوج/صابرا بدلا من أوجس صابرا ٠ واضجع بدلا من اضطجع ، واصبر بدلا من اصتبر (١٠) وفي العبرية نحو Karatta بدلا من Karat,ta ، natatta بدلا من natanta

٦ ـ رجعية كلية منفصلة ، وهي كالسابقة الا أن الصوت الأول فيها يتبع بحركة نحو قوله تعالى يعذ/من يشاء بدلا من يعذب من يشاء ، وقوله تعالى : وقولهم على مري/بهتانا بدلا من وقولهم على مريم بهتانا ٠ وقوله تعالى تخسـ/بهم بدلا من تخسف بهم ٠

٧ ـ رجعية جزئية متصلة وفيها يستبدل الصوت الأول بصوت يشبه الثاني في الصفة فقط ولن يماثله في المخرج نحو يسلخ ويصلخ ، فقد أثرت اللام المفخمة على السين المرققة فتحولت الى نظيرها المفخم وهو الصاد ٠ وفي العبرية : hafqer بدلا من havqer ، yafne بدلا من yavne

٨ ـ رجعية جزئية منفصلة وهي مثل السابقة الا أن الصوت الأول يتبع فيها بحركة نحو ماجاء في الجمهرة : بعير ضاحب وصاحب ، هنا أثرت الحاء المهموسة على الضاد المجهورة تأثيرا رجعيا فتحولت الى نظيرها المهموس وهو الصاد ، ونحو مكة وبكة فقد أثر صوت الكاف الانفجاري على الميم المتوسط فتحول الى نظيره الانفجاري وهو الباء وكذلك سخر وصخر وفي العبرية Paaqa' بدلا من baaqa' فقد أثر صوت القاف المهموس على الباء المجهور فتحول الى نظيره المهموس وهو P

المخـــالفة : Dissimilation

تعريفها : نزعة صوتين متشابهين الى الاختلاف مثل تحول : ـ
ش ش الى ش س في كلمة شمش في السامية الأم وشمس في العربيـــة
و بب الى نب مثل sibbolet. في السامية الأم وسنبلة في العربيـــة
أو الى يب مثل قراط وقيراط ٠

و نن الى ين مثل دنار ودينار ٠

، وو الى أو مثل وواصل ، أواصـــــل ، وواق وأواق وقد فطن اللغويون العرب القدماء الى هذه الظاهرة ، وكانوا يعبرون عنها أحيانا بكراهية التضعيف أو كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد ، أو اجتماع الأمثال مكروه أو استثقلوا اجتماع المثلين ، وعقد ســـيبويه لذلك بابا في كتابه بعنوان « هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد » (١١) ٠

أنواعها : المخالفة كالمماثلة تقدمية ورجعية ، ونعني بالتقدمية وجود صوتين متشابهين ، ثم يؤثر الصوت الأول على الصوت الثاني ، فيـــكون الصوت الأول هو المؤثر والثاني هو المتأثر ، لذلك يتغير الصوت الثـــاني الى صوت مخالف للأول ٠

ونعني بالرجعية وجود صوتين متشابهين ثم يؤثر الصوت الثاني على الصوت الأول ، فيكون الصوت الثاني هو المؤثر والصوت الأول هو المتأثر ، لذلك يتغير الصوت الأول الى صوت يخالف الصوت الثاني ٠

والصوت المخالف الذي ينتج نتيجة لهذا القانون يغلب أن يكون من أصوات العلة الطويلة أو من الأصوات المتوسطة وهي م٠ن٠ل٠ر (١٢) ٠

وفيما يلي تفصيل لأنواع المخالفة ٠

١ ـ التقدمية المتصلة نحو تقعر وتقعور ، فرك وفرنك ، خلط وخلبط وفي العبرية maraqulis marquris

٢ ـ التقدمية المنفصلة نحو ممطر ومنطر وفي العبرية qarqar , qarqa'

٣ ـ الرجعية المتصلة نحو أترج وأترنج واجاص وانجاص ٠ وســكر وسنكر ٠ وفي العبرية darmeseq , dammeseq

٤ ـ الرجعية المنفصلة : وواق وأواق ، وواصـــل وأواصل ، وولى وأولى ، وول وأول • وفي العبرية kohab , kabkab

المنهج التاريخي :

يتناول هذا المنهج التغيير المنتظم الذي ينتاب صوتا من الأصوات في كل سياقاته اللغوية ، فمثلا الأصوات الأسنانية الاحتكاكية تحولت في لهجة القاهرة الى نظيرها الانفجاري مثل ذهب ودهب ، ثعلب وتعلب ، ظل وضل والتغيير الصوتي يرتبط بمكان وزمان معينين ، فالتغيير السابق قاصر على لهجة القاهرة ولا يشمل لهجة أخرى مثل لهجة الرياض مثلا التي حافظت على الأصوات الأسنانية الاحتكاكية ، بل انها حولت الصوت اللثـــوي الانفجاري المجهور (ض) الى نظيره الاحتكاكي (ظ) وهكذا يقال في هذه اللهجة ظاع بدلا من ضاع ، وهذا كله مرتبط بوقت معين كما قلنا من قبل •

ويستنبط تاريخ الأصوات في اللغة المعينـــة من موازنة كلمات في نصوص مختلفة ترجع الى فترات تاريخية مختلفة مثل : ظل وضل ، أو من موازنة كلمات في نصوص تمثل عدة لغات متفرعة عن لغة أم واحدة ، وهذا يساعد اللغوي التاريخي على تتبع التطور التاريخي لصوت معين ، من أمثلة ذلك صوت القاف ، فلقد وصفه القدماء من اللغويين العرب بأنه صوت لهوي انفجاري مجهـــور مفخم أي ينطق مثل الجيم القـــاهرية أو الكاف الفارسية ، واختلفت آراء الباحثين حول وصف هذا الصوت بالجهر ، فقـد وصفه المحدثون بالهمس أي عكس ما وصفه القدماء وبنى المحدثون رأيهم على ما يسمع من نطق القراءات القرآنية في مصر الآن (١٥) ، وبالبحث في النصوص اللغوية القديمة وجدنا أن صفة الجهر تنسب الى قبيلة تميم ، وصفة الهمس تنسب الى غيرها ، ولهذا كانت تكتب كافا فارسية • قال شاعر من بني تميم :

ولا أكول لكدر الكوم قد نضجت

ولا أكول لبـــاب الدار مكفـــول

واذا قارنا هذا الصوت باللغات السامية الأخرى سنجد أنه مهموس فيها جميعا ، وأنه تحول في البابلية القديمة الى صوت مجهور ، معنى هذا أنه كان في الأصل صوتا مهموسا ثم تحول الى مجهور في البابلية القديمة ، وفي لهجة تميم ، وهذا التحول قاصر على الجزء الشرقي من الجزيرة العربية

وشمالها الشرقي ويبدو أن صفة الجهر قد شاعت على ألسنة الناس ووصف اللغويون النطق الذي كان شائعا في زمانهم ، ولم يصفوا النطق الآخر ، وهو النطق السامي القديم ·

ومن أمثلة التطور التاريخي صوت الفاء في العربية وموازنته باللغات السامية الأخرى ··· توضح الموازنة لنا أن أصل هذا الصوت **P** لأنه يوجد في كل اللغات السامية الشمالية كالأكادية والأوجاريتية والعبرية والآرامية ، ثم تحول في اللغات السامية الجنوبية الى نظيره الاحتكاكي ، وهو الفاء ، لهذا نجد أن **P** في العبرية تقابل الفاء في العربية ، ويتضح ذلك من الجدول الآتي :

عبرية	عربية
Pul	فول
Pe	فم
Palag	فلج
Patah	فتح

مجال التطور الصوتي

ان مجال تطور الأصوات هو بنية الكلمات ، ولا يقصد به تطور صوت بمعزل عن بيئته الطبيعية وهي الكلمة ، والتطور الصوتي بالطبع يؤثر على البناء الفونيمي للغة المعينة ، ذلك أن تطور الأصوات قد يؤدي الى تقارب في فونيمات اللغة ، ومن ثم يؤدي الى اختلاط بعضها مع بعض (١٦) مثال ذلك تغير الكاف الدالة على المخاطبة المؤنثة الى (شين) في الوقف في لهجة ربيعة ومضر مثل منك ومنش ، ومن ثم تختلط الشين الأصلية في هذه اللهجة بالشين المنقلبة عن كاف ، ومثال ذلك أيضا تغير الباء الى فاء عند بني عقيل واليمن ، جاء في العين للخليل بن أحمد : عكبت حولهم الطير أي عكفت فهي تطير عكوب أي عكوف ، وعزا الخليل الصيغة الأولى الى الخفاجين من بني عقيل ، قال مزاحم العقيلي :

تظل نسور من شمام عليهم

عكوبا مع العقبان عقبان يذيل

وذكر ابن دريد أن الخزف وواحدته خزفة ، والخزب لغة في الخزف يمانية (١٧) ، ومن ثم تختلط الباء الأصلية في هذه اللهجة مع الباء المنقلبة عن فاء ٠

أنماط التطور في الهيكل الفونيمي :

يأخذ تطور الهيكل الفونيمي أنماطا مختلفة منها :

١ ــ تحول الصوت الاحتكاكي الى انفجاري : وقد أشـار الى ذلك جراسمان Grasmann وطبقه على اللغة اليونانية ، ويرى أنه اذا كان المقطع يبـدأ وينتهي بصوت انفجاري فانه يميل عند تطوره الى أن يتحول الصوت الذي يبدأ المقطع الى صوت احتكاكي ، ويحدث هذا بوجه خاص في الجذور المضعفة نحو

trig	thrkis	
trepho	threp-so	
phe - pheug	Pepheug	pheug

٢ ــ تحول الصوت الاحتكاكي المجهور الى نظيره الانفجاري المجهور ثم الى نظيره الانفجاري المهموس في اللغات الهندوأوربية ، وأشار الى ذلك جريم ، والجدول الآتي يوضح هذه الحالة ٠

مخرج الصوت	الحالة الاولى احتكاكي مجهور	الحالة الثانية انفجاري مجهور	الحالة الثالثة انفجاري مهموس
شفوي	v	b	p
أسناني	d	d	t
أقصى حنكي	غ	g	k

القوانين الصوتية وطبيعتها :

لاحظ الباحثون أن التغييرات في الهيكل الفونيمي تطرد في كثير من الأمثلة ، ولهذا أطلقوا عليها مصطلح القانون ، ويجب أن نؤكد أن مصطلح القانون هنا لا نقصد به المعنى المستعمل في العـلوم الفيزيائية والطبيعية.

والرياضية مثلا ، فالقانون الصوتي لا يساعدنا على ضبط الأحداث اللغوية كما هو الحال بالنسبة الى القانون الكيماوي ، ولهذا لا نستطيع استعمال القوانين الصوتية على نطاق واسع لأنها بطبيعتها غير دقيقة ، فمثلا تغير الفـاء الى باء عند قبيلة ربيعة قاصر على كلمة عكوف وعكوب ، ولا يتعداها الى كلمات كثيرة غيرها ، أي أنه لا يطرد الى مستوى القانون أو القاعدة ، بل انه مجرد تسجيل لما حدث ، واعترض على ذلك لسكين Leskein ويرى أن القوانين الصوتية تستعمل ملزمة الزاما أعمى ، ونحن لا نستطيع قبول هذا الرأي لما لاحظناه من عدم اطراد التغيير الصوتي ·

أنواع التغيير الفونيمي :

١ ـ قد يتحول الفونيم الأساسي الى عدة ألوفونات مختلفة ، وعلى عالم اللغة التاريخي أن يحصى الألوفونات المختلفة لكل فونيم ، ثم يقوم بوصفها ويوضح العلاقة بينها وبين الفونيم الأساسي ، وبهذه الطريقة يستطيع تفسير التطور الذي يحدث للفونيم المعين ، مثال ذلك صوت الباء في اللغة العربية ، فالألوفونات المختلفة له هي :

(أ) م نحو بان البدر ومان المدر في لغة مازن وربيعة ·

(ب) ن نحو sibbolet في العبرية وسنبلة في العربية ·

(جـ) ف نحو بور وفور عند الفرس الذين يتكلمون العربية ·

وهكذا يقوم عالم اللغة التاريخي باحصاء الألوفونات المختلفة للفونيم الواحد ويوضح الرسم الآتي ذلك ·

٢ ـ قد يتحول الفونيم الى فونيم آخر جديد ، مثال لهذا . صـــوت الجيم ، مخرج هذا الصوت في اللغة السامية الأم هو الحنك الصلب مع مايليه من وسط اللسان ، وهو انفجاري مجهور مرقق . واحتفظت اللغات السامية الشمالية بهذا الفونيم الأساسي ، وفي العربية الفصحى تحول الى فونيم اخر جديد هو الصوت المركب dj ، ويوضح ذلك المثال الآتي :

العربية	العبرية
gamal	djamal
gala	djala

وتغيير الفونيم الى عدة ألوفونات مختلفة يعرف بأنه مشروط أو تغيير مقيد ويرجع الى قانون المماثلة أو المخالفة . أما تغيير الفونيم الى فونيم أخر فيعرف بأنه تغيير مطلق ، ويرى الأستاذ هنري هينجسوالد
Henry Hoenigswald
أن التغيير الصوتي يبدأ في مرحلته الأولى مشروطا ولهـــذا لا يكون مطردا ثم يظل هكذا فترة زمنية حتى يطرد وفي هذه الحالة يتحول الى تغيير مطلق ، ومن هنا يصف علماء الأصـــــوات التغيير الصوتي بأنه بطيء (٢٠) .

التقسيم الفونولوجي للصوامت :

يتكون النظام الفونولوجي في أي لغـــة انســانية من عنصرين . عنصر يكون فيه الرنين ضعيفا وعنصر أخر يكون فيه الرنين قويا . وتقوم دراسة العنصر الأول على الأسس الآتية :

حصر التقابلات في المجالات الآتية :
١ ـ الانفجار والاحتكاك .
٢ ـ الجهر والهمس .
٣ ـ تفخيم الأصوات وترقيقها .

أما العنصر الثاني وهو الذي يسمى بالرنينيات فتقوم الدراسة فيه على أساس تقسيمه الى ثلاث مجموعات :

١ ـ المجموعة الأنفية .
٢ ـ المجموعة الجانبية .
٣ ـ المجموعة التكرارية .

وفيما يلي دراسة مفصلة عن هذين العنصرين :

العنصر الأول : ويشمل الصوامت ذات الرنين الضعيف : obs truents

١ ـ تنطق هذه الصوامت بسد الممر الأنفي ، وعدم السماح للهواء بالمرور خلال هذا الممر وذلك عن طريق ارتفاع اللهاة ، وعندئذ يتكون ضغط هوائي وفي هذه الحالة اما أن يغلق مجرى الفم أمام الهواء ، وهذا يؤدي الى قيام الهواء المندفع بازاحة الحاجز أمامه ويؤدي هذا الى حدوث انفجار الهواء ويسمى الصوت الناتج صوتا انفجاريا ، واما أن يضيق مجرى الهواء في الفم فيضطر الهواء المضغوط أن يمر خلال هذا الممر الضيق فيحدث احتكاكا مسموعا ويسمى الصوت الناتج صوتا احتكاكيا (٢١) ·

٢ ـ تمتاز الأصوات الانفجارية بأنه يوجد لها مقابل احتكاكي ، والجدول الآتي يوضح ذلك :

صامت انفجاري	صامت احتكاكي
ب	ف
ت	ث
ر	ز
ج	غ
ك	خ

٣ ـ وتنقسم كل من هذه الصوامت سواء أكانت انفجارية أم احتكاكية الى صامت مجهور وصامت مهموس · والصامت المجهور هو الذي تهتز عند انتاجه الأحبال الصوتية في الحنجرة أما الصامت المهموس فلا تهتز معه الأحبال الصوتية والجدول الآتي يوضح ذلك :

صامت مجهور	صامت مهموس
ب	ف
د	ت
ذ	ث
ز	س
ظ	ص
ض	ط

ج	ش
غ	ك
	خ
—	ق
—	هـ
	ح

٤ ــ الأصوات الحلقية كثيرة في اللغة العربية واللغات السامية ، ففيها الوقفة الحنجرية وهي التي يسميها اللغويون العرب بهمزة القطع ، وفيها الصوت الاحتكاكي المجهور وهو ع والمهموس وهو ح والصوت الهوائي وهو الهاء ٠

٥ ــ تنزع الأصوات الأسنانية واللثوية والأقصى حنكية نحو الحلق ، وتسمى هذه الظاهرة تحليق الأصوات أو ظاهرة تفخيم الأصوات كما يسميها اللغويون العرب والجدول الآتي يوضح الأصوات المفخمة والمرققة ٠

الأصوات المرققة	الأصوات المفخمة
ت	ط
د	ض
ز	ظ
س	ص
ك	ق

العنصر الثاني ويشمل الأصوات الرنينية :

عند نطق الأصوات الرنينية يكون مجرى الهواء مفتوحا بدرجة متوسطة أو بدرجة كبيرة لذلك يمر عمود الهواء المتذبذب في الحنجرة بحرية خلال الفم أو خلال الأنف أو خلالهما معا ٠ ودرجة اسماع هذه الأصوات أقوى بكثير من درجة اسماع الصوامت الانفجارية أو الاحتكاكية ولهذا تسمى الأصوات الرنينية ، والرنينيات ثلاثة أنواع هي :

١ ــ أنفية وتشمل صوتي الميم والنون ٠

٢ ــ جانبية وتشمل صوت اللام ٠

٣ ــ تكرارية وتشمل صوت الراء ٠

الفونيمات العربية في ضوء مقارنتها باللغات السامية :

وسنتناول دراسة كل فونيم من النواحي الآتية :

(أ) تكوينه ·

(ب) صفاته ·

(جـ) تطوره المطلق ونقصد به احلال فونيم آخر محله ·

(د) تطوره المقيد ونقصد به الألوفونات المختلفة للفونيم الواحد ·

أسس عرض الفونيمات :

أساس عوض الفونيمات هو عنصر التقابل ، فالانفجـــاري يقابله الاحتكاكي والمجهور يقابله المهموس ، والمفخم يقابله المرقق ··· وهنـــاك الأصوات الرنينية التي ليس لها مقابل ، لذلك سنتعرض لها أولا ثم بعد ذلك سنتعرض للأصوات المتقابلة ·

أولا ـ الأصوات الرنينية :

أوضحنا أن الأصوات الرنينية ثلاثة أنواع : أنفية وجانبية وتكرارية ·

الأصوات الأنفية وتشمل م· ن ، وأوضحنا أن المقصـــود بمصطلح الأنفية تسرب الهواء اللازم لتكوين الصوت في الممر الأنفي من الأنف ، وفي انتاج الأصوات الأنفية يستعمل فراغان رنينيان ، هما الفراغ الفموي والفراغ الأنفي ، وتمتاز الأصوات الأنفية بأنها ليست انفجارية أو احتكاكية لهذا يفضل البعض تسميتها بالأصوات المتوسطة :

م ··

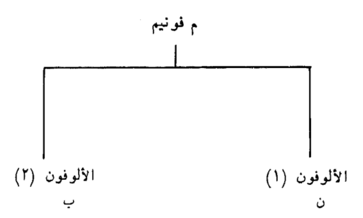
(أ) تكوينه : يحبس الهواء حبسا تاما في الفم ، بأن تنطبق الشفتان انطباقا تاما ، يخفض الحنك اللين ، فيتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف ، يتخذ اللسان وضعا محايدا · يتذبذب الوتران الصوتيان (٢) ·

(ب) صفاته : صوت رنيني ·

(جـ) تطوره المطلق : هذا الصوت من الأصوات الموجودة في اللغـــة السامية الأم · وموجود في كل اللغات السامية ·

(د) تطوره المقيد :

الجدول الآتي يوضح ذلك :



تتحول الميم المتطرفة في اللغات السامية الى نون في العربية مثل im في العبرية وان في العربية ، ومثل التنوين فاصله التمويم mimation ويدل على ذلك أنه في الأكدية

um في حالة الرفع مثل Sarrum رجل
im في حالة الجر مثل sarrim رجل
am في حالة النصب مثل sarram رجلا .

وتبقى الميم المتطرفة اذا حوفظ عليها ، بسبب طرد الباب على وتيرة واحدة مثل : قم وقام ، أو لم تصر متطرفة ، الا بعد سقوط الحركة فيما بعد مثل همو وهم (٢٣) .

وتتحول الميم غير المتطرفة الى نون اذا سبقت أو تليت بصوت أسناني أو لثوي أو صفيري ويحدث هذا في لهجات شرق الجزيرة العربية ، والروايات الآتية تشير الى ذلك :

ـ روي عن أبي عمرو أن الدمدم لغة بني أسد ، وفي لغة تميم الدندن .

ـ جاء في اللسان أن أهل الحجاز يسمون الجان من الحيات الأيم وبنو تميم يقولون الأين .

ـ ورد عن ابن الفرج أنه سمع جماعة من قيس يقولون : فلان يعثم ويعثن ، أي يجتهد في الأمر (٢٤) ويشبه هذا مايحدث في اللغة الأكادية نحو Sindu , Simdu (دواب مقرونة في عربة ، hansa , hamsa بمعنى خمس (٢٥) .

٢ ـ تتحول الميم الى باء عند قبيلة طيء وبني أسد ومازن ربيعة واليمن ،فطيء تقول حبلت بدلا من حملت ، ويقول بنو أسد اطبأنت بدلا من اطمأنت • وأورد الفراء قول شاعر من بني أسد :

وبشرني جبينك من بعيد
بخير فاطبأن له جنابي

وعقبة بدلا من عقمة ، قال عمرو بن شأس وهو من بني أسد :

وقوم عليهم عقبة السرور مقتفى

وتقول مازن ربيعة : بوباة بدلا من موماة « بمعنى المتسع من الأرض » قال شاعر منها :

خليلي بالبوباة عوجا فلا أرى
بها منزلا الا جديب المقيد •

ويقول بعض أهل اليمن : صرب الزرع أي صرمه ويسمون الصرام ، الصراب ، وجاء في اللسان الكحم لغة في الكعب واحدته كحبة يمانية • روى أبو علي القاسم • قال العباس المبرد ، قال المازني : فلما دخلت على الواثق سأل فقال : باسمك ، وهي لغة بلحارث بن كعب ، فقلت : بكر يا أمير المؤمنين ، وقبيلة بلحارث يمانية (٢٦) ويشبه هذا مايحدث في اللهجات العربية الجنوبية ، فمثلا حرف الجر (من) يقابله (بن) في هذه اللهجات •

ن :

(أ) **تكوينه :** يوقف الهواء في الفم وقفا بأن يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا ، يخفض الحنك اللين ، وبهذا يتمكن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من أن ينفذ عن طريق الأنف ، يتذبذب الوتران الصوتيان •

(ب) صفاته : صوت رنيني ويمتاز بما يلي :

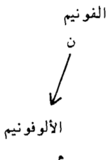
١ ـ تنطق النون نطقا خالصا اذا كانت قبل ء ـ هـ ـ ح ـ ع ـ خ ـ غ

٢ ـ اذا تبعت النون بحرف آخر طرأ عليها مايسمى الاخفاء ، وتسمى النون خفيفة أو مخفاة أو خفية ، وتصير غنة في الأنف ، لا علاقة للفم في النطق بها ، والغنة نغمة أنفية محدودة وترنم يقع باغلاق الفم ، ويبدو

أن النون في هذه الحالة كانت تبدل تقريبا في نفس الوقت فيصير مخرجها مخرج الحرف الذي بعدها (٢٨) ·

(جـ) تطوره المطلق : حافظت العربية على النون السامية ·

(د) تطوره المقيد : الجدول الآتي يوضح ذلك :



تتحول النون الى ميم اذا تبعت بباء ، ويصحب هذا الابدال شيء من الغنة ، وهذا هو ما أسماه علماء القراءات بالاقلاب نحو قوله تعالى ·

من بعد ما جاءهم/ممـ /بعد

عليم بذات الصدور/عليمـم

اذا انبعث أشقاها/اذا امبعث

وكذلك ممبر/منبر · (٢٩) ·

الــراء :

(أ) تكوينـه : يتكون بأن تتابع طرقات اللســان على اللثة تتابعـا سريعا (٣٠) ·

(ب) صفـاته : صوت رنيني ·

يمتاز هذا الصوت بأنه قد ينطق مفخما ومرققا ، وينطق مفخما اذا تبع بفتحة أو بضمة أو بصوت مفخم متبوع بفتحة أو بضمة نحـو كبر ، ويفـكر والرحمن ، وينطق مرققا اذا تبع بكسرة أو ببـاء نحو قريب أو مريم (٣١) ·

(جـ) التطور المطلق : حافظت العربية على الراء السامية ·

(د) التطور المقيد : تتحول الراء في العبرية الى لام في العربية مثل Sirsara سلسلة (٣٢) ·

الـلام :

تكوينه : يعتمد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا ، بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عند احدى حافتي اللسان ، أو عند حافتيه ، يرفع الحنك الأعلى فلا ينفذ الهـواء عن طريق الأنف ، يتذبذب الوتران الصوتيان ٠

صفاته : صوت رنيني جانبي ويمتاز صوت اللام بأنه ينطق مفخما ومرققا :

(أ) ينطق مفخما في لفظ الجلالة الله اذا سبق بضمة أو بفتحة نحو : الله ورحمـــة الله ، ختم الله على قلوبهم ٠ أو اذا سبق بصـــوت مفخم : ص ـ ض ـ ظ ، مباشرة ثم يتبع بفتحة أو بضمة ٠

(ب) يجوز أن ينطق مفخما اذا سبق بصوت مفخم وفصل بينه وبين هذا الصوت بفتحة نحو صلاة وطلب ٠

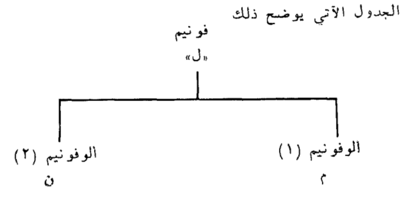
(جـ) ينطق مرققا اذا تبع أو سبق بكسرة نحو باسم الله ٠

والفارق بين الترقيق والتفخيم هو فارق في الرنين ، ففي المرققـة يرتفع وسط اللسان تجاه الحنك الصلب فيكون له رنين شـــبيه برنين الحركات الأمامية ، أما في المفخمة فيرتفع أقصى اللسان نحو الحنك اللين ، فيكون له رنين شبيه برنين الحركات الخلفية ٠

التطور المطلق : حافظت العربية على اللام السامية ٠

التطور المقيد :

الجدول الآتي يوضح ذلك



١ ـ تتحول لام أداة التعريف الى «م» في لهجة طيء واليمن ٠ ذكر النمير بن تولب الحديث النبوي ، ليس من أمبر أمصيام في أمسفر ٠

٢ ـ تتحول اللام الى نون مثل selem في العبرية salma في الآرامية وضم في العربية ·

قال ابن السكيت : سمعت الكلابي يقول : ألصت الشيء فأنا أليصه الاصة ، وأنصه فأنا أنيصه اناصة ، اذا أدرته ، وجاء عن الفراء قوله : والعرب تقول : بل والله لا آتيك ، بن والله · يجعلون اللام فيها نونا وهي لغة بني سعد ولغة كلب · وقال الفراء كذلك : وسمعت الباهليين يقولون : لابن بمعنى لابل · ومثل : لعل ولعن · وعلوان وعنوان (٣٤) ·

الأصوات المتقابلة :

الأصوات الشفوية : كان يوجد في اللغة السامية الأم صوتان شفويان انفجاريان ، أحدهما مهموس وهو P والآخر مجهور هو b وكان يوجد فيها أيضا صوت شفوي أسناني احتكاكي مهموس هو (f) أما نظيره المجهور وهو V فلم يوجد الا في اللغات السامية الشمالية الغربية كالوفونيم لصوت b ·

وليس في العربية من هذه الأصوات الا صوتين هما الفاء والباء ·

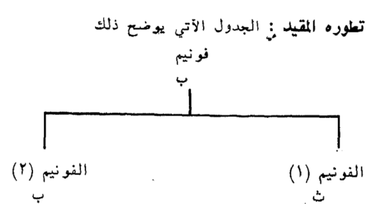
الفـــاء :

تكوينه : يتكون الفاء بأن تضغط الشفة السفلى على الأسنان العليا بحيث يسمح للهواء أن يشق طريقه بينهما وخلال الثنايا ، يرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء خلال الأنف · لا يتذبذب الوتران الصوتيان ·

صفاته : احتكاكي مهموس ·

تطوره المطلق : أصل هذا الصوت في السامية الأم هو P أي أنه كان صوتا انفجاريا مهموسا · وحافظت اللغات السامية الشمالية على هذا الصوت كالأكادية والعبرية والآرامية ـ وقد يتحول فيها الى صوت احتكاكي اذا سبق بحركة أو وقع في نهاية المقطع أما في العربية فانه تحول الى صوت احتكاكي في كل المواقع اللغوية مثل naps في الأكادية ونفس في العربية ، qippod, في العبرية وقنفد في العربية ·

تطوره المقيد : الجدول الآتي يوضح ذلك



١ ــ تتحول الفاء الى باء عند بني عقيل واليمن ، جاء في العين للخليل بن أحمد : عكبت حولهم الطير أي عكفت فهي طير عكوب أو عكوف ، وعزا الخليل الصيغة الأولى الى الخفاجين من بني عقيل · قال مزاحم العقيلي :

تظل نسور من شمام عليهم
عكوبا مع العقبان يذيل ·

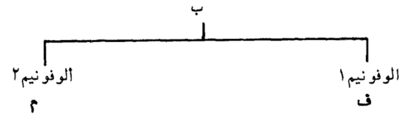
وذكر ابن دريد أن الخزف وواحدته خزفة والخزب لغة في الخزف يمانية (٣٥) ·

٢ ــ تتحول الى ثاء نحو فغم وثغم ، وثم وفم ·

البـــاء :

تكوينه : يتكون الباء بأن تنطبق الشفتان انطباقا كاملا ، يرفع الحنك اللين فلا يسمح بمرور الهواء الى الأنف · تهتز الأوتار الصوتية (٣٦) ·

صفاته : انفجاري مجهور ·
تطوره المطلق : حافظت العربية على الصوت السامي القديم ·
تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



١ ـ تتحول الباء الى فاء نحو فور وبور ، بسكل وفسكل « الآخر الذي لا قيمة له » ويقول ابن يعيش ان ذلك كثير في لغة الفرس ٠ وجاء في شرح السيرافي أن الخلط بين الباء والفاء كثير في لغة الأعاجم وذلك اما أن تغلب الباء على الفاء واما أن تغلب الفاء على الباء ٠

٢ ـ تتحول الباء الى ميم مثل مكة وبكة ، وبات المعير بدلا من مات البعير ، ومان المدر في السماء بدلا من بان البدر في السماء ، ويحدث هذا في لغة مازن وربيعة ٠

الأصوات الأسنانية واللثوية :

لكل صوت من الأصوات الأسنانية واللثوية في العربية واللغات السامية ثلاث مجموعات : الأولى مجهور مرقق والثانية مهموس مرقق والثالثة مقابل مفخم لأي منهما وهكذا توجد المجموعات الآتية :

١ ـ ت	د	ط
٢ ـ ث	ذ	ظ
٣ ـ س	ز	ص

سندرس الآن كل مجموعة على حدها ٠

المجموعة الأولى : ت و د و ط

أ ـ ت

تكوينه : يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء الى الأنف ٠

صفاته : صوت انفجاري مهموس مرقق (٣٧) ٠

تطوره المطلق : حافظت العربية على الصوت السامي القديم ، وتمتاز اللغة العربية والعبرية والآرامية بأن تحول تاء التأنيث الخاصة بالأسماء أو الصفات وتسمى في العربية التاء المربوطة الى هاء في **الوقف** ، وتظل كما هي في الوصل مثل ناقة ، وناقه ، أما تاء التأنيث المفتوحة كما في بنت وأخت فتظل كما هي ٠ وليس هناك سبب صوتي لهذا التحول ، ويرى بروكلمان أنه حدث تطور معين في العربية والعبرية والآرامية ٠

وأول مراحل هذا التطور هي سقوط التاء وبقاء حركة الفتحة التي تسبقها ٠

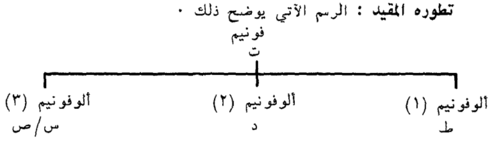
وثاني مراحله تتمثل في ظهور هاء ساكنة بعد حركة الفتحة تشبه هاء السكت ٠ وعلى هذا يفسر بروكلمان مراحل هذا التطور كالآتي :

ناقت ناق ناقه

ومما يؤيد أصالة التاء في الأسماء المؤنثة أن هناك بعض اللهجات العربية تستعمل التاء في حالتي الوقف والوصل نحو : وعليه السلام والرحمة بدلا من الرحمه لأنها في أسلوب الوقف ، وجوز تيهاء كظهر الجحفة بدلا من الجحفه ٠

٢ ـ أن قبيلة طيء أبدلت تاء جمع المؤنث السالم هاء نحو : كيف البنون والبناه ، وكيف الاخوه والأخواه ، دفن البناه من المكرماه ، وكان الأنصار في المدينة يقرأون تابوه (٣٨) ٠

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك ٠



١ ـ تتحول الى طاء اذا :

(أ) اذا سبقت بصوت مفخم مثل أفلتني وأفلطني ، وتنسب الأخيرة الى تميم ، ومثل أساتم وهي جمع مفردها أستمة أي وسط ، وهي لغة تميم ، جاء في الصحاح : فلان في أسطمة قومه أي في وسطهم والجمع أساطم ولكن تميم تقول أساتم ، وذكر ابن سيده أن أستمة الشيء معظمه تميمية وورد في اللسان أن أساتم تميمية ٠

٢ ـ اذا كانت هي تاء الفاعل المتحركة وسبقت بصوت مفخم نحو حصط بدلا من حصت ، حفظط بدلا من حفظت ٠

وتحويل التاء الى طاء اذا سبقت بصوت مفخم ظاهرة عامة في الساميات ، فهذا يحدث أيضا في الأكادية ، فالتاء تتحول الى طاء اذا سبقت

بصوت مفخم كالقاف نحو 'qtirib بدلا من اقترب . وفي الآرامية نحو qtr بدلا من qtr في السامية الأم .

(ج) اذا سبقت بصوت مفخم وكانت هي تاء الافتعال نحو اضطجع بدلا من اضتجع ، واصطبغ بدلا من اصتبغ ، اصطبر بدلا من اصتبر . ويشبه هذا مايحدث في العبرية نحو hittaharnu , his taddeq

٢ ـ تتحول الى دال اذا سبقت بصوت مجهور وكانت هي تاء الافتعال نحو ازدجر بدلا من ازتجر ، واجدمع بدلا من اجتمع ، واجدز بدلا من اجتز ، يقول ابن جنى وقد قلبت تاء الافتعال دالا مع الجيم في بعض اللغات ، قالوا اجدمعوا بدلا من اجتمعوا واجدز بدلا من اجتز .

وتتحول التاء المتحركة الى دال اذا كانت لام الفعل زايا نحو فزد بدلا من فزت (٣٩) .

ويشبه هذا مايحدث في اللغة الأكادية نحو amdahis جاهدت mugdasru قوى . tamdu بحر ، ndn , Sinundu أعطى . Kbd كبد وأصلها في السامية kbt وأصلها . وفي العبرية نحو hizdaher بدلا من hiztaher

٣ ـ تتحول الى سين أو صاد وخاصة في الكلمات المعربة ، فمثلا كلمة لص يونانية ودخلت العربية عن طريق السريانية ومرت بالتطورات الآتية : ـ

يوناني	سرياني	عربي
Lestes	Lestes	لصت
ma		لص

تحولت التاء الى صاد في العربية والذي يدل على أصالة التاء وجودها في اليونانية والسريانية واحدى الصيغ العربية وفي صيغة الجمع الآتية التي وردت في قول عبد الأسود الطائي :

فتركن جرما عيلا أبناؤها
وبني كنانة كاللصوت المرد

ونحو قول الشاعر :

فأفسد بطن مكة بعد أنس
قراضـــية كأنهـم اللصوت

وذهب علماء العربية الى أن الصاد أصلية ، ونحن لا نوافق على هذا الرأي • ومن القبائل العربية التي حافظت على الصيغة الأصلية لصت طيء وربيعة وبعض الأنصار وبعض أهل اليمن وبعض تميم والأزد •

وكذلك كلمة طس وصيغتها الأصلية طست وتحولت التاء الى سين ، ذلك أن هذه الكلمة كما يقول الجواليقي فارسية وأصلها طشت •

وتحويل التاء الى سين أو صاد من الظواهر السامية ، فقد حدث هذا في الأكادية نحـــو isi — iti — itti كثير ma'asu, ma'atu '

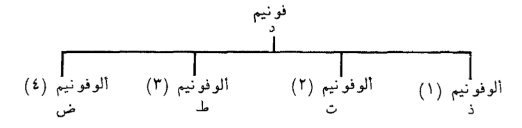
الـــدال :

تكوينه : يتكون الدال بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا • تهتز معه الأوتار الصوتية •

صفاته : صوت انفجاري مجهور مرقق •

تطوره المطلق : حافظت العربية على الصوت السامي القديم •

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



٢ ـ يتحول هذا الصوت الى ذال عند ربيعة في كلمة عـــدوف فهي تنطقها عذوف ، ذكر أبو حسان عن أبي عمرو الشيباني : ماذقت عدوفا ولا عدوفة ، قال : وكنت عند يزيد بن فريد فأنشدته بيت قيس بن زهير :

ومحنيات ما يذقن عدوفة
يفـذن بالمهـــرات والأمهــــار

بالدال ، فقال لي يزيد : صحفت يا أبا عمرو ـ انما هي عذوفه بالذال ، قال : فقلت له : لم أصحف أنا ولا أنت ، تقول ربيعة هذا الحرف بالذال وسائر العرب بالدال •

وجاء في اللسان : وباتت الدابة على غير عدوف ـ أي على غير علف ـ هذه لغة مضر ، فكأن ربيعة آثرت الذال ، بينما مضر آثرت الدال (٤١) ·

٢ ـ يتحول هذا الصوت الى تاء نحـــو تربوت بدلا من دربوت وهي الناقة الطيعة المقوادة ·

٣ ـ يتحول الى طاء نحو : مطـ الحرف بدلا من مد الحرف ، وابعاط بدلا من ابعاد (٤٢) ·

٤ ـ يتحول الى ضاد نحو معربض بدلا من معربد في لهجة الأندلس في القرن الرابع الهجري (٤٣) ·

صوت الطـــاء :

تكوينه : يتكون هذا الصوت بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثنايا العليا ·

صفاته : انفجاري مفخم مهموس (٤٤) ·

تطوره المطلق : يرجح أن أصل هذا الصوت في اللغة السامية الأم دال مفخمة أي أنه كان صوتا مجهورا في الأصـــــل · واحتفظت العربية القديمة بهذا الصوت ومما يدل على ذلك وصف سيبويه له بأنه مجهور ، فقد قال : ولولا الاطباق لصارت الطاء دالا ، وأثبت جلازر في العصر الحديث أن الطاء تنطق في مدينـــــة صنعاء دالا مفخمـــــة ، وأثبت كامبفمـــــاير kampff mayer أن الطـــــاء تنطق في الوادي شرقي بحيرة تشـــــاد دالا مفخمة ·

ومعنى هذا أن العربية القديمة احتفظت بالصوت الأصلي وهو الطاء المجهورة ثم تحولت في سائر اللغات السامية الى مهموسة وتحولت في العربية المتأخرة الى صوت مهموس ·

تطوره المقيد : يتحول هذا الصوت الى تاء نحو طالب وتالب ونحو فسطاط وفستات (٤٥) ·

المجموعة الثانية : وتضم الأصوات الأسنانية الاحتكاكية الطولية : وتشمل : الثاء وهو صوت مهموس والذال وهو نظيره المجهور والظاء وهو النظير المفخم للذال ·

الثـــاء :

تكوينه : يتكون الثاء بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ، ويكون معظم جسم اللسان مستويا ، يرفع الحنك اللين ، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان ٠

وصفه : صوت احتكاكي مهموس مرقق ٠

تطوره المطلق : احتفظت العربية بالصوت السامي القديم ٠ وتحول في اللغات السامية الأخرى الى شين ٠ مثل ثور في العبرية ٠

تطوره المقيد : الجدول الآتي يوضح ذلك

فونيم
ث

ألوفونيم١	ألوفونيم٢	ألوفونيم٣	ألوفونيم٤
ت	ف	س	ذ

١ ــ تحول الى تاء عند :

(أ) لهجات المناطق المتاخمة للجهات الآرامية ، من ذلك مانجده في المرموقات اليونانية في حوران وفي بلاد الأنباط من تصوير الثاء العربية تاء يونانيـــة نحو حارتة بدلا من حارثة ومغيت بدلا من مغيث ، غوت بدلا من غوث ٠

(ب) اليهود المقيمون في الجزيرة العربية ، فقد عزى الى السموءل :

ينفع الطيب القليـــل من الرز
ق ولا ينفـــع الكثـــير الخبيت

فقد استبدل الثاء بالتاء ، والصيغة الأصلية خبيث ، والسموءل من يهود خيبر وعزت الأصمعيات الى السموءل قوله :

وأتتنى الأبنـــاء اذا مـــا
ـــت أو رم أعظمي مبعـــوت

وأصلها مبعوث ٠

حكى أبو مضر : رتم أنفه رتما ورثمه رثما أي كسره ٠

٢ ـ تحول الى فاء مثل الجدث والجدف ، والجدث لغة أهل الحجاز ، والجدف لغة بني تميم ، تقول تميم تلفمت ويقول غيرهم تلثمت ٠ قال الأصمعي : المغاثير والمغافير ، وحكي في واحـــدها : المغفر والمغثر ٠ قال الفراء : بنو أسد يقولون المغثور والجمع المغاثير ، وغيرهم بالفاء ٠ ذكر أبو الطيب أنه يقال : ولد في الدفىء وطىء تقول ولد في الدثيىء : اذا ولد في الشتاء ٠ وقيل أيضا تكرفأ وتكرثأ ٠ والثاء لغة بني أسد والفاء لغـة سليم ٠ والأثاثي لغة بني تميم وغيرهم الأثافي ، والحفالة والحثالة ٠ والغفاء والغثاء ، ثم وفم ، قال الفراء : سمعت العرب تقول : خرجنـــا نتمغفر ونتمغثر ، أثور وأفور بمعنى مصيبة ، ثروة وفروة ٠

٣ ـ تتحول الى سين ، فمثلا ليس أصلها في الآرامية ليث ، سادس وسدس أصلها شادث وشدث ، مرث ومرس أي امتص أصبعه ٠

٤ ـ تتحول الى ذال اذا سبقت بصوت مجهور عند بعض القبـــائل نحو يجثو ويجذو ، تلعثم وتلعذم ٠

ويرى ابن جني أنهما لغتان وليسا من باب القلب ، يقـــــول : وأما قولهم ٠ جذوت وجثوت ، اذا قمت على أطراف أصابعك ، وقرأت على أبي علي :

اذا شـــئت غنتني دهامتن قرية
وحناجة تجذو على كل منسم

فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه ، بل هما لغتان وكذلك قولهم أيضا : قرأ فما تلعثم وما تلعذم ٠

الـــذال :

تكوينه : يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنـــايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ، ويكون معظم اللسان مستويا ، يرفع الحنك اللين ، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ، يتذبذب الوتران الصوتيان ٠

صفاته : احتكاكي طولي ٠ مجهور مرقق (٤٨) ٠

تطوره المطلق : احتفظت العربية بهذا الصوت الســـامي القديم أما اللغات السامية الشمالية فقد تحول فيها الى زاي ٠

تطوره المقيد : يوضحه الرسم الآتي :

فونيم
ذ

ألوفونيم ٣	ألوفونيم ٢	ألوفونيم ١
ظ	ث	ز

١ ــ تحول الى زين في اللهجة القاهرية ، كما حدث في اللغات السامية الشمالية ·

٢ ــ تحول الى ثاء اذا تبعت بصوت مهموس نحو عذق وعثق ·

٣ ــ تحول الى ظاء اذا سبقت بقاف نحو وقيذ ووقيظ · يقول ابن جني ، يقال : تركته وقيذا ووقيظا ، والوجه عندي والقياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه : والموقوذة بالذال ولقولهم وقذه يقذه ، ولم أسمع وقظه ولا موقوظة ، فالذال أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها الأصل (٤٩) ·

الظـــاء :

تكوينه : يتكون الظاء بأن يوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ·

صفاته : صوت احتكاكي طولي ــ مجهور ــ مفخم ــ مطبق ·

تطوره المطلق :

للباحثين رأيان في تفسير أصل هذا الصوت في السامية الأم ·

الرأي الأول : وهو رأي بروكلمان وموسكاتي ، وهو أن أصل الظاء ثاء مفخمة ، أي أنها كانت مهموسة في الأصل ، ثم تحولت الى صوت مجهور على أساس أن هذا الصوت موجود في الأوجاريتية ومن المعروف أن الأوجاريتية تحتفظ بأقدم العناصر في اللغات السامية نحو ثل ويقابلها ظل في العربية · ومما يدل على أن أصل هذا الصوت مهموس في الأصل أنه تحول الى صاد مهموسة في الأكادية والعبرية والحبشية ، والى طاء مهموسة في الآرامية المتأخرة ·

الرأي الثاني : وهو رأي جان كانتينو ، ويرى أن الظاء هي الصيغة القديمة في اللغات السامية واحتفظت العربية بهذا الصوت ، ومن المعروف أن العربية تضم أقدم العناصر في اللغات السامية ، ومما يدل على أن هذا الصوت مجهور في العربية القديمة أن النحاة لم يشيروا الى همس هذا الصوت ، بل أشاروا الى جهره ، فسيبويه مثلا يقول : لولا الاطباق لكانت الظاء ذالا ، ويؤيده ابن يعيش في ذلك ٠ أما نطق الظاء ثاء في نحو ثلم بدلا من ظلم فلا يمكن الاستشهاد به على أن أصل الظاء ثاء لأن العرب وصفوه بأنه نطق مستهجن وأنه أعجمي في الأصل ٠ ويرى جان كانتنيو أيضا أن نطق الظاء عند بدوي شرقي الجزيرة خطأ وقع فيه فالين (٥٠) ٠

تطوره المقيد : لا يوجد ٠

المجموعة الثالثة :

وتضم الأصوات الأسنانية واللثوية الاحتكاكية الأخدودية الآتية :

س ـ ز ـ ص ويضم اليها الشين ٠

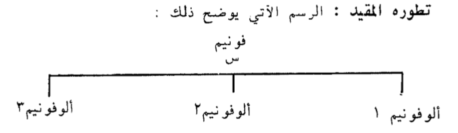
السين :

تكوينه : يتكون السين بأن يعتمد طرف اللسان على اللثة ، وتتلاقى الأسنان العليا مع السفلى ، ويتخذ اللسان وضعا أخدوديا ، فيرتفع نحو الحنك الأعلى ، أما مقدمته فتهبط نحو الأسنان السفلى ٠ ولا يتذبذب الوتران الصوتيان ٠

صفاته : احتكاكي أخدودي « صفيري » مهموس مرقق ٠

تطوره المطلق : حافظت العربية واللغات السامية الأخرى على هذا الصوت ٠

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



١ ـ تحول هذا الصوت الى تاء في لهجة اليمن مثل النات بالنات بدلا من الناس بالناس ٠

٢ ـ تحول الى زاي اذا تبع بالقاف مثل سقر وزقر ، رقص ورقز ، لسق ولزق أو تبع بالطاء نحو سراط وزراط عنـــد قيس وبني العتيق وكلب ، وقرأ بالزاي خلف عن حمزة في قوله تعـــالى : ويهديك زراطا مستقيما ٠

٣ ـ تتحول الى صاد مثل سراط وصراط ، قال أبو حيان ان سراط بالصاد هي الفصحى ، وهي لغة قريش ٠ وقال صاحب الاتحاف ان الصاد في صراط هي الأصل وهي لغة قريش ٠ وقال الفراء بالصاد لغة قريش ، وقال الفراء كذلك ان نفرا من بلعنبر تحول السين صادا اذا وقعت في بداية الكلمة وجاء بعـــدها ط ـ ق ـ غ ـ خ ـ ص نحو يصـــاقون بدلا من يساقون ، سقر ، وصقر ، سخر وصخر ، سبغ وصبغ ، سويق وصويق ٠ سلخ وصلخ ، ساطع وصاطع ٠

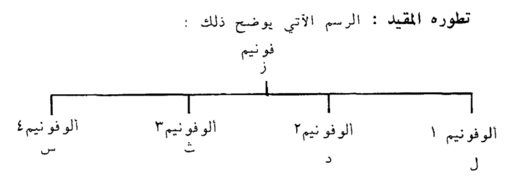
الـــزاي :

تكوينه : يعتمد طرف اللسان على اللثة ، وتتلاقى الأسنان العليا مع الأسنان السفلى ، ويتخذ اللسان معه وضعا أخدوديا فيرتفع وسطه نحـــو الحنك الأعلى أما طرفه فيهبط نحو الأسنان السفلى ٠ ويتذبذب معه الوتران الصوتيان ٠

وصفه : احتكاكي أخدودي مجهور مرقق ٠

التطور المطلق : حافظت اللغة العربية واللغات السامية على هـــذا الصوت السامي القديم ٠

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



١ يتحول الى لام ، ذلك أن اللغات السامية تميل الى أن يخالف كل صوت من الأصوات الأخدودية « الصفيرية » قبل صوت آخر من الأصوات الأخدودية أو الأسنانية الى لام » مثل manazaztu السامية القديمة ومنزلة في العربية ومنزلة في الأكادية · وتغيير الزاي الى لام شائع في اللغات السامية ·

٢ ــ يتحول الى ثاء أمام الباء في كلمة لازب ولاثب بمعنى لازم ، عند قبيلة عقيل عزا الفراء الى أبي الجراح قوله :

صداع وتوصيم العظام وفترة

وغثى مع الاشراق في الجوف لاثب

وأبو الجراح من قبيلة عقيل ·

قال الفراء في قوله تعالى : من طين لازب ، اللازب واللاثب واحد ، وقال : قيس تقول طين لاثب · وجاء في الكشاف لاثب بالثاء لهجة البدو وبالزاي لهجة غيرهم ·

٣ ــ تتحول الى سين اذا سبقت بصوت مهموس نحو نشز ونشس · ورجل جبز وجبس (٥٢) ·

الصاد :

تكوينه ووصفه : هو النظير المطبق للسين ·

التطور المطلق : حافظت العربية واللغات السامية على هذا الصوت ·

التطور المقيد : تتحول الصاد الى زاي ، قال ابن السكيت : والعرب تقول أزدق بمعنى أصدق ، قال أبو الطيب اللغوي : يقال هي المصدعة والمزدعة للمخدة ، وطيء تقلب كل صاد ساكنة زايا · قال الأصمعي : كان حاتم الطائي أسيرا في عنزة ، فجاءته النساء بناقة ومفصد ، وقلن له : أفصد هذه الناقة ، فأخذ المفصد فلثم في سبلتها أي نحرها ، وقال هكذا فزدى ، أي فصدى أنا ثم قال :

لا أفصد الناقة من أنفها

لكنني أوجرها العالية

وقد قرىء : حتى يصدر الرعاء ويزدر الرعاء ، ويقال : هو كثير القزد لك والقصد لك • وكذلك صراط وزراط •

الشـــين :

تكوينه : يتخذ اللسان وضعا أخدوديا ، فيرتفع مقدمه نحو مؤخرة اللثة ويرتفع جسمه نحو الحنك الأعلى ، ويكون الفراغ بين مقدم اللسان ومؤخرة اللثة ضيقا ، ولكنه أوسع من الفراغ الكائن في نطق السين ، وان كان العمود الهوائي ، فيما بين سائر اللسان والحنك أضيق من العمـود الهوائي بين هذين العضوين في حالة السين •

وتتقارب الأسنان العليا من الأسنان السفلى • ولا تتذبذب معـه الأوتار الصوتية •

وصفه : صوت صفيري « أخدودي » احتكاكي مهموس •

تطوره المطلق : أصل صوت الشين في العربية •

(أ) الصوت السامي القديم S وهو صوت احتفظت به العبرية نحـــو asara وعشـــرة •

(ب) صوت الشين الأصلي في اللغة السامية الأم ، وقد احتفظت بهذا الصوت بعض القبائل العربية في حين أنه سين عند القبائل الأخرى • جاء عن الفراء أتيته بشدفه وبسدفه أي بظلمه ، يقال : جاحسه في القتـــال وجاحشه عن الأصمعي : وقال بعض العقيليين : ألحق المس بالأمس • وقال بعض بني أسد وبعض بني كلاب هذا المثل بالشين ، ونحو مشدود ومسدود وشده وسده •

الصوت الأسناني الانحرافي :

الضـــاد :

تكوينه : يقول سيبويه وابن جني أن مخرج الضـــاد من أول حافة اللسان ومايليها من الأضراس • الا أنك ان شـــئت تكلفتها من الجانب الأيمن وان شئت من الجانب الأيسر •

وصفه : وصف اللغويون العرب هذا الصوت بأنه حرف احتـكاكي مطبق « مفخم » ووصفوه بصفة خاصة هي الاســـتطالة بسبب استطالة مخرجه • وليس له مقابل منفتح •

تطوره المطلق :

١ ـ يرى برجشتراسر أن النطق العتيق للضاد لا يوجد الآن عند أحد من العرب ، غير أن للضاد نطقا قريبا منه جدا عند أهل حضرموت هو كاللام المطبقة ۰ وهذا النطق يوجد في لهجات منطقة ظفار كالمهرية والشحرية ۰ ويظهر أن هذا النطق القديم للضاد قد تخطى جنوب الجزيرة الى شمالها ولهذا وجدنا أثره في قول منظور الأسدي :

مال الى أرطاة حقف فالطجع

ولما كان معظم الجيوش العربية التي فتحت أسبانيا من القبائل اليمنية فقد حملوا معهم هذا النطق للضاد فيقولون الكلدى في القاضي ۰

٢ ـ يرى جان كانتينيو أن هذا الصوت كان ينطق (ظل) أي ظاء ذات زائدة انحرافية ۰

٣ ـ ويرى أوليري أن صوت الضاد يحتوي على زائدة انحرافية هي اللام ، مؤيدا بذلك برجشتراسر وأوليري ويرى أن الضاد موجودة في الحبشية ويرمز لها كتابة برمز الدال المفخمة ولكنه ينطق فيها ts وأن هذا النطق قريب من وصف ابن مالك لنطق الضاد في العربية ، فقد وصفه بأنه ينطق قريبا من الثاء ، واستدل على صحة ذلك بأن الامام الرضي وصف نطق الضاد كالظاء بأنه نطق مستهجن وأنه يتبادل مع الثاء نحو أضرد وأثرد ۰ ونرى أن وصف سيبويه له بالجهر يتعارض مع ماذهب اليه أوليري كما أننا سنرى فيما بعد أن أهل الحجاز كانوا ينطقونه ظاء نحو فاظت نفسه وفاضت ، وتعزى الصيغة الأولى الى أهل الحجاز والثانية الى تميم ۰

٤ ـ تطور هذا الصوت في اللغات السامية بأن تقدم مخرجه فتحول الى صاد في الأكادية والعبرية مثل 'eres وأرض ۰ وتأخر مخرجه فتحول الى قاف في الآرامية القديمة والى عين في الآرامية الحديثة مثل أرض العربية 'arqa أو 'ar'd في الآرامية ۰

تطوره المقيد :

١ ـ تحول الى ظاء عند أهل الحجاز ، جاء في الغريب المصنف : فاظت نفسه تفيظ : مات ، وناس من تميم يقولون : فاضت نفسه ۰ وقرأ بالظاء بدلا من الضاد ابن محيصن وابن كثير قوله تعالى : بظنين بدلا من بضنين وابن كثير مكي وابن محيصن قرشي ۰

٢ ـ تحول الى صاد : قال الكسائي : الضئبل بالضاد : الداهية والصئبل بالصاد • جاء في الجمرة قولهم : بعير صاحب وضاحب ، جاء في ديوان الأدب قولهم : الامتضاض مثل الامتصاص ، جاء في شرح أدب الكاتب : القضب : القطع ، ومنه سيف قاضب ، والقصب بالصاد ، القطع أيضا ومنه سمي القصاب ، جاء في اللسان : الحضب لغة في الحصب ، وعليه قراءة ابن عباس : حضب جهنم ، منقوطة ، قال الفراء : يريد الحصب (٥٥) •

الأصوات اللهوية :

تتكون الأصوات اللهوية من مجموعتين الأولى انفجارية والثانية احتكاكية •

١ ـ الأصوات اللهوية الانفجارية :

يوجد في اللغة العربية واللغات السامية الأخرى ثلاثة أصوات لهوية الأول مهموس مرقق هو الكاف والثاني النظير المجهور له وهو الجيم والثالث النظير المفخم للكاف وهو القاف •

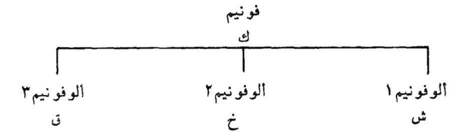
الكاف :

تكوينه : يتكون هذا الصوت بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك الأعلى « وهو الحنك اللين » ويرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء الى الأنف •

صفاته : انفجاري مهموس مرقق •

تطوره المطلق : حافظت العربية على الصوت السامي القديم •

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



تحول الى (تش) وخاصة اذا وقع بجانب حركة حنكية ـ وهذا يمثل نوعا من المماثلة مثل كافر وتشافر ويوجد هذا الاتجاه في الحبشية وفي لهجة ملعولا الآرامية ·

وتتحول الى (تش) أيضا في لهجتي ربيعة ومضر عندما تكون الكاف ضميرا للمخاطبة المؤنثة أي Ki، وعند سقوط الكسرة في الوقف تتحول الى شين مثل : منك ـ منتش ـ منش ·

٢ ـ تتحول الى خاء في كلمة ملتخ بدلا من ملتك · حكى الفراء عن امرأة من بني أسد سكران ملتخ وملتك ·

٣ ـ تتحول الى قاف ، روى الفراء · قريش تقول : كشطت وقيس وتميم وأسد تقول : قشطت بالقاف ، روى السيوطي عن ابن السكيت : قشطت عنه جلده ، وقريش تقول كشطت ، روى ابن سيدة عن أبي عبيدة : كافور وقافور ، وقهرت الرجل وكهرته ·

الجيم :

تكوينه : يتكون هذا الصوت بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأقصى الحنك « الحنك اللين » الذي يرفع هو الآخر ليمنع مرور الهواء الى الأنف ·

وصفه : صوت انفجاري مجهور مرقق ·

تطوره المطلق :

١ ـ هذا الصوت في اللغة السامية الأم انفجاري مجهور لهوي واحتفظت به الأكادية والعبرية والآرامية · ولهجة اليمن وبغداد الحديثتين وكذلك لهجة القاهرة · وهناك عدة كلمات في العربية الفصحى كتبت بالكاف وبالجيم ، ومن المعروف أن الكاف وهي النظير المهموس للجيم ، ويبدو أن كتابة هذا الصوت بالكاف يرجع الى التأثر بالكاف الفارسية نحو جمل وكمل ، رجل وركل ·

٢ ـ تطور هذا الصوت في العربية ومر بالمراحل الآتية :

(أ) تحول من أقصى الحنك الى وسط الحنك ، وتمتاز الأصوات التي من وسط الحنك بأن تنزع الى التليين أي تصبح gi

(ب) تطور الصوت gy فتقدم مخرجه نحو الأمام وأصبح لثويا أي dy نحو جشيش ودشيش ، تجشأت وتدشيت ۰

(جـ) طرأ على الصوت dy ثلاثة أنواع من التغييرات ۰

× سقوط الدال الانفجارية وبقاء الياء ، وينسب ذلك الى تميم ، قالت أم الهيثم ۰

اذا لم يكن فيكن ظــــل ولا جني

فأبعــــدكن الله من شــــيرات

أي من شجرات ۰

عزيت الصهرى والصهاري بالياء المشددة الى تميم ، بينما يقــــول الكلابيون هي الصهاريج والواحد صهريج ، قال أبو زيد : هو الصــهريج والصهاريج ، وبنو تميم يقولون الصهرى والصهارى ، قولهم : حار جار أو حار يار ، فجار لغة في يار ۰ وتشيع هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر في بعض قرى جنوب العراق وبعض بلدان الخليج العربي اذ يقــــولون في مسجد مسيد ، ودجاج دياى ۰

× × انقلاب الياء الى شين مجهورة مع بقاء الدال فأصــبح دج وهذا الصوت هو الصوت الموجود في العربية الفصحى الآن ۰

× × × سقوط صوت الدال الانفجاري ، وبقاء الشين المجهــــورة فقط ، روى عن تميم أنهم كانوا يقولون في المثــــل : شر ما أجـاءك الى مخه عرقوب : أي الجأك : شر ما أشاءك الى مخه عرقوب ۰ قال زهير بن ذؤيب العدوي :

فيال تميم صابروا قد أشـــئتم

اليه وكونوا كالمحربة البسل ۰

وقال الراجز : اذ ذلك اذا حبل الوصال مدهش أي مدهج

روت لنا كتب ألحان العامة الأمثلة الآتية : اجترت واشــــترت ، مجتهد ومشتهد ، اجترأ واشترأ ، جخ الصبي وشخ الصبي ، فجر وفشر ، دج ودش ، اجتمعوا واشتمعوا ، الأجدر والأشدر ۰

جاء في اللسان عن أبي جعفر :

من كل أزيم شائك أنيـــابه

ومقصـــف بالهـــدر كيف يصول

ويقول ابن منظور : وفيه رواية أخرى وهي من كل أزجم (٥٧) ·

القـــاف :

تكوينه : يتكون هذا الصوت بأن يرفع أقصى اللســان حتى يلتقي بأدنى البلعوم بما في ذلك اللهاة ، يرفع الحنك اللين كي لا يمر الهواء من خلال الأنف ·

صفاته : انفجاري ـ مهموس مفخم · ولكن اللغويين العرب لم يعتبروا هذا الصوت مفخما ، فيسبويه لم يذكر هذا الحرف في مجموعة الحروف التي تمنع امالة الألف وهي الحروف المفخمة ·

تطوره المطلق : حافظت العربية واللغات السامية الأخرى على الصوت السامي القديم ·

تطوره المقيد :

١ ـ تحول عند تميم الى صوت مجهور يشبه الكاف الفارسية ، قال الشاعر :

ولا أكول لكدر القوم قد نضجت

ولا أكول لبـــاب الدار مكفول

ويشبه هذا التحويل ما حدث في البابلية القديمة نحو g'yt وهي تقابل gayta في السريانية وقيظ في العربية ·

ويبدو أن نطق هذا الصوت مجهورا كان شائعا عند العرب في العصر الذي كان فيه اللغويون العرب يجمعون مادتهم ويصفونها في كتبهم ، ذلك أن سيبويه والزمخشري رتباه في عداد الأصوات المجهورة ولهذا لا نقبل رأي جان كانتينيو القائل انه يحتمل أن يكون هذا الصوت في العربية القديمة مجهورا ثم تحول الى مهموس في العربية المعاصرة ذلك لأنه مهموس في اللغات السامية وتحول في البابلية الى صوت مجهور أي أن صفة الجهر في البابلية كانت الوفونيما للفونيم الأصلي وهو القاف المهموس ·

٢ ـ تحول الى كاف نحو قح وكح ٠

الأصوات اللهوية الاحتكاكية :

يوجد صوتان احتكاكيان في اللغة العربية وفي اللغة السامية الأم ، أحدهما مهموس هو خ والآخر مجهور هو غ ٠

الخـــاء :

تكوينه : يتكون بأن يقرب أقصى اللسان من أقصى الحنك ، بحيث يكون بينهما فراغ ضيق ، يسمح للهواء بالنفاذ محدثا احتـــكاكا ، يرفع الحنك اللين ، لا يتذبذب الوتران الصوتيان ٠

صفاته : احتكاكي مهموس مفخم ٠

تطوره المطلق : حافظت العربية والأكدية على هذا الصوت الســـامي القديم بينما تحول في اللغات السامية الأخرى الى حاء ٠

تطوره المقيد : لا يوجد ٠

الغـــين :

تكوينه : يتكون كما يتكون الخاء ٠

صفاته : هو المقابل المجهور للخاء ٠

تطوره المطلق : كان هذا الصوت موجودا في اللغة السامية ، وحافظت العربية والأجاريتية والعربية الجنوبية عليه وسقط في الأكادية وتحول الى عين في بقية اللغات السامية الأخرى ٠

واعترض روجتشكا Rwzicka على وجود هذا الصوت في اللغة السامية الأم ويرى أنه نشأ في العربية كألوفونيم لصوت العين والدليل على ذلك وجود صيغ مزدوجة بالعين والغين نحو عبث وغبث ، عسر وغسر ، عميق وغميق ٠ وأوضح أيضا أنه الوفونيم لصوت العين في الأوجاريتيـــة وأيده في هذا Petracek وأكد أن الغين في العربية والأوجاريتيـــة ألوفونيم لفونيم العين ٠

وعارضهما في ذلك جان كانتينيو وموسكاتي على أساس أن الأمثـــلة المزدوجة بالعين والغين قليلة لا تكفي لاثبات هذه القضية وعلى أساس وجود

الغين فونيما مستقلا في الأوجايتية والعربية الجنوبية القديمة · وأيدهما في ذلك روسلر Rossler

الأصوات البلعومية :

يوجد في اللغة العربية والسامية الأم ثلاثة أصوات بلعومية أحدها مجهور والآخران مهموسان وهذه الأصوات هي العين والحاء والهاء ·

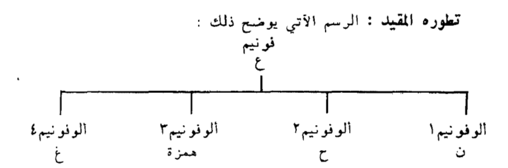
العــــين :

تكوينه : يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة ، اذ يضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع ، بحيث يحدث مروره احتكاكا ، يرفع الحنك اللين ، ويتذبذب الوتران الصوتيان ·

صفاته : صوت احتكاكي مجهور ·

تطوره المطلق : هذا الصو تمن الأصوات الموجودة في اللغة السامية الأم ، وحافظت عليه العربية وسائر اللغا تالسامية الا الأكادية فقد سقط فيها وفي العبرية الحديثة تحول الى همزة وكذلك في البونية الحديثـــــة والسامرية والجليلية والمنداعية والسريانية

تطوره المقيد : الرسم الآتي يوضح ذلك :



تحول هذا الصوت الى نون في الفعل أعطى وينطق أنطى عند أهـــل اليمن وأزد وهذيل والمدينة وسعد بن بكر وقيس ، ويقال أيضا اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة ·

وهناك رأيان لتفسير ظهور النون بدلا من العين ·

الرأي الأول هو راي اللغويين العرب : ويرون أن العين تحـــولت الى نون في هذا الفعل وأطلقوا على هذه الظاهرة اسم الاستنطاء ، وأيد بعض الباحثين المحدثين هذا الرأي وفسروا هذه الظاهرة تفسيرا صوتيا كالآتي :

(أ) تحولت العين الى نون مفخمة تحت تأثير الطاء ، وذلك لأن العين في اللغات السامية تحتوي في الأصل على عنصر أنفي في نطقها ، والدليل على ذلك أن هذا العنصر الأنفي لايزال يسمع عند بعض الفلسطينيين وفي لهجة الوادي بأفريقيا الوسطى وفي ظفار بجنوب اليمن تنطق الحركات نطقا أنفيا اذا وقعت بين عين ونون أو ميم ، وينطق اليهود الشرقيون العين نطقا أنفيا ، وعندما سقط صوت العين من اللهجة السفاردية نطق

(ب) يرى براخمان أن الجرس الأنفي لهذا الصوت من الملامح البارزة في اللغة السامية الأم .

الرأي الثاني : ويفسر أصحابه أنطى تفسيرا غير صوتي ، ويرون أن أنطى تستعمل في بغداد وجنوب العراق وفي نابلس بفلسطين وبين قبائل عنزة في الصحراء السورية وفي اليمن تستعمل صيغة أخرى تحتوي على العين ، ففي وسط اليمن ’o‘ti وفي الجنوب وعمان ‘ata

ويرى فولرز وبروكلمان أن أعطى فعل على وزن أفعل وهو متعد الى مفعولين ، والمجرد منه عطا وهو فعل لازم يتبع ب « الى » وهذا الفعل يقابل nata’el في العبرية و netel في الآرامية ، ولهذا يرى أن أنطى فعل على وزن أفعل والمجرد منه نطا ويقابل nata العبرية ، والمادة نطا قديمة وظلت تستعمل في شرق الجزيرة العربية ، اما في غرب الجزيرة فقد حل محلها مادة جديدة هي عطا بمعنى مرادف ل « نطا » (٤٠) .

٢ ــ أبدلت العين حاء نحو ربع ، وربح .

٣ ــ أبدلت العين همزة نحو عباب وأباب .

٤ ــ أبدلت العين غينا نحو لعن ولغن ..

الحـــاء :

تكوينه : هو النظير المهموس للعين .

صفاته : بلعومي احتكاكي . مهموس .

تطوره المطلق : هذا الصوت موجود في اللغة السامية الأم واحتفظت به العربية فيما عدا الأكادية ·

تطوره المقيد :

تحول الى عين عند هذيل مثل اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض · أي اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض · علت العياة لكل عي ، حلت الحياة لكل حي · وتسمى هذه الظاهرة : فحفحة هذيل ·

الهـــــاء :

تكوينه : هو صوت النفس الخالص الذي لا يلقى مروره اعتراضا في الفم ، واللسان يتخذ أي موضع من المواضع التي يتخذها في نطق الحركات ، ولا يهتز معه الوتران الصوتيان

صفاته : احتكاكي · مهموس · بلعومي ·

الهـوامش

١ ـ راجع مقال « اضواء على علم الصوتيات » للدكتور صلاح الدين صالح · مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر ـ العدد الثالث ·

2. David Crystal P. 112 - 115.

3. Palmar, Descriptive and historical Ling.

٤ ـ د· رمضان عبد التواب ، التطور اللغوي وقوانينه ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الامام محمد بن سعود ·

5. Topics in the study of phonlogy P. 10 - 12.

6. Palmar P. 65 - 66.

7. Happilology hacivrit. P. 84.

٨ ـ يقصد بالصوتين المتماثلين الصوتان المتحدان في المخرج والصفة ، ويقصد بالصوتين المتجانسين الصوتان المتحدان في صفة من الصفات والمختلفان في المخرج ·

9. happilogya hacivrit P. 85.

١٠ ـ د· علم الدين الجندي ، اللهجات في التراث ، ٣٢٨ ، بروكلمان ، فقــه اللغات السامية ـ ٨٦ ·

١١ ـ فقه اللغات السامية ٥٩١ ، جان كانتينيو ، علم الأصوات العربي ـ ٥٠ ، التطور اللغوي وقوانينه ـ ١١٤ ·

١٢ ـ التطور اللغوي وقوانينه ـ ١٢٧ ·

١٣ ـ نفسه ـ ١٢٥ ·

١٤ ـ الفيلولوجيا العبرية : ٨٨ ·

١٥ ـ التطور اللغوي ١٢٦ ـ ١٢٧ ، والفيلولوجيا العبرية : ٨٩ ·

١٦ ـ الأصوات اللغوية في لهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى ، د· عبد الغفار هلال ـ ٢١١ ، مجلة كلية اللغة العربية ـ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ـ العدد السابع ·

17. Palmar, Descriptive and historical Ling. P. 224 - 225.

اللهجات في التراث ٣٢٤ و ٤١٤

18. Ibid P. 226.

19. Ibid P. 226 - 231.

20 Henry Hoenigswald. Language change and Linguistics. reconstruction. P. 75 - 76.

21. Hans kurath, A phonology and prosody of modern English P. 14 - 15.

٢٢ ـ علم اللغة ، مقدمة للقارىء العربي ، د. محمود السعران ـ ١٨٤ .

٢٣ ـ فقه اللغات السامية ـ ٢٠١ وعلم الأصوات العربي ـ ٤٤ .

٢٤ ـ اللهجات في التراث ٣٤١ ـ ٣٤٢ .

٢٥ ـ فقه اللغات السامية : ٥٤ .

٢٦ ـ اللهجات في التراث : ٣٢٤ ودراسات في علم اللغة ، د. فاطمة محجوب ـ ٤٤ .

٢٧ ـ علم اللغة : ١٨٥ .

٢٨ ـ علم الأصوات : ٦٠ .

٢٩ ـ التطور اللغوي : ١٣٢ .

٣٠ ـ فقه اللغات السامية : ٢٤ وعلم اللغة

O'Leary Comparative grammar of the Semetic. Languages P. 36.

٣١ ـ علم الأصوات : ٧٥ ـ ٧٦ .

٣٣ ـ علم الأصوات : ٣٣ ، علم اللغة : ١٨٥ ـ ١٨٧ .

٣٤ ـ علم الأصوات : ٣٨ ، اللهجات في التراث : ٣٤٣ ، فقه اللغات السامية : ٧٤

35. Moscati, an Introduction of the Comparative gr. of the Semitic Lang.

٣٦ ـ علم اللغة ١٦٩ .

٣٧ ـ علم الأصوات : ٥٢ : ٥٣

٣٨ ـ اللهجات في التراث : ٣٢٩ ، والتطور اللغوي : ١١٦ .

٤٠ ـ نفسه ٣٥٤ .

٤١ ـ نفسه ٣١٨ .

٤٢ ـ علم الأصوات : ٥١ .

٤٣ ـ التطور اللغوي : ١١١٨ .

٤٤ ـ علم اللغة : ١٦٨ .

٤٥ ـ علم الأصوات : ٤٩ ـ ٥١ .

٤٦ ـ علم اللغة : ١٩٠ .

٤٧ ـ علم الأصوات : ٦٥ ، اللهجات في التراث : ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ـ التطور اللغوي : ١٢٦ .

٤٨ ـ علم اللغة : ١٩٠ .

٤٩ ـ فقه اللغات السامية : ٥٠ .

٥٠ ـ نفسه : ٣٩ .

٥١ ـ دراسات في علم اللغة ١٤٩ ، فقه اللغات السامية : ٥٨ .

٥٢ ـ علم اللغة ١٩٢ ، فقه اللغات السامية ٥٦ ـ ٧٥ ، اللهجات في التراث : ٣٢٩ ، التطور اللغوي : ١١٧ .

٥٣ ـ التطور اللغوي : ١٢٢ ـ ١٢٤ .

54. Moscati, An Introduction of the Comparative gram. of the Semetic Lang. P. 34.

٥٥ ـ الكتاب لسيبويه : ٤ : ٤٣ ، طبعة عبد السلام هارون ، وسرضاعة الاعراب لابن جني ، تحقيق السقا وآخرين ـ ٥٢ ٠

56. O'Leary A Compavative gram. of the Semitic Languages P. 69.

٥٧ ـ اللهجات في التراث : ٣٥٧ ـ علم الأصوات العربي ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ التطور اللغوي ١١٠ ٠

٥٨ ـ علم اللغة : ١٧٠ ، علم الأصوات ـ ١٠٨ ، فقه اللغات السامية ـ ٣٩ ٠

59. Rabin, Ancient West Arabian P. 32 - 33.

مؤتمر الطب الاسلامي الأول بالكويت

د. يوسف الحميدان



٦ - ١٠ ربيع أول ١٤٠١ هـ

١٢ - ١٦ يناير ١٩٨١ م

دولة الكويت

أربع كلمات فقط أيها القارىء الكريم ٠٠٠٠ تشــكل حدود أمر عظيم وخطير ٠٠ كان عظيما في الماضي ٠٠ فأصبح خطيرا في حياتنا العصرية الحديثة ٠

أربع كلمات فقط ٠٠ ليس في وضعها عناء ٠٠٠ وليس في وصفها مهارة ٠٠٠ وضـــــعت على (طاولة التشريح) في الكويت الشقيق ٠٠٠ مع أربعة أيام كانت حاسمة في تاريخ العلم ٠٠٠ ابتدأت في عامنا هذا ٠٠٠ ولا أعتقد أن النهــاية لها قريبة ٠

أربع كلمات لا غيرها ٠٠ سأحاول استنباط مضامينها ٠٠ وسأحاول (تشريح معانيها) على طاولة التاريخ ٠٠ هنا في المملكة العربية السعودية ٠٠ الغرض منها مفهوم مقدما ٠٠ والأسباب لها معروفة بلا تمهيــد ٠٠٠ أقول هذا والمؤتمر بحد ذاته (اسلامي) الصبغة ٠٠ يعنى المملكة العربية السعودية (تماما) ٠٠٠ أن تكون هي رمز هذه الصبغة ٠٠ وهي جوهرها ٠

أول تلك الكلمات يا أخي الكريم ٠٠ هي كلمـــــة (مؤتمر) ٠٠ ولا أحسبها أمامك في حاجة الى تفسير أو ايضاح ٠٠ فقليــــل من اللمسات (الوصفية) أو التعبيرية ٠٠ كافية جدا لازالة أي غموض أو ابهام ٠٠٠ وبدون شك قد تختلف معي ٠٠ ورغم هذا فهي كلمة ذات معان مكثفة ٠٠٠ أولها جميل وعظيم ٠٠ وآخرها أجمل وأعظم ٠٠ أنها تعني (الجماعية) بدلا من الفردية ٠٠ والمجموع بدلا من الفرد ٠٠ لا من أجل ايجــاد حلول حاسمة فحسب ٠٠ وانما لتمزيق منغصات الحياة الضرورية المعقدة ٠٠ والتي فرضتها علينا حياة العصر الحديث ٠

وثاني تلك الكلمات ٠٠ هي كلمة (الطب) ٠٠ وعلم الطب كما هو معروف واسع وعميق ٠٠ يتفرع الى فروع متعددة ٠٠ ويتشعب الى شعب مختلفة ٠٠ قد ندخل الى صميم (صناعتها وأعمالها) في سرد الكلام المقبل ٠

وثالث تلك الكلمات ·· هي كلمة (اسلامي) ·· وأقولها بصـــدق واخلاص ·· أن في هذه الكلمة تكمن كل ضرورات الحياة الاسلامية ·· وفي هذه الكلمة أيضا ·· كل مكامن الخطورة وان بدت هينة يسيرة ·· وأقولها بلا نفاق أو رياء ·· لا يقدر على الخوض في (معانيها ومضامينها) الا من وهبه الله بسطة ·· لا في علم واحد فقط ·· وانما في علوم الأرض مجتمعة ·

أما رابع تلك الكلمات ·· فهي كلمة (الأول) ·· وهي حقيقـــة لا تحتاج الى دليل أو برهان ·· فمعالجة أمور هذا المؤتمر ·· لم تكن لها سابقة فيما مضى من الأيام ·· ولقد اشترك في تحليلها أكثر من (الثمانين) ما بين مضى من الأيام ·· ولقد اشترك في تحليلهـــا أكثر من (الثمانين) ما بين طبيب وباحث وصيدلاني ·· فأحدهم اما عالم عاقل يعيش في بلاد اسلامية ·· واما عالم موهوب يدفعه الحب والاعجاب بهذا الفن الانساني الرفيع ·· الفن العالمي الفريد من نوعه ·· الفن الذي فتح أبواب الحضارة والنهضة العصرية ·· لا الى الغرب الحديث فقـــط ·· وانما الى الشرق الحديث أيضا ·

ونعود مرة أخرى الى ذلك المؤتمر ·· نعود اليه وهو الأول من نوعه كما قلنا ·· فنتساءل : ـ

١ ـ ترى ما هي المقاصد والأغراض من (عقده) في هذا العام ؟!

٢ ـ ترى ·· أهي الجمع مابين أطراف الماضي والحاضر فقط ؟!

٣ ـ أهي الجمع مابين (مواضيع علميـــة) كانت مبعثرة في أعوام غابرة ؟! ·

٤ ـ أهي الجمع مابين الدول الاسلامية للشورى في أمور حيوية لهـــا ضرورتها وخطورتها ؟! ·

٥ ـ أهي الجمع مابين الأعشاب الطبيعية والمعمولات الصيدلانية ؟!

٦ ـ أهي الجمع ما بين الابتكارات العلمية القديمة ·· كانت مطمورة في المعاجم والمكتبات ؟!

٧ ـ أهي الاكتشافات الحديثة التي تفتقت عنهـــا العقول العصرية الحديثة ؟! ·

٨ ـ أم هي الجمع مابين كل هذه الصناعات والمهارات مجتمعة ؟ ٠
أنا في موقفي هذا ٠٠ لا أحدد ولا أقرر ٠٠ ولكنني أعود الى ماحدده (رئيس المؤتمر) من حدود ٠٠ حدود قد تكون شاملة ٠٠ ولكنها في بداية الطريق ٠٠ المقاصد والأغراض أمامها متعددة ومتنوعة ٠٠ والأهـــداف والغايات من حولها كثير ونبيلة ٠٠ فسرت تفسيرا مجملا على هذه الصورة :

١ ـ منها مايتعلق بالتراث الاسلامي ٠

٢ ـ منها مايتعلق بالدراسات التطبيقية ٠

٣ ـ منها مايتعلق بالمنهج الشامل الذي يفتقر اليه الطب الحديث ٠

٤ ـ ومنها مايتعلق بأداب المهنة والسلوك العلمي ٠

أخي القارىء الكريم ٠٠ ليس هذا كل ما في الموضوع ٠٠ وليس هذا كل ما كانوا يقصدون ٠٠ فما الأهداف والغايات الأربعة (هذه) الا مقدمة لمواضيع قادمة ٠٠ ولمواقف معقدة ومتشعبة ٠٠ قد نقف أمامها وقفة انسان فخور معجب ٠٠ وقد نتعامل معها معاملة انسان يفهم بواطن الأمور ٠٠ فوقفة الخبير المجرب هي المحك والمعيار ٠٠ لا ينجح في (تصنيفها) أو التمييز مابين قديمها وحديثها الا أدمغة جبارة ٠٠ وقلوب كبيرة ٠٠ وللخوض في هـــذا الموضوع ألف طريقة وطريقـــة ٠٠ وللدخول الى حقائقهـــا ألف موقف وموقف ٠٠ لا يدرك مداه وآثاره الا من عرف خفايا العلم وأسراره ٠٠ الا من عرف الخفايا والأسرار للتشريعات السماوية المقدسة ٠

فلقد نوقشت على طاولة (التشريح) تلك ٠٠ أمور كثيرة ومتعددة ٠٠ في اعتقادي أنها لم تكن كافية لمعالجة كل الوجـــوه والجوانب ٠٠ زد على ذلك ٠٠ أن كلمة (المعالجة) لا أعني بها ايجاد الحلول للمقد والمشكلات ٠٠ وانما ايجاد الشفاء لكل الأمراض الاجتماعية ٠٠ في المجتمعـــــات المسلمة أولا ٠٠ والمجتمعات البشرية ثانيا ٠

الخطأ والعيوب ليست في أبداننا فقط ٠٠ وانما في نفوسنا أيضا ٠٠ قد أكون مصيبا في تفسيري هذا ٠٠ وقد لا أكون ٠٠ ورغم كل هذا فالخطأ لا يمنعني أبدا من أن أقول ما أعتقد ٠٠ ففي العقل أمور وهواجس ٠٠٠ وفي النفس خواطر وآمال ٠٠ ليس في مقدوري الكلام عنهـــا الا بايجاز واختصار :

أولا : من تلك الأمور ماهو (ديني) ·· ومنها ماهو (دنيوي) ·· الذي أعنيه من كلمة (ديني) مايتعلق بشفاء الأمراض الاجتماعية من نفسية وعقلية وتربوية وأمراض بيئية ·· والذي أعنيه من كلمة (دنيوي) مايتعلق بأمراض البدن واصلاح عيوبه ·

ثانيا : من تلك الأمور مايختص بعلوم العصر الحديث ·· أو مايختص بعلوم صدر الاسلام ومابعده ·· الذي أقصده بعلوم العصر الحديث مايعالج أمراض (الانسان الحديث) ·· والذي أقصده من علوم صدر الاسلام (ذلك التاريخ) الذي بدأ بالرسالة المحمدية ·

ثالثا : من تلك الأمور مايتعلق بالأشفية (والعقاقير) أو مايتعلق بمواد العطارة والأعشاب الطبيعية والصيدلانية ··

رابعا : ومن تلك الأمور مايستمد من علوم (عقليـــة) بشرية ·· أو مايستمد من علوم (فقهية) سماوية ·

ترى هل تم احتواء كل هذه الأمور ؟! ·· لا أعتقد ·· فالموضـــوع حيوي وخطير (كما ذكرت) ·· والموقف يحتاج الى (جمع شمل) وتكامل معا ·· ليس من حقي أن أصدر الحكم عليه وهو في بداية الطريق ·· ولكن حرية القول ومسؤولية العلم تجعلني لا أستبعد القارىء والجمهور عن أجواء ذلك المؤتمر ·· بل على العكس ·· من المحتوم على أن أشركه معي في التصورات (وتوقعات المستقبل) ·· وأن يتخيل معي تلك الصور الانســـانية الخالدة ولو من بعيد ·

للحديث صلة

المركز الطبي الاسلامي الأول

وظهرت التوصيات للمؤتمر الطبي الاسلامي الأول ·· ظهرت بصياغة عصرية جديدة ·· تدل بلا شك على الحكمة والفهم والادراك ·· استندت بروحها وهيكلها على دلالات من الماضي ·· وركزت أنظارها على اشارة نحو المستقبل ·· لا للمؤتمر الطبي الذي تكلمنا عنه ·· وانما للمركز الطبي الأول الذي أوجده الصانعون ·· أنشأته عناصر خيرية مسلمة ·· وتبرعت به أسرة لها غيرة على الاسلام والمسلمين ·· الخير كل الخير في تلك الغيرة ·· والخير كل الخير في ذلك الفال الحسن ·· أمر مؤكد في أمة الاسلام ·· وأمر مؤكد لا نشك فيه ·· لولا سؤال واحد يتلاعب بالأذهان ·· ترى كيف نضمن الديمومة لذلك المركز الطبي الاسلامي ؟! ·

صدقني يا أخي الكريم ٠٠ أن الاجـابة على هذا السؤال ليست عويصة ٠٠ وضمان الاجابة عليه ليست أمرا معقـدا ٠٠ لولا الهواجس والخواطر التي هي طبيعة من طبائع البشر ٠٠ بل وصفة من صفات العقول البشرية المتحركة ٠٠ فذلك المركز الطبي الذي نتكلم عنه سيكون الوحيد من نوعه ٠٠ وستكون الدول الاسلامية من حوله كثيرة ومتعددة ٠٠ ترى كيف نقرب بين وجهات تلك الدول ؟! ٠٠ وتلك المؤسسة العلمية التي نتحدث عنها ستكون الفريدة في نوعها ٠٠ أمامها وخلفها ومن حولها عقول بشرية يصعب حصرها أو صدها ٠٠ ترى كيف نؤلف بين تلك العقول ؟! ٠٠ نحن لا نشك أبدا فيما جاء من توصـيات ٠٠ ولم يدر في خلدنا قط أن نكون في ذلك الموقف ٠٠ بل العكس هو الصحيح ٠٠ الا أننا قد توقعنا ٠٠ بل ولازلنـا نتوقع منها بأن تكون روح المركز وروح المؤتمر معا ٠٠ وأن ديمومة المناهج والتخطيط لها لا نستبعد أبدا بأن تكون هي الجسد ٠٠ ذلك الجسد الذي أوجده قويا وسليما ٠٠ أوجده طوعا وبلا اكراه ٠٠ ومنتهى الآمال فينـا ومنا أن يكون خالدا ٠٠ خالدا بالأفعال وان (صخبت) من حوله الآراء والعقول ٠٠ خالدا بالأعمال وان تشابكت من حوله المواقف والعقبات ٠٠٠ واليك في النهاية مجمل التوصيات :

أولا : توصيات عامة تعنى بالدول الاسلامية ٠

ثانيا : وتوصيات خاصة تعنى بها دولة الكويت ٠

التوصيات العـامة :

١ ـ تقدير البادرة الطيبة التي اتخذتها دولة الكويت بالدعوة لهذا المؤتمر ٠

٢ ـ الدعوة لوصل الأمة العربية بتراثها ٠

٣ ـ تشجيع البحوث العلمية التجريبية ٠٠ وتقديم ثمرات تلك البحوث الى مجالات علاج الأمراض والوقاية منها ٠

٤ ـ الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ٠

٥ ـ مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات والعلوم وتاريخ الطب في العالم ٠٠ بأن يسلطوا على تاريخ الحضارة الاسلامية أضواء الحقيقة ٠

٦ ـ مناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي بأن تشـمل المقررات على دراسة للاسلام ولتاريخ الطب الاسلامي ٠

٧ ـ أن تعتمد وثيقة الكويت (عن الدستور الطبي) ووضعها تحت أنظار المسؤولين في العالم الاسلامي ٠

٨ ـ والسعي لتشكيل مجلس اسلامي من أهل الثقـــة والكفاءة ومن المتخصصين في الفقه وعلوم الحياة ٠

٩ ـ تشكيل لجنة تقوم بمتابعة توصيات هذا المؤتمر وتنفيذ مايترتب عليها من اجراءات ٠

١٠ ـ كما يدعو المؤتمر أمة الاسلام كلها الى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ٠٠ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً ٠ فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ٠٠ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ٠٠ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ٠ صدق الله العظيم ٠

التوصيات الخاصة :

أولا : تبني انشاء منظمة اسلامية بالكويت ذات استقلالية في العمل ٠٠ وعالمية في الأثر ٠٠ وتعنى بأمور اسلامية كثيرة :

(أ) احياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي ٠

(ب) تشجيع العاملين في مجال الطب الاســـلامي وتمكينهم من متابعة أبحاثهم لرفع المستوى الصحي ٠

(جـ) تشجيع هيئات وطنية تعمل لنفس الأهداف مع تقـــديم الدعم لهـــا ٠

(د) السعي لتطوير مناهج التعليم وخاصة في مجال الطب وتعـــاليم الدين الحنيف ٠

(هـ) العمل على توحيد المناهج العلمية والأخلاقيـــة الاسلامية لمهنة الطب ٠

ثانيا : يكلف المؤتمر معالي وزير الصحة في الكويت بتشكيل (هيئة متابعة) واختيار أعضائها بنفسه ٠

ثالثا : يناشد المؤتمر دولة الكويت بعقد المؤتمر الطبي العالمي الثاني في الكويت (أيضا) ٠٠ وبعد عام من الآن ٠

نعود من آخر المطاف والعود أحمد ·· نعود الى صلب الموضوع لنصل ما انقطع من كلام فنقول ·

أن علمـــــاء الغرب على مختلف مللهم ونحلهم ·· لازالوا يبحثون وينقبون ·· يبحثون عن بواطن الطبيعة وينقبون عن الجديد ·· واذا كان لهم من هنات ·· فكونهم لا يتفقون في نظرياتهم مع الادعاء الفكري ··· ولا يتهادنون مع التهويل البدني ·· الخصلة الطيبة فيهم أنهم طلاب معرفة حقيقية ·· وما النشاط الفكري والبدني عندهم الا نشوة تمتد ولا تتقلص ··· تتوالد ولا تنتهي ··· يربطون بها ما بين المــــاضي والحاضر ··· ويخططون لها وبها مابين الحاضر والمستقبل ·· وباختصار ·· أنهم ينتزعون من المجهول معلوما ·· ويخلقون من المعلوم نهجا ذا عبرة وثمرة ·· ترى هل الغفلة عندنا هي العائق المسؤول ؟! ·· أم أنها الثقة وحسن الطوية الى أبعد الحدود ؟! ·

سأقول قولي واؤكده ·· وسأقول في اجابتي (لا أدري) وسأبقى على كلمة (لا علم لي) حتى يظهر الكاتب المجيد ·· أو القارىء المجيـــد ·· أو الباحث المجيد ·

وعن قناعة وادراك سأقول ·· ان الكاتب المجيد والقارىء المجيد ··· قلما يجتمعان عند مقالة واحدة ·· والحظ السعيد سيكون لتلك المقالة اذا هما اجتمعا معا تحت لوائها ·· ترى هل أجدت في عرضي وتحليلي لتلك التوصيات ؟! ·

فاذا ما قيل عن هذا العرض والتحليل خيرا ·· فسأكون ذلك الكاتب المجيد ·· أما اذا لم يذكر بالخير ·· فساعتها سأكون ذلك القارىء المجيد ·· أو ذلك الباحث المجيد ··   والله في عوني ؟

د· يوسف الحميدان

تحالف خزاعة مع الرسول (ص) ودورهم في حروب الردة

صادق حسن عبدالله

في صلح الحديبية دخلت خزاعة في حلف الرسول (ص) في السنة السادسة للهجرة فقد كانت خزاعة حليفة لعبد المطلب جد النبي (ص) فأتت الرسول (ص) بكتاب عبد المطلب فقرأه وهو « باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأي غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم ٠ ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده مالا ينسى أبدا ولا يأتي بكد [الخصومة الشديدة] اليد واحدة والنصر واحد ما أشرف تبير وثبت حراء ومابل بحر صوفه لايزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا أبدا أبدا ، الدهر سرمدا فقرأه عليه أبي بن كعب فقال ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم من الحلف فكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الا شدة ولا حلف في الاسلام » (١)

وكان عبد المطلب أحسن قريش وجها وكان سيد قريش حتى هلك فأتاه نفر من خزاعة فقالوا نحن قوم متجاورون في الدار هلم فلنحالفك فأجابهم الى ذلك وأقبل عبد المطلب في سبعة نفر من عبد المطلب ولأرقم بن نضلة بن هاشم والضحاك وعمرو بن عبد شمس ولا نوفل فدخلوا دار الندوة فتحالفوا فيها على التناصر والمواساة وكتبوا بينهم كتابا وعلقوه في الكعبة ٠ وقال عبد المطلب في ذلك :

سأوصي زبيرا ان توافت منيتي
بامساك ما بيني وبين بني عمرو

وان يحفظ الحلف الذي سن شيخه
ولا يلحدن فيه بظلم ولا عذر

هم حفظوا الال القديم وحالفوا
أباك فكانوا دون قومك من فهر

فأوصى عبد المطلب الى ابنه الزبير وأوصى الزبير الى أبي طالب وأوصى أبو طالب الى العباس بن عبد المطلب (٢) ٠

وقد ساند الرسول (ص) خزاعة المتحالفة معه في الحديبية ضد بكر وانتقم لهم وأخذ بثأرهم وأعطاهم النبي (ص) منزلة لم يعطها أحدا من الناس ان جعلهم مهاجرين بأرضهم وكتب لهم بذلك كتابا (٣) ٠ ويقول البلاذري « كتب سفيان بن عيينة انا لا نعلم النبي صلى الله عليه وسلم عاهد قوما فنقضوا العهد الا استحل قتلهم غير أهل مكة فانه من عليهم وكان نقضهم أنهم نصروا حلفاءهم على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة (٤) ٠

وفيما يتعلق الأمر بسبب عقد الحلف بين خزاعة وعبد المطلب يقول زياد بن علامة التغلبي وكان قد أدرك الجاهلية قال كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكه وقال لتنصب هذه السحابة بنصر بني كعب ان نوفل بن عبد مناف وكان آخر من بقي من بني عبد مناف ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على اركاح له وهي السامات وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج قال فتنصف عبد المطلب عمه فلم ينصفه فكتب الى أخواله فقدم عليه منهم ثمانون راكبا [وهددوا نوفل بن عبد مناف فأنصفه فرجعوا] قال فدعا ذلك عبد المطلب الى الخلف فدعا عبد المطلب بسر بن عمرو بن ورقاء بن فلان ورجالا من رجالات خزاعة فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابا فكان آل عبد المطلب بعد مهلك عمه المطلب بن عبد مناف ماكان آل من قبله من بني عبد مناف من أمر السقاية والرفادة وشرف في قومه وعظم فيهم خطره (٥) ٠

وقد كان لخزاعة دور في حروب الردة حيث نجد أن قسما منهم ارتدوا بعد وفاة الرسول (ص) فقد ثار أهل تهامة أو بالأحرى تمرد وارتد على الاسلام وقد تجمعت بها جموع من مدلج وخزاعة وكنانة وكان عليهم

جندب بن سلمي أحد بني شنوق من بني مدلج فاستطاع عثاب القضاء عليهم بمساعدة خالد بن أسيد وقتل عدد كبير من المرتدين أما جندب فقد أفلت وكان ذلك في سنة ١١ هـ ٠

وكانت خزاعة في عهد الرسول أغلبهـــا يؤيده ويناصره أما الذين ارتدوا فما هم الا شذاذ كما يذكرهم الطبري الى قلة أو أفراد وكانت خزاعة من القبائل الملتزمة بالتعاليم الاسلامية خاصة فيما يتعلق بدفع الصدقات التي كانت عليهم لبيت المسلمين فقد جاءهم عباد بن بشر لأخذ الصـــدقة فاستقبلوه أحسن استقبال وأراحوه فظل بينهم مدة عشرة أيام وهو مرتاح الى كرمهم وسخائهم ومساعدته في عمله ومسعاه بكل اخلاص ٠ وعباد هذا جاء بعد أن رجع الوليد بن عقبة والذي أرسل لأخذ الصـــدقة من خزاعة بحجة أن خزاعة أرادت قتله وهذا الوليد هو الذي نزلت فيه الآية التي منها « يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم فاسق بنبأ » الى آخر الآية وكانوا قد حضروا له ما عليهم من صدقة من مواش وما شابهه ٠

وكانت خزاعة تجمع مواشيها للصدقة عندما يأتي عامل الصـــدقات لأجل تسهيل مهمته وكانت بعض القبائل تستنكر ذلك من خزاعة كما فعلت بنو تميم فاستعانت خزاعة بفرسان أرسلهم النبي (ص) فأجلوا بنو تميم عن نواحي خزاعة ٠

وبعد أن رجع النبي (ص) من صلح الحديبية كتب لأســلم من خزاعة لمن آمن منهم وأقام الصلاة وآتى الزكاة وناصح في دين الله أن لهم النصر على من دهمهم بظلم وعليهم نصر النبي صلى الله عليه وســـلم اذا دعاهم ولأهل باديتهم مالأهل حاضرتهم وأنهم مهاجرون حيث كانوا (٧) ٠ ويقول الواقدي أن الرسول كتب لخزاعة في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة وذلك أن أسلم قوم من العرب كثير ومنهم من هو بعد مقيم على شركه ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبيـــــة لم يبق من خزاعة أحد الا مســـــلم مصدق بمحمد (٨) ٠

وقد حدث في عهد الرسول (ص) أن قتلت خزاعة جنيـــدي بن الأدلع الهذلي حيث قتله خراش بن أمية الكعبي من خزاعة فأمر رسول الله (ص) خزاعة باخراج ديته ودفعها الى أهله وكان أول قتيل وداه رســـول الله في الاسلام وقد أخرجت خزاعة ديته ٠ أما قتله فكان بالمزدلفة ومما قاله الرسول (ص) بهذا الشأن : « الله سبحانه حرم مكة ولم يحرمها الناس لا تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد كان بعدي ولا تحل لي الا ساعة من نهار فهي حرام بحرام الله سبحانه الى يوم القيامة فلا يستنن بي أحد فيقول أن رسول الله

(ص) قتل بها واني لا أعلم أحدا أعتى على الله من ثلاثة رجل قتل بها ورجل قتل بدخوله الجاهلية قتل في الحرم ورجل قتل غير قاتله وايم الله ليو دين هذا القتيل » (٩) • وكانت هذه الحادثة بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة كما يذكر الطبري (١٠) •

أما خزاعة في عهد الخلفاء الراشدين فقد ثار بعض خزاعة على أبي بكر مع المرتدين وذلك في تهامة ولكن قضي عليهم •

أما في عهد عمر بن الخطاب فقد شاركوا في فتح مصر مع عمرو بن العاص • وقد كان عمر بن الخطاب يدور على خزاعة لتوزيع العطاء عليها فقد ورد لابن سعد عن أبي هشام الكعبي : قال « رأيت عمر بن الخطاب يحمل ديوان خزاعة حتى ينزل قديدا فتأتيه بقديد فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في أيديهن ثم يروح فينزل عسفان فيفعل مثل ذلك حتى توفى » (١١) • وقد جعل الطبري ذلك في حوادث سنة ٢٣ هـ (١٢) •

أما في عهد الامام علي فقد ساندت خزاعة الامام في حرب صفين (١٣) وكان عبد الله بن بديل الخزاعي صاحب ميمنته في هذه الحرب وكان هناك من خزاعة عدو حسن مع الامام في هذه الحرب التي جرت سنة ٣٧هـ (١٤) • وقد قتل بديل في هذه المعركة (١٥) •

أما في الدولة الأموية فقد ثار سليمان بن صرد الخزاعي على الأمويين بالثورة المعروفة بثورة التوابين وهم الذين تقاعسوا عن مساعدة الامام الحسين عند مجيئه للكوفة وقتل الأمويين له فندموا على ذلك وكان كثير من رجال هذه الثورة وأبنائها من خزاعة وهم برئاسة سليمان بن صرد وقد باءت هذه الحركة بالفشل وبمقتل سليمان •

ومن رجال خزاعة الذين قتلوا في زمن الدولة الأموية باعتبارهم من الخارجين على الدولة وأعداءها هو عمرو بن الحمق بن الجون بن أبي الجون الخزاعي •

والواقع فان المتتبع لتاريخ خزاعة يجد أن أكثرهم كانوا مناصرين للعلويين ولأهل البيت •

أما في عهد الدولة العباسية أو بالأحرى في الدعوة العباسية فقد كان خمسة أعضاء من مجموع اثناعشر نقيبا هم من خزاعة • حتى أن قرى في خراسان سكنت من قبل خزاعة وعرفت باسمهم ولهم مثل سفيذنج •

دور خزاعة في غزوات الرسول (ص) وسراياه :

لقد لعبت خزاعة دورا بارزا في غزوات الرسول (ص) وسراياه فنرى الكثير منهم دافع عن الاسلام دفاع المستبسل وقد تجسد ذلك في أكثر غزوات الرسول خاض الأول منها مثل غزوة بدر في سنة ٢هـ ٠

ومن الذين استشهدوا من خزاعة في معركة بدر ذو الشمالين بن عبد عمرو بن نضلة ومن بني غيشان رجلان (١٦) ومن الذين حضروها من خزاعة معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشين بن سلول بن كعب بن عمرو حليف لبني مخزوم وهو الذي يدعى عيهامة [الطويل العنق] (١٧) أما من أسر من خزاعة في هذه المعركة فهو خالد بن الأعلم ويقال عقيلي (١٨) ٠

أما المعركة الثانية فهي معركة أحد التي حدثت في السنة الثالثة للهجرة وكان لخزاعة دور كبير في مساعدة الرسول ونقل أنباء تحرك قريش اليه وكان الذي يقوم بذلك عمرو بن سالم الخزاعي مع نفر من خزاعة ٠ وبعد انتصار قريش على المسلمين لعدم التزامهم بما طلبه الرسول (ص) منهم أرادت قريش أن تنبش قبر أم محمد أي أم الرسول (ص) « وقد استشار أبو سفيان بن حرب أهل الرأي من قريش في ذلك فقالوا : لا تذكر من هذا شيئا فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا (١٩) » ٠ فامتنعوا عن ذلك ويبدو أن خزاعة حينذاك كانت في منزلة محترمة بحيث أخافت قريشا ٠ وقد جاء معبد بن أبي معبد الخزاعي وهو يومئذ مشرك وكانت خزاعة سلما للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك أو أن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى معبد حتى يجد أبا سفيان (٢٠) فوجدهم يتأسون لأنهم لم يقتلوا محمدا ولا كبار أصحابه في أحد وقد أراد أبو سفيان أن يعيد الكرة ولكن معبد أخافه من تحصينات الرسول (ص) وتجهزه فوجل أبو سفيان وأصحابه فانصرفوا ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة (٢١) ٠

أما غزوة الخندق فقد حدثت في السنة الخامسة للهجرة أي بعد سرية عبد الله بن أنيس وقد لقي هذا مساعدة كبيرة من خزاعة وقد عرضوا عليه المساعدة في قتل سفيان بن خالد الذي جمع الجموع للرسول فقال له الرسول « انتسب الى خزاعة » والسبب هو كثرة انتشار خزاعة في المنطقة التي يسير فيها عبد الله لأجل أن يقتل سفيان فخرج عبد الله الى خزاعة « فأخذت على الطريق حتى انتهيت الى قديد فأجد بها خزاعة كثيرا فعرضوا على الحملان

والصحابة فلمْ أرد ذلك » (٢٢) وهذا يبين لنا مساندة خزاعة للاسلام والرسول (ص) وسكنهم في قديد ولما وصل الى سفيان أخبره أنه رجل من خزاعة وهذا يظهر لنا أن كثيرا من خزاعة كانوا على الشرك ويساندون سفيان فأمن به سفيان ثم استغل على سفيان فرصة نومه فقام وقتله وهرب ٠ وكانت سرية عبد الله بن أنيس في منتصف السنة الخامسة للهجرة أو في المحرم من الشهر الرابع والخمسين من الهجرة حسبما يقول الواقدي (٢٣) ٠ أما ابن سعد فيرى أنها كانت في المحرم بعد خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة (٢٤) ٠

نعود الى غزوة الخندق حيث جاءت جموع المشركين تهاجم المدينة معقل الرسول (ص) والمسلمين فجاء ركب من خزاعة الى الرســـول (ص) يخبره بفصول قريش (٢٥) ٠

وهذا يبين لنا أن خزاعة بالنسبة للرسول كالعيون أو مانسميه الآن باسم الاستخبارات ٠

ثم جاءت السنة السادسة للهجرة (٢٦) وهي السنة التي حدثت فيها غزوة المريسيع أو غزوة بني المصـــطلق وهؤلاء فرع من خزاعة « كانوا ينزلون ناحية الفرع وهم حلفـــاء في بني مدلج وكان رأســهم وسيدهم الحارث بن أبي ضرار وكان قد سار في قومه ومن قدر عليـــه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢٧) وهيأ لنفسه العدة والعدد ووصل خبر ذلك الى الرسول (ص) ولما تأكد منه أرسل « ثلاثين فارسا عشرة من المهاجرين وعشرون من الأنصار ومن هؤلاء الثلاثين الرسول (ص) وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام والمقداد بن عمر ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب » (٢٨) وعند خروجهم ألقوا القبض على أحد عيون الأعداء ولما دعي الى الاسلام رفض فقتل بعد أن رفض الادلاء بالمعلومات التي طلبت منه فوصل خبر مقتله وخبر مجيء النبي وأصـــحابه الى بني المصـــطلق فتفرقوا خوفا الا بعضهم فلما وصل الرسول (ص) الى المريســـيع (٢٩) وهو الماء نزله وأمر المسلمين بالهجوم وقتلوا عشرة منهم ومن المسيحيين قتل رجل واحد واسمه هشام بن صبابة أصابه رجل من الأنصار ومن رهط عبادة بن الصامت وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ (٣٠) وكان حامل لواء بني المصطلق صفوان ذو الشفر وقد أسلمت جويرية بنت الحارث وتزوجها النبي (ص) فأعتق بقية المسلمين ماغنموه من سبايا لأجل ذلك ٠

ومن ثم ندخل الى صلح الحديبية أو مايسميه مؤرخو التاريخ الاسلامي الأوائل بغزوة الحديبية وقد كانت هذه في السنة السادســة للهجرة عندما

خرج الرسول معمرا الى مكة ومعه جماعة من أصحابه ففزعت قريش من ذلك فنزل الرسول في الحديبية ولما اطمأن الرسول (ص) فيها « جاءه بديل ابن ورقاء الخزاعي وركب من خزاعة وهم عيبة نصح [أي موضع الأمانة على سره] رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة منهم السلم ومنهم الموادع لا يخفون عليه بتهامة شيئا » (٣١) ولما بدأت المفاوضات واتفق على تأجيل زيارة الرسول السنة القادمة ووضع الحرب لمدة عشر سنوات بين المشركين والمسلمين واعطاء الحرية للتعاقد أو عقد المعاهدات بين القبائل وبين المسلمين أو المشركين كل لمن يميل اليه ويدين بدينه وأن لا يعين أحد الطرفين العشائر المتنازعة دفعا للحرب باطارها الشامل للطرفين البارزين في الحجاز وشبه الجزيرة ·

وقد أرادت خزاعة الدخول في حلف مع الرسول (ص) فقالوا : « نحن ندخل في عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا ، ووثبت بنو بكر فقالوا : نحن ندخل مع قريش في عهدها وعقدها ونحن على من وراءنا من قومنا » (٣٢) · وقد مالت خزاعة بعد دخولها هذا الحلف الى الهدوء والسكينة خاصة بعد أن دخل الايمان القلوب وقد أخذت خزاعة شهرة لدخولها في عهد النبي (ص) حتى أن الناس بما فيها النساء أمنوا لهم واطمأنوا · وهناك رواية بهذا الشأن مؤداها أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كان من عادتها التنزه في البادية فلقيها رجل من خزاعة فسألها حاجتها فقالت « حاجة فما مسألتك ومن أنت فقال رجل من خزاعة فلما ذكر خزاعة اطمأنت اليه لدخول خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده » · (٣٣) ثم أخبرته من قريش وتريد اللحاق بالرسول (ص) فأوصلها للمدينة وكانت تردد هناك « نعم الحي خزاعة » (٣٤) وقد تزوجها الزبير بن العوام ثم طلقها فتزوجها عبد الرحمن بن عوف (٣٥) ·

أما أمر غزوة الفتح أي فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة فمؤداه أن نزاعا حدث بين كنانة وخزاعة سببه أن أنس بن زنيم الديلي هجا رسول الله (ص) فسمعه غلام من خزاعه فوقع به فشجه فخرج الى قومه فأراهم شجته فثار الشر (٣٦) · بينما يقول الطبري أن سبب النزاع هو أن رجلا تاجرا متحالفا مع بكر قتلته خزاعة في أرضها فقتلت بكر رجلا من خزاعة فعدت خزاعة قبيل الاسلام على بني الأسود بن رزن الديلي وهم منخر بني بكر وأشرافهم سلمى وكلثوم وذؤيب فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم (٣٧) وفي شعبان من السنة الثامنة هـ أو اثنان وعشرون شهرا بعد صلح الحديبية أو مايقرب من السنتين تكلمت بنو نفاثة من بني بكر أشراف قريش

واعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد [العهد الذي وقع في الحديبية] أن يعينوا بالرجال والسلاح على عدوهم من خزاعة وذكروا القتلى الذين أصابت خزاعة لهم وضربوهم بأرحامهم وأخبروهم بدخولهم معهم في عقــــدهم وعهدهم (٣٨) • وذهبت خزاعة الى الرسول (ص) تستنجده فأبى عليهم ذلك ودست نفاثة وبكر السلاح سرا لئلا تعلم بذلك خزاعة فتأخذ حذرها لأنهم آمنون بظل المعاهدة فجاءت بكر ليلا بقيادة نوفل بن معاوية الدؤلي فقتلوا من خزاعة الكثير ــ وهم على ماء لهم يدعى الوثير أسفل مكة ــ (٣٩) لأنهم بوغتوا واستمروا في قتلهم حتى أوصلوهم الى انصاب الحرم فقالوا « يانوفل الهك فقال لا اله لي اليوم فلما انتهت خزاعة الى الحرم دخلت دار بديل ابن ورقاء ودار رافع الخزاعيين وانتهوا بهم في عماية الصــــبح ودخلت رؤساء قريش في منازلهم (٤٠) » • ظنــــا منهم بأن النبي لن يعلم ذلك ولا يبلغ • وقد قتل من خزاعة عشرون رجلا « وأصبحت خزاعة مقتلين على باب بديل ورافع مولى لخزاعة وقد حبست بكر خزاعة في دار بديل ورافع ثلاثة أيام لم يكلموا فيهم (٤١) • وتنحت قريش وندموا على مافعــــلوا وعلموا أن الرسول لن يترك هذا الخرق الفاضح للمعاهدة يمر دون عقاب وأن الرسول سيرد بعنف وقوة ضد أعداء حلفائه الذين هم أعداء له في نفس الوقت •

وينشد شاعر الرسول (ص) حسان بن ثابت عن مصاب خزاعة قائلا :

أتاني ولم أشــهد ببطحاء مكة
رجال بني كعب تحز رقابهـــا

بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتلى كثير لم تجن ثيابهــــا

ألا ليت شهري هل تنالن نصرتي
سهيل بن عمرو حرهــــا وعقابها

وصفوان عودا خز من شــفر أسته
فهذا أوان الحرب شد عصابها

فلا تأمننا يا بن أم مجــــالد
اذا احتلت صرفا واعصل نائبهـــا*

وكان هذا النقض هو الســــبب الرئيسي في فتح مكة من قبــــل الرسول (ص) •

ولما تأكد لدى قريش أن النبي سوف لن يترك حلفاءه دون أخذ حقهم والانتقام لهم ضد من ضرب العهد وخانه خاصة وأنه رفض في بادىء الأمر مساعدتهم أي مساعدة خزاعة خوفا من خرق العهد والعقد ولئلا تصبح بادرة سيئة في عدم التقيد بالعقود والعهود ولذلك نجد أن رد الرسول كما سنراه سيكون حازما قويا يتلاءم مع منزلته السامية الملتزمة بالعهود ٠

قررت قوى المشركين ارسال أبي سفيان ليكلم النبي (ص) في أمر تمديد الهدنة وتجديدها أو بالأحرى تجديد العقد وكان في هذه الأثناء وفد خزاعة في حضرة الرسول يخبرونه بما حدث ويقدمون له الشكوى فسألهم الرسول (ص) عمن يتهمونه قالوا : بنو بكر قال كلها قالوا لا ولكن نتهم بني نفاثة قصرة ورأسهم نوفل بن معاوية االنفاثي* فأرسل الرسول (ص) الى بكر يخيرهم بين ثلاث :

١ ـ أن يدوا خزاعة ٠

٢ ـ أو أن يبرأوا من حلف نفاثة ٠

٣ـ أو أن يستنبذ اليهم على سواء ٠

وجاء المشركين ضمره مرسلا من قبل الرسول (ص) يخبرهم فقال قرطة بن عبد عمرو الأعجمي اما أن ندي قتلى فان نفاثة قوم شداد [يعني أنه يرفض القبول بهذا البند أو النقطة ويرفض دفع الدية] اما أن نبرأ من حلفهم [حلف نفاثة] فاننا لا نبرأ منهم لأنهم حلفاؤنا وأن نفاثة تعظم البيت كثيرا ولكننا نسبتد اليه على سواء (٤٢) ٠ فرجع ضخرة يخبر الرسول (ص) بما أجابوه ثم بعثت قريش أبا سفيان يسأل الرسول تجديد العهد ومد الهدنة وندمت على رد الرسول عما ردوه ٠

ولكن الرسول (ص) قرر ارسال جيش لفتح مكة بعد نقض قريش للهدنة وقال بعد أن تحرك باتجاه مكة ناظرا الى سحابة : « ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب » (٤٣) يقصد خزاعة وكان النبي كما يبدو يود خزاعة كثيرا ويميل اليها فكان يقول « انا لم نجد بتهامة أحدا من ذي رحم ولا بعيد الرحم كان أبر بنا من خزاعة » (٤٤) ٠

وقدم الرسول (ص) مع جيشه وخزاعة وقد بدت نيرانهم على مقربة من مكة ولما رؤيت منها ليلا قال بديل بن ورقاء : هذه والله خزاعة حاشتها

الحرب قال أبو سفيان خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانهم وعسكرهم (٤٥) • ولما قرب الجيش من مكة أمر الرسول (ص) بأن لا يقتل خزاعي مشرك من أهل مكة على أساس أن هذه الحملة هي من أجل خزاعة وأخذ ثارهم ولأجل عدم الحزازات والفتن والروح القبلية المتوقدة حينذاك فقال الرسول (ص) : « يامعشر المسلمين كفوا السلاح الا خزاعة عن بني بكر الى صلاة العصر [هذا يبين لنا مدى عدالة الاسلام وضرورة أخذ صاحب الحق لحقه بيده] ولم يكن الرسول الا حاميا لخزاعة لأخذ حقهم فخطبوهم ساعة وهي الساعة التي أجلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل لأحد من قبله وكان رسول الله نهى أن يقتل من خزاعة أحد » (٤٦) وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٧) • وقد ابتدأ المشركون المسلحون بالقتال وحمل عليهم خالد بن الوليد وقتل ومعه جماعته منهم الكثير • يقول أبو اليسر وكان جماعة خالد بن الوليد « فجعلت أحذم [أقطع] بسيفي وهويت الى رجل فضربته فاعتزل الى خزاعة ، فسقط في يدي فجعلت أسأل عنه فقيل لي أنه من أكحيا أخو خزاعة فحمدت الله الا أقتل أحدا من خزاعة (٤٨) • وهكذا يظهر لنا أن النبي ساعد خزاعة في بادىء الأمر لكسر معنوية المشركين ثم أحل لخزاعة دمهم ساعة كاملة في البيت الحرام ومكة وهي ساعة لم تحل لا سابقا ولا لاحقا لغير الرسول (ص) • وهكذا أثبت الرسول لحلفائه أنه نعم الحليف الذي يطمئن اليه وهكذا دخل الرسول مكة في السنة الثامنة للهجرة مكللا بالانتصار والفوز •

وفي السنة التاسعة للهجرة في المحرم بعث الرسول (ص) الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق من خزاعة يصدقهم وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالهدايا وماعليهم من صدقة فرحين فلما رآهم رجع الى المدينة فأخبر النبي (ص) أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك اليهم فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد فأخبروا النبي الخبر فنزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » فقرأها عليهم الرسول (ص) وبعث معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن فلم يعد ما أمره رسول الله (ص) ولم يضيع حقا وأقام عندهم عشرا ثم انصرف الى رسول الله (ص) راضيا (٤٩) •

أشهر شخصيات خزاعة :

الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عبد عمرو بن بوي بن ملكان : وكان هذا أحد المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم (٥٠) ·

الخزاعي الشاعر وهو مطرود بن كعب الخزاعي (٥١) ·
عمرو بن سالم بن حصيرة الخزاعي ·
عبد الرحمن بن أبزى وهو أول عمـــال علي بن أبي طالب على خراسان (٥٢) ·

كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزه من أشهر الشـــعراء في العصر الأموي وهو من بني مليح بن عمرو من خزاعة (٥٣) ·

أبو محمد عقيل بن خويلد بن معاوية بن سعيد بن أســـد الخزاعي وابنه محمد بن عقيل من أكابر العلماء والى عقيل هـــذا ينسب المسجد المشهور بمسجد عقيل بنيسابور لأصحاب الحديث (٥٤) ·

هشام بن خالد الكعبي من خزاعة (٥٥) ·

علقمة بن الفغواء بن عبيد بن عمرو بن زمان بن عـــدي بن عمرو من خزاعة ·

نافع بن الحارث وكان والي عمر بن الخطاب على مكة (٥٦) ·

أبو شريح الكعبي خويلد بن صخر بن عبد العزي بن معـــاوية بن المخترش بن عمرو بن زمان بن عدي بن عمرو بن ربيعة من خزاعة وكان زمان ومازن أخوين (٥٧) ·

الأسود بن خلف بن أسعد بن عامر بياضه بن سبيع بن جعشمة بن سعد ابن مليح بن عمرو بن ربيعة من خزاعة وحدث عن النبي صلعم حديثـــا حضره يوم فتح مكة (٥٨) ·

تميم بن أسد بن سويد بن أسعد بن عبد بن حبتر من خزاعة وكان شاعرا وأمره النبي صلعم يوم فتح مكة أن يجدد أنصاب الحرم (٥٩) ·

كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبدنهم بن جليل بن حبشية بن سلول وهو الذي اقتفى أثر النبي (صلعم) وأبي بكر حين خروجهما من مكة الى المدينة فقال ماهنا انقطع الأثر عندما انتهى الى باب الغار وهو الذي نظر الى قدم النبي (صلعم) فقال هذه القدم من تلك القدم التي في المقام يعني قدم ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه (٦٠) ·

بشر بن سفيان بن عمرو بن عويمر بن صرمه بن عبد الله من خزاعة وهو الذي كتب اليه النبي (صلعم) يدعوه الى الاسلام (٦١) ٠

أم كرز الخزاعية ــ أتت رسول الله (صلعم) يوم الحديبية وهو يقسم لحوم بدنة فأسلمت وروت عن رسول الله (ص) (٦٢) ٠

عبد الحكيم بن منصور مولى لخزاعة وكان ضعيفا في الحديث (٦٣) ٠

بريده بن الحصيب ــ أسلم حين مر به رسول الله (ص) للهجرة (٦٤) ٠

يحيى بن غيلان بن عبد الله بن أسماء بن حارثة وكان ثقة نزل بغداد ثم خرج الى البصرة في حاجة له فمات هناك سنة عشر ومائتين وقد روى عن البصريين (٦٥) ٠

عبد الله بن أبي أوفى ــ آخر من مات من أصحاب النبي (ص) بالكوفة (٦٦) ٠

أم معبد بنت خالد ــ ترجع الى سلول بن كعب ــ وهي التي نزل عندها رسول الله (صلعم) وروت عنه (٦٨) ٠

حرمله بنت عبد بن الأسود ــ ترجع الى مليح بن عمرو ــ أسلمت بمكة قديما وبايعت وهاجرت الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فتوفيت هناك (٦٩) ٠

همينه بنت خلف بن أسعد ــ ترجع الى مليح بن عمرو ــ أسلمت بمكة قديما وهاجرت الى أرض الحبشة الهجرة الثانية مع زوجها خالد بن سعيد ابن العاص فولدت له هناك سعيدا (٧٠) ٠

مخسية بنت عمرو بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة ــ من فواطم وعواتك الرسول (٧١) ٠

أم وهب بن عبد مناف وهي قيله ويقال هند بنت أبي قيله وترجع الى خزاعة ــ من أمهات الرسول (ص) (٧٢) ٠

ابن الأكوع وهو سنان بن عبد الله بن قشير بن خزيمة من خزاعة ــ توفى بالمدينة سنة ١١٩هـ وهو ابن ٧٧ سنة وكان ثقة وله أحاديث كثيرة (٧٣) ٠

أم مرة بن هلال بن فالج عاتكة بنت عدي من خزاعة · من فواطم وعواتك الرسول (ص) (٧٤) ·

عمرو بن الحمق بن الكاهن بن حبيب من خزاعة ــ صحب النبي ــ ونزل الكوفة وشهد مع علي رضي الله عنه مشاهده وأعان على قتل عثمان ثم قتله عبد الرحمن بن أم الحكم ــ عن الشعبي أن أول رأس حمل في الاسلام رأس عمرو بن الحمق (٧٥) ·

سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون وهو عبد العزى من خزاعة ــ شهد صفين مع علي وكان قائدا لحركة التوابين الذين ثاروا على الأمويين بعد مقتل الحسين وقتل سليمان فيها في شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين للهجرة وكان يوم قتل ابن ثلاث وتسعين سنة (٧٦) ·

شعوب ــ امرأة من خزاعة وهي أم الأسود وكان الأسود حليفا لأبي سفيان بن حرب وشهد معه أحدا (٧٧) ·

أم سويد بنت خليفة من بني عدي بن عمرو من خزاعة ــ وهي زوجة عبد الله بن حنظلة وولدت له عدة أولاد (٧٨) ·

عاتكة بنت سعد من بني المصطلق من خزاعة ــ زوجة عبد الرحمن ابن سعيد · وكان ثقة في الحديث توفي سنة ١٠٩هـ (٧٩) ·

قبيص بن ذؤيب من خزاعة ــ مات سنة ٨٦هـ في خلافة عبد الملك ابن مروان وكان ثقة في الحديث مأمونا (٨٠) ·

أم سعيد بنت أبي نعيم ــ خزاعة ــ زوجة بلال بن عمر بن الخطاب وأم عبد الرحمن بن بلال بن عمر بن الخطاب (٨١) ·

جعفر بن عطية مولى خزاعة ــ وهو محدث وراوية (٨٢) ·

بديل بن ورقاء ــ وهو الذي كتب اليه رسول الله صلعم يدعوه الى الاسلام (٨٣) ·

جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ــ زوج النبي (ص) وهي من بني المصطلق · تزوجها بعد غزوة بني المصطلق (٨٤) ·

أبو خالد ثابت مولى خزاعة ــ انتخبه بكير على مقدمة الفرسان الذاهبة الى بخارا في سنة ٧٧هـ (٨٥) ·

أحمد بن نصر الخزاعي ـ وزير المتوكل الذي قتله في سنة ٢٣٧هـ وعلق جثته في بغداد (٨٦) ·

سليمان بن كثير مالك بن الهيثم زياد بن صالح طلحة بن رزيق عمرو بن أعين	من نقباء بني العباس الاثنى عشر في الدعوة العباسية ، وكلهم من خزاعة وقد اختارهم أبو محمد الصادق لمحمد بن علي (٨٧) ·

أبو مالك أسيد بن عبد الله الخزاعي ـ من دعاة بني العباس ومسانديهم أثناء الدعوة وكان من أنصار أبو مسلم الخراساني (٨٨) ·

أبو الكنود بن عبد العزى أبو رفح وهو عمير بن مالك أبو عنبس بن لؤي بن عامر	شعراء من خزاعة (٨٩) ·

ابن الحدادية وهو قيس بن منقذ بن عمرو (٩٠) ·

أبو الحسن الخزاعي ـ كان يسكن بأرض نجد العليا وسمع من الجميع صدرا من الأخبار القديمة (٩١) ·

من أمه خزاعية :

أبو لهب ـ أمه لبنى بنت هاجر الخزاعي (٩٢) ·

عبد مناف بن قصي ـ أمه حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة (٩٣) ·

عائشة بنت قدامة بن مظعون بن وهب بن حذاقة بن جمح وأمها فاطمة ترجع الى سلول (٩٤) ·

عمر وخالد ولدا الزبير بن العوام ـ أمهما خزاعية تدعى هيمنة (٩٥) ·

النعمان ونعيم وآمنة أولاد عدي بن نضلة وأمهم بنت نعجة بن خويلد من خزاعة (٩٦) ·

عبد الله الأصغر وعبد الله الأكبر ولدا شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب · أمهم خزاعية ترجع لسعد بن مليح (٩٧) ·

سعيد بن زيد ـ أمه ترجع الى مليح من خزاعة وقد شهد بدرا (٩٨) ·

ريطه بنت الحارث بن جبيلة بن عامر بن كعب ـ أمها زينب بنت

عبد الله من خزاعة أسلمت بمكة قديما وبايعت وهاجرت الى أرض الحبشة الهجرة الثانية وهلكت في الطريق وهي راجعة (٩٩) ٠

فاطمة بنت علقمة ـ أمها عاتكة بنت أسعد من خزاعة ـ أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت الى أرض الحبشة الهجرة الثانية (١٠٠) ٠

مطيع بن الاسود وأمه العجماء وهي أنيسة بنت عامر بن الفضل من خزاعة ٠ وأسلم مطيع يوم فتح مكة ومات في خلافة عثمان (رضي) (١٠١) ٠

عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ـ أمه خديجة أو أمامة بنت عياض بن رافع من خزاعة ـ أسلم عقبة يوم الفتح (١٠٢) ٠

أسد بن هاشم بن عبد مناف ـ أمه ميكة بنت عامر بن مالك بن جذيمة وهو المصطلق من خزاعة (١٠٣) ٠

زيد الأصغر وعبيد الله أولاد عمر بن الخطاب ـ أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك من خزاعة وكان الاسلام فرق بين عمر وبين أم كلثوم بنت جرول (١٠٤) ٠

صبيحة بن الحارث ـ أمه زينب من خزاعة ٠
صخر بن عبد الرحمن بن صبيحة بن الحارث ـ أمه أم يحيى بنت جبير من خزاعة (١٠٥) ٠

اسحاق الأكبر وحنظلة والوليد وسليمان والأشعب أولاد سعيد بن نوفل ـ أمهم أم الوليد بنت أبي حزرشة بن الحارث من بني حبشية من خزاعة (١٠٦)

سهيل بن عمرو بن عبد شمس ـ أمه حبى بنت قيس من خزاعة ٠ خرج سهيل من مكة الى حنين مع النبي (ص) وهو على شركه فأسلم بالجعرانة وأعطاه رسول الله (ص) يومئذ من غنائم حنين مائة من الابل وقد روى سهيل عن النبي (ص) أحاديث ٠ مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ ويكنى أبو يزيد (١٠٧) ٠

مواطن خزاعة :

تمكنت أن أعثر على الأماكن والمواضع التي كانت خزاعة تسكن فيها وقد أفادني بهذا الشأن ياقوت وعرام والبكري والطبري بشكل خاص ورئيسي وهذه هي المواضع التي كان لخزاعة بها سكن وتوطن : ـ

محمر : وهو صقع قرب مكة بين مر وعلاف من منازل خزاعة (١٠٨) ·

غلاتل : من بلاد خزاعة بالحجاز (١٠٩) ·

غضور : مدينة فيما بين المدينة الى بلاد خزاعة وكنانة · وهي ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة ·

غزال : وهو واد يأتيك من ناحية شمنصر وفيه آبار وهو لخزاعة خاصة وهم سكانه أهل عمود (١١١) ·

الغرابات : بلفظ جمع غرابة موضع في شعر لبيد وهي أمواه لخزاعة أسفل كلية (١١٢) ·

ملل : على ليله من المدينة وهي لخزاعة خاصة (١١٣) ·

شنايك : ثلاثة أجل صغار منفردات من الجبال بين قديد والجحفة من ديار خزاعة (١١٤) ·

شقرى : من ديار خزاعة (١١٥) ·

ثبير : جبل في مكة كان لخزاعة ثم أخذته عدوان فصار لرجل يقال له أبو سيارة (١١٦) ·

الشباك : جمع شـــبكة الصايد . قال ابن الأعرابي شباك لأودية مقاديمها وأوايلها موضع في بلاد غني بن أعصر بين أبرق العزاف والمدينة · وهذه من بلاد خزاعة لابن جذيمة من خزاعة ·

دوران ذودوران : موضع بين قديد والجحفة وذو دوران واد يأتي من شمنصر وذروه وبه بيران يقال لأحدهما رحبـة وللأخرى ســكوبه وهو لخزاعة (١١٧) ·

خيف النعم : به منبر وأهله غاضرة وخزاعة وتجار بعد ذلك وناس وبه نخيل ومزارع وهو الى عسفان ومياهه ضرارة كثيرة (١١٨) ·

خيف سلام : بلد بقرب عسفان على طريق المدينة فيه منبر وناس كثير من خزاعة ومياهها قنى ، وباديتها قليلة من جشم وخزاعة (١١٩) ·

غدير خم : هذا من نحو مطلع الشمس لا يفارقه ماء المطر أبدا وبه أناس من خزاعة وكنانة وغير كثير (١٢٠) ·

الحريم : موضع بالحجاز كانت به وقعة بين كنانة وخزاعة (١٢١) ·

شس : جبل مرتفع شامخ ليس به شيء من نبات الأرض غير الخزم والبشام وهو لخزاعة وضمرة (١٢٢) ٠

عسفان : وهو على ظهر الطريق لخزاعة خاصة بهـــــا منبر ونخيل ومزارع وهي قرية جامعة (١٢٣) ٠

يين : قيل يين في بلاد خزاعة ٠ جاء في حديث اهبـــان الأسلمي ثم الخزاعي أنه كان يسكن يين حينما هو يرعى بحرة الوبرة اذ عدا الذيب على غنمه (١٢٤) ٠

الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة ٠ وفيه قتلت خزاعة من قبـل بكر فكان ذلك سببا في فتح مكة لنقض قريش صلح الحديبية (١٢٥) ٠

نشاق : من نشقت الشيء اذا شممته موضع في ديار خزاعة (١٢٦) ٠

ندا : موضع في بلاد خزاعة (١٢٧) ٠

المشقر : جبل لهذيل ثم قال الأصمعي وبعض المشقر لخزاعة (١٢٨) ٠

الأبواء : جبل شامخ مرتفع ليس عليه شيء من النبـــــات غير الخزم والبشام وهو لخزاعة (١٢٩) ٠

أمج : قرية جامعة بها سوق وهي كثيرة المزارع والنخـــل وهي على ساية وساية واد عظيم وأهل أمج خزاعة (١٣٠) ٠

شهد : ماء لبني المصطلق من خزاعة (١٣١) ٠

الحشا : جبل شامخ وهو جبل الأبواء وهو منه على نصف ميل وهو عن يمين أره يمين الطريق للمصعد وبكنف الحشا واد يقال له البعق وبكنفه الأيسر واد يقال له شس ٠ والحشا لخزاعة وضمرة (١٣٢) ٠

بيضان : وهي ماءه من مياه خزاعة عبد برس الجبل ٠ وبرس جبل شامخ كثير التمور والأروى (١٣٣) ٠

العجلان : من العجلة أرض لخزاعة وكانت بين هذيل وبينهم فيهـا حرب (١٣٤) ٠

عثود : ماء في ديار خزاعة (١٣٥) ٠

عبب : موضع في ديار خزاعة (١٣٦) ٠

شمنصير : جبل بساية وساوية واد عظيم به أكثر من ســـبعين عينا تجري تنزله مزينه وسليم وساية وادي أمج وأهل أمج خزاعة (١٣٧) ٠

هرش : (١٣٨) جبل في بلاد تهامة وهو ملتقى طريق الشام والمدينة وهي من الحجفة يرى منها البحر · وعلى الطريق من ثنية هرش الى الحجفة ثلاثة أودية : غزال وذودوران وكلية · تأتي من شمنصير وذروة ، تنبت النخل والأراك والمرخ والدوم وهو المقل وكلها لخزاعة ·

المريسيع (١٣٩) : ماء بنجد في ديار بنى المصطلق من خزاعة · غزاه الرسول (ص) فعرفت الغزوة بغزوة بنو المصطلق أو غزوة المريسيع ·

قديد (١٤٠) : سميت قديدا لتعدد السيول وهي لخزاعة ·

شعلب (١٤١) : اسم جبل في بلاد بني تميم · وفي رسم بدبد أن شطبا في ديار خزاعة ·

رابغ (١٤٢) : موضع بين المدينة والحجفـــة وهو من مر · ومر : منازل خزاعة ·

مر الظلان (١٤٣) : بين مر والبيت ستة عشر ميلا وقال كثير عزة سميت مرا لمرارتها · وببطن مر تخزعت خزاعة عن اخوتها · فظلت خزاعة مستوطنة مر الظلان الى فترة طويلة أكثر منطقة تكثر فيها خزاعة ·

الهدة (١٤٤) : وهي على سبعة أميال من عسفان اذا رحتَ من مكة عن يسار الطريق سكانها بنو ضمرة وناس من خزاعة ·

سفيذنج (١٤٥) : قرية في خراسان من قرى خزاعة نزلها أبو مسلم الخراساني أثناء تجواله في سنة ١٢٩هـ لأجل القضاء على الدولة العباسية وتنشيط الحركة العباسية المعلنة ·

انتشـــارهم :

لقد انتشرت خزاعة في مناطق وبلاد عديدة فقد هاجروا كما عرفنا ، أصلا من اليمن فسكنوا مكة وانتشروا الى العراق ومصر وخراسان ومناطق أخرى مثل خوارزم ·

فقد جاء في معجم البلدان عند ذكر نزول عمرو بن العاص مصر وبنائه الفسطاط « اختطت كل قبيلة خطة بأرض مصر وهي معروفة بهم الآن وكان في صحبته قوم من قريش والأنصار وخزاعة (١٤٦) ·

وهذا يثبت لنا اشتراك خزاعة في فتح مصر · وكذلك اشتركوا في فتح المغرب وكانوا من الجند (١٤٧) ·

وكانت خزاعة من أهل الراية في فتح مصر · وزعم بعضهم أن خزاعة كان لها داران بالفسطاط · وقد وقفت خزاعة في مصر ضد عثمان فقد كان منها عمرو بن الحمق الذي دخلها في خلافة عثمان ثم خرج منها ليعين على قتله · وابن ورقاء الذي كان رأس مائة في الممشى الذي سيره ابن أبي حذيفة الى عثمان سنة ٣٥هـ ·

ثم يطغى الخمول أو الظلام على خزاعة فلا تعود الى البروز في أواسط القرن الثاني اذ يتتابع أفراد منها حتى نهاية القرن على حكم مصر · فكان منهم محمد بن الأشعث أمير مصر (١٤١ ــ ١٤٣هـ) · المهاجر بن عثمان صاحب شرطه (١٤١هـ) الفضل بن غانم قاضي مصر (١٩٨ ــ ١٩٩هـ) المطلب بن عبد الله (١٩٨ ــ ٢٠٠هـ) أمير مصر الذي وليها في أكثر أوقاتها اضطرابا · عوف بن وهب (ت ٢٠٤هـ) كان من وجوه الجند وولي مصر استخلافا مرتين · ومما يجدر ذكره أن قوما من خزاعة صحبوا المطلب لما ولي مصر سنة ١٩٩هـ وسكنوا الفسطاط وسمي زقاق المطلبية باسمهم لأنهم سكنوا فيه (١٤٨) ·

ويستنتج عبد الله خورشيد أن خزاعة خملت في مصر بعد مقتل عثمان ثم عادت الى الظهور والتحكم في مصائر الأمور طوال النصــــف الأخير من القرن الثاني بفضل أبنائهـــا الذين قدموا من الخارج من مكة والعراق وحكموا مصر · ويضيف قائلا أن شواهد القبور وأوراق البردي لا تدل على اقامة خزاعة بمصر في القرن الثاني فحسب بل في القرن الثالث الهجري كذلك (١٤٩) ·

ومن تتبعنا لحروب خزاعة ومناصرتهم للامام علي في حرب صفين نجد أن قسما كبيرا منهم كان بالعراق حينذاك حتى أن قسما كبيرا منهم ظلوا منذ ذلك التاريخ ويتضح ذلك في حركة ســليمان بن صرد الخزاعي زعيم التوابين · وجاء لعبد الجبار فارس أن الخزاعل وهي من عشـــائر لواء الديوانية أصلها من خزاعة وجدها علي بن دعبل بن علي ينتهي نسبه الى سليمان بن صرد الخزاعي أحد أشراف الكوفة القــــديمة · رحلت هذه العشيرة الى الشام من اليمن ومنها الى العراق أولى العشـــائر التي سكنت الديوانية نفسها كانت ديوانا (مضيفا) لأجدادها · وفي الشام واليمن وايران قسم كبير من الخزاعل اليوم · وأهم المراكز التي يسكنها الخزاعل هور أبو نجم وهور الوريجي وشمال الغماس · ثم يضيف قائلا مما يؤيد ما سبق أن قلته من حبهم للعلويين وأنهم يتشيعون فيقول : يشتغل أفراد

هذه العشيرة بالزراعة ورعي وتربية الابل ويترفع أفرادها من مصاهرة غير العلوي (السيد) فلا يزوجون بناتهم الا من خزعلي أو علوي حتى ولو خطب أحقر بناتهم أعظم الرؤساء وقد انتشر وتكاثر الخزاعل في الفرات بعد أن عينت الحكومة العثمانية جدهم حسن باشا واليا على بغداد ويقدر نفوسهم اليوم ب (٥٠٠٠) خمسة آلاف نسمة · وقد عرفوا بالشجاعة والبسالة (١٥٠) ·

ومن المناطق التي انتشروا فيها أيضا خراسان حيث كان منهم النقباء والدعاة في الدعوة العباسية · وقد نزل بعض من خزاعة أو بالأحرى بطن من بطونها الا وهو جفنة بن عوف وكانوا يعرفون بالعباد في الحيرة (١٥١) ·

ويقول فؤاد حمزه أن بقايا من خزاعة الأقدمين يقيمون في وادي فاطمة والخبيث بالقرب من القنفذة والرواك الواقعة الى الشرق الجنوبي من بحرة والصيم (١٥٢) · أي في المملكة العربية السعودية الحالية ·

المصادر الأولية

١ ـ ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي محمد بن محمد ت ٦٣٠هـ ـ اللباب في تهذيب الأنساب (القاهرة ١٣٥٧هـ) ·

٢ ـ الأزرقي ، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ت حدود ٢٥٠هـ ـ كتاب أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار (لايبزك) ١٨٥٨م) ·

٣ ـ البكري ، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ·

٤ ـ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ فتوح البلدان (ليدن ـ) ·

٥ ـ ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ـ جمهرة أنساب العرب (القاهرة ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م) ·

٦ ـ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربي ـ ت ٨٠٨هـ ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت ١٩٥٧م) ·

٧ ــ ابن سعد ، محمد بن سعد ــ كتاب الطبقات (ليدن ١٣٢١هـ)

٨ ــ السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد ت ٥٦٢هـ ــ الأنساب (حيدر أباد الدكن ١٩٦٣م) ٠

٩ ــ الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ ــ تاريخ الرسل والملوك (هولنده ١٩٦٤) ٠

١٠ ــ ابن عبد البر ، أبي يوسف بن عبد البر النمري القرطبي ت ٤٦٣ ــ الانباه على قبائل الرواة (القاهرة ١٣٥٠هـ) ٠

١١ ــ عرام ، عرام بن الأصنع السلمي ــ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه (ضمن كتاب نوادر المخطوطات) (القاهرة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ٠

١٢ ــ الفاسي ، الحافظ أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي الفاسي المكي المالكي ت ٨٣٢هـ ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (القاهرة ١٩٥٦م) ٠

١٣ ــ القلقشندي ، أبي العباس أحمد علي بن أحمد بن عبد الله ت ٨٢١هـ ــ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م) ٠

١٤ ــ ابن الكلبي ، ابن هشام أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣هـ ــ السيرة النبوية (القاهرة ١٩٣٧م) ٠

١٥ ــ المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي ت ٣٤٦هـ ــ مروج الذهب ومعادن الجوهر (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ٠

١٦ ــ النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت

ــ نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م) ٠

١٧ ــ الواقدي ، محمد بن عمر بن واقد ت ٢٠٧هـ ــ كتاب المغازي (القاهرة ١٩٦٦) ٠

١٨ ــ الهمداني ، أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف ابن داود الهمداني ت ٣٣٤هـ ــ كتاب صفة جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٣هـ) ٠

١٩ ـ ياقوت ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت
ـ معجم البلدان (طهران ١٩٦٥) ٠

المصادر الثانوية (الحديثة)

١ ـ البري ، عبد الله خورشيد ـ القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة (القاهرة ١٩٦٧) ٠

٢ ـ حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي والاقتصادي والاجتماعي (القاهرة ١٩٦٤٠) ٠

٣ ـ جواد علي ـ تاريخ العرب قبل الاسلام (بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م) ٠

٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الثامن ٠

٥ ـ سديو ، ل٠ أ٠ تاريخ العرب العام (القاهرة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) ٠

٦ ـ عبد العزيز سالم ـ دراسات في تاريخ العرب (الاسكندرية ١٩٦٧م) ٠

٧ ـ العلي ، صالح أحمد ـ محاضرات في تاريخ العرب (بغداد ١٩٦٤م) ٠

٨ ـ فارس ، عبد الجبار ـ عامان في الفرات ٠

٩ ـ فؤاد حمزه ـ قلب جزيرة العرب (القاهرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) ٠

١٠ ـ كحالة ، عمر رضا ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (دمشق ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ٠

١١ ـ نافع ، محمد مبروك ـ تاريخ العرب عصر ما قبل الاسلام (القاهرة ١٩٥٢) ٠

الهـوامش

١ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٨٧١ ٠
٢ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق١ ص ٥١ ٠
٣ ـ ابن عبد البر ـ ن٠م ص ٩٥ ٠
٤ ـ البلاذري ـ ن٠م ص ١٠٦ ٠
٥ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٠٨٦ ـ ١٠٨٨ ٠
٦ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٩٨٤ ٠
٧ ـ ابن سعد ـ الطبقات جـ١ ق٢ ص ٢٤ ٠
٨ ـ الواقدي ـ المغازي جـ١ ق٢ ص ٢٤ ٠
٩ ـ الأزرقي ـ ن٠م ص ٣٥٤ ، الواقدي ـ ن٠م ٢/٨٤٤ ، الطبري ـ ن٠م ١/١٦٤٤ ٠
١٠ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٦٤٤ ٠
١١ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٣ ق١ ص ٢١٤ ، البلاذري ـ ن٠م ص ٤٥٢ ، الطبري ـ ن٠م ١/٢٧٥٢ ٠
١٢ ـ الطبري ـ ن٠م ١/٢٧٥٢
١٣ ـ كحالة ، معجم قبائل العرب ، ١/٣٢٩ ٠
١٤ ـ المصدر السابق نفسه ١/٣٢٨٩ ٠
١٥ ـ المصدر السابق نفسه ١/٢٢٩٩ ٠
١٦ ـ ابن هشام ـ السيرة ٢/٣٥٤ ، ابن عبد البر ـ ن٠م ص ١١٣ ٠
١٧ ـ ابن هشام ـ السيرة ٢/٣٣٠ ، ابن سعد ـ ن٠م جـ٣ ق٢ ص ٣٢ ٠
١٨ ـ ابن هشام ـ السيرة ٢/٣٦٥ ، ابن عبد البر ـ ن٠م ص ١١٣ ٠
١٩ ـ الواقدي ـ ن٠م ١/٢٠٦ ، راجع ابن سعد ـ ن٠م جـ٣ ق٢ ص ٣٢ ٠
٢٠ ـ الواقدي ـ ن٠م ١/٣٣٨ ، الطبري ـ ن٠م ١/١٤٢٨ ـ ١٤٢٩ ٠
٢١ ـ الواقدي ـ ن٠م ١/٣٤٠ ٠
٢٢ ـ المصدر السابق نفسه ٢/٥٣٢ ٠
٢٣ ـ المصدر السابق نفسه ٢/٥٣٢ ٠
٢٤ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق١ ص ٣٦ ٠
٢٥ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٤٤٤ ٠
٢٦ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٥١١ ، بينما يروي الواقدي أنهـــا كانت في شعبان سنة ٥هـ ١/٤٠٤ ٠
(*) هو والد جويرية زوج الرسول (ص) ـ راجع الطبري ١/١٥١١ ٠
٢٧ ـ الواقدي ـ ن٠م ١/٤٠٤ ٠
٢٨ ـ المصدر السابق نفسه ١/٤٠٥ ٠
٢٩ ـ ماء من مياه بني المصطلق من ناحية قديد الى الساحل ـ راجع الطبري ١/١٥١١
٣٠ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٥١١ ٠
٣١ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٥٩٣ ٠
٣٢ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/
٣٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٨/١٦٧ ، الواقدي ٢/٦٣٠ ٠
٣٤ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٦٣٠ ، ابن سعد ٨/١٦٧ ٠
٣٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٨/١٦٧ ٠
٣٦ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٧٨٣ ، البلاذري ـ ن٠م ص ٣٦ ٠
٣٧ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٦١٩ ٠
٣٨ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٧٨٣ ٠
٣٩ ـ الطبري ـ ن٠م ١/١٦٢٠ ٠
٤٠ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٧٨٣ ٠
٤١ ـ الواقدي ـ ن٠م ٢/٧٩٢ ٠
(*) الطبري ، ن٠م ، ١/١٦٢٥ ٠

× جاء للبكري ١٣٦٨/٤ ان الرسول قال لما شكى اليه عمرو بن سالم الخزاعي « لا نصرني الله ان لم أنصركم » ٠
٤٢ ـ الواقدي ـ ن٠م ٧٨٦/٢ ـ ٧٨٧ ٠
٤٣ ـ ابن عبد البر ـ ن٠م ص ٩٥ ٠
٤٤ ـ الواقدي ـ ن٠م ٧٩١/٢ ٠
٤٥ ـ الواقدي ـ ن٠م ٨١٧/٢ ، الطبري ـ ن٠م ١٦٣١/١ ٠
٤٦ ـ الواقدي ـ ن٠م ٨٣٩/٢ ٠
٤٧ ـ الطبري ـ ن٠م ١٤٢٨/١ ٠
٤٨ ـ ابن عبد البر ـ ن٠م ص ٩٥ ٠
٤٩ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٢ ق١ ص ١١٦ ٠
٥٠ ـ ابن هشام ـ السيرة ١٦/٢ ٠
٥١ ـ ابن هشام ـ السيرة ١٩٢/١ ٠
٥٢ ـ البلاذري ـ ن٠م ص ٤٠٩ ٠
٥٣ ـ ابن هشام ـ السيرة ١٠٤/١ ٠
٥٤ ـ السمعاني ـ الأنساب ١١٧/٥ ٠
٥٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٤٠/٥ ٠
٥٦ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٤٢/٥ ٠
٥٧ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٩/٥ ، وجاء في جـ٤ ق٢ ص ٣٢ انه كان يحمل أحد ألوية بني كعب من خزاعة الثلاثة يوم فتح مكة ـ توفي في المدينة سنة ٦٨هـ ـ روى عن النبي (ص) عدة أحاديث ٠
٥٨ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٩/٥ ٠
٥٩ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٩/٥ ٠
٦٠ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٨/٥ ٠
٦١ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٨/٥ ٠
٦٢ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢١٥/٨ ٠
٦٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٧ ق٦٢/٢ ٠
٦٤ ـ ابن سعد ن٠م جـ٤ ق١٧٨/١ ٠
٦٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٧ ق٨٢/٢ ٠
٦٦ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٦٣/٦ ٠
٦٧ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢١١/٨ ٠
٦٨ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢١٠/٨ ٠
٦٩ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢١٠/٨ ٠
٧٠ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢٠٩/٨ ٠
٧١ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق١ /٣٢ ٠
٧٢ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق٣١/١ ٠
٧٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٨٤/٥ ٠
٧٤ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق٣٣/١ ٠
٧٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٥/٦ ٠
٧٦ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٥/٦ ٠
٧٧ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٤٤/٥ ٠
٧٨ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٤٧/٥ ٠
٧٩ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١١١/٥ ٠
٨٠ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٣١/٥ ٠
٨١ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٥١/٥ ٠
٨٢ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٧٥/٥ ٠
٨٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٩/٥ ٠
٨٤ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٨٣/٨ ٠

٨٥ ـ الطبري ـ ن٠م ١٠٢٣/٢ ٠
٨٦ ـ السمعاني ـ الأنساب ١١٦/٥ ٠ ـ الطبري ـ ن٠م ١٤١٣/٣ ٠
٨٧ ـ الطبري ن٠م ١٩٨٨/٢ ، ١٣٥٨ ٠
٨٨ ـ الطبري ـ ن٠م ١٩٦٣/٢ ٠
٨٩ ـ محمد بن حبيب ـ كنى الشعراء ومن غلبت كنيتـــــه على اسمه (نوادر المخطوطات) ص ٢٨٦ ٠
٩٠ ـ المصدر السابق ص ٣٢٣ ٠
٩١ـ الهمداني ـ صفة جزيرة العرب ص ٢١٤ ٠
٩٢ ـ ابن هشام ـ السيرة ١٩٢/١ ٠
٩٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق١ ص ٣٤ ٠
٩٤ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢٤٣/٨ ٠
٩٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٤ ق٦٧/١ ٠
٩٦ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٤ ق١٠٣/١ ٠
٩٧ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٤ ق٩٢/١ ـ ٩٣ ٠
٩٨ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٧/٦ ٠
٩٩ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٨٦/٨ ٠
١٠٠ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٩٩/٨ ٠
١٠١ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣٣/٥ ٠
١٠٢ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣٣١/٥ ٠
١٠٣ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ١ ق١ ص ٤٦ ٠
١٠٤ ـ ابن سعد ـ ن٠م جـ٣ ق١ ص
١٠٥ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٣/٥ ٠
١٠٦ ـ ابن سعد ـ ن٠م ١٥/٥ ٠
١٠٧ ـ ابن سعد ـ ن٠م ٢٣٥/٥ ٠
١٠٨ ـ ياقوت ـ معجم البلدان ٤٣١/٤ ـ ٤٣٢ ٠
١٠٩ ـ المصدر السابق نفسه ٨٠٨/٣ ٠
١١٠ ـ المصدر السابق نفسه ٨٠٥/٣ ، البكري ـ معجم ما استعجم ٩٩٩/٣ ٠
١١١ ـ ياقوت ـ ن٠م ٧٩٧/٣ ٠
١١٢ ـ المصدر السابق نفسه ٧٧٩/٣ ٠
١١٣ ـ المصدر السابق نفسه ٦٧٣/٣ ٠
١١٤ ـ المصدر السابق نفسه ٣٢٦/٣ ٠
١١٥ ـ المصدر السابق نفسه ٣٠٧/٣ ٠
١١٦ ـ المصدر السابق نفسه ٩١٧/١ ٠
١١٧ ـ ياقوت ـ ن٠م ٦١٤/٢ ٠
١١٨ ـ البكري ـ ن٠م ٧٨٧/٣ ، ياقوت ـ ن٠م ٥٠٨/٢ ـ ٥٠٩ ٠
١١٩ ـ ياقوت ـ ن٠م ٥٠٨/٢ ، البكري ـ ن٠م ٧٨٧/٣ ٠
١٢٠ ـ ياقوت ـ ن٠م ٤٧١/٢ ٠
١٢١ ـ ياقوت ـ ن٠م ٢٥٦/٢ ٠
١٢٢ ـ عرام ـ أسماء جبال تهامة وسكانها ص ٤١١ ٠
١٢٣ ـ البكري ـ ن٠م ٩٤٢/٣ ، عرام ـ ن٠م ص ٤١٥ ٠
١٢٤ ـ ياقوت ـ ن٠م ١٠٤٦ ٠
١٢٥ ـ ياقوت ـ ن٠م ٩٠٣/٤ ٠
١٢٦ ـ ياقوت ـ ن٠م ٧٨٣/٤ ٠
١٢٧ ـ ياقوت ـ ن٠م ٧٧٢/٤ ٠
١٢٨ ـ ياقوت ـ ن٠م ٥٤٢/٤ ٠
١٢٩ ـ كحالة ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ٠
١٣٠ ـ البكري ـ ن٠م ١٩٠/١ ٠

١٣١ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٧٧٧ ، ياقوت ، ن٠م ، ٣/٣٢٩ ٠
١٣٢ ــ البكري ــ ن٠م ٢/٤٤٩ ٠
١٣٣ ــ البكري ــ ن٠م ١/٢٩٦ ٠
١٣٤ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٩٢٢ ٠
١٣٥ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٩٢٠ ٠
١٣٦ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٩١٦ ٠
١٣٧ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٨١١ ٠
١٣٨ ــ البكري ــ ن٠م ٤/١٣٥٢ ٠
١٣٩ ــ البكري ــ ن٠م ٤/١٢٢٠ ٠
١٤٠ ــ البكري ــ ن٠م ٣/١٠٥٤ ٠
١٤١ ــ البكري ــ ن٠م ٣/٧٩٧ ــ ٧٩٨ ٠
١٤٢ ــ البكري ــ ن٠م ٢/٦٢٥ ٠
١٤٣ ــ البكري ــ ن٠م ٤/١٢١٢ ــ ١٢١٣ ٠
١٤٤ ــ ابن سعد ــ ن٠م جـ٢ ق١ ص ٧ ٠
١٤٥ ــ الطبري ــ ن٠م ٢/١٩٥٢ ٠
١٤٦ ــ ياقوت ــ ن٠م ٢/٧٤٦ ٠
١٤٧ ــ عبد الله خورشيد ــ قبائل مصر ص ١٢٥ ٠
١٤٨ ــ راجع المصدر السابق ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ٠
١٤٩ ــ عبد الله خورشيد ــ ن٠م ص ١٢٦ ٠
١٥٠ ــ عبد الجبار فارس ــ عامان في الثمرات ص ٨٢ ٠
١٥١ ــ كحالة ــ ن٠م ١/١٩٧ ٠
١٥٢ ــ فؤاد حمزه ــ قلب جزيرة العرب ص ١٤٨ ٠

الأبنية الاسلامية في الطراز الأموي

قامت في الأقاليم الاسلامية المختلفة وفي عصور التاريخ الاسلامي الطويل طرز فنية منوعة في جزئياتها ، متشابهة في مجموعها • فالتنوع في الجزئيات راجع الى اختلاف الأساليب الفنية القديمة في كل اقليم • والى افتراق المؤثرات الخارجية على الفنون الاقليمية والى تطور هذه الفنون بمرور الزمن وتغير الأسر الحاكمة • أما التشابه في المجموع فأساسه الاشتراك في العقيدة الاسلامية التي جعلت المسلمين اخوة وقضت على معظم الفروق في الأجناس والأوطان ، وانتشار القرآن في العالم الاسلامي باللسان العربي المبين ، وسيادة الخط العربي بين سكان الأمم الاسلامية ، ونظام المجتمع في ديار الاسلام وما كان يميزه من الحج والرحلات وتبادل الفنانين ونقل السلع والتحف من مكان الى آخر •

ومن المفروض أن أول تلك الطرز وأقدمها الطراز الأموي • ازدهر في عصر بني أمية في القرنين الأول والثاني بعد الهجرة ، وكان « طرازا امبراطوريا » شمل ديار الاسلام كلها • ثم قامت الدولة العباسية ، ولكن لم تدخل الأندلس في نطاقها • وقامت فيها دولة أموية غربية ظلت تحكمها الى سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وكان الفنيون الأندلسيون في عصرها يحتفظون بمعظم الأساليب الفنية التي عرفها المسلمون في عصر الدولة الأموية الشرقية •

وقد كان استيلاء بني أمية على الخلافة وانتقال عامة الدولة الاسلامية من المدينة والكوفة الى دمشق خاتمة لعصر الراشدين ، الذي غلب فيه على المسلمين تجنب البذخ والترف ، وأصبح الخليفة الأموي أشبه بشيء يملك أو امبراطور يسيطر على دولة مترامية الأطراف ، ويعتز بجنسه العربي وبملكه وبأسرته اعتزازه بالاسلام الذي استطاع العرب بفضله تأسيس دولتهم العظيمة ٠

وعاش الأمويون في الشام ، حيث ازدهرت من قبلهم مدارس من الفنون الهلنستية والمسيحية الشرقية ، والتي تأثرت ببعض الأساليب الفنية الساسانية بحكم الجوار ٠ وطبيعي أن المسلمين في سورية وفلسطين تأثروا بالأبنية المسيحية التي شاهدوها ، وبدأوا يفكرون في تشييد مساجد تمتاز بالعظمة والفخامة ، ويتخذون من الترف والتحف الفنية مايتفق وعظمة ملكهم الجديد ٠ وكان جل اعتماد المسلمين في البداية على الصناع والفنيين من الشام ونشأ على يد الجميع الطراز الأموي في الفنون الاسلامية ونقل القواد والولاة وأتباعهم أصول هذا الطراز من الشام الى سائر اقاليم الاسلامية ، فتأثرت بها الأساليب الفنية القديمة في تلك الأقاليم ، والحق أن الأساليب الزخرفية في الشرق الأدنى قبيل الاسلام بلغت غاية تطورها على يد المسلمين فيما نسميه الطراز الأموي ٠ وذلك بفضل النظام الذي عرفه العالم القديم باسم الليتورجيا LEITURGIA ، وقوامه في الاسلام التزام أقاليم العالم الاسلامي بتقديم الصناع والفنيين ومواد الصناعة الى الحكومة المركزية للقيام بما تريده من الأعمال الفنية الجليلة ٠

وقد عني الأمويون بتجديد بعض المساجد التي أنشئت في عصر الخلفاء الراشدين مثل جامع البصرة ، وجامع الكوفة وجامع عمرو والحرم النبوي في المدينة ولكن ازدهار فن العمارة ظهر على يدهم فيما شيدوه من مساجد جديدة . كالجامع الأموي في دمشق والمسجد الأقصى وقبة الصخرة في بيت المقدس وجامع الزيتونة في تونس وجامع سيدي عقبة في القيروان ٠ على أن هذه المساجد الجديدة قد دخل عليها من الاضافة والتعديل والتجديد ما غير معالمها الأولى الى حد كبير ٠

ولم تكن المساجد التي شيدت في عصر النبي والخلفاء الراشدين ترمي الى أكثر من جمع المصلين في مكان واحد ٠ فكان المسجد الذي بناه النبي في المدينة مساحة من الأرض مربعة الشكل تحيط بها جدران من الآجر والحجر ، وعلى جزء منها سقف من جريد النخل تغطيه طبقة من الطين ،

ويستند الى عدد من جذوع النخل • وقد زاد عمر بن الخطاب في هـــذا المسجد ، وجدده عثمان بن عفان ، ولكن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك هدمه نحو ٨٨هـ ــ ٧٠٧م وأعاد بناءه ، وقد أشار الى ذلك البلاذري في فتوح البلدان بقوله « ثم لم يحدث فيه شيء الى أن ولي الوليد بن عبد الملك ابن مروان بعد أبيه فكتب الى عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بهدم المسجد وبنائه ، وبعث اليه بمال وفسيفساء ورخـــام وثمانين صانعا من الروم ومن أهل الشام ومصر ، فبناه وزاد فيه •

ولما بدأت الفتوح الاسلامية أســـــس العرب في مصر والعراق مدنا جديدة وشيدوا فيها مساجد بسيطة ، كما فعـــــلوا في البصرة والكوفة والفسطاط ، أما في الشام فكانوا يحولون في كل مدينة كبيرة كنيسة أو جزء منها الى مسجد يتخذونه للصلاة •

ــ فمسجد البصرة كان قطعة من الأرض اختطت لهـــــذا الغرض سنة ١٤هـ ، ولعلها أحيطت بسور من القصب ، بني بعد ذلك باللبن والطين والسقف بالعشب • ثم كان أول تجديد كبير فيه سنة ٤٤هـ ــ ٦٦٦م ــ على يد زياد عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة فقد بناه بالآجر والجص وسقفه بخشب الساج ، واتخذ له أعمدة من حجر نحتها من جبل الأهواز •

ــ أما مسجد الكوفة فقد بني سنة ١٧هـ وكان قطعة من الأرض مربعة الشكل يحيط بها خندق عوضا عن الجدران وكان له سقف يقوم على عمد من الرخام جلبها المسلمون من قصر فارسي قديم في اقليم الحيرة وجدد هذا المسجد أيضا على يد زياد سنة ٥٠هـ ــ ٦٧٠م باشراف مهندسين من الفرس والظاهر أنه صنع له أعمدة من حجر جبلية من جبل الأهواز • وكان كل عمود يتألف من عدة قطع متصل بعضها ببعض بأسلوب فني يذكرنا بما نعرفه اليوم في « الاسمنت المسلح » وقد كتب الطبري في هذا الصدد « ولما أراد زياد بنيانه دعا بنائين من بنائي الجاهلية ، فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء • وقد أشتهي من ذلك شـــيئا لا أقع على صنعته • فقال له بناء قد كان بناء لكسرى لايجيء هذا الا بأساطين من جبال الأهواز ، تنقر ، ثم تثقب ، ثم تحشى بالرصاص وبســـفافيد الحديد ، فترفعه ثلاثين ذراعا في السماء ثم تسقفه » •

ــ أما جامع عمرو في الفسطاط فقد بناه فاتح مصر مستطيل الشكل ، له سقف من الجريد على ساريات من جذوع النخل ، ولكن زيد في بنائه وجدد

عدة مرات في العصر الأموي ، وبنيت له على يد الوالي مسلمة بن مخلد أربع صوامع فوق أركانه الأربعة • وكانت أول ماعرف من المآذن في مصر • ثم أعاد الوالي قرة بن شريك بناء جامع عمرو سنة ٩٢هـ ـ ٧١١م ، وأحدث فيه المحراب المجوف • والواقع أن المساجد الأولى لم تكن لها مآذن ولا منابر ولا مقصورة ولا محاريب مجوفة • ولم يعرف المسلمون المآذن في عصر النبي عليه الصلاة والسلام • وقد جاء في (السيرة) لابن هشام أنه (ص) حين هاجر الى المدينة كان الناس يجتمعون اليه للصلاة بغير دعوة ، فهم الرسول أن يتخذ بوقا كبوق اليهود الذي يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه فأمر باتخاذ ناقوس يدعى به المسلمون للصلاة كما يفعل المسيحيون ، ولكن أخبره عبد الله بن زيد بن ثعلبه أن طائفا طاف به ليلقنه في منامه وزين له الدعوة الى الصلاة بالآذان ، فأمره النبي بذلك وأمر مولاه بلالا أن يؤذن داعيا الى الصلاة ، وقيل ان عمر بن الخطاب هو الذي قدم على النبي يقترح الآذان ، ولكنه رأى بلالا يؤذن وعلم من النبي أن الوحي قد سبقه الى ذلك • ومهما يكن من شيء فان بلالا كان يؤذن من سطح بيت عند مسجد النبي • فأول المآذن أو الصوامع أو المنائر التي بنيت على مثال الأبراج الأربعة بسور المعبد الوثني القديم في دمشق ويقوم مكانه الآن الجامع الأموي •

ولا ريب في أن المسلمين استعملوا هذه الأبراج للآذان • وحسبنا أن بعض المؤلفين المسلمين ـ كابن قتيبة الذي كتب في نهاية القرن السابع الهجري (١٣م) ـ سموها مآذن مع علمهم أنها بنيت قبل الاسلام • وفضلا عن ذلك فان المآذن التي شيدها مسلمة بن مخلد لجامع عمرو كانت أبراجا صغيرة مربعة • ولايزال هذا النوع من المآذن منتشرا أيضا في المغرب حيث تعرف المئذنة باسم (الصومعة) • والواقع أن هذا النوع من المآذن قد انتشر أيضا في الجزيرة العربية ، كما يتبين من مآذن حران والرقة وديار بكر • أما المنبر فقد اتخذه النبي عليه الصلاة والسلام من خشب الآثل بعد أن كان يخطب وهو مستند الى جذع نخلة ، وجاء في سند ابن حنبل أن هذا المنبر كان مقعدا ذا ثلاث درجات • والمعروف أن النبي كان يجلس على الدرجة واضعا قدميه على الدرجة الثانية • ولما تولى أبو بكر صار يجلس على الدرجة الثانية • وخلفه عمر ، فكان يجلس على الدرجة الأولى واضعا قدميه على الأرض • ولكن الظاهر أن المنبر كان يعتبر في البداية المقعد الذي يجلس عليه النبي وخلفاؤه فقد حدث أن عمرو بن العاص اتخذ منبرا في جامع الفسطاط ، فنهاه عمر بن الخطاب عن ذلك وكتب اليه : « أما بعد

فقد بلغني أنك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين ، أوما يكفيك أن تكون قائما والمسلمون تحت عقبك ، فعزمت عليك الا ماكسرته » • على أن هذا التحفظ لم يدم طويلا • فقد ذاعت المنابر في العصر الأموي وأشار كتاب (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) جـ٤ ـ ص ٦٣ الى منبر كان في جامع عمرو قبل سنة ٩٣هـ قيل انه منبر الوالي عبد العزيز بن مروان حمل اليه من احدى كنائس مصر • وقيل ان ملك النوبة أهداه الى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وبعث معه نجاره حتى ركبه ، واسم هذا النجار « بقطر من أهل دندره » •

أما القصور فقد قيل ان أول من اتخذها عثمان بن عفان ، ولكن الأرجح أن الذي أحدثها معاوية بن أبي سفيان بعد محاولة الاعتداء عليه واتخذها الخلفاء من بعده وصارت على حد قول ابن خلدون في « المقدمة » « سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلاة » • وانما هي تحدث عند حصول الترف في الدول والاستفحال ، شأن أحوال الأبهة كلها •

والمحراب المجوف لم يكن معروفا في المساجد قبل عصر الوليد بن عبد الملك فقد جاء في كثير من المراجع العربية القديمة أن أول من أحدث المحراب المجوف هو عمر بن عبد العزيز حين أعاد بناء مسجد النبي • ويقال ان الصناع من الروم (الشوام) هم الذين قاموا بهذا البناء وقد جاء في كتاب (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) للسمهودي أن الشوام بنوا مقدم المسجد وبنى الروم جوانبه ومؤخره •

ومهما يكن من أمر فقد ظهر لكثير من المؤلفين العرب أن المحراب مشتق من الكنائس ، وما لبثوا أن استخرجوا حديثا نسبوا فيه الى النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « ان ظهور المحاريب التي تجعل المساجد تشبه الكنائس علامة من علامات الساعة » •

وكتب بعض الفقهاء في ذلك : « ان المحراب أقل أجزاء المسجد قداسة » بل ان السيوطي ألف رسالة سماها « اعلام الأريب بحدوث بدع المحاريب » •

وأبدع الأبنية الأموية في الشام قبة الصخرة في بيت المقدس والمسجد الجامع في دمشق • أما قبة الصخرة ففي الحرم الشريف ، وقد كان منطقة مقدسة عند الساميين القدماء ، وظلت منزلته الدينية عظيمة عند المسلمين • وتم بناء هذه القبة سنة ٧٢هـ (٦٩١م) على يد عبد الملك بن مروان •

وهو بناء حجري مثمن الشكل ، قوامه تثمينة خارجية من الجدران تليها من الداخل تثمينة أخرى من الأعمدة والأكتاف أو الأساطين • وداخل هذه التثمينة دائرة من الأعمدة والأكتاف أيضا وفوق الدائرة قبة مرفوعة على رقبة أو اسطوانة فيها ست عشرة نافذة • والقبة من الخشب تغطيها من الخارج طبقة من الرصاص ومن الداخل طبقة من الجص ، وضلع المثمن الخارجي طوله نحو عشرين مترا ونصف متر وارتفاعه نحو تسعة أمتار ونصف • وفي الجزء العلوي من كل ضلع في هذا المثمن أربعة أبواب ، وفي الجوانب المقابلة للجهات الأربع الأصلية من المثمن أربعة أبواب ، وفي وسط هذا البناء (الصخرة المقدسة) التي يروى أن النبي عليه الصلاة والسلام وضع قدميه عليها ليلة الاسراء والمعراج ولذا يسمى البناء قبة الصخرة ، وان كان يعرف أحيانا باسم جامع عمر ، لأن عمر بن الخطاب أقام في موضعه مصلى من الخشب قبل أن يقيم عبد الملك بن مروان على أنقاضه البناء الحالي •

وقد كان استخدام القباب معروفا عند الشرقيين قبل بناء قبة الصخرة كما كان في الشام كنائس ذات قباب فوق أبنية مثمنة الشكل • فليس غريبا أن يفكر عبد الملك بن مروان في أن يكون للمسلمين أبنية تضارعها في البهاء والعظمة • بيد أن اليعقوبي كتب في سبب بناء قبة الصخرة أن عبد الملك منع أهل الشام من الحج ، وذلك أن عبد الله بن الزبير كان يأخذهم اذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج الى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ! •• فقال هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن رسول الله قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس ـ وهو يقوم لكم مقام المسجد » وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد الى السماء تقوم لكم مقام الكعبة • فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة •

ومهما يكن من أمر فان بين التثمينتين الأولى والثانية رواقا ، وبين التثمينتين الثانية ودائرة القبة رواقا آخر ، وهما للصلاة والناس يمرون فيهما حول الصخرة • وهذه الصخرة غير منتظمة الشكل •

وقد كتب الأستاذ كريزول في « قبة الوافي » عن هذا البناء أن طول الصخرة ١٨ مترا من الشمال الى الجنوب وعرضها ١٣ مترا من الشرق الى الغرب وأقصى ارتفاع لها عن أرض البناء متر ونصف متر •

ومما تبدو فيه براعة المهندس الذي أشرف على بناء قبة الصخرة أنه عمل أن يكون في دائرة دعامات القبة لفت بسيط ، فتجنب بذلك أن تحجب الأعمدة الواقعة أمام الرائي للأعمدة الأخرى المقابلة لها في الطرف الآخر ، واستطاع من يدخل القبة في أي باب من أبوابها أن يرى جميع ما بها من الأعمدة والأكتاف ، سواء ما كان أمامه تماما وماكان في الجهة المقابلة ٠

أما الأقواس الداخلية في البناء فنصف دائرية ، ومثلها أقواس فتحات النوافذ ٠ والأعمدة المستخدمة فيه قد جلبت من أبنية قديمة فاختلفت في طراز أبدانها وتيجانها ، واستعملت الروابط الخشبية الضخمة لربط هذه التيجان بعضها ببعض لتزيد قوة احتمال الأقواس ومقاومتها لهزات الزلازل ٠ وكان الجانب الخارجي من جدران البناء مغطى بالفسيفساء التي استبدلت بها سنة ٩٥٢هـ ـ ١٠٤٥م على يد السلطان سليمان القانوني لوحات من القاشان ولاتزال غنية بزخارف الفسيفساء التي تزين كثيرا من أجزائها الداخلية ٠ وقوام هذه الزخارف رسوم الأشجار والفاكهة والأواني التي تخرج منها الفروع النباتية ، ورسوم الأهلة والنجوم ٠

وفي قبة الصخرة كتابة كوفية يبلغ طولها نحو ٢٤٠ مترا بالفص المذهب على أرض زرقاء داكنة من الزخارف الفسيفسائية التي تحلي الجزء العلوي من التثمينة الداخلية ، وقوام هذه الكتابة آيات قرآنية ، ولكنها تضم أيضا عبارة تشير الى تاريخ انشاء هذا البناء ونصها : « بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنتين وسبعين » ولكن اسم الخليفة المأمون والقابه مكتوبة بخط ضيق يخالف الخط المستعمل في سائر أجزاء الكتابة ، فضلا على أن سنة ٧٢ لا تقع في حكم المأمون ، بل في حكم عبد الملك بن مروان ، وهو الذي تنسب اليه المراجع التاريخية تشييد هذا البناء ٠ ويتبين من ذلك أن ثمة تغييرا قد حدث في هذه الكتابة في عهده ، ولكن الصانع فاته أن يغير التاريخ بعد أن غير الاسم ٠ ولا ريب في أن لقبة الصخرة مكانة ممتازة بين الأبنية الاسلامية ، بل أنها تفوق عند معظم مؤرخي الفنون سائر المباني الاسلامية في الجمال والفخامة والرونق وابداع الزخرفة ، وتمتاز عنها ببساطة التصميم وتناسق الأجزاء ودقة النسب البنائية ٠ ومع ذلك كله فان هذا الشكل المثمن لم يظهر ثانية في تصميم الجوامع الاسلامية ، وظلت قبة الصخرة فريدة في عمارتها ، لأن تصميمها كان ملائما كل الملاءمة ليحيط بالصخرة المقدسة في الحرم الشريف ٠ في حين كانت الجوامع المستطيلة ذات الصحن المفتوح أوفق للعبادة الاسلامية ، فاتخذها المسلمون واحتفظوا بها قرونا طويلة ٠ وطبيعي أن العناصر

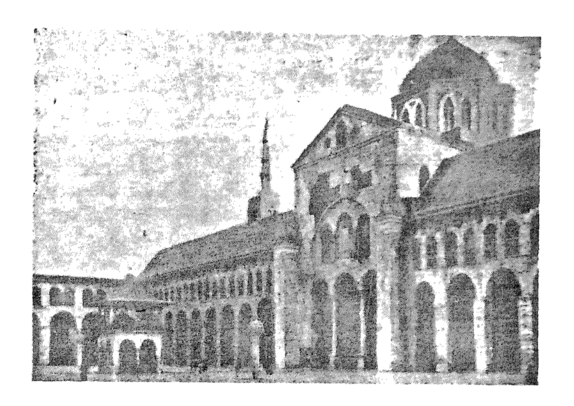
الفنية في قبة الصخرة تشهد بتأثر العمارة في فجر الاسلام بالأساليب الفنية التي كانت تسود في سورية وبيزنطة والدولة الرومانية ٠

أما المسجد الجامع في دمشق فقد شيده الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٨ و ٩٦هـ (٧٠٧/٧١٤م) واستقدم له الصناع والعمال من شتى البلاد الاسلامية ، بل روي أنه كتب الى ملك الروم يطلب منه أن يوجه اليه مائتي صانع من بلاده ، وأن ملك الروم أجابه الى ما طلب ٠

ويقوم هذا المسجد في منطقة مقدسة مكان معبد وثني قديم ، كان لها برج مربع في كل ركن من أركانها الأربعة ٠ وقد استعملها المسلمون للأذان ، ولاتزال احداها قائمة في الركن الجنوبي الغربي ، وقد كان في هذه المنطقة كنيسة قبل الفتح الاسلامي ، وهدمها الوليد وشيد الجامع لما يزعمه بعض مؤرخي الفنون من أن بيت الصلاة في المسجد الحالي هو كنيسة القديس يوحنا التي قسمها المسلمون بينهم وبين المسيحيين بعد فتح دمشق ٠

ويتألف المسجد من صحن كبير مستطيل الشكل وايوان رئيسي طوله ١٣٦ مترا وعمقه ٣٧ مترا ، وفي هذا الايوان ثلاث بلاطات أو أروقة أو ثلاثة صفوف من الطارات موازية للقبلة ومحمولة على أعمدة رخامية وفوقها أقواس أصغر منها ٠ وفي وسط هذه البلاطات أو الأروقة بلاطة مفتوحة تقسمها قسمين ، وتقوم فوقها قبة حجرية أضيفت في عصر متأخر وفي طرفها ، أي في وسط الجدار الجنوبي للايوان ، وارتفاع هذه البلاطات بأقواسها الكبرى والصغرى زهاء خمسة عشر مترا ، ولكن ارتفاع البلاطة المعترضة يصل الى ٣٣ مترا ٠ ولهذه الأروقة كلها أسقف على هيئة « الجملون » وتحيط بالصحن أروقة أخرى تحدها أقواس محمولة على دعائم ٠ وبعضها مدبب قليلا وبعضها يشبه حدوة الفرس ٠ وفوق هذه الأقواس أو العقود صف من النوافذ مستطيلة الشكل تقريبا ٠ ولكن جزءها العلوي نصف دائري ٠ وتقع كل نافذتين منها على عقد من العقود ٠ وفوق الأروقة الشمالية والجانبية سقف خشبي منحدر ٠

وقد كان المسجد في وقت من الأوقات مفروشا بالمرمر وكانت جدرانه مغطاة بلوحات من الرخام الى ارتفاع قامة الانسان ، وفوق هذه اللوحات زخارف من الفسيفساء الملونة والمذهبة ولايزال جزء كبير من هذه الفسيفساء باقيا في الرواق الغربي ٠



● واجهة الايوان الرئيسي في المسجد الجامع بدمشق ●

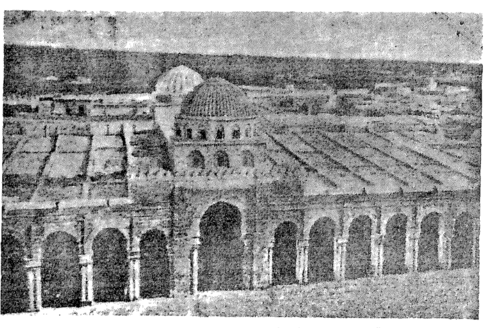
ومن المحتمل أن يكون تصميم الجامع الأموي متأثرا بنظام القصور البيزنطية ، وأن يكون الباعث على ادخال البلاطة المعترضة في هذا الرواق الرغبة في اظهار أهمية المحراب الذي تنتهي به هذه البلاطة ٠

وفي هذا الجامع بضع نوافذ من الرخام ، فيها أقدم نماذج من الزخارف الهندسية الاسلامية والحق أن هذا المسجد درة في تاج العمارة الاسلامية ، ولكن المقام لا يتسع للتفصيل في الكلام عليه ، فحسبنا أن نرجع الى ماكتبه الأستاذ كريزال في كتابه MUSLIM ARCHITECTURE وما جاء عنه في (مسالك الابصار) للعمري ٠

أما المسجد الأقصى في بيت المقدس فقد بني على يد عبـــد الملك بن مروان وأدخل فيه اذ ذاك بناء كنيسة قديمـــة وكان قوامه أروقة موازية للقبلة ، ويعترضها رواق عريض · ولكن الحق أن بناء هذا المسجد قد حدث فيه من التعديل والتجديد والزيادة منذ العصر العبـــاسي ما يجعلنا لا نعتبره مثالا صادقا للعمارة في الطراز الأموي ·

ومن المساجد التي تشبه في تخطيطها الجامع الأموي في دمشق جامع الزيتونة في تونس ومسجد سيدي عقبة في القيروان ، وقد بني الأول على يد ابن الحجاب عامل بني أمية سنة ١١٤هـ (٧٣٢م) ، ولكن أعيد بناؤه في عصر الدولة الأغلبية · وبوائك هذا الجامع قوامها أقواس مرتفعة ارتفاعا يقلل من جمالها وقائمة فوق عمد قديمة وفوق التيجان كتل خشبية يتصل بعضها ببعض بروابط خشبية ·

أما جامع القيروان فقد بدأ في بنائه عقبة بن نافع ســـنة ٦٠٨م ثم هدم وأعيد بناؤه نحو سنة ٧٦هـ ـ ٦٩٥م ثم زيد فيه بأمر الخليفة هشام ابن عبد الملك سنة ١٠٥هـ وجدد بعد ذلك وأضيفت اليـه بعض زيادات ولكن جزءا كبيرا في بنائه الحالي يرجع الى عصر هشام · وأعمدة هذا الجامع



● واجهة رواق القبلة في مسجد سيدي عقبة بالقيروان ●

وتيجانه مجلوبة من آثار قديمة ، وهو يمتاز بأقواسه وببلاطة معترضة في وسط ايوان القبلة تقوم فوقها قبتان ، كما يمتاز بمئذنته البرجية الشكل · والطابقان الأول والثاني في هذه المئذنة يرجعان الى عصر هشام ، أما الطابق العلوي فيرجح أنه أضيف اليها بعد القرن الخامس الهجري ·

ومن المباني الوثيقة الصلة بالطراز الأموي جامع قرطبة الذي بدأ تشييده سنة ١٦٩هـ (٧٨٥ ـ ٧٨٦م) ثم زيدت مساحته الى الضعف في القرن الرابع الهجري (١٠) م · وكان له رواق طويل يضم احدى عشرة بلاطة تفصلها بوائك قوام كل منها عشرون عمودا منقولة من المباني القديمة وكانت تعلو هذه العمد عقود على هيئة حدوة الفرس ، ولكن ارتفاعها كان لا يناسب مساحة الرواق فشيد صف ثان من العقود في مستوى أعلى من منسوب العقود الأولى ، وتصله بهذه العقود الأولى أعمدة صغيرة · ويمتاز هذا الجامع بقبلته المزينة بزخارف من الفسيفساء الجميلة ·

وهكذا نرى أن فن العمارة الاسلامية ولد في عصر بني أمية ، ولكنه نما وترعرع سريعا فكانت من آثار الطراز الأموي مبان يبدو فيها أن المسلمين أفادوا من فتوحاتهم ووجدوا كثيرا من العناصر الفنية في أجزاء دولتهم ، وألفوا منها طرازا ممتازا ·

أسماء المراجع :

١ ـ مذكرات دكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار جامعة القاهرة (المساجد في الاسلام) ·

٢ ـ زكي محمد حسن (الفن الاسلامي في مصر) ·

٣ ـ زكي محمد حسن (فنون الاسلام) ·

٤ ـ الفنون الاسلامية تأليف م·س· ديجان ـ ترجمة أحمد عيسى وتصدير أحمد فكري ·

٥ ـ خلاصة تاريخ الطرز الزخرفية والفنون الجميلة ـ أحمد أحمد يوسف ومحمد عزت مصطفى ·

الاقتصاد الإسلامي والاقتصاديات الوضعية السائدة دراسة مقارنة

د. محمد شوقي الفنجري

تمهيـــــد :

محاولة الكشف عن الاقتصاد الاسلامي في دراسة مقارنة ، هي في نظرنا دراســـة ضرورية وأساسية وذلك من عدة أوجه أهمها :

١ ـ الاحاطة الشاملة بماهية الاقتصاد الاســـلامي واستظهار أهم خصائصه •

٢ ـ الوقوف على حكم الاسلام بالنســـبة للمذاهب والنظم الاقتصادية السائدة •

٣ ـ الوقوف مقـــدما على رأي الاســـلام بالنسبة لمختلف المســـائل والمشـــكلات الاقتصـــادية المعاصرة •

ومن خلال هذه الدراسة المقارنة ، نستطيع أن ندرك بحق روعة الاقتصاد الاســـلامي ، وأن نستشعر بعمق قيمته الكبرى ومدى حاجتنا الملحة بل حاجة العالم أجمع في الالتزام به •

وفي رأينا أنه يمكن رد الاقتصاد الاسلامي وسياسته المتميزة الى ثلاثة أركان أو خصائص رئيسية ، تعالج كل منها في مطلب مستقل على الوجـه الآتي : ـ

المطلب الأول : الجمع بين الثبات والتطور ، أو خاصة المذهب والنظام •

المطلب الثاني : الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة ، أو خاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة •

المطلب الثالث : الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية ، أو خاصة الاحساس بالله تعالى ومراقبته في كل نشاط اقتصادي •

المطلب الأول

الجمع بين الثبات والتطور

أو

خاصة المذهب والنظام

الاقتصاد الاسلامي هو اقتصاد « الهي » من حيث أصوله « ووضعي » من حيث تطبيقه • ومؤدى ذلك أنه « اقتصاد ثابت » ، وهو في نفس الوقت « اقتصاد متطور » •

(أ) **فهو اقتصاد ثابت :** وذلك من حيث أصوله الاقتصادية التي وردت في نصوص القرآن والسنة ، مما سبق بيانه بمقالنا السابق بمجلة الدارة (١) ، فهذه الأصول أو المبادىء الاقتصادية الاسلامية غير قابلة للتغيير أو التبديل ، ويخضع لها المسلمون في كل زمان ومكان ، بغض النظر عن تطور المجتمع من حيث تقدمه أو تخلفه ، وبغض النظر عن أدوات وأشكال الانتاج السائدة في المجتمع ، وهو ماعبرت عنه بالاصطلاح (المذهب الاقتصادي الاسلامي) (٢) •

(ب) **وهو اقتصاد متطور :** وذلك من حيث تفاصيل تطبيق هذه الأصول بما يتلاءم وظروف الزمان والمكان • ومن ثم تتعدد أو تختلف التطبيقات الاقتصادية الاسلامية باختلاف المجتمعات ، وهو ماعبرت عنه باصطلاح (النظام أو النظم الاقتصادية الاسلامية) •

ونخلص من ذلك الى ثلاث حقائق رئيسية :

١ ـ الاقتصاد الاسلامي هو : اقتصاد « الهي » من حيث المذهب « ووضعي » من حيث النظام •

٢ ـ المذهب الاقتصادي الاسلامي ، صـــالح لكل زمان ومكان ، فلا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة ·

٣ ـ النظام الاقتصادي الاسلامي ، يختلف باختلاف الزمان والمكان ، فلا يقتصر على صورة تطبيقية معينة ·

ونوضح ماتقدم باختصار فيما يلي :

أولا : الاقتصاد الاسلامي هو اقتصاد « الهي »

من حيث المذهب أو الأيديولوجية « ووضعي » من حيث النظــام أو التطبيق

فالأصول أو المبادىء الاقتصادية الاسلامية والتي عبر عنها باصطلاح « المذهب الاقتصادي الاسلامي » ، انما يستدل عليها مباشرة من نصوص القرآن والسنة ، كمبدأ اقرار الملكية الخاصة وحمايتها الى أقصى الحـدود من واقع آيات وأحاديث الملكية والميراث وحد السرقة . ومبدأ ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل مواطن من واقع آيات وأحاديث الزكاة التي تمثل في الاسلام مؤسسة الضمان الاجتماعي بالتعبير الحـــديث . ومبدأ حفظ التوازن الاقتصادي بين أفراد المجتمع من قوله تعالى (كي لا يكون دوله بين الأغنياء منكم) (٣) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام (تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) (٤) ·

وقد جاءت نصوص القرآن والسنة في المجال الاقتصـــادي محدودة وعامة ، ومن ثم فقد استلزم الاسلام الاجتهاد في اعمالها وملاءمة تطبيقها باختلاف ظروف الزمان والمكان ، وهو ما عبرنا عنه باصطلاح « النظـــام أو النظم الاقتصادية الاسلامية » · كاجتهاد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه باعتبار الأراضي المفتوحة بالشـــام والعراق في حـــكم « الملكية الجماعية » ورفضه اعتبارها في حكم الغنيمة توزع على الفاتحين . وذلك على أساس أن النص القرآني بشأن الغنيمة لا يطبق الا بالنسبة للأموال المنقولة وليس بالنسبة للأموال العقارية التي هي حق المجتمع والأجيال السابقة (٥) · وكاجتهاد العالم الاسلامي ابن حزم من حيث اعتبار الأرض لمن يزرعها وأن خير الأرض لا يكون الا للعاملين عليهـــا أو المشتركين في غنمها وغرسها بالمزارعة ، بحيث لا يجوز عنده كراء الأرض أو تأجيرها على خلاف ما ذهب اليه ويقرره جمهور الفقهاء بشأن جواز التأجير ، مفسرين

الحديث النبوي بهذا الخصوص (من كان له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكريها) بأنه تشريع خاص وضع لظروف معينة وليس بتشريع عام يسري في جميع الأصول (٦) وكاجتهاد الامام ابن حزم وشيخ الاسلام ابن تيمية في كيفية تطبيق المبدأ الاقتصادي الاسلامي بشأن ضمان حد الكفاية لكل مواطن (٧) ·

وجدير بالذكر أن الاجتهادات أو التطبيقات الاقتصادية الاسلامية في صورة أنظمة أو نظريات اقتصادية اسلامية ، وان كانت « وضعية » باعتبار جهود الأئمة في استنباطها أو استقرائها ، الا أن مرجعها ومصدرها هو الله تعالى ، فعمل الباحث في الاقتصاد الاسلامي على نحو ما أوضحناه بمقالنا السابق بمجلة الدارة هو تطبيقي لا انشائي ، ذلك لأنه لا ينشىء ولا يثبت حكما من عنده ، وانما هو يظهر ويكشف حكم الله في المسألة المطروحة ، وذلك حسب ظنه واعتقاده ·

وانه لما كانت حياة كل مذهب ، هي في تطبيقاته ، فقد حث الاسلام على الاجتهاد وكافأ عليه ، حتى جعل للمجتهد أجرين ان أصاب وأجر ان أخطأ وهو أجر اجتهاده · بل لقد ذهب الاسلام أكثر من ذلك ، فاعتبر الاجتهاد هو مصدره الثاني بعد القرآن والسنة · ولاشك أن أكبر ضربة وجهها المسلمون أنفسهم الى الاسلام ، هو قفل باب الاجتهاد منذ أواخر القرن الرابع الهجري ، فمنذ ذلك الحين توقفت الدراسات الشرعية وتجمدت التطبيقات الاسلامية عند مرحلة تاريخية معينة · ومن ثم كان الادعاء الظالم بأن الاقتصاد الاسلامي هو اقتصاد بدائي لا يتناسب والقرن العشرين ، والعيب مرجعه الى قصورنا عن الاجتهاد في اعمال المبادىء والأصول الاقتصادية التي وردت بنصوص القرآن والسنة بما يتلاءم وظروف كل زمان ومكان (٨) ·

حقا قد لا توفق بعض الاجتهادات الشرعية ، فلا يكون سبيل ابطالها التنديد بقائليها أو تجريحهم ، وانما مقارعتها بالحجة من ذات نصوص القرآن والسنة واظهار فسادها بالطرق الشرعية المقررة من قياس واستحسان واستصلاح واستصحاب · ويظل المعول عليه دائما هو ما تتبناه السلطة الشرعية في البلاد ، وهو مايتعين أن تتضافر كافة الجهود لتأييده ان كان صحيحا وتصويبه ان كان فاسدا ·

ثانيا : المذهب الاقتصادي الاسلامي ، صالح لكل زمان ومكان ، ولا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة

فالمذهب الاقتصادي الاسلامي بأصوله وسياسته الالهية ، صالح لكل زمان ومكان ٠ ولا يعني ذلك كما ادعى البعض أن الاقتصاد الاسلامي يجمد النشاط الاقتصادي عند مرحلة تاريخية معينة ، هي المرحلة الاقتصادية البدائية التي ظهر فيها منذ أربعة عشر قرنا ، بحيث لا يصلح لعصر اليوم عصر الفضاء والذرة ٠ كما لا يعني كما ادعى البعض الآخر ، أن يضع قيودا على العقل تحدد من حركته ٠ ذلك كله منتف ، متى لاحظنا أمرين أساسيين :

أولها : ان هذه الأصول أو المبادىء الاقتصادية الاسلامية ، قليلة ومحدودة وجاءت عامة وكلية لا تتعرض للتفاصيل ٠ وقد قررها الاسلام كخاتم الأديان لتكون دليل الانسانية للحركة المتطورة نحو أهدافها ٠ فهي ليست الا نورا يستضىء به العقل عند تفكيره ، وليست في النهاية الا معالم وخطوطا عريضة تصل بالفرد والمجتمع الى سعادة الدنيا والآخرة ٠

ثانيها : ان هذه الأصول أو المبادىء الاقتصادية الاسلامية ، لا تتعلق الا بالحاجات الأساسية اللازمة لكل فرد أو مجتمع ، بغض النظر عن درجة تطوره أو مدى النشاط الاقتصادي أو نوعية أدوات ووسائل الانتاج ٠

وعليه فان المذهب الاقتصادي الاسلامي لا يرتبط بمرحلة تاريخية معينة أو أشكال بذاتها للانتاج ٠ وتعتبر هذه النقطة في نظر بعض الباحثين في الاقتصاد الاسلامي كالأستاذ المرحوم الدكتور عبد الله العربي وفضيلة الأستاذ محمد باقر الصدر هي أحد مراكز الاختلاف الرئيسية بين الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد الماركسي ، اذ يقرر الاقتصاد الماركسي الصلة الحتمية بين تطوير أدوات الانتاج والحياة الاجتماعية ، مدعيا أنه من المستحيل أن يحتفظ مذهب اقتصادي بوجوده على مر الزمن أو أمر بصلح للحياة الانسانية في مراحل متعددة ٠ « ولقد تحدى الواقع الاسلامي الذي عاشته الانسانية في عهدها المجيد منطق الماركسية التاريخي وحساباتها المادية ، اذ لم يكن هذا الواقع الانقلابي الذي خلق أمة وعدل من سير التاريخ وليد أسلوب جديد في الانتاج أو تغير في أشكاله وقواه » (٩) ٠

ثالثا : النظام الاقتصادي الاسلامي ، يختلف باختلاف الزمان والمكان ، ولا يقتصر على صـــورة تطبيقيـــة معينـــة

فليس في الاقتصاد الاسلامي نظام معين يلتزم به كل مجتمع اسلامي · بل بالعكس ينبغي أن تتعدد التطبيقات الاقتصادية الاسلامية بحسب ظروف كل مجتمع ، وذلك في اطار مبادىء وسياسة الاسلام الاقتصادية ·

ومن هنا ندرك خطــأ الكثيرين حين ينادون بالعودة الى النظـــام الاقتصادي أيام الخلفاء الراشدين · ذلك أن هذا النظـام ليس الا مجرد نموذج لتطبيق اسلامي · حقا قد يكون التطبيق الاقتصادي الاسلامي في عهد الخلفاء الراشدين هو تطبيق نموذجي لمبادىء الاسلام وأصوله الاقتصادية ، ولكنه تطبيق نموذجي حسب ظروف ذلك العصــر ، وأنه بعد أن اتســـع النشاط الاقتصادي وتنوعت صوره وتشابكت المصـــالح المادية وتعقدت الحياة الاجتماعية ، فقد لا يصلح هذا النموذج الاقتصادي ليحــكم مجتمعنا الاسلامي المعاصر · وان الاقتصاديين المسلمين مطالبون دائما بايجاد الصيغة الملائمة لكل مجتمع لاعمال المبادىء والأصول الاقتصادية الاسلامية (١٠) ·

ومن هنا ندرك أيضا خطأ بعض المجتمعات الاسلامية حين نتصور أن الاقتصاد الذي نتبعه هو ـ دون غيره ـ التعبير الحقيقي عن الاسلام · ذلك أن تعدد التطبيقات الاقتصادية هو من لوازم المذهب الاقتصادي الاسلامي · وذلك بسبب اختلاف ظروف كل مجتمع ، ويكون الحكم على تطبيق اقتصادي معين بأنه اسلامي مرده مدى الالتزام بأصول الاسلام وسياسته الاقتصادية ·

على أنه مهما تعددت النماذج أو التطبيقات الاقتصـــادية الاسلامية ومهما اتسع الخلاف بينها ، فهو اختلاف في الفروع والتفاصيل لا في المبادىء والأصول اذ كلها تستمد من معين واحــد ، هو نصوص القرآن والسنة · ومن هنا كان الحديث النبوي (اختلاف علماء أمتي رحمة) (١١) ، وهو ما عبر عنه شيخ الاسلام ابن تيمية أدق تعبير بقوله انه (اختلاف تنوع لا اختلاف قضاء) (١٢) ·

وعليه فقد يتوسع أحد المجتمعات الاسلامية في الملـــكية العامة على حساب الملكية الخاصة ، فلا يتحـــول الى مجتمع اشتراكي يدور في فلك المعسكر الشرقي ، كما قد يضيق آخر من الملكية العامة لحساب الملــكية الخاصة ، فلا يتحول الى مجتمع رأسمالي يدور في فلك المعسكر الغربي ·

ولكن يظل الاقتصاد في كلا المجتمعين اسلاميا طالما لم يخرج عن المبدأ الاقتصادي الاسلامي من حيث الابقاء على الملكيتين الخاصة والعامة ، وما الخلاف بينهما الا خلاف تطبيق بحسب ظروف الزمان والمكان ٠

المطلب الثاني

الجمع بين المصلحتين الخاصة والعامة
أو
خاصة التوفيق والموازنة بين المصالح المتضاربة

يهدف كل « مذهب » أو « نظام » اجتماعي أو اقتصادي الى تحقيق المصلحة بجلب النفع ودفع الضرر ٠ ولكن المصلحة قد تكون خاصة أو عامة ، وقد تتعارضان ٠ ومن هنا تختلف المذاهب والنظم الاجتماعية والاقتصادية بحسب سياستها من هاتين المصلحتين :

(أ) **فبعضها كالمذهب الفردي :** والنظم المتفرعة عنه كالراسمالية ، تجعل الفرد هدفها فنهتم بمصلحته أولا وتقدمه على المجتمع ٠

(ب) وبعضها كالمذهب الجماعي : والنظم المتفرعة عنه كالاشتراكية ، تجعل المجتمع هدفها فتهتم بمصلحته أولا وتقدمه على الفرد ٠

(جـ) وينفرد الاسلام منذ البداية : بمذهبية اقتصادية متميزة ، لا ترتكز أساسا على الفرد شأن المذهب الفردي والنظم المتفرعة عنه ، ولا على المجتمع فحسب شأن المذهب الجماعي والنظم المتفرعة عنه ، وانما قوامها التوفيق والمواءمة والموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع ٠ وهو ما قد يعبر عنه بأنه أيديولوجية أو مذهبية وسط أخذا من قوله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (١٣) ، وقوله صلى الله عليه وسلم (اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو) (١٤) ٠

ويهمنا هنا أن نبين أن هذه الوسطية والتي تعني الاعتدال والملاءمة ، ليست وسطية حسابية مطلقة في كافة نواحي الحياة ، بل هي وسطية اجتماعية نسبية ٠ اذ الاعتدال وهو سمة الاسلام وأسلوبه في كافة نواحي الحياة ، لا يمكن أن يوضع في قالب جامد أو صيغة محددة ، ولكنه أمر اجتهادي يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان ٠

غير أنه في الظروف الاستثنائية أو غير العادية كحالات الحروب أو المجاعات أو الأوبئة ، حيث يتعذر التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة فانه باجماع تضحي المصلحة الخاصة من أجل المصلحة العامة ٠ تلك المصلحة الأخيرة التي هي حق الله تعالى الذي يعلو فوق كل الحقوق ٠

ونخلص من ذلك الى ثلاثة حقائق رئيسية :

١ ـ مناط الاقتصاد الاسلامي هو المصلحة ٠

٢ ـ التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في حالة التعارض ٠

٣ ـ تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة في حالة عدم امكان التوفيق ٠

ونوضح ماتقدم باختصار فيما يلي :

أولا : مناط الاقتصاد الاسلامي هو المصلحة

فالاقتصاد الاسلامي ، شأن الاسلام كله ، مناطه هو المصلحة ، وقد عبر عن ذلك الاصوليون أي علماء أصول الفقه الاسلامي بقولهم (حيث وجدت المصلحة فثمة شرع الله) ٠ وبقول فضيلة أستاذنا المرحوم الشيخ عبد الوهاب خلاف في كتابه السياسة الشرعية (انما تربط جميع الأحكام بالمصالح اذ الغاية منها جلب المنافع ودرء المفاسد ، حتى أن الرسول كان ينهى عن الشيء لمصلحة تقتضيه ثم يبيحه اذا تغيرت الحال وصارت المصلحة الى اباحته ٠٠ فغاية الشرع هو المصلحة ، والسبيل الى تحقيق المصالح حيث لا نص من قرآن أو سنة هو اجتهاد الرأي) (١٥) ٠

وتحقيق المصالح يختلف باختلاف الظروف ، فما يعتبر مصلحة في ظروف معينة ، لا يعتبر كذلك في ظروف أخرى ٠ وفي هذا المعنى يقول الامام الشاطبي في كتابه الموافقات (ان الشأن في معظم المنافع والمضار أن تكون اضافية لا حقيقية ، فهي منافع ومضار في حال دون حال ، وبالنسبة الى شخص دون شخص ، أو وقت دون وقت (١٦) ٠

وترتب المصالح التي يقصدها الشارع بحسب أهميتها ، فيقدم ما هو ضروري على ما هو حاجي ، ويقدم ما هو حاجي على ما هو تحسيني ٠ بل ان الضرورات ليست في مرتبة واحدة ، فلا يراعي ضرورة اذا كان في مراعاته اخلال بضروري أهم منه ، وبالمثل ، الحاجيات والتحسينات ٠ ومن ثم فقد أبيح شرب الخمر اذا اضطر اليها كظمأ شديد محافظة على النفس ولم يراع حفظ العقل ، لأن حفظ النفس ضروري أهم من ضرورة حفظ العقل ٠ وأبيح كشف العورة اذا اقتضى هذا علاج طبي لأن ستر العورة تحسيني والعلاج ضروري ٠

ولعل ذلك هو السبب في معاداة الاسلام لحياة الترف أو الرفاهية المغالى فيها ، لا سيما حين لا تتوافر للبعض الضرورات الأساسية ٠ وهو ما كان دائما الخليفة عمر بن الخطاب مرددا قوله تعالى (وبئر معطلة وقصر مشيد) (١٧) ٠

ثانيا : التوفيق بين
مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة في حالة التعارض

(أ) الاقتصاد الرأسمالي : يجعل الفرد هـدفه فيهتم بمصلحته أولا ويقدمه على المجتمع · ومن ثم فهو يمنحه الحرية الكاملة في ممارسة النشاط الاقتصادي وفي التملك واستعمال الملكية · وهو يبرر ذلك بأنه حين يرعى مصلحة الفرد وحدها انما يحقق بطريقة غير مباشرة مصـــلحة الجماعة ، اذ ليس المجتمع الا مجموعة أفراد مجتمعين ·

واذا كانت هذه السياسة الاقتصادية قد أدت الى مزايا أهمها : اطلاق الباعث الشخصي والمبادرة الفردية وبواعث الرقي ، فضـــلا عن انطلاق النشاط الاقتصادي وتعدده وسرعة نموه · الا أنها أدت الى مساوىء أهمها : اتجاه النشاط الاقتصادي الى تحقيق أكبر قدر من الربح بغض النظر عن الحاجات العامة الأساسية ، وانتشار البطالة والأزمات الاقتصادية ، فضلا عن أن أفراد المجتمع ليسوا على درجة واحدة من الكفاية أو الذكاء أو القدرة مما أدى الى سيطرة الأقوياء واستئثار الأقليــة بخيرات المجتمع ، وبالتالي ســوء توزيع الثروة أو الدخل وتفاقم ظاهرة التفـــاوت والصراع بين الطبقات ·

(ب) أما الاقتصاد الاشتراكي : فهو يجعل المجتمع هدفه فيهتم بمصلحته أولا ويقدمه على الفرد · ومن ثم تدخلت الدولة في كل نشـاط اقتصــادي ومنعت الملكية الخاصة لوسائل الانتـاج · وهو يبرر ذلك بأنه حين يرعى مصلحة المجتمع وحدها انما يحقق بطريقة غير مباشرة مصلحة الفرد ، اذ الفرد لا يعيش الا في مجتمع وأن قيمته هي بحسب قيمة مجتمعه وأن تقدمه وتفتح ملكاته هي بحسب درجة نمو هذا المجتمع وتطوره ·

واذا كانت هذه السياسة الاقتصادية الاشتراكية قد أدت الى مزايـا أهمها : ضمان اشباع الحاجات العامة وتنظيم الانتاج وتلافي البطالة والأزمات الاقتصادية ، فضلا عن رعاية مصلحة الأغلبية العاملة ومعالجة سوء توزيع الثروة · الا أنها أدت الى مساوىء أهمها : ضـــعف الحوافز الشخصية والمبادرات الفردية وبواعث الرقي الاقتصادي ، فضلا عن الضغوط المختلفة والتعقيدات الادارية وتحكم البيروقراطية وضياع الحرية الشخصية التي هي جوهر الحياة الانسانية ·

(ج) أما الاقتصاد الاسلامي : فان له سياسته المتميزة التي لا ترتكز أساسا على الفرد شأن الاقتصاد الرأسمالي ، ولا على المجتمع شأن الاقتصاد

الاشتراكي ، وانما هي ترعى المصلحتين الخاصة والعامة وتحاول المواءمة بينهما • وأساس ذلك عنده هو أن كلا المصلحتين الخاصة والعامة يكمل كلاهما الآخر ، وفي حماية أحدها حماية للآخر • ومن ثم كفل الاسلام كافة المصالح الخاصة والعامة ، وحقق مزايا رعاية كل منهما ، وخلص من مساوىء اهدار أحدهما •

فقوام المذهبية (الايديولوجية) الاقتصادية الاسلامية هو حفظ التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة • وهذا ماعبرت عنه الآية الكريمة بقوله تعالى : (لا تظلمون ولا تظلمون) (١٨) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (لا ضرر ولا ضرار) (١٩) • وقد أعطانا الرسول صلى الله عليه وسلم صورة بسيطة ولكنها عميقة المعنى في التوفيق بين المصلحتين الخاصة والعامة بقوله : (ان قوما ركبوا سفينة فاقتسموا ، فصار لكل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأسه ، فقالوا له ماذا تصنع ، قال هذا مكاني أصنع فيه ما أشاء ، فان أخذوا على يده نجا ونجوا ، وان تركوه هلك وهلكوا) (٢٠) •

وتطبيقا لذلك فان الحلول الاقتصادية الاسلامية تتميز عن غيرها من الحلول الرأسمالية أو الاشتراكية ، بأنها ثمرة التوفيق بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة • ويظهر أثر ذلك عند مقارنة كيفية معالجة الاقتصاد الاسلامي وغيره من الاقتصاديات الوضعية السائدة رأسمالية كانت أو اشتراكية ، لمختلف القضايا والمشكلات الاقتصادية من انتاج وتوزيع وتنمية ومدى الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي ، مما لا يتسع نطاق هذا البحث لبيانه ويرجع فيه الباحث الراغب في المزيد والتفاصيل الى مؤلفنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامي) •

وجدير بالذكر أنه من الخطأ الكبير محاولة الحاق الاقتصاد الاسلامي بأحد الاقتصاديين السائدين الرأسمالي أو الاشتراكي ، أو تصور الايديولوجية (المذهبية) الاقتصادية الاسلامية بأنها مزاج مركب بين الفردية (الرأسمالية) وبين الجماعية (الاشتراكية) تأخذ من كل منهما جانبا • وانما هو اقتصاد متميز ، له أيديولوجية اقتصادية منفردة تقوم على مفاهيم مختلفة عن تلك التي تقوم عليها الرأسمالية أو الاشتراكية • واذا كان في المذهبية الاقتصادية الاسلامية « فردية » ، فهي فردية تختلف عن كل فردية الرأسمالية ، أو لا تذهب الى اقرار الحرية المطلقة للفرد في النشاط الاقتصادي وفي استعمال الملكية • واذا كان في هذه المذهبية « جماعية » ، فهي جماعية تختلف عن جماعية الاشتراكية ، أو لا تسلم

بحق الدولة المطلق في التدخل في النشاط الاقتصادي أو الحد من الملكية الخاصة • ولا توصف الحلول الاقتصادية لمختلف مشكلات العصر بأنها اسلامية الا بقدر ما تحقق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة مواءمة بينهما دون اهدار أحدهما •

حقا قد يتداخل الاقتصاد الاسلامي مع غيره من المذاهب والنظم الاقتصادية الوضعية ، وقد تتفجر بعض الحلول أو التطبيقات الاقتصادية الاسلامية مع غيرها من الحلول الرأسمالية أو الاشتراكية • فلا يعني ذلك اقتباس الاقتصاد الاسلامي من غيره ، طالما الثابت أن هذا التداخل أو التوافق عارض وفي التفاصيل ، بحيث يظل الاقتصاد الاسلامي متميزا بسياسته المنفردة وتظل حلوله متميزة بأصولها الخاصة (٢١) •

ثالثا : تقديم المصلحة العامة على مصلحة الفرد في حالة عدم امكان التوفيق

واذا كان قوام أيديولوجية الاسلام الاقتصادية هي التوفيق أو الموازنة أو الملاءمة بين المصلحتين الخاصة والعامة ، الا أنه اذا تعذرت هذه الملاءمة لظروف غير عادية كحالة الحرب أو المجاعات أو الأوبئة ، فانه بالاجماع يضحى بالمصلحة الخاصة وتقدم المصلحة العامة باعتبارها حق الله تعالى الذي يعلو فوق كل الحقوق • وهذا ما يعبر عنه الأصوليون بقولهم (يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام) ، أو قولهم (بتحمل الضرر الأدنى لدفع الأعلى) ، أو قولهم (اذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما) •

ولا شك أنه في مثل هذه الأحوال الاستثنائية وهي حالات الحروب والمجاعات والأوبئة ، قد يتجاوز التطبيق الاقتصادي الاسلامي أكثر المذاهب والنظم الجماعية تطرفا • وليس معنى ذلك أن الاسلام يتفق مع هذه المذاهب والنظم ، طالما الثابت أن مثل هذا الحل لا يكون الا في الظروف غير العادية ، أي لا يلجأ اليه الا استثناء وكعلاج مؤقت وبقدر الضرورة •

وعليه فاننا نرى أنه في المجتمعات الفقيرة التي يغلب على أفرادها الضياع والحرمان ، لا يجوز لمسلم أن يحصل على أكثر من كفايته ، ويتعين على الدولة الاسلامية أن تتدخل لتأخذ من فضول الأغنياء بالقدر الذي يوفر لكل مواطن حد الكفاية ، وانه متى توافر حد الكفاية لكل مواطن في المجتمع الاسلامي ، فانه طبقا للحديث النبوي : (لا بأس بالغنى لمن اتقى) (٢٢) •

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نفهم وأن نحدد نطاق الآيــة الكريمة : (يسألونك ماذا ينفقون ، قل العفو) (٢٣) ، والعفو هنا هو الفضل وكل مازاد عن الحاجة ٠ وكذلك قول الرسول عليه السلام في حالة سفر : (من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) (٢٤) ، ويضيف الرواة أن الرسول عليه السلام ذكر من أصناف المال ماذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ٠ وقول عمر بن الخطاب عام المجاعة : لو لم أجد للناس مايسعهم الا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسموهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بالحياة ، لفعلت فانهم لن يهلكوا على أنصاف بطونهم) (٢٥) ٠ ونستطيع أيضا أن ندرك ماهية تلك الاجراءات الخاصة التي أقرها جمهور الفقهاء لنزع الملكية الخاصة لتوسيع المساجد أو للمنفعة العامة ، وكتسعير الخليفة عمر بن الخطاب لبعض السلع ومصادرته لصالح بيت المال كل زيادة غير معقولة في أموال ولاته بما فيهم سعد بن أبي وقاص بطل القادسية وخال الرسول عليه السلام وأبو هريرة صاحب الرسول والمحدث المشهور (٢٦) ، وماذهب اليه الامام مالك بأنه (يجب على الناس فداء أسراهم وان استغرق ذلك أموالهم (٢٧) ، وماذهب اليــه الامام ابن حزم بأنه (اذا مات رجل جوعا في بلد اعتبر أهـــله قتلة وأخذت منهم دية القتيـــل) (٢٨) ، ومانهب اليه الامام الشاطبي بأنه (اذا خلا بيت المــــال وارتفعت حاجات الجند الى ما لا يكفيهم ، فللامام اذا كان عدلا أن يوظف على الأغنيـــاء – أي يفرض عليهم ضرائب – مايراه كافيا لهم في الحال الى أن يظهر مال في بيت المال ٠٠٠ ووجه المصلحة هنا ظاهر بأنه لو لم يفعل الامام ذلك بطلت شوكته وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار) (٢٩) ٠

المطلب الثالث

الجمع بين المصالح المادية والحاجات الروحية
أو
خاصة الاحساس بالله تعالى ومراقبته في مباشرة النشاط الاقتصادي

في كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، فردية كانت أو جماعية ، يقتصر النشاط الاقتصادي على تحقيق المصالح المادية سواء كانت هذه المصالح المادية هي تحقيق أكبر قدر من الربح كما هو الشأن في الاقتصاد الرأســـمالي ، أو اشباع الحاجات العامة وتحقيق الرخاء المادي كما هو الشأن في الاقتصاد الاشتراكي ٠ فالنشاط الاقتصادي ذو صبغة مادية بحتـــة ، وان اختلفت صورته باختلاف النظام المطبق رأسماليا كان هذا النظام أو اشتراكيا .

أما في الاقتصاد الاسلامي ، فان النشاط الاقتصادي وان كان ماديا بطبيعته ، الا أنه مطبوع بطابع ديني أو روحي · هذا الطابع قوامه الاحساس بالله تعالى وخشيته وابتغاء مرضاته · وأساس ذلك أنه بحسب الاسلام لا يتعامل الناس بعضهم مع بعض فحسب ، وانما يتعاملون أساسا مع الله تعالى · فاذا كانت الاقتصاديات الوضعية تقوم على أساس المادة ، وهي وحدها التي تصوغ علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، فان الأساس في الاقتصاد الاسلامي هو الله سبحانه وتعالى وأن خشيته وابتغاء مرضاته والتزام تعاليمه هي التي تصوغ علاقات الأفراد بعضهم ببعض ·

ويترتب على هذه الخاصة الثالثة للاقتصاد الاسلامي ، والتي تقوم على أساس الاحساس بالله تعالى ومراقبته في كل نشاط اقتصادي ، عدة آثار ينفرد بها هذا الاقتصاد نجملها فيما يلي :

١ ــ الطابع الايماني والروحي للنشاط الاقتصادي ·
٢ ــ ازدواج الرقابة وشمولها ·
٣ ــ تسامي هدف النشاط الاقتصادي ·

ونوضح ماتقدم باختصار فيما يلي : ·

أولا : الطابع الايماني والروحي للنشاط الاقتصادي

في ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، رأسمالية كانت أو اشتراكية ، لا يتجاوز النشاط الاقتصادي حدود المادة · وخطأ هذه النظم أنها تصورت الانسان مادة فحسب ، وأن حقيقة العالم تنحصر في ماديته ، وأن الكسب المادي أو الكفاية المادية هي كل حياة البشر · ومن ثم كان هذا الفراغ الروحي أو ذاك الافلاس النفسي الذي تعانيه المجتمعات التي تدين بهذه النظم · وكلنا يعلم أن الدول الاسكندنافية ، وهي من أكثر وأسبق دول العالم في التقدم المادي ، تنتشر فيها ظاهرة الانتحار ·

أما الاقتصاد الاسلامي ، فانه الى جانب ايمانه بالعامل المادي ، وأن النشاط الاقتصادي لا يمكن الا أن يكون ماديا ، الا أنه لا يغفل الجانب الروحي في الكيان البشري · وكل مايفعله الاسلام بهذا الخصوص ، هو أن يتجه المرء بنشاطه الاقتصادي الى الله تعالى ابتغاء مرضاته وخشيته · اذ يقول الله تعالى : (لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (٣٠) ، ويقول الرسول عليه السلام : (ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ماكان

خالصا وابتغى به وجهه) (٣١) ، اذ الأمر كما يقول الحديث النبوي : (انما الأعمال بالنيات) (٣٢) ، وهو ماعبر عنه الاصـــوليون بقولهم : (الأمور بمقاصدها) ٠

ولا شك أن هذا التوجه بالنشاط الاقتصادي الى الله تعـــالى ، ليس مقصورا لذاته ، فالله تعالى لا ينفعه ولا يضيره أن يتجه اليه الناس بنشاطهم الاقتصادي أو لا يتجهون (ان الله لغني عن العالمين) (٣٣) ٠ وانما قيمة هذا التوجه أنه حماية للفرد من نفســـه (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون) (٣٤) ، وهو صمام أمان لسلامة النشاط الاقتصادي بل هو الوسيلة الفعالة لصلاح الفرد والمجتمع (وذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون) (٣٥) ٠ وصـــدق الله العظيم : (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغني الحميد) (٣٦) ، وقوله تعالى : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن ينـــاله التقوى منكم) (٣٧) ٠

ومؤدى ذلك أن ثمة عاملا مميزا في الاقتصاد الاسلامي ، هو الاتجاه بالنشاط الاقتصادي الى الله سبحانه وتعالى ، مما يضفي على ذلك النشاط الطابع الايماني والروحي ، وشعور الرضا والاطمئنان ٠ وهنا تبرز نقطة هامة كثيرا ما تدق على الكثيرين ومنهم المتخصصين ، وهي أن الاسلام لايعرف الفصل بين ما هو مادي وما هو روحي ، ولا يفرق بين ما هو دنيوي وما هو أخروي ٠ فكل نشاط مادي أو دنيوي ، هو في نظر الاسلام عبادة ، طالما كان مشروعا وكان يتجه به الى الله تعالى ٠ فليس صحيحا أن هناك صراعا بين الدين والدنيا ، أو أن هناك مجالا لكل من النشاط الدنيوي والنشـــاط الأخروي ، فالاسلام لا يعترف بهذا الفصل الميتافيزيقي بين الحاجات المادية أو الروحية ، وذلك التمييز المصطنع بين الأنشطة الدنيـوية أو الأخروية الا على أساس مشروعية العمل وابتغاء وجه الله ٠ ويحكي أن بعض الصحابة رأى شابا قويا يسرع الى عمله فقال بعضهم (لو كان هذا في سبيل الله) فرد الرسول عليه السلام : (لا تقولوا هذا ، فانه ان كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على أبوين شـــيخين كبيرين فهو في سبيل الله ، وان كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وان كان خرج رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان) (٣٨) ٠

أكثر من ذلك فان علامة الايمان الصحيح في الاسلام ، هو العمـــل النافع الذي يعود بالصالح على المجتمع ٠ فالله سبحانه وتعالى يقـــول : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـــون) (٣٩) ، ويقـــول

(لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) (٤٠) • ويردد الرسول عليه السلام أن السبيل الفعال للتقرب الى الله تعالى والفوز برضاه هو بمحبة عباده ومساعدتهم وان (منزلتك عند الله بقدر منزلتك عند النـــاس) وان : (أحب النـــاس الى الله أنفعهم للناس) (٤١) • وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله تعالى فقال له الرسول عليه السلام (لا تفعل فان مقام أحدكم في سبيل الله – أي في سبيل المجتمع – أفضل من صلاته في بيته سبعين عاما) (٤٢) • فالايمان في الاســـلام ليس ايمانا مجردا ABSTRAIT ولكنه ايمان محـــدد GONCRET مرتبط بالعمل والانتاج ، ومرتبـــط بالعدل وحسن التوزيع ، ويرتبط بحسن المعاملة ومد يد المعونة للغير ، أي مرده في النهاية نفع المجتمع • ومن ثم كان تأكيد الرسول عليه السلام بأن (رهبانية الاسلام هي الجهاد في سبيل الله) ، أي في سبيل المجتمع ، مجتمع المتقين الذي هو مجتمع الانتاج والخدمات •

فالروحانية في الاسلام هي العمل الصالح بابتغاء وجه الله تعالى • ورحم الله عمر بن الخطاب حين كان يردد : (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة) •

ثانيا : ازدواج الرقابة وشمولها

في ظل النظم الاقتصادية الوضعية ، الرقابة في مباشرة النشـــاط الاقتصادي هي أساسا رقابة خارجية مناطها القانونية •

وفي ظل الاقتصاد الاســـلامي ، فانه الى جانب رقابة القـــانون أو الشريعة ، يحرص في نفس الوقت على اقامة رقابة أخرى ذاتية أساسها عقيدة الايمان بالله وحساب اليوم الآخر • ولا شـــك أن في ذلك ضمانة قوية لسلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادي ، لشـــعور الفرد المؤمن بأنه اذا اســـتطاع أن يفلت من رقابة ومســـاءلة القانون أو الشريعة ، فانه لن يستطيع أن يفلت من رقابة ومساءلة الله تعالى • ومن هنا كان أساس المسئولية في الاسلام : (أن اعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك) (٤٣) • وكان تأكيد الرسول عليه السلام بأنه : (لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يســـرق السارق حـــين يسرق وهو مؤمن) (٤٤) •

ومؤدى ذلك أن ثمة عاملا مميزا في الاقتصاد الاسلامي ، هو اعتداده بالوازع الديني في توجيه النشاط الاقتصادي باستشعار المسلم رقابة الله.

تعالى في كل تصرف من تصرفاته ومسئوليته عنه ، بحيث يلتزم المسلم تعاليم الاسلام الاقتصادية تلقائيا بباعث العقيدة والايمان ، أي عن رغبة واختيار بغير حاجة الى سلطان لانفاذه • وهذا بعكس ما هو سائد في النظم الاقتصادية الوضعية حيث لا تهتم بل ينكر بعضها الوازع الديني في توجيه النشاط الاقتصادي • ويبدو أثر ذلك في محاولة الكثيرين في كل هذه النظم التهرب من التزاماتهم أو الانحراف بنشاطهم الاقتصادي كلما غفلت عين الدولة أو عجزت أجهزتها عن رقابتهم ومساءلتهم •

ثالثا : تسامي هدف النشاط الاقتصادي

في كافة النظم الاقتصادية الوضعية ، المصالح المادية سواء كانت في صورة تحقيق أكبر قدر من الربح (كالنظم الفردية أو الرأسمالية) أو تحقيق الكفاية والرخاء المادي (كالنظم الجماعية أو الاشتراكية) ، هي مقصودة لذاتها ، وقد أدى ذلك الى هذا الصراع المادي المسعور الذي تعاني منه المجتمعات الرأسمالية ، والى اتجاه التحكم والسيطرة الذي هو طابع المجتمعات الاشتراكية • وأنه رغم ما حققه الاقتصاد المادي السائد في العالم ، رأسماليا كان أو اشتراكيا ، من مكاسب ورخاء مادي ، الا أن هذه المكاسب وذلك الرخاء أصبح هو في ذاته مهددا بالضياع بحكم هذا الصراع العنيف الدائر بين ذات هذه النظم الاقتصادية المادية ، طالما أن المادة فيها مقصودة لذاتها •

وفي الاقتصاد الاسلامي ، المصالح المادية وان كانت مستهدفة ومقصودة ، الا أنها ليست مقصودة لذاتها لقوله تعالى : (أما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) (٤٥) وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم) (٤٦) ، وانما كوسيلة لتحقيق الفلاح والسعادة الانسانية • ذلك أنه بحسب التصور الاسلامي ، الدنيا هي مزرعة الآخرة ، والانسان هو خليفة الله في أرضه (اني جاعل في الأرض خليفة) (٤٧) ، وأنه مطالب دائما بأن يرتفع الى مستوى الخلافة بتعمير الدنيا واحيائها وتسخير طاقاتها لخدمة الأجيال البشرية بقوله تعالى : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها) (٤٨) أي كلفكم بعمارتها ، وقوله تعالى : (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه) (٤٩) فالمال في الاسلام ليس غاية في ذاته ، والمسلم اذا كان مكلفا بطلب المال وتثميره وتنميته ، فهو لا يطلبه لذاته وانما باعتباره وسيلته الفعالة في رحلته الى الله تعالى : (يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه) (٥٠) وقوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) (٥١) • وقول

الرسول عليه الصلاة والسلام : (نعم المال الصالح للعبد الصالح) (٥٢) ، وصدق الرسول الكريم (ان الدنيا حلوة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون) (٥٣) ٠ بل لقد ذهب الرسول عليه السلام في تصويره لحرص الاسلام على الانتاج والتعمير قوله : (اذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة ـ أي شتلة ـ فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها ، فليغرسها فله بذلك أجر) (٥٤) ٠

ومؤدى ذلك أن ثمة عاملا مميزا في الاقتصاد الاسلامي ، هو أن المادة وان كانت مطلوبة ، الا أنها ليست مقصودة لذاتها ٠ كما أن الهدف من النشاط الاقتصادي هو تعمير الدنيا واحياؤها وأن ينعم الجميع بخيراتها ، وليس هو التحكم أو السيطرة الاقتصادية أو استئثار فئة أو دول معينة بخيرات الدنيا كما هو الشأن في كافة الاقتصاديات الوضعية السائدة رأسمالية كانت أو اشتراكية ٠

١ ـ انظر مقالنا السابق بمجلة الدارة (نحو اقتصاد اسلامي : المنهج والمفهوم) ، والمنشور بعددها الصادر في ربيع ثان سنة ١٣٩٨ ص ١٨٤ ومابعدها ٠

٢ ـ انظر بحثنا المعنون (المذهب الاقتصادي في الاسلام) ، والمقدم للمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الاسلامي والمنعقد بمكة المكرمة في الفترة من ٢١ الى ٢٦ صفر ١٣٩٦هـ الموافق ٢١ الى ٢٦ فبراير سنة ١٩٧٦ ٠

٣ ـ سورة الحشر ، الآية رقم ٧ ٠

٤ ـ رواه البخاري ومسلم ٠

٥ ـ انظر بحثنا باللغة الفرنسية عن الملكية في الاسلام ، والمنشور بمجلة مصر المعاصرة العدد ٢٣١ السنة ٥٩ يناير سنة ١٩٦٨م والمعنون

La Propriété En Islam

٦ ـ انظر مؤلف فضيلة الاستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عن الامام ابن حزم ، طبعة ١٩٥٤م ص ٥١١ وما بعدها ٠

٧ ـ انظر بحثنا المنشور بمجلة ادارة قضايا الحكومة بالقاهرة سنة ١٩٦٧ بعنوان (ذاتية الاسلام) ٠

٨ ـ انظر بحثنا بالفرنسية في موضوع مشكلة تخلف العالم الاسلامي

Probléme de la Décadence de monde Musulman

والمنشور سنة ١٩٦٩ بمجلة القانون والاقتصاد التي يصدرها أساتذة كلية الحقوق بجامعة القاهرة ٠

٩ ـ انظر فضيلة الاستاذ محمد باقر الصدر في كتابه اقتصادنا ص ٢٩٦ من الطبعة الثالثة دار الفكر ببيروت سنة ١٩٦٩ ، وانظر أيضا الدكتور محمد عبد الله العربي في بحثه الاقتصاد الاسلامي والاقتصاد المعاصر ص ٣٠١ من كتاب مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية الصادر في أكتوبر ١٩٦٦ ٠

١٠ ـ انظر كتابنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامي) ، طبعة سنة ١٩٧٢ ، لناشره دار النهضة العربية بالقاهرة ، ص ١٣ ٠

١١ ـ انظر الجامع الصغير للسيوطي ٠

١٢ ـ انظر فتاوى ابن تيمية جزء ٦ ص ٥٨ وجزء ١٣ ص ٣٤ ٠

١٣ ـ سورة البقرة ، الآية رقم ١٣٤ ٠

١٤ ـ انظر مسند الامام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ شاكر ، الجزء ١٥ تحت رقم ٣٢٤٨ ٠

١٥ ـ انظر فضيلة الشيخ عبد الوهاب خلاف ، في كتابه السياسة الشرعية ، طبعة القاهرة المطبعة السلفية سنة ١٣٥٠هـ ، ص ٦ ، ٧ ٠

١٦ ـ انظر الموافقات للامام الشاطبي الجزء الثاني ٢٠٩ و ٢٤١ و ٢٦٨ و ٣٠٦ ٠

١٧ ـ سورة الحج الآية رقم ٤٥ ٠

ويرجع في شرح ذلك الى الدكتور سليمان الطماوي ، في كتابه عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة ، الطبعة الاولى سنة ١٩٦٩ ، لناشره دار الفكر العربي ، ص ٤٩٤ ٠

١٨ ـ سورة البقرة الآية ٢٧٨ ٠

١٩ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ٠

٢٠ ـ البخاري والترمذي ٠

٢١ ـ انظر كتابنا (المدخل الى الاقتصاد الاسلامي) ، طبعة ١٩٧٢ لناشرة دار النهضة العربية القاهرة ، ص ١٧٤ ٠

٢٢ ـ رواه الحاكم في المستدرك ٠

٢٣ ـ سورة البقرة ، الآية ٢١٩ ٠

٢٤ ـ رواه مسلم ٠

٢٥ ـ انظر الدكتور سليمان الطماوي ، عمر بن الخطاب وأصول السياسة والادارة الحديثة ، مرجع سابق ٠

٢٦ ـ انظر الدكتور سليمان الطماوي ، مرجع سابق ٠

٢٧ ـ انظر تفسير الامام القرطبي لآية (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) ٠

٢٨ ـ انظر الداعية الاسلامي الشيخ محمد الغزالي ، في كتابه الاسلام والأوضاع الاقتصادية ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٢ ، ص ١٢٠ ٠

٢٩ ـ انظر كتاب الاعتصام للامام الشافعي ، جزء ٢ ، ص ٢٩٥ ٠

٣٠ ـ سورة الحشر ، الآية رقم (١٩) ٠

٣١ ـ أخرجه أبو داود والنسائي ٠

٣٢ ـ أخرجه البخاري ومسلم ٠

٣٣ ـ سورة العنكبوت ، الآية رقم (٦) ٠

٣٤ ـ سورة النمل ، الآية رقم (٤) ٠

٣٥ ـ سورة الروم ، الآية رقم (٣٨) ٠

٣٦ ـ سورة فاطر ، الآية رقم (١٥) ٠

٣٧ ـ سورة الحج ، الآية رقم (٣٧) ٠

٣٨ ـ انظر الامام السيوطي في الجامع الصغير ٠

٣٩ ـ سورة التوبة ، الآية رقم ١٠٥ ٠

٤٠ ـ سورة النساء ، الآية رقم (١١٤) ٠

٤١ ـ الحاكم في المستدرك ٠

٤٢ ـ الحاكم في المستدرك ٠

٤٣ ـ انظر مسند الامام أحمد بن حنبل ، تحقيق الشيخ شاكر ، الجزء التاسع تحت رقم ٦١٦٥ ٠

٤٤ ـ أخرجه البخاري ومسلم ٠

٤٥ ـ سورة النازعات ، الآية من (٣٧) الى (٣٩) ٠

٤٦ ـ أخرجه الشيخان البخاري ومسلم ٠

٤٧ ـ سورة البقرة ، الآية (٣) ٠

٤٨ ـ سورة هود ، الآية (٦١) ٠

٤٩ ـ سورة الجاثية ، الآية (١٣) ٠

٥٠ ـ سورة الانشقاق ، الآية (٦) ٠

٥١ ـ رواه أحمد والطبراني ٠

٥٢ ـ رواه أحمد والطبراني ٠

٥٣ ـ المستدرك للحاكم ٠

٥٤ ـ أخرجه البخاري وأحمد بن حنبل ٠







في هـذا الباب تقدم المجلة نوعيات مختلفة تتعلق بتاريخنا وتراثنا ، ولغتنا الجميلة .. وكل ما يتصل بتلك النوعيات مـن جوانب أدبيـة وفكرية وفنية .

ولقد حرصنا عليها لنتابع مـن خلالها كافـة الجوانب الاخبارية لموضوعات تخصصنا، وتعـد أيضا معلومات مبسطة نقدمها دائما في هذا الباب من كل عدد .

يكتبه : علي عيسى أبو حسين

مجلس التعاون الخليجي :

تم انعقاد مجلس التعاون الخليجي في أبو ظبي في الفترة ما بين ٢٢ ــ ٢٣ رجب ١٤٠١هـ الموافق ٢٦ ــ ٢٧ مايو ١٩٨١م. بقيادة أصحاب الجلالة والسمو ملوك وأمراء دول الخليج العربية الست وهي المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان ٠

وقد تم الاعداد لهذا المجلس ــ باجتماع مسبق لوزراء خارجية دول الخليج لمراجعة النظام الأساسي لمجلس التعاون الخليجي في صورته النهائية وأنظمة ولوائح المجلس الأخرى التي تحدد أهداف المجلس واطاره التعاوني تمهيدا لرفعها الى قادة الدول الست لاقراره ٠

وتتمثل أنظمة المجلس فيمايلي :

١ ــ النظام الأساسي لمجلس التعاون ٠

٢ ــ النظام الداخلي للمجلس الأعلى لمجلس التعاون ٠

٣ ــ النظام الداخلي للمجلس الوزاري ٠

٤ ــ النظام الأساسي لهيئة تسوية المنازعات التابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون الخليجي ٠

٥ ــ النظام الداخلي للأمانة العامة لمجلس التعاون ٠

والمجلس في مضمونه يهدف الى تحقيق التعاون الاقتصادي والتجاري والاجتماعي بين دول المنطقة بالاضافة الى فتح مجالات أوسع أمام العمل العربي المشترك الذي تعضده العلاقات القوية والسمات المشتركة بين دول الخليج ــ والمجلس في حد ذاته ما هو الا ترسيخ لأسس هذه العلاقات القائمة بين شعوب هذه الدول للنظر الى المستقبل بما يحقق التناسق الكامل فيما بينها ٠ على أساس من العمل المشترك المثمر الغير موجه ضد أحد وانما هدفه الأساسي هو رفاهية واستقرار وأمن جميع دول المنطقة ٠

ويعتبر مجلس التعاون الاطار الأمثل للتعاون بين دول المنطقة في سبيل ابعادها عن مجالات الصراع الدولية وبقائها في أمن وسلام ــ وقد كتلت الجهود ليكون المجلس قوة تضاف الى قوة المجموعة العربية ٠ والأساس الصحيح والقانوني في علاقات دول المنطقة مع كل الأطراف لتحديد مواقع الخطر وكيفية

مواجهتهـا سياسيا واقتصـــاديا واجتماعيا ٠

ومع وجود مجلس التعـاون الخليجي فانه يمكن حل المشاكل التي تتعرض لها المنطقة وتحقيق كل الآمال التي تصبو اليهـا ٠ مثال ذلك السعي الى الحفاظ على أمن مضـــيق هرمز الممر المائي الحيوي بالنسبة لدول المنطقة ، واتمام جهود لجنـــة المساعي الحميدة لانهاء المشكلة الايرانية العراقية وايجـــاد حل مرض وعادل يحفظ الحقوق الوطنيـة للطرفين ويعـــود بالخـــير والاستقرار على منطقـة الخليج مشيرا الى أن هذه الجهـــود تشكل أرضية أساسية في سبيل حل النزاع القائم ٠

وفي اطار التعاون والتكامل الاقتصادي ، العمـــل على خلق « السوق الخليجية » ووضـــع خطط متكاملة التنســـيق بين المشروعات المشـــتركة وخلق قطـــاعات انتاجية خليجيـــة بامكانها فرض رسوم جمركيـة على انتاجها لحمايته من المنافسة الأجنبية ، كما أن بامكانها أن تمنح اعفاءات ومزايا جمركية لهذه المنتجات من أجل تشجيعها .

وبعد فان هذا المجلس خطوة هامة في طريق الوحدة العربية وهي خطوة كان لابد أن تتم بين هذه المجموعة من الدول العربية لما يجمعها من ظروف سـياسية واقتصادية واجتماعية وجغرافية متشابهة ومتجاورة ٠ فمنذ أن بدأت هـــذه المنطقة تكتسـب أهميتها الاقتصادية عنـدما بدأ ظهور النفط وتبدت أهميتـــه الحيوية في تطـــور هذه الدول ونمـــوها ٠ لذلك تأتي ولادة مجلس التعـــاون لدول الخليج ولادة طبيعيـــة تماما ٠ فمعظم المجالات التي أشار اليها البيان التأسيسي لهـــذا المجلس أن هناك تعاون قائم في المنطقـــة بالفعل بين دولهـــا الست منذ سـنوات طويلة ، فالمجلس يأتي اذن كاطار عام وشامل لوحدات عمل تتعاون وتنسق حتى قبل قيامه وذلك حتى يتم تنظيم كل هذه الجهود ويتم وضع سـليم للأولويات وحتى يتخذ التعاون مفهوما أشمل ٠٠ وهذه الشمولية تعطي هذه الخطـــوة المباركة مدلولها كخطوة توحيـــدية في جوهرها ٠٠ حققت بلا شـــك أحلاما خليجية وعربيـــة طالما انتظرناها ، وبدايـــة عمليـة لتطلعاتنا وطموحاتنا نحو وحدة عربية شاملة ٠

وقد أعلن قادة المجلس بيانهم الختامي الذي علق عليه جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز المفدى

بقوله أن البيـــان شامل وواضح وهو يحمل كل الخير لهذه المنطقة بمشيئة الله ٠

ويعتبر البيان وثيقة تاريخية لا لمنطقـــــة الخليج بل للأمة العربية التي تسعى الى الوحدة منذ أكثر من ثلاثين عاما ٠ وان على العالم أجمع أن يعرف من الآن أن ثمة قوة رئيسية جديدة لا تنافر فيها ولاشطط قد برزت على السياسة العـــالمية تفرض نفسها كواقع معترف به ٠

ويمكن ايجاز ما توصل اليه المجلس فيما يلي : ـ

- اتفاق القـــادة على انشاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وقاموا بالتوقيع على النظام الأساسي للمجلس الذي يتخذ مدينة الرياض مقرا له ٠ وان هذا النظام الأساسي يهدف الى تطوير التعاون بين دول المجلس ٠

- انشاء المشاريع المشـــتركة ووضع أنظمة ممـــاثلة في جميع الميادين الاقتصــادية والثقـــافية والاعلامية والاجتماعيـــة والتشريعية بما يخدم مصـــالحها ٠٠ ويقوي قدرتها على التمسك بعقيدتها وقيمها ٠

- أكد الزعماء أن أمن المنطقة واســـتقرارها انما هـــو مسئولية شعوبها ودولهـــا وان المجلس انما يعبر عن ارادة هذه الدول في الدفاع عن أمنهـــا وصـــيانة استقلالها ٠

- الرفض المطـــلق لأي تدخل أجنبي في المنطقة مهما كان مصدره وابعاد المنطقة عن الصراعات الدولية خاصـــة تواجد الأساطيل العسكرية والقواعد الأجنبية ٠

- ضمان الاستقرار في الخليج يرتبط بتحقيق الســلام في الشرق الأوسط الأمر الذي يؤكد على ضـــرورة حـــل قضية فلسطين حـــلا عادلا يؤمن الحقـــوق المشروعة للشـــعب الفلســـطيني والانسحاب الاسرائيلي من جميع الأراضي العربيـــة المحتلة وفي طليعتها القدس الشريف ٠

- وأكدوا مجـــددا وقوفهم بجانب ســوريا ومساندتهم الكاملة لها وناقشوا بروح من المسئولية القومية تمادي اسرائيل في انتهاك ســيادة واستقلال لبنان وبذل المزيد من الجهـــود لوقف الحرب

العراقية الايرانية وايجاد تسوية نهائية للنزاع وتأكيد دعم منظمة المؤتمر والاسلامي في جهودها في هذا الشأن ·

وقرروا عقد الاجتماع الثاني لزعماء دول المجلس في الرياض في محرم ١٤٠٢هـ تلبية منهم لدعوة من جلالة الملك خالد باستضافة هذا الاجتماع ·

أما ورقة العمل حول العمل الخليجي المشترك فجاء فيها ·

- أن ظهور مجلس التعاون الى الوجود يعني استجابة للواقع التاريخي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والاستراتيجي الذي مرت وتمر به منطقة الخليج العربي ·

- ان العمل المشترك بين دول الخليج يتجه نحو الوحدات السياسية والاقتصادية الكبيرة حفاظا على الاستقرار والأمن والتقدم وسد الثغرات التي وقعت فيها كثير من الدول في مناطق أخرى من العالم ·

- وضع خطط اندماجية في المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لمواجهة التحديات الخارجية .

أصداء عربية وعالمية حول مجلس التعاون الخليجي : –

جامعة الدول العربية :

مجلس التعاون ترجمة لتوحيد الجهود التي تخدم الهدف القومي ·

الفهد : مجلس التعاون الخلجيي مؤشر خير يدعونا للتفاؤل ·

قطر : مجلس التعاون الخليجي ليؤكد ما يربط بين الدول الست الأعضاء من سمات في العقيدة ووحدة الهدف والتكامل ·

اتحاد الغرف التجارية الخليجية : مجلس التعاون الخليجي سيحل المشاكل التي تعيق تكاملنا الاقتصادي ·

دولة الامارات العربية المتحدة : مجلس التعاون الخليجي ـ بداية لطموحاتنا في الوحدة العربية ·

الأردن : مجلس التعاون يمكن دول الخليج من الوقوف بحزم ضد التهديدات ·

الصومال : مجلس التعاون خطوة موفقة لاستقرار دول المنطقة وأمنها ٠

وزير الدفاع البريطاني : بريطانيا ترحب بقيام مجلس التعاون الخليجي وتحرص على توثيق علاقاتها مع دول المنطقة ٠

وزير الصناعة السويدي : مجلس التعاون الخليجي أكبر ضمان ضد التدخل الأجنبي في المنطقة ٠

ندوة المائدة المستديرة :

بتوجيه مباشر من صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء عقدت ندوة المائدة المستديرة بالرياض في الفترة من ٢ـ٤ جمادى الأول ١٤٠١هـ الموافق ٨ـ١٠ مارس ١٩٨١م ـ والتي تنظمها وزارة المالية والاقتصاد الوطني بالتعاون مع جمعية رجال الأعمال الدولية ٠ وهي الأولى من نوعها التي تعقد في العاصمة السعودية وتشترك فيها المنظمات والمؤسسات التي تضم أضخم شركات الاستثمار الاقتصادي في العالم ويمثلها مائة وثمانون من رؤساء أهم مائة شركة عالمية في اثنتين وثلاثين دولة ٠ بالاضافة الى أربعين شركة سعودية والتي تمثل في مجموعها قوة الاستثمار الرئيسية للنمو الاقتصادي في العالم ٠

وتأتي هذه الندوة تأكيدا جديدا على مكانة المملكة وأهمية دورها البارز على مختلف الأصعدة الدولية ، واعترافا بما أنجزته خلال خطتها التنموية الثانية التي لفتت أنظار الجميع الى حقيقة وحجم مايحدث في أرضها من بناء للانسان السعودي وتحقيق متطلباته ٠

وقد تبدت الضرورة لعقد مثل هذه الندوة لحرص القيادة السعودية على التنمية وتحقيق برامج وفق متطلبات المملكة حسب التغييرات الاقتصادية التي حدثت في السنوات العشر الماضية حيث أن التنمية في المملكة مبنية على الدور البارز للقطاع الحكومي والدعم الكبير للقطاع الخاص ٠

ويتضح دور الحكومة في التنمية لعدة أسباب :

أولا : الثروة النفطية والدخل الكبير العائد منها وضرورة توجيه القدرات المالية التوجيه السليم ٠

ثانيا : لكون المملكة أكبر قطاع موظف للموارد البشرية فقد تمكنت من اختيار طرق أفضل لتنمية واستخدام القوى البشرية ٠

ثالثا : قدرتها على تحديد الأولويات وتوجيه الموارد نحو تلك المشاريع التي لا يستطيع القطاع الخاص القيام بها مثل مشاريع البنية الأساسية ودور الحكومة في هذه الحالة يعتبر دورا مؤقتا اذ سوف يبيع جزء من حصة الحكومة للقطاع الخاص والمحصلة لكل ذلك نمو حقيقي للدخل الوطني ٠

وتهدف هذه الندوة الى زيادة التعاون بين المملكة وبين أبرز المنظمات والمؤسسات العالمية ذات التخصص في شئون التنميات الاقتصادية زراعيا وصناعيا ٠٠ تلك المنظمات والمؤسسات ذات الثقل الراجح في النشاط الاقتصادي من حيث الامكانات المالية والقدرات التقنية والخبرات الفنية ٠٠ حيث اتجهت أنظارها جميعا صوب المملكة تتطلع الى فرص التعاون معها والاستثمار الناجح المثمر في مشروعاتها الانمائية المتزايدة والمتجددة بقدر ماتتزايد مطالب التطور وبقدر ماتتجدد آفاق الطموح الى الرقي الحضاري وبقدر ماتستجيب القيادة السعودية لتلك المطالب التي من شأنها تحقيق التقدم الاقتصادي زراعيا وصناعيا وما يصاحب ذلك من تطور اجتماعي ٠

كما تهدف الندوة الى توضيح سياسة المملكة وحجم اقتصادها وخصوصا مايتعلق بأهداف الخطة الخمسية الثالثة للتنمية الاقتصادية للمملكة وهذا التوضيح سيفيد الشركات العالمية الاستثمارية المختلفة في الوقوف على نمط الحياة في المملكة وعلى قوانينها الاقتصادية وطبيعة مجالات وفرص الاستثمارات العالمية فيها وحجم الأعمال والمشروعات المطروحة للتنفيذ حتى تكون هذه الشركات على بينة كاملة ومحيطة بكل الأمور التي تساعدها على تنفيذ ماسوف تقوم به من أعمال ، وبحث الصناعات التي تحتاجها المملكة كالصناعات البتروكيماوية والمتطلبات والتكنولوجيا المتقدمة اللازمة لها ٠

كما تمت دراسة سياسة تدريب السعوديين ليكونوا كوادر قيادية تتولى الادارة والأشغال في المشاريع بقصد التقليل من الاعتماد على الأيدي الأجنبية ٠

وقد نوقشت الصعوبات التي تعترض نمو الاقتصاد السعودي في مجال الزراعة والصناعة ومستقبل الريال السعودي على أن يصبح عملة دولية بجانب العملات العالمية الأخرى ٠

وقد تم ايجاد الصيغة الملائمة لقيام هذا التعاون المستمر بين المسئولين في المملكة والمسئولين في الشركات العالمية وكذلك بحث أفضل الوسائل لنقل التكنولوجيا المتقدمة الى المملكة باعتبارها من دول العالم الثالث النامية ٠

اصدارات جديدة للدارة

(ثمرات الدارة)

دليل دارة الملك عبد العزيز

الاصدار رقم (١٩) في سلسلة « مطبوعات دارة الملك عبد العزيز » يقع في حوالي ٨٠ صفحة ، وقد طبع على ورق مصقول محلى بالرسوم والخرائط واللوحات ٠

أول ما يطالع القارىء في صفحاته الأولى صورا لكل من جلالة الملك عبد العزيز ، وجلالة الملك فيصل ، رحمهما الله ، ثم جلالة الملك خالد بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمين الأمير فهد بن عبد العزيز ، وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ٠٠ أمد الله في عمرهم ٠

يلي ذلك كلمة معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي ورئيس مجلس ادارة دارة الملك عبد العزيز ، ثم كلمة الأمين العام لدارة الملك عبد العزيز سعادة الشيخ عبد الملك بن عبد الله آل الشيخ .

ثم توالي صفحات الكتاب بعد ذلك عرض أنشطة الدارة في مجال البحوث والترجمة والنشر، والوثائق والمخطوطات ، والمكتبة ، والتصوير والرسم ، والمتاحف والجوائز والمسابقات ، والندوات والمؤتمرات والمجلة ٠

وقد صدر هذا الكتيب الاعلامي تعبيرا عن اهتمامات الدارة في مجال تاريخ وجغرافية المملكة وآثارها العمرانية والفكرية ، وعن تاريخ الملك عبد العزيز بصفة خاصة ، وتاريخ الجزيرة العربية والعالم الاسلامي بصفة عامة ٠

كتاب « انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية » طبعة ثانية ـ الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٠

أصدرت الدارة طبعة ثانية من هذا الكتاب الذي سبق أن ظهرت طبعته الأولى عام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م ، والذي ألفه الأستاذ محمد كمال جمعة الباحث بالدارة ، واذا كانت الطبعة الأولى قد وقعت في ٢٥٣ صفحة فان الطبعة الثانية تقع في ٤٠٧ صفحات ٠

ففي الطبعة الثانية أعاد المؤلف صياغة القسم الخاص بأندونيسيا في الفصل الثالث عن « حركات دينية أقامت دولا على أسس قريبة من دعوة الشيخ » ، كما أنه اضاف شيئا عن المغرب الأقصى في الفصل الثامن وعنوانه « مصلحون تأثروا بدعوة الشيخ » ٠ وثمة اضافة هامة هي القائمة الببليوجرافية لأهم المراجع التي تهم الباحثين في الدعوة وتاريخها حيث تضمنت معلومات قيمة عن نحو مائة وخمسين مرجعا عربيا وانجليزيا ٠

كتاب « مكة في عصر ما قبل الاسلام » طبعة ثانية ـ الرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م ٠

صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب عن دارة الملك عبد العزيز ، لمؤلفه الأستاذ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ـ الباحث بالدارة ٠ وقد وقعت هذه الطبعة في حوالي ٢٣٠ صفحة ، وفيها اضافة تناولت مراحل تطور تجديد وتوسعة المسجد الحرام في عصور التاريخ المختلفة ابتداء من عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ووصولا الى عهد الملك عبد العزيز رحمه الله ٠

وجدير بالذكر أن الطبعة الأولى لهذا الكتاب قد صدرت في عام ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م بالرياض ، وتقع في حوالي ٢٢٠ صفحة ، وهي تضم فصولا ستة تناولت المباحث التالية :

- الجزيرة العربية قبل ظهور الاسلام ٠
- نشأة مكة قبل ظهور الاسلام ٠
- البيئة الدينية ـ الحياة الاقتصادية ـ الحياة

الاجتماعية ، ثم الحركة الفكرية .

ولقد بلغت المراجع والمصادر التي استفاد منها الباحث مائة وعشرة .

قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبد العزيز عن الجزيرة العربية .

أصدرت ادارة المكتبات بالدارة قائمة للتعريف بما تحتويه المكتبة من الكتب والمراجع التي تدور حول الجزيرة العربية ودولها ، مما يوفر للباحث والقارىء وقتا وجهدا كبيرين في البحث عن الكتاب . واشتملت هذه القائمة على ٨٦٧ عنوانا رتبت موضوعيا وفق أقسام خطة تصنيف ديوي العشري جاءت على النحو التالي :

٩٤ عنوانا في المعارف العامة ، ١٥ عنوانا في الفلسفة ، ٨٠ عنوانا في الدين الاسلامي ، ١٠٦ في العلوم الاجتماعية ، ٤٠ عنوانا في اللغات ، ٤٢ عنوانا في العلوم البحتة والتطبيقية والفنون ، ٧٦ عنوانا في الأدب ، ٤١٤ عنوانا في التاريخ والجغرافيا والرحلات والتراجم .

ثم هناك كشاف المؤلف ، فكشاف العنوان حسب ترتيب الحروف الهجائية .

طبعت هذه القائمة في كتاب بعنوان « قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية» وتقع في ٢٧٨ صفحة وهو الكتاب رقم «١٨» من مطبوعات الدارة .

دليل اللدويات بالمكتبة :

« دليل الدوريات بالمكتبة » وقد اشتمل هذا الدليل على البيانات الببليوجرافية لـ ١٠٢ دورية باللغة العربية و ٢٩ دورية بلغات أجنبية ، رتبت هجائيا وفق عناوين الدوريات . ويتضمن الوصف الببليوجرافي لكل دورية ما يلي :

١ ـ عنوان الدورية .

٢ ـ بداية اصدارها .

٣ ـ مكان النشر .

٤ ـ الناشر .

٥ ـ عدد مرات الصدور .

٦ ـ رقم التصنيف .

٧ ـ المجموعات الموجودة بالمكتبة .

كما اشتمل الدليل على كشاف برؤوس موضـــوعات مختارة أدرج تحت كل منها أســـماء الدوريات التي تتصل به ٠

وقد صدر هذا الدليـــل مرة عام ١٤٠١ في ٧٥ ص من القطع المتوسط وهو الكتـــاب رقم ١٥ من مطبـــــوعات دارة الملـــك عبد العزيز ٠

اسـهام الدارة في المؤتمرات والندوات بالمملكة

الدارة تشــــارك في ندوة المدينة العربية :



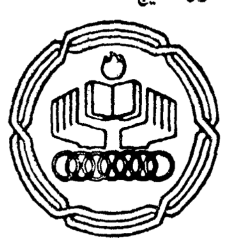
عقدت في المدينـــــة المنورة « ندوة المدينـــة العربيـــــة ، خصائصها وتراثهـــا الحضاري الاسلامي » في الفتـــــرة من ٢٤ ـ ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠١هـ باشراف المعهد العربي لانمـــاء المدن المنبثق عن منظمة المـــدن العربية وقد اشترك في هـــذه الندوة ممثلون عن المدن العربية والاسلامية والهيئات العلميـــة والمنظمات الدولية بالاضافة الى نخبة من العلماء والمتخصصين من جميع أنحاء العالم وذلك لمناقشة النظريات والمبـــادىء وتبـــادل الآراء التي تتعلق بموضـــوعات الندوة بأمل الوصـــول الى آفاق جديدة من المفاهيم التي يمكن أن تساعد على ايجاد الحلول الملائمة لتطوير وانماء المدينة العربيـــة والحفـــاظ على فن العمـــارة الاسلامية ٠٠ ولقـــد وجهت الدعوة للدارة للاشتراك في هذه الندوة وقد مثلها الأستاذ عبد الله حمد الحقيل مدير عـــام الادارة الفنيـــــة بالدارة حيث ألقى محاضرة موضوعها « العلاقة بين التراث الحضاري الاسلامي ونمو المدينة العربية » ٠

ولقد أشاد سمو أمير المدينـــة المنورة بهذه النـــدوة ودعا الى الاهتمام بمقومات المدينة العربية الاسلامية والحفـــاظ على الدين والقيم والعـــــادات والتراث الاسلامي وطابعنــــا الحضاري الاسلامي كما أشاد سمو وزير الشئوية البـــــلدية والقروية ورئيس مجلس أمنـــاء المعهـــد العربي لانماء المدن بهذه الندوة

حيث قال سموه « ان علينا في هذا الوقت والعالم العربي في صحوة حضارية جديدة أن نقف وقفة تأمل وتعلم حتى نضمن الحفاظ على هذا التراث الحضاري الفريد في وجه حملات التغريب والتشكيك وضمانا لاستمرارية ثقافية في حياتنا اليومية أفرادا وجماعات كما نوه سموه بأن المملكة وهي من أول دول العالم من حيث النمو العمراني ترى دائما أهمية الحفاظ على التراث الأصيل والتوفيق مع متطلبات التجديد » .

وقد أنهت الندوة أعمالها باتخاذ قرارات وتوصيات تتضمن الاهتمام بالحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي للمدن العربية .

مساهمة الدارة في ندوة مراكز التوثيق التربوي لدول الخليج :



اشتركت دارة الملك عبد العزيز في ندوة مراكز التوثيق التربوي لدول الخليج العربي وذلك بدعوة من مكتب التربية العربي لدول الخليج المنظم لهذه الندوة والتي عقدت في الرياض في الفترة من ١٥ـ١٨ جمادى الأولى ١٤٠١هـ .

ومثل الدارة الاستاذ حمد عبد الرحمن العمرو المشرف على المركز الوطني للوثائق والمخطوطات بالدارة وحضر مع ٢٤ عضوا من مسئولي مراكز التوثيق التربوي بدول الخليج .

وقد اجتمع هؤلاء المسئولون ادراكا منهم لما تتجه اليه دول الخليج العربي من تطوير لنظمها التعليمية وادخال الاصلاحات الضرورية عليها وايمانا بما للمعلومات من أهمية قصوى في التطوير والاصلاح والتجديد لهذه النظم .

وقد أوصت الندوة بتشكيل لجنة من المسئولين عن خدمات المعلومات والتوثيق التربوي في دول المنطقة ومن المختصين التربويين العاملين بالدول الأعضاء مدعمة ببعض الخبرات العربية والدولية في مجال المعلومات ، لتعمل على اعداد دراسة تفصيلية لمراحل

وخطوات انشاء شبكة للمعلومات التربوية في المنطقة ٠٠ وتحديد وظائف المراكز والوحـــدات المختلفة داخلها وموالاة الاتصال بينها ٠

وأهتمت الندوة بالتركيز على ضرورة تبادل الخبرات المختصة في المعلومات واصــــدار الأدلة والكتب الارشادية في مجــــال التوثيق والمعلومات التربوية ٠

وأكد المجتمعون بضرورة عقد ندوات مماثلة مرة كل ســــنة لمتابعة ما اتخـــذ من قرارات واتخاذ قرارات جديدة في ضـوء ما تم انجازه وما يستجد من حاجات وايجاد حلول للمشكلات بصفة دورية ٠

مساهمة الدارة في ندوة نظم المعلومات والميكروفيلم :

شـاركت الدارة في نـــدوة لنظم المعـــلومات والميكروفيلم بمعهد الادارة العامة بالرياض في الفترة من ٢٧ ــ ٣٠ صفر ١٤٠١هـ الموافق ٣ ــ ٦ يناير ١٩٨١م حيث مثلهــــا كل من الاستاذ حمد بن عبـد الرحمن العمـــــرو المشرف على المركز الوطني للوثائق والمخطـــوطات بالدارة والاستاذ أحمد كمــــال زكي ٠ باحث مكتبات ٠

وتهدف النــدوة الى التعرف على الوضـــــع الراهن للوثائق التاريخية والمخطوطات العــــامة بالمملكة ، واكساب المشـــتركين الفهم الواعي لدور الحفـــظ المصغر في علاج هذا الوضع ٠٠ والتعرف على تكنولوجيا الحفظ المصـــــغر ، والمصـــــغرات الميكروفيلمية وكذلك التعـــرف على العلاقة التي تربط أجهـــزة الميـــــكروفيلم والحســـابات الالكترونية كأدوات تساعد على سرعة الوصـــول الى الوثائق أو المعلومات الموجـــودة في الوثائق وتركزت موضوعات النـــــدوة حول :

١ ــ الوضـــــع الراهن لوثائق المملكة العربية السعودية .

٢ ــ فرز وترحيل واســتهلاك المحفوظات والمعـــايير التي تحكمها ٠

٣ ــ التصـــــنيف ما هـــو ؟ وأنواعه ٠

٤ ــ خطوات ما قبل التصوير .

٥ ــ المصـــــغرات الفيـــلمية وتجربة المعهد في هـــــذا المجال ٠

٦ ــ الحاسبات الالكترونيــــة وعلاقتها بالميكروفيلم ٠

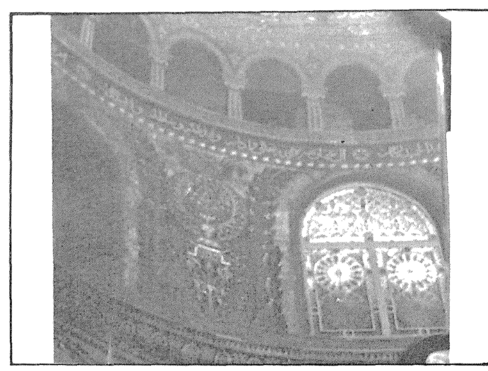
وقد ناقش الأعضاء المشتركون الوضع الراهن للادارة العامة للمحفوظات المركزية والتي أسند اليها مهام استقبال وحفظ محفوظات الأجهزة الحكومية التي تخرج عن التداول والعمل على تنسيقها ٠

وناقش المشتركون التنسيق بين الأجهزة المركزية المتخصصة في مجالات الحفظ ووثائق الدولة ومنها دارة الملك عبد العزيز التي أسند اليها بموجب المرسوم الملكي رقم م/٥ وتاريخ ١٣٩٢/٨/٥هـ مهام تجميع الوثائق التاريخية وتنظيمها وحفظها والعمل على نشرها ٠٠

كما ناقش المشتركون أيضا توحيد مقاسات الأوراق التي تستخدم كوسيط لتسجيل المعلومات وادخال نظم المصغرات الفيلمية دون دراسة مسبقة ٠٠ وعدم وجود تنسيق بين الجهات الحكومية في مجالات الحاسب الآلي ٠٠

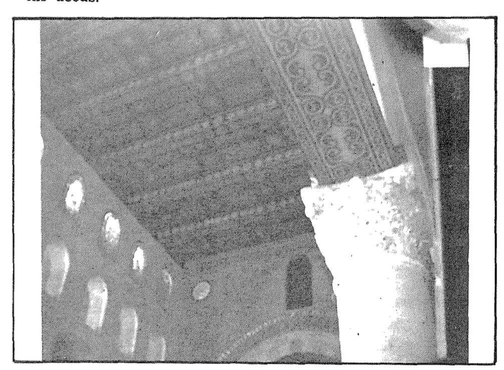
وقد أنهت اللجنة أعمالها بتوصيات أهمها دعم الادارة المركزية للمحفوظات وايجاد تنسيق بينها وبين دارة الملك عبد العزيز بوصفها الجهاز المشرف على وثائق المملكة التاريخية ٠٠ وعلى جميع الأجهزة الحكومية ضرورة الاهتمام بوثائق وأوراق كل منها وعدم التصرف فيها والعمل على توحيد النواحي الشكلية في كافة أنواع المراسلات الحكومية ٠٠ والاهتمام بالعنصر البشري من العاملين في مجالات المحفوظات وتدريبهم والارتقاء بمستوياتهم ودراسة ظاهرة انتشار المصغرات الميكروفيلمية في معظم الأجهزة الحكومية وأن تتبنى الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس وضع مواصفات عامة معتمدة لأجهزة المصغرات الميكروفيلمية ٠


ملخص الأبحاث
بالانجليزية

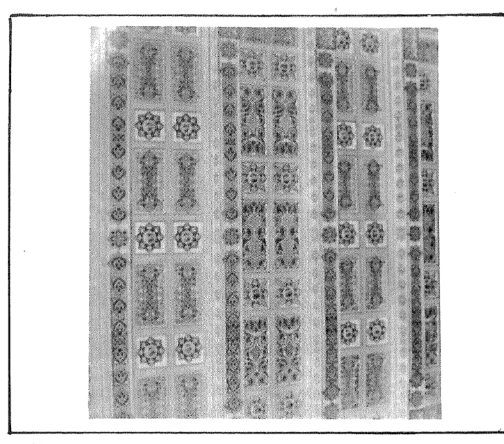


Details of the drum, showing the Turkish designs and the coloured windows and the band of inscription which reads :-

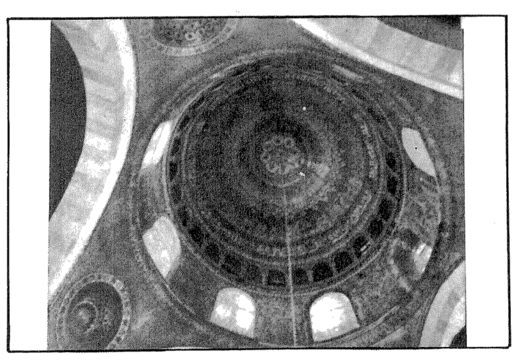
Abd Al Hamid Khan from Ottoman Dynasty. may God protect him and his Kingdom and grant him success in all his deeds.



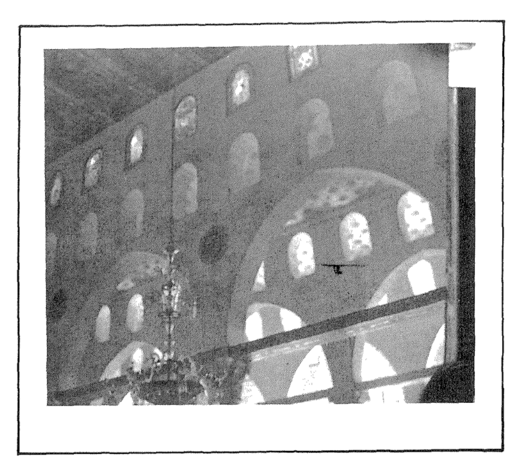
27. The central aisle as restored in the twentieth century; the circular piers with the Byzantine gilded capitals; the Umayyad mosaic in the spandrils of the main arch and the paintings of the ceiling.



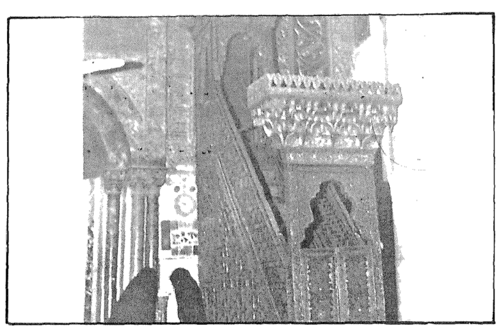
The restored painting of the ceiling after the Fatimid style, badly damaged by the Zionists in 1969.



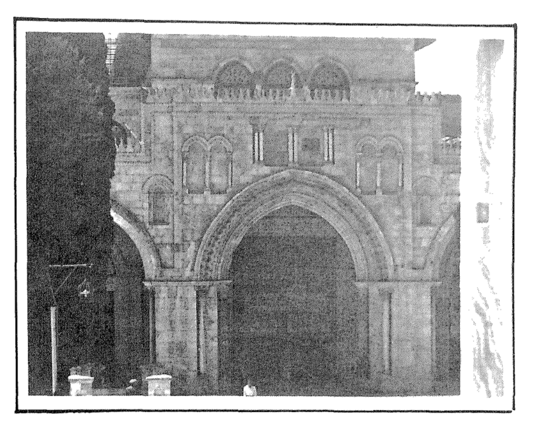
The interior of the Aqsa dome, with the Mameluke painting and a band of inscription with the names of Salah Al Din; Al Nasir Muhammad ibn Qalawoon and the Sultan Muhammad II . The coloured windows were badly damaged by the Zionists in (1969).



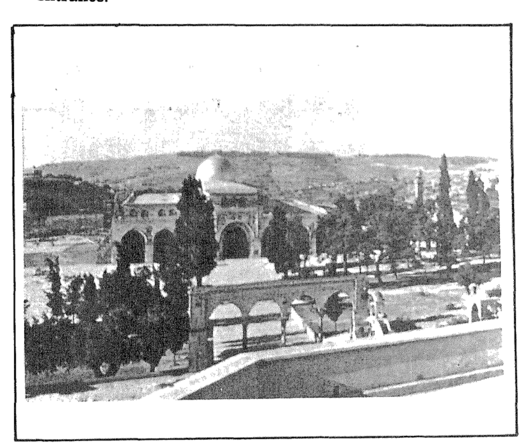
The central gable roof has two rows of windows. The upper row consists of coloured glass windows, the lower of stained glass. The beautiful Ottoman crystal chandelier is also seen.



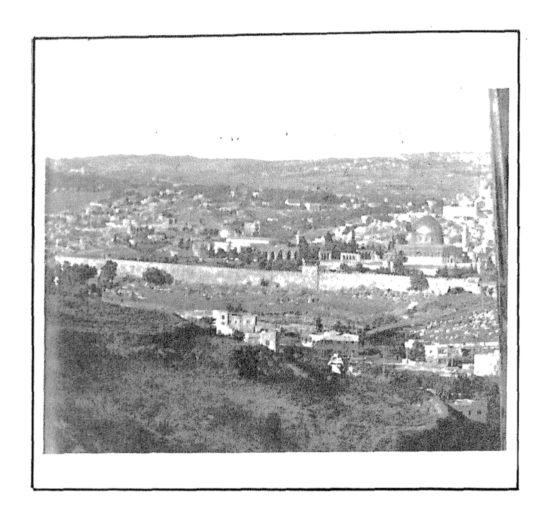
Six colonnades flanking the main concave mihrab.



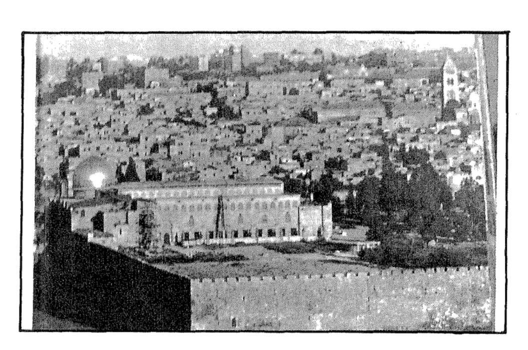
The north front of the Aqsa Mosque with the main entrance.



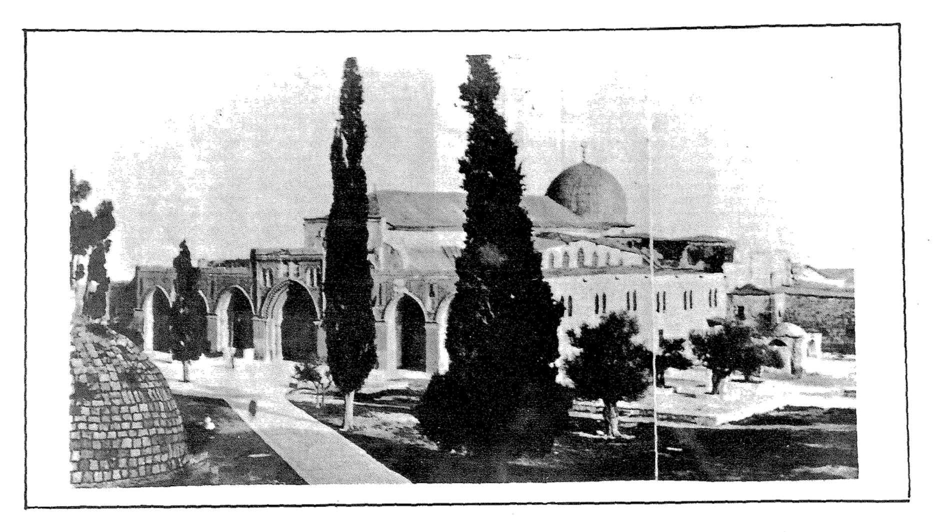
(A) The north façade of the Aqsa Mosque.



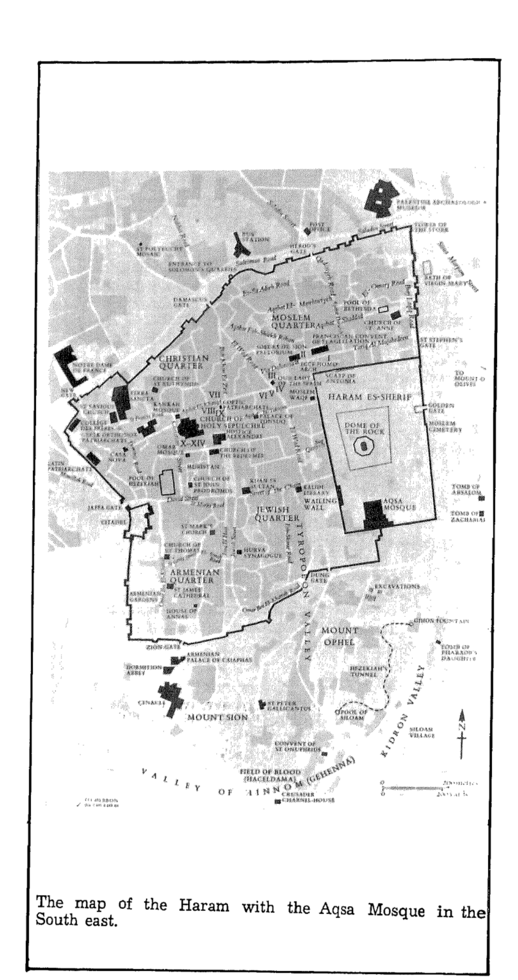
Jerusalem Haram seen from the Mount Scopus, from the north - east the Qidrun Valley. (after Duncan)



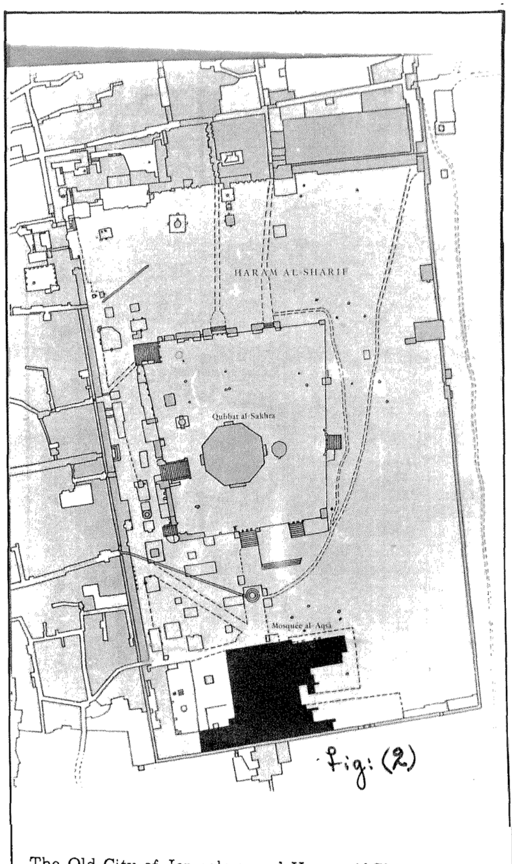
A general view of the Aqsa Mosque and the south east corner of the Haram.



The Aqsa Mosque of the Caliph Omar as proposed reconstruction by (Soad Maher).



The map of the Haram with the Aqsa Mosque in the South east.



The Old City of Jerusalem, and Haram Al Sharim and the Aqsa Mosque.

Ibn Al 'Emad : Shatarat Al Thahab P. 321
& Al Qadi Al Fadil : History P. 221.
(99) Al Herawi : op. cit. P. 175.
(100) Mugir Al-Din Al'Elimi Al-Unsi : Al Galil fi Tarik Al Quds wa Al Khalil P. 373.
(101) Ibn Abd Al Haque : op. cit P. 119 & Al Hirawi : op. cit. 180 & Duncan : op. cit. P. 62. and others.
(102) Mahmoud Al Abidi : Mihnat Bait Al Maqdis P. 67.
(103) Muqaddasi who died in (985).
(104) Creswell : op. cit. p. 205.
(105) R. W. Hamilton : R. W. Hamilton : op. cit P. 20
(106) Creswell : op. cit PP. 206 & 207.

(107) Abd Al Rah Muggir Al Din was born in Jerusalem and was Hanbalite. He was appointed supreme judge of Jerusalem. He published a book called :-

" Al Unns Al Jalil fi Tarik Al Quds wa Al Khalil" He died in (901 H./1496 A.D.).

(108) He said cubit of work which equals (75 cms).
(109) Most of the windows of the mosque are modern copies replacing the old ones.
(110) R.W. Hamilton : op. cit. P. 21.
(111) Pere L. Hugues Vincent : The Recovery of Jerusalem P. 138.

(112) Duncan : op. cit. P. 66.
(113) Mahmoud Abid : op. cit 72.
(114) Done under the supervision of the Turkish architect Kamal Al Din.

(115) Mahmoud Al Abid : op. cit. P. 172.
(116) Duncan : op. cit. P. 68.
(117) Georg Antonius : Arab Awakening P. 138.
(118) Warrenard Wilson : The Recovery of Jerusalem P. 171..
(119) One Jordan dinar being of £ pound or S 2. 80.
(120) Duncan : op. cit. P. 70.
(121) Prof. Beniamin Mazar was the supervisor of the Israeli excavation.
(122) Duncan : op. cit. P. 70.
123) Mahmoud Al Abid : op. cit. P. 172.

(67) Creswell : (op, cit. P. 210 comments on the proportion of the Aqsa mosque built by al-Mahdi by saying "we have a proportion of almost exactly (3 : 2) a favourite ratic in Abbasid architecture.

(68) This porch was erected by Ibn Tähir as Muqaddis said.

(69) Le Strange : Palestine under the Muslims. P. 194.

(70) Mathews : Palastin - Muhammedan Holy City. P. 183.

(71) The Days of Al-Muqaddasi.

(72) Michel - Join Lambert : Jerusalem P. 195.

(73) Kathleen M. Kenyon : Jerusalem P. 167.

(74) Hamilton : The Structural History of the Aqsa Mosque P. 121.

(75) Colin Thubron : Jerusalem P. 69.

(76) Nasir - i - Khusrau : Safer Nama. tran. P. 121.

(77) Maqrizi : Al-Khitat wa - al - Athar vol. II P. 27.

(78) Abu Al-Mahasin : Al Nujume El Zahira vol. V P. 18.

(79) Found by the Turkish architect Kemal AD-Din in (1924 - 27).

(80) Al-Bakri : Mu'gam ma-esta'gam vol. II P. 599.

(81) Creswell : op. cit. P. 205.

(82) Abu Al Mahassen : op. cit. vol V p. 212.

(83) R. W. Hamilton : op. cit. P. 25.

(84) Kamal ad-Din op. cit. 205.

(85) Hamilton : op. cit. P. 39.

(86) Creswell : op. cit. P. 207.

(87) Calin Thubron : op. cit. P. 70.

(88) S. Runciman : A History of the Crusader vol. I A 53.

(89) Creswell : op. cit. P. 207.

(90) A. Duncan : The Noble Sanctuary P. 50.

(91) William of Tyre : Shorter Encyclopadia. P. 634.

(92) Ibn Al-Athir : vol. III p. 135.

(93) Al Herawi : Al Isharat fi - Marifat al Ziarat, P. 172.

(94) Ibn Surour Al Muqaddasi : Mothir al Garam fi - fad'il al gods wa - al - Sham P. 100.

(95) Ibn Al-Haqu : Marasid Al-Etela'i ala-Asma'i al-Amkina wa-al Biqu'ai P. 139.

(96) A. Duncan : op. cit. P. 56.

(97) S. Runciman : A History of Crusades vol. I P. 117.

The name of Nur Ed-Din was written on both side of the minbar as follws : -

« بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمله العبد الفقير الى رحمته الذاكر لنعمته المجاهد في سبيله ، المرابط لأعداء دينه ، الملك العادل نور الدين ، ذكر الاسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين ابو القاسم محمود بن زنكي ابو سيف ناصر أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وادام اقتداره ، واعلى مناره ونشر في الخانقين الويته واعلامه واعز اوليـــاء دولته وأزال كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وذلك في سنة ٥٦٤هـ) .

(58) Ibn Duqmaq and al-Maqrizi, quoted from al-Waqidi (who died in 823 A.D) that the first who made a mihrab in the form of a niche was 'Omar ibn Abd al-Aziz when he rebuilt the Mosque of Madina by the order of al-Walid. The Samhudi said that the niche mihrab in Madina was in the part constructed by the Copts and suggested that it was a Coptic origin. That suggestion made as-Suyuti (in the fifteenth contury) say as follows : -

" At the beginning of the second century Hijra (shortly after 88 - 96 H) it was forbidden, according to the Tradition not to make use of it, as it was a feature of Coptic and Christian churches". (Mut'at al Arib fi bid'at al-mahareeb) But whatever it may be said about the niche mihrab yet nearly all mihrabs in the Islamic world were concave mihrabs after the Madina Mosque rebuilt (90 - 96 H).

(59) Al-Muqaddsi wrote :

وقد بنى عبد الملك المسجد الأقصى بحجارة صغار حسان وشرفوه ، وكان أحسن من جامع دمشق ، لكن جاءت زلزلة في دولة بني العباس فطرحت المغطى الا ما حول المحراب ، فبنوه أوثق واغلظ صناعة مما كان عليه •

(٦٠) وبقيت القطعة شامة فيه ، وهي الى أحد أعمدة الرخام •

Ahsan al-Taqasim fi - marifat al - Aqalaeem P. 370.

(61) Al-Muqaddasi : op. cit (P. 138) .

(62) The First Muthir : late work written in 1351.

(63) Creswell comments by saying : I cannot help feeling that these two earthquakes may be duplication of the same event, of which the former is well documented but not the second. Greswell added: "even Muqaddasi a native of Jerusalem who wrote in (985) A.D does not give its date, merely referring to it as an earthquake in the days of the Abbasids.

(64) I found it suitable to give Muqaddasi's description in his language :

وللمغطى ستة وعشرون بابا ـ باب يقابل المحراب يسمى باب النحاس الأعظم مصفح بالصفر المذهب ، عن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفح مذهب على اليسار مثلهن ـ ومن نحو الشرق أحد عشر بابا سواذج • وعلى الخمسة عشر بابا رواق على أعمدة رخام • وعلى وسط المغطى جمل (جمالون) عظيم خلف قبة حسنة •

والسقوف كلها ، الا المؤخرة ، ملبسة بشقاق الرصاص والمؤخر مرصوف بالفسيفساء الكبار •

(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ١٢٨)

(65) Creswell : op. cit. P. 210 : " two of which cannot be later than the eighth century ('Omayyad).

(66) This recalls the words of Muqaddasi "The more ancient portions remained even like a beauty spot in the midst of the new. This portion extends as far as the limit of the marble columns, for beyond, where the columns are built up, the later part commence.

This dispatch of workmen from Egypt to Jerusalem was new thing, for we learn from Leontius of Neapolis (wrote 645 A.D) that Modestus, about (629 A.D) sent thousands of Egyptians to Jerusalem to assist in rebuilding the churches which had been destroyed by the Persians in (614 A.D.).

(43) Creswell : Early Muslim Architecture II P. (43).
(44) Duncan. A; The Noble Sanctuary, P. 40.

(45) We do not agree with the Arab historians, especially, Ya' quibi, Baladhuri, Yakut and Ibn al-Athir, who said that Abd al-Malik forebade the Syrians from doing their pilgrimage to Mecca, lest the anti - caliph Ibn Zubair might persuade or force them to join him. This is a mean fake and invented by the Omayyad's enemies in the early Abbasid period, for Abd al-Malik was a devoted Muslim and it is impossible for a man like him to abolish one of the five poles of Islam, that's the Pilgrimage.

(46) It is not strange to employ Egyptian labourers in constructing a mosque, for copts were sent to Madina to rebuild our Prophets' mosque, in the days of Caliph Al-Walid (88 - 90). (Baladhuri. P. 148).

(47) Some of these wooden panels are now kept in the Archeological Museum of Jurusalem and the others are in the Haram Museum.

(48) Errar and Gayet : L'art Byzantine P. 32.

(49) Clermont - Ganneau : Recuildo' archeologie oriental II P. 130.

(50) Marguerite G. Van Berchem : Jerusalem Musulmane. P.P. 75 , 80.

(52) Al-Muqaddasi : Ahsan al-Taqasim. P. 122.

(52) The arcades mentioned by Muqaddasi still exist to the east and west of the domed part of the mosque.

(53) Creswell. op. cit P. 213.

(54) This is the measurement of the Abbasid period.

(55) The transept is a central wide aisle perpendicular to the mihrab, it was first built in Islam by Al-Walid in the Great Mosque of Damascus.

(56) R. W. Hanilton : During the work of 1938 - 42, when the plaster was stripped off, Hamilton was able to see that the masonry of the spandrels of the transverse arches is not bonded into the masonry of the spandrels of the first longitudinal arcade to the east of the dome (op. cit. P.P. 10 - 15).

(57) Creswell : opt. cit. P. 212.

(16) Greswell : Early Muslim Architecture P. 10 (Ashort account).

(17) Gibb & kramer : opt cit, P. 170.

(18) Itinera Hierosolymitane ed, P. Geyer 1898 P. 226 & transl by Mickley 1917 P. 19.

(19) The text in Latin

Sacaceni, quadrangulan orationis donum quam subrectis tabulis et magnis trabibas super quasdam rwnarum reliquias construentes vili fabricati sunt opere ipsi frequentant), but it could hold 3,000 men.

(20) Creswell : op cit. P. 10.

(21) Josephus : Antiquities of the Jews XV P. II P. 5.

(22) Tobler's ed. Itimera Hierosolymitana I P. 145.

(23) Antiquities of the Jews XV, P. 5.

(24) According to Josephus description. op cit P. 5.

(25) Arculf : op. cit P. 145.

(26) These measures are, that of the temple area, which the mosque replaced and which can accommodate about three thousand people at one time.

(27) It is nearly the same dimension of the Great mosque of Damascus, built by Al-Walid in 88 - 90 H (707 - 9 A.D) which measures (122) m length in (50) m. width.

(28) Ahsan al-taqasim - fi - mi'rifat al-Aqalim. P. 36.

(29) Al-Musharraf : Fada 'il Bait al-Makdis wa-l sham I. P. 576.

(30) Al-Djami al-mustaksa fi-Fada'il al Masdjid al-Aksa.

(31) Ibn Taghribirdi : Al-Nugume al-Zahira. vol. II P. 175.

(32) Mudjir al Din : Al-Kuds wa-al Khalil vol I P. 212.

(33) Travels of Ali Bey vol, II P. 214 (London 1816).

(34) De Vogüe : Le Temple de Jerusalem (Paris) 1864.

(35) Baedeker : Palastine und Syrien, P. 54.

(36) Marguerite van Berchem et Solang : La Jerusalem Musulmane. P. 75.

(37) Ibn al-Battrique : IIP. 67.

(38) Ibn el-Fakih : Kittab el Buldan P. 100.

(39) Creswell is considered the father of Muslim architecture, and his publication covered nearly all the Muslim era in the Arab world.

(40) Aphrodite : is the name of Faiume Province in Egypt in the Greek Period.

(41) H. I Bell : Greek Papyri in the British Museum. IV. The Aphrodite Papyri P.P. 75 & 76.

(42) Life of John, Archbishop of Alexandria, Gelzers'ed. P. 37 and notes on P.P. 137 - and Bell : Ibid III & IV P. 93 - 5.

(5) Balad thuri, Futuh al - Buldan. P. 139 & Tabari, I P. 240 and others.

(6) Gildemeister : Die arabischen Nachrichten Zur Gescnichte dar Harambauten XIII

(7) The full text of the treaty in Arabic and English; -

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايليا من الأمان • أعطاهم أمانا لأنفسهم ولأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقبها وبرئيها وسائر ملتها ، انه لا يسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بايليا أحد من اليهود • وعلى أهل ايليا أن يعطوا الجزية ، كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو أمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مامنهم • ومن أقام منهم فهو آمن ، عليه ما على أهلي ايليا من الجزية ومن أحب من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم ، فانهم آمنون على انفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهلي ايليا من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع الى أهله ، لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله ، وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية •

شهد على ذلك كتب وحضر سنة ١٥هـ

خالد بن الوليد عمروبن العاص عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان

= عمر بن الخطـــــاب =

= In the Name of God, Most Gracious Most Merciful.

This is the covenant which Omar, servant of Allah the Commander of the Faithful, grants to the people of Aelia, He grants them security of their lives, their possessions, their churches and crosses, they shall have freedom of religion and none shall be molested unless they rise up in a body. They shall pay poll - tax instead of miliary service, and those who leave the city shall be safe guarded until they reach their destination,

(8) A. Duncan : The Noble Sanctuary P. 22.

(9) He lived in the tenth century and wrote about Jerusalem Annales ed. Pocoke II 285 & Vincent and Abdala (Jerusalem II P. 243).

(10) Gibb & Kramers; Shorter Encyclopeadia of Islam.

(11) Le Strange : Palestine Under the Moslems (1890).

(12) Abn 'Asukir : al - Djami al - mustaksa fi fada il al Masdjid Al-Aksa. I P. 56.

(13) Tabri, I. P. 240 & Baladhuri P. 139 & Ya' Kut II P. 122. & Al Bakri : Mu'gam ma Esta' goim vol II P. 599 & Ibn said el - Batriq. vol. II P. 17.

(14) Al Baladhuri : op. cit. P. 141 & Ibn - Asakir : op cit P. 282. Ibn Hisham. I P. 311.

(15) Tabari, opt cit. P. 242.

vision of the Egyptian Department of Antiquities (118). This is recorded on a marble tablet on the western side of the main entrance :-

The Supreme Council has restored the eastern transept, the central aisle and the face of the northern aisle of this blessed Mosque Al Aqsa, under the supervision of the Egyptian Department of Antiquities.

The work began in the year 1357 H and completed in 1362 H. The Egyptians renewed the wooden ceiling of the central aisle in the reign of H.M. King Farouk I ; May God preserve him and support his Kingdom in the year 1363 H.

The Supreme Council of Jordan, in (1952) sent and appealed for funds to restore the holy places in Jerusalem. Over 525,000 dinar (Jordan dinar) (119) were donated by the Arab rulers and governments and individuals. The work commenced in 1656 by Saudi Arabian contractors. The Egyptian government in addition to money, gave technical and architectural services valued at (70,000 dinars) and King Muhammad V of Morocco gave new carpets for the ambulatories, worth 35,000 dinars (120). Some further work was also commenced in Al Aqsa Mosque.

During the Israeli occupation in 1967 series of obstacles were put by the Israelis to the work of restoration and renovation of the holy building. Moreover, excavations were carried out by Israeli archeologists (121) along the side of the Haram walls which threatened the safety of the holy places (122).

On the 21st of August (123) Israel burnt the Aqsa Mosque, and much damages happened, the most important of which was the uniquely beautiful minbar of the Aqsa Mosque. The southern part of the building was badly damaged including the dome and the beautifully decorated ceiling. Plans are in hand to make an exact replica of the destroyed minbar, but this as with other repairs will take time.

(1) Ibn Fadl allah - el - Amry : Maslek el - Absar fi - Mamalek el - Amsar : Part 1. - P. 133 (Egyptian Library. Cairo 1924/1342 h.)

(2) A. Yusuf Ali : The Holy Quran : Translation and commentary (New york, 1964).

(3) The Masdjid al - Haram in Mecca. The second is the Masdjid in Madina and the third is al - Aqsa.

(4) The Yarmuk river joins the Jordan Just below the sea of Galilee,

mosque in the eighteenth and nineteenth centuries by five Ottoman sultans.

Sultan Othman III paid (25,000) pounds to repair the lead (110) plating the roofs of the Aqsa Mosque and the Dome of the Aqsa Mosque and the Dome of the Rock in the year 1752.

Sultan Mahmud II and Sultan Abdul Majid, both of them undertook restorations and further works in (1818 and 1840) (Pl. 25). In 1874 Sultan Abdul Aziz fitted new coloured glass windows (111). Sultan Abdul Hamid II furnished the mosque with carpets from Persia and prayer rugs from Asia Minor in 1876. (Pl. 26). Sultan Abdul Hamid II hung a beautiful crystal chandelier (113), over the Rock, then it was transferred to the Aqsa Mosque in 1876 (Pl. 18).

The Aqsa Mosque in the twentieth century

The custody of the Islamic holy places was placed in the charge of the Supreme Muslim Council during the British Mandate (1920 - 1948). The Aqsa mosque was in great danger, because of the rising damp and decay which threatened the foundation of the mosque. Massive work was undertaken to avoid collapse in 1926 (114) and 1927.

The foundations of the underground of Al Aqsa Al Quadim, were strengthened and the supporting piers and arches carrying the dome were also renewed. The southern wall and the roof over the central aisle were replaced in reinforced concrete. The arches were painted in green gypsum and gold. The metal plates covering the tie beams were renewed. Thirty new windows filled with typical Fatimid and Abbasid designs were added (Pl. 12) and a band of inscription was placed above the mihrab, which reads as follows (115) : -

The dome of the Mosque Al Aqsa was renovated by the Supreme Muslim Councial in (Zu Al Hijja 1346 H/1427 A.D.).

After the Second World War, a massive programme of reconstruction (116) to restore and repair the Aqsa Mosque after the two earthquakes which had rocked Jerusalem severely in (1934 & 1936). The work took seven years, the central ceiling was replaced by a carved wooden one decorated in Fatimid style and colour (Pl. 24). Marble columns were replaced by Byzantine capitals sculpted in Jerusalem (117) Pl. 27).

A stone floor was laid in the central and eastern aisles. This massive programme of work was done under the super-

stands at the southern end, over the main mihrab and the minbar of Salah Al Din.

Its apex is nearly eighteen metres above the floor, and it is decorated with mosaic, perhaps the most beautiful in all the Haram.

Four arches surmount eight piers which support the dome.

The mosque extends from the south i.e. the quibla wall to the north and contains, the central one which is the most wide of them. It has beautiful carved and painted roof and supported by massive column. The six arcades consist of seventy five marble columns of which thirty three are stone round piers and six small columns flanking the mihrab. (Pl. 19).

The columns are about six and a half metres from the floor to the top of the capitals. All the columns are tied together with double tie beams covered with decorated gilded metal. (Pl. 15).

Muggir Al Din also gave us the dimensions of the mosque. He said "Its length without the concave mihrab and the porch in the north side (68 cubits) (108) =(50.8. m) and its width is about (93 cubits)=(69. m.) from east to west.

These dimensions are nearly the same of that of the Fatimid period, for the width (6.5X6+11.80)=(50.8 m.) and the length (6.3X11)=(69.3 m.).

He counted the doors and said, "The mosque has ten doors, seven of which are in the northern wall, two on the west and one on the east side.

Extending along the northern wall over the seven doorways, the mosque has a porch with seven arches. The aisles are covered with gable roofs, the central one is wider and higher than the side one. The central gable roof has twenty one coloured glass windows. There are also seven stained glass windows in the drum of the dome. Altogether, there are one hundred and twenty one coloured glass and thirty four plain windows (109). (Pl. 18).

The Aqsa Mosque in the Ottoman Period

Although Sultan Soleiman (1) left a lasting (2) imprint upon Jerusalem between 1537, especially in the Dome of the Rock, yet the most significant work was carried out on the Aqsa

northern wall over the seven doorways, with its seven arches in (1217 - 18 A.D.) A modern historian(102), from Jerusalem added : we can say that most of the remaining buildings in the Aqsa Mosque are due to Al Malik Al Muazzam Isa and in particular the seven aisles which give the mosque its present shape.

We do not agree completely with these historians for different reasons :-

(A) As for the porch, we have mentioned before in the Abbasid period, which Al Muqaddasi (103) described and said that it was erected by Ibn Tahir. So we can say that the porch was restored or rebuilt by Al Muazzam Isa.

(B) The Aqsa mosque in its present form has often regarded as mainly due to the Crusaders and Ayyubids.

But this is a mistake, for a great deal of the Fatimid mosque remains according to the late Kamal Al Din (104) excavation and restoration carried out between (1927 - 28), and the work done by Hamilton (105) between 1938 & 1942.

If we look at the plan of the present mosque (fig. 6), we observe that a row of great round columns (round piers) still exists intact to the east of the nave arcade at a distance of (7, 10. m) from it. One more column has survived in the next aisle going east. As for the part on marble, two arcades have survived to the east and west of the dome and part of a third to the east. We also notice that the northern and the southern dome bearing arches are continued to the east and to the west so as to carry the thrust through the side walls.

(C) Thus it is clear that a large part of the present mosque is the work of the Fatimid, viz., arcades of the central aisle, the four arches under the dome and the drum up to its top edge. An arcade to the east of the nave arcade, the arcades to the left of the eastern dome bearing arch, and the two corresponding ones on the opposite side (106).

The Aqsa Mosque in the Mameluke Period

The great historain of Jerusalem in the Mameluke period. (Muggir) 107) Al Din Al Almi gave us a complete description of the mosque in (901 H/1496 A.D.) as follows :-

The Aqsa Mosque is a splendid building in the Haram with a high resplendent dome with a silver anodised outer covering,

west side he built his armoury, the arched building now used as the women's (94) mosque and the museum (fig 6).

The mosque became a church and its dome was topped with a cross, and the underground vaults were used as stables (95).

Regaining Jerusalem, Salah Al Din's treatment was in marked contrast to that of its Crusader Captors in (1099 A.D.). Apart from the removal of the Christian emblems from the Aqsa Mosque and the Dome of the Rock, all other Christian Shrines and buildings were left intact and the Muslim soldiers behaved in exemplary manners towards the civilian population (96).

In Salah Al Din's massive and masterly work sir Steven Runciman (97) states :-

" At the Horns of Hetten and gates of Jerusalem Salah Al Din had avenged the humiliation of the first Crusade and he had shown how a man of honour celebrates his victory.

Salah Al Din installed the beautiful prayer niche (mihrab), the minbar, supported by elegant columns and decorated the interior with mosaic and marble. He also brought form Aleppo the famous minbar (pulpit) which had been made by Yahya bin Hamid in (1163 A.D./564 H.) by the order of Nur Al Din Zanki (98).

It was a masterpiece of Islamic wood carving it was made of cedar and inlaid with ivory and mother - of - pearls. This minbar was burnt on purpose by Zionists in 1969 (Plate 12, 22, 23,).

Salah Al Din also restored the mosaic of the upper walls of the mihrab and coated the lower walls and the floor with marble (99).

This is recorded with his name in the minbar recess as follows :-

In the Name of God Most Merciful Most Gracious, the restoration of this sacred mihrab and mosque was commanded be the servant of God and his agent Yusuf Ibn Ayyab Abdul Muzaffar, the victorious King Salah Al Din, when be conquered Jerusalem in the name of God in the year (583) H.), he thanks God for his success and may God have mercy upon him (100).

Some historians (101) attributed to Al Malik Al Muazzam 'Isa, a nephew of Salah Al Din the porch extending along the

dicular to the qibla wall, which - save the two central ones - consisted of eleven arches (83) Plan 4).

The central aisle was higher and nearly double the width of the side aisles (11.80 against 6.55). Thus the whole width of the mosque is about (52 m. and the length (102.8 m) just the same as that of Al Mahdi's mosque.

It had a clerestory and the first seven bays were covered by a gable roof, beyond which was a great wooden dome (84). To avoid the thrust of the transverse arches which carry the dome, they carried them through to the side walls (85) (fig : 5).

About the Fatimid Aqsa Mosque, Creswell (86) came to the following conclusions, which are logic and reasonable. The northern limit of Al Zahir's mosque must have been the same as today, for two of the three central doorways, on account of their mouldings must date from the eighth century at the latest (87) and quite a large part of the present mosque is the work of Al Zahir (88).

Creswell (89) ended his research by saying : " I am inclined to believe that that Al Zahir's mosque was no wider than the present building.

The Aqsa Mosque in the Ayyubid Period

It is far beyond imagination, to go back four hundred and sixty years (from 639 to 1099 A.D.) and make a comparison between the Caliph Omar ibn Al Khttab and the Crusaders towards Jerusalem and its holy places.

A great Christian historian (90) made this comparison by saying : How very different from that day four hundred and sixty years earlier when, the pious and devoted Muslim, Caliph 'Omar, had accepted the peaceful surrender of the city from the Latin partriarch. Now (with the Crusaders there was no delegation of reception, no conducted tour of inspection, no time for prayers. The carnage lasted two days and threatened even the Christians living in the city.

The small Jewish community were burned in their synagogue William (91) of Tyre said "even the sight of the victors covered in blood was an object of terror.

Concerning the Aqsa Mosque, the Crusaders led up to the walls of Jerusalem by Godfrey de Bouillon (92), who installed himself and his headquarters by the Aqsa Mosque (93). On its

external colonnade of the Aqsa Mosque, erected by Ibn Tahir, to form a porch on the north face and the north wall were probably destroyed, because when Nasir (76) - i - Khusrau, the Persian Traveller, visited Jerusalem in (1047) described five gates in the north wall of the Aqsa Mosque and ten in the east, with no mention of the north colonnade.

Nasir - i - Khusrau said that the mosque had a beautiful wooden minbar (pulpit) inlaid with ivory and mother - of - pearls and that the ceiling was covered with marvellous carved wood panels. (Plate : from 7 to 14).

When the Caliph Al-Zaher Li-Jzaz Dinillah came to the throne after his father's death in 1021, he ordered his vizir (minister) Ali - ibn Ahmed (77) to restore the holy buildings in Jerusalem. In (1022) (78) Ali - ibn Ahmed repaired the damages, which he recorded in the inscription inside the dome of the Aqsa Mosque together with his name (79).

In 1033/4 another earthquake caused great damages to the Aqsa Mosque, which was also restored by Caliph Al-Zahir's order.

They restored, the north face of the northern dome - bearing arch and decorated it with a splendid decoration in glass mosaic, consisting of acanthus surmounted by a long band of Kufic inscription, just below the roof beams in the name of Al Zahir. The inscription (80) reads as follows :-

In the Name of Most Merciful and Most Gracious God. This mosque was restored by our prince Ali Abu Al Hassan Al Imam Al Zahir Li I.Zaz Dinillah, prince of the believers, the son of Al Hekim Bi Amrillah may God bless him .... in the year (427 H./1046 A.D.).

They also restored the drum of the dome altogether with the four dome bearing arches. Double tie beams were made in Al Zahir's restoration to strenghten the arches of the mosque. A plank with painted decoration was nailed to the underside of each pair of the tie beams (81). One tie to the west of the dome and some arches near the dome and on either side of the central aisle bore a band of floriated kufic of the Fatimid period. Further restorations were carried out in (82) (448 H./ 1066 A.D.) by the Caliph Al Mustanser, who recorded their completion on the north wall of the central aisle.

Concerning the form of the Aqsa Mosque in the Fatimid period it consisted of seven aisles, formed of arcades perpen-

Each arcade consists of eleven columns supporting eleven arches. Mahdi's mosque was partly on marble columns and partly on round piers, built in courses (66) of stone. Just as the present mosque.

It is quite remarkable that the eleven doors in the east side of al-Mahdi's mosque, correspond exactly to the number of arches of to - day. Taking all these points in consideration we come to the conclusion that the width of al-Mahdi's mosque must have been (11.80m) for the central aisle, plus (6.5X14)m equals (102, 80.m.). The length form north to south (6.5X11 m.) equals (69, 30m.) (67).

Fifteen aisles (fig. 5) would mean adding four aisles on either side of the present mosque.

The central part of the mosque was covered by a mighty gable roof, over which rose a beautiful dome, and the roofs everywhere are sheathed with lead. There is a porch (68) on the north face of the mosque made of marble colonnade in front of the fifteen doors.

To continue the history of the Aqsa Mosque according to Tabari, Baladhuri, Ya'qubi and others, they said that major work of the Abbasid period was the restoration and the rebuilding of the Aqsa Mosque by the second Abbasid Caliph, Abu Jafer Al Mansur.

In (771) Al Mansur visited Jerusalem and prayed there noting the damages done by the earthquake of (747 A.D.) to the Aqsa Mosque (69). The Caliph ordered his Emir (Prince), the gold and silver ornamentation on the doors were to be melted down in order to pay for the Aqsa restoration (70). In (780 A.D.) under the next Caliph Al Mahdi rebuilt the Aqsa Mosque and from that date until 985 (71) (780 - 985 A.D.), the the mosque remained substantially, of not exactly as described by Al-Muqaddasi (72) in (985) A.D.).

In conclusion, I have to say that the Aqsa Mosque reached its uppermost extension in the Abbasid (73) period and the recent (74) mosque is just a part of it, as we will see in the next pages.

The Fatimid Aqsa Mosque

During the reign of the Caliph Al-Hakim Bi - Amrillah, and amid his political upheavals, an earthquake in (1016) damaged the Aqsa Mosque and the Dome of the Rock (75). The

This portion extends as far as the limits of the marble Columns. Al-Maqaddasi (61) added : the later part (that rebuilt by tne Abbasid) commences where the columns are built up (Piers).

Although al-Muqaddasi did not mention which Caliph carried out the work, yet the First Muthir, (62(attributed the work to al-Mansur (754 - 55). Accordnig to the same reference, another earthquake took place a few years later and Caliph al-Mahdi rebuilt the part damaged (63). Al-Tabri mentioned
H
in tne important events of the year (163) Al-Mahdi went to Jerusalem and prayed in the Aqsa Mosque.

The only historian who gave us the description of the Abbasid Aqsa Mosque, was the Muqaddasi, he says :

The Sanctuary has twenty-six doors, the door, opposite the mihrab is called the Great Brass Door, plated with gilded brass. To the right hand of it are seven large doors. The central one is plated with gilded brass and on the left the same.

And on the eastern side are eleven doors, unornamented. Over the fifteen arcades (i.e) the center of the Sanctuary is a mighty gable roof, above which rises a beautiful dome. The roofs everywhere except the back one are sheathed with lead, The back roof is coated with big mosaic (64).

Ibn Tahir erected external marble colonnade to form a porch on the north face in front of the fifteen doors.

Now let us put Muqaddasi's description into modern architectural language :

Al-Mahdi's mosque consists of a rectangular oblong, its width extends from east to west and its length extends from north to south.

This rectangular is divided into fifteen aisles by fourteen arcades going from north to south perpendicular to the quibla wall (Fig : 5), the central nave is wider than the side aisles. Each aisle corresponds to a door in the north side of the mosque. The door opposite to the mihrab. which corresponds to the central nave is the great central gateway, called the Great Brass Door, with seven smaller ones to right and left.

Mahdi's aisles must have been of the same width as now, for their axes are fixed by the three existing central doorways (65).

pavement when part of it was removed, part of an earlier north wall, found and traced for over (18.m). It was (1.m) thick, and its south face was about (18, 4.m.), which is exactly the distance from the inn face of the present north wall.

According to this discovery, Creswell (53) said, consequently the earlier mosque, presumably Omayyad, was only (50, 80.m.) from north to south, instead of (69,20.m.) (54) but its width cannot be fixed.

According to Josephus description of 'Omar's mosque which we have mentioned before, we can guess that its measurement from east to west cannot be less than (100,m.) the same as that of Omar's (Fig.3).

At the end of the transept (55) and just in front of t mihrab, a dome was built. When the dome was inserted b al-Walid to the previous building of Abd al-Malik, it was naturally necessary to provide abutment to east and west by transverse arcades running through to the side walls and consisting of a series of arches resting on independent supports placed on either side of the corresponding column of the longitudinal arcades, the old arcades being nipped between the new transversa arches (56).

Creswell (57) gave us some details of the first arcade (Plate 7), the height of columns and capitals, (5.m) and the sprining of stilled arches (fig 1) begin at (7,23m) and the height of the apex (9,2m.) The height of the ceiling, which was covered with carved wooden panels (Plate from 7 to 14), about (12, 40.m).

A most important innovation made in the Aqsa Mosque by Al-Walid, after the Mosque of Madina (58), was the mihrab, which was made in the form of a niche which is called architecturally a (concave - mihrab).

The Aqsa Mosque in the Abbasid Period :

The Aqsa Mosque was badly damaged in the great earthquake of (747 or 748 A.D).

Muqaddasi relates the accident (who wrote in 985 A.D.) as follows: an earthquake in the days of the Abbasids threw down the sanctuary except the part round the mihrab, and was rebuilt stronger and more massive in construction than it had been, and the more ancient portion remained, even like a beauty (60) spot in the midst (of the new).

the building of the mosque, but was finished in (715) by his son Al-Walid who succeeded his father in (705).

Discussing the previous ideas we find out that the third decision is quite logical and reasonable for the following reasons : -

A) Under the Omayyads the political conditions contributed in a peculiar way to increase the prestige of Jerusalem in Abd al-Malik (45) period, and so it is impossible to leave the Holy City Jerusalem, without reconstructing its congregational mosque, so as to match the Dome of the Rock's building.

B) We cannot deny that Abd al-Malik died and his son Caliph Al-Walid finished the reconstruction of the Aqsa Mosque, but at the sametime we do not agree with Prof. Creswell, that Al-Walid and not Abd-al-Malik who reconstructed the Second Aqsa Mosque just because, some Egyptian labourers and skilled workmen were brought and employed on the Mosque of Jerusalem as documented by the Aphrodite papyrus, (46).

C) The magnificent wooden panels, which were covering the Aqsa Mosque's ceiling (47) (see PL. 7 to 14) and influenced by the Greco - Roman (48) Style, the beautifully decorated sheet - metal, covering every two tie beams together, (Pl, 4 . 15), the still existing golden and coloured mosaic coating the spandrels of the arches carrying the dome in front of the Mihrab (niche) Pl. 15, 16) (49) Marguerite Van Berchem, after thoroughly studying them all, get out with the conclusion that they are contemporary to the Dome of the Rock and very possibly, done by the artists and workers of the Dome of the Rock. (50) CPI. 17).

The description of Aqsa Mosque in the Omayyad Period (see Fig : 4)

Al-Muqaddasi (51) described the Aqsa Mosque as follows :- There is a great part of the Omayyad Aqsa Mosque still remaining in the Mosque which was rebuilt by Al Mahdi the Abbasid Caliph. These parts consist of arcades resting on marble columns running from north to south and is now incorporated in the mosque of al Mahdi (PL. 4) (52).

It is not difficult to find out the dimension of the Omayyad mosque after the discovery which was made under the

The Omayyad Period (46 - 132 H/661 - 749 A.D)

At the time of Caliph 'Omar, the name Aqsa (the furthermost) was given to the whole area of the Haram.

In the Omayyad period the name Al Aqsa refers to the mosque, and not to the Haram, (Sancturay).

As for the Second Aqsa Mosque built in the Omayyad Period, Muslim and non - Muslim authors conflicted among themseleves and gave us three statements : -

1) According to the first group of writers such as Al-Mugaddasi, (28) Al-Musharraf, (29) Ibn-Askir, (30) Abu-al-Mahsen Ibn Taghribirdi, (31) Mudjir al-Din (32) al-djalil, Ali Bey, (33) non-Muslims, De Vogue, (34) Baedeker, (35) Marguerite G. Van Berchem and Solange (36) Ory, some of them said that the Caliph Abd al-Malik, may well have built the Aqsa Mosque, others added that Abd al-Malik, built small mosque adjacent to the side of 'Omar's original wooden mosque, out of the ruins of the Justinian Church of St Mary (pl. 1 , 2).

2) Though the second group of historians are few, such as Ibn al-Battriqu (37) and Ibn el-Fakih, (38) Yet we have among them the great archeologist Creswell, (39) they said, it was the Caliph al-Walid and not Abd - al-Malik who built the second Aqsa Mosque.

To prove this, Creswell gave the following documents : "Fortunately we now possess a better authority than the others, the earliest of whom wrote over two centuries after the event". Creswell continued "I am referring to the contemporary Aphrodito (40) papyri, the official correspondence (in Greek) of Qurra ibn Shark, Governor of Egypt from (709 to 714).

With the Prefect of the District of Aphrodite in Upper Egypte No. (1403) refers to the maintenance of Labourers and skilled workmen employed on the Mosque of Jerusalem, (3) persons for (12) months (41). Likewise Nos (1414 and 1435) which is dated Hathyr 20,14 Indication year 97 H (= A. D. 715 - 16) (42) Creswell, then concluded, "thus there cannot be any doubt that it was al-Walid and not Abd al-Malik, who built the Second Aqsa Mosque" He also added that the arcades on marble columns to right and left of the dome may go back to this period (43) (see p 1. (4)).

3) The third group gave a conciliative statement, saying, (44) that Abd al-Malik may well have built a small mosque, adjacent to the site of 'Omar's original wooden mosque, although we can assume that Caliph Abd al Malik ordered

According to Josephus's description we can easily give the measurement of the Royal Stoa of Herod, which was replaced by ' Omar's mosque, for its width (the three aisles 30+30+45 =105 f.T) (35.m) and the length (40 columns each arcade X 2m) 80, makes 2800 m square.

This measurement justifies the traditions which say that 'Omar's Mosque gives place for three thousand men (that is the Muslim Army) to do their prayer at a time.

Its Architecture Through the Ages.

As for the first Aqsa Mosque built in the days of the Rashidun Caliphates' period, there is no doubt that some primitive structure was erected at 'Omar's days. Though none of the early Islamic historians, such as Baladhuri and Tabri, speaks of the construction of a mosque when Jerusalem capitulated to 'Omar in (17 H / 637 A.D), yet the statement of the early pligrim Arculf, (22) who visited Jerusalem in (670 A.D), and the description of Josephus (23) give us a reasonable idea about the site and description of the first Aqsa Mosque built in the Rashidun Caliphates Period.

The description of the first Aqsa Mosque, as proposed by the author, is as follows :-

The mosque is situated in the south eastern part of the city (See map (2)) where municipal debris covered the Herodian (24) platform around the Rock. At that site 'Omar built a mosque at the southern part of the sanctuary (Haram) (see map (1)) near the place at which our Prophet Mohammed, had tethered his miraculous Buraq, (horse) before ascending to heaven.

It is a quadrangular (25) place for prayer, probably oblong rectangle measuring about (35)m from north to south and (80)m from east to west, (26) that makes (2800) m square, a space large enough to accommodate about three thousand men at a time.

This dimension is the standard basilica measurement in Syria before Islam and mosques measurement after Islam (27).

It was probably constructed of wood and undressed stones taken from the round debris, according to Arculf statement who said, constructing it by setting great beams on some remains of ruins.

After discovering the "Rock" the Caliph ordered that no one should pray there until after three falls of rain. That day call to prayer was said by Bilal, the Prophets' own muezzin (pray - caller) who had ceased to call the people to prayer after the Prophet's death.

According to authorities, 'Omar before leaving Jerusalem, built a relatively small and rude mosque at the southern part of the Haram (Sanctuary) near the place at which the Prophet had tethered (14) his miraculous horse (Al Buraq) before ascending to heaven.

Although none of the early Arabic historians, such as Baladhri, Tabari(15) and Muqudisi mentioned how the mosque was constructed when Jerusalem capitulated to 'Omar in 637, and at the sametime statements of christian historians such as, Theaphanes, Elias of Nisibis and Micheal the Syrian, justified that a mosque was built but their story was accompanied by legendary (16) details. Yet if we examine these traditions more closely we find out that they all agree that Omar had a Muslim Place for worship erected on the deserted Temple area.

We are lucky enough to find an eyewitness who put us on firm historical grounds and corroborated these tradition, (17) this is Arculf, the early pilgrim, (18) who visited Jerusalem (670 A.D) and gives a description of the mosque saying :

But in that renowned place where once the temple had been magnificently constructed, placed in the neighbourhood of the wall from the east, (see figure (2)) the Saracens now frequent a quadrangular place for prayer, which they have built rudely, constructing it by setting great beams on some remains of ruins, this house can, it is said, hold three thousand men at once 19).

Creswell (20) comments on the Arculf's statement saying :-

This may be called the First Aqusa Mosque; As for the ruins, they must have been those of the Royal Stoa of Herod, destroyed by the army of Titus in (70 A.D). Creswell added, according to the description of Josephus, (21) it consisted of a three aisled portico which extended the whole length of the south side of the temple area. It was like a basilica, of which the side aisles were 30 (ft) wide and 50 (ft) high, and the central aisle half as wide again and twice as high, which certainly implies clerestory lighting. There were 162 columns of the Corinthian style set in four rows, of which the southern were bonded into the outer wall, whereas the northern formed the facade on the court, (see figure (3)).

Patriarch. Sophronius, recognising the hopelessness of his position, decided that the only chance of survival lay in throwing the city upon the mercy of the Caliph.

Sophronius said in his message, that Jerusalem would only capitulate on condition that Omar himself concluded the treaty with them.

Omar came to Jerusalem, and there, he was met by Patriarch, and having been conducted into the city, the Caliph asked to be taken to the Holy Rock. There, the christian inhabitants (according to Baladthuri, (5) Mukadsi, Yakubi and other Arabs and Christians such as Gildemeister (6) were granted security, for their lives, property, churches and crucifixes while the Jews were not to live among them, the churches were not to be used as dwellings and not to be torn down or reduced in size, and the christians retained their religious liberty, in return they were to pay the djzya (poll-tax) and assist in warding off the Byzantine troops and raiders (7).

For the first time Jerusalem had been spared slaughter by a conqueror, and one who moreover revered the city as being holy in its associations with God and Prophets. (8).

Further details of Omar's conduct at the capture of Jerusalem, are given by various christian and Muslim authors, the most important of which the Egyptian christian Eutychius, who tells, (9).

"The Caliph on conclusion of the treaty, so favourable to the christians, was asked by the Patriarch to visit the church of the Holy Sepulchre where he was invited to do his prayers- Omar refused to perform his prayers in the basilica of the church, in order as he explained, to prevent the muslims from using the authority of his example to turn the church into a mosque and that he gave the Patriarch Sophronius a document confirming this. At his request Sophronius then pointed out the "Rock" covered with debris on the side of the temple as a suitable sit for his mosque (10).

The Caliph was keen to establish the places which were hallowed by the Nocturnal Journey of the Prophet : After much prevarication, he was led to the eastern part of the city where municipal debris covered the Hedrian platform around the Rock (11). The Caliph at once began to clear off the rubble and as the muslim followed his example, the rock soon came into sight, (12), He, then gave instructions that the mosque should be so planned that the worshippers had the rock behind and not in front of them (13) (Fig : 1,2).

however, the later mosqu of the name but the site near which the prophet followed his journey from Jerusalem to the heavens (mi'radj).

Traditions gave the greatest importance for Jerusalem, for on it is based the classing of the sancturay at Jerusalem among the three (3) most holy places of prayer in the Muslim world (in MECCA, MADINA and Jerusalem).

Archeological Origin

To begin from the beginning, we have to deal with Jerusalem from the early Islamic era, that is to say from the
A.D H
Rashidun Caliphates (Rightly Guided 638 - 661 A.D (11 - 40 H).

H
The beginning of (638)/(11) saw the victorious Arab armies encamped about Jerusalem and upon the Mount of Olives. They have already conquered the coastline and Damascus had fallen to the outstanding cavalry of Khaled ibn al-Walid, two years earlier. Khaled ibn al-Walid, though commanding a far smaller force than the Byzantine, drove into his enemies ranks from out of the sun and with the terrible wind behind him, by the banks of the Yarmuk river (4).

The battle was waged for three days, afterwhich, the Byzantines withdrew to Constantinople, never to return. In reality Yarmuk battle was a turning point in Muslim history as a whole and to Byzantine resistance in particular.

The Patriarch Sophronius who witnessed, twenty - two years ago, the Persian invasion must have crowded his mind with memories of previous sackings and slaughter.

He also remembered the Persian demolishing of everything in Jerusalem even the tomb of Christ.

This memory made the Patriarch's departed Emperor
A.D
Heraclius in (633) take the precautionary step of removing the true Cross to Constantinople.

Two different accounts of the taking of Jerusalem by the Arabs have been handed down, but the most reasonable one according to the most usual version, was that the Arab general
H
Abu Ubaida in (638/17) conveyed to the Caliph Omar Ibn al-Khattab, the messege of Sophronius, the Jerusalem's

In The name of God

Most Gracious Most Merciful

The Aqsa Mosque

Its origin and its architecture

through the Ages.

The Aqsa Mosque, as Ibn Fadl (1) allah el Amry says :-

The Colledge of Prophets,

The House of Believers,

The Second Sacred Building,

And the First Mihrab in Islam.

The word (Aqsa) means in Arabic "The remotest sanctuary" and is first found in the Qur'an (Muslim Holy Book) in Sura (chapter) = XVII Bani Israel, verse (2) :

Glory to Him
who did take His Servant,
For a Journey by night,
From the Sacred Mosque
To the Remotest Sanctuary
Whose precincts We did
Bless, - in order that We
Might show him some
Of Our Signs : For He
Is the One who heareth
And seeth (all things)

This explanation is connected with our prophet Muhammed's Journey in the night, (isra') to Jerusalem and al (mi'radj) that is to say, his nocturnal Journey from Jerusalem to the heavens.

Jerusalem became of real significance when the Prophet turned at prayer in the direction of the Holy city. We must notice here that the expression (almasdjid - al aksa indicates Jerusalem as the goal of the Prophets nocturnal journey, not,

In Tne Name Of God

By

Prof; Dr. SOAD MAHER MOHAMMED

KING ABDUL AZIZ UNIVERSITY

JEDDAH - SAUDI ARABIA

3. To confirm the importance of establishing close relationships with all organisations and governmental and non-governmental bodies concerned with boosting interregional co-operation i.e. development funds, research institutions, United Nations regional offices and specialized agencies.

4. To consolidate relations with the International Council of Archives and make use of its expertise and training facilities. The Secretary General is requested to promote this relationship.

5. Establishing relations with the Arab League offices in the area and with the regional centres of its specialized agencies (The Arab labour Organisation, the Economic Unity Council, the Arab Universities Union, the Gulf Broadcasting Stations Union . . . . etc).

6. Authorising the Secretary General to take the necessary measures for the General Secretariat to join the Arab Organisation For Education, Culture And Science of the Arab League.

7. Recommending the holding of a biannual conference with the objective of forecasting future development in the light of expected regional and international variables.

8. The General Secretariat is requested to formulate a detailed plan for the restitution of rare documents and manuscripts acquired now by foreign countries and dealing with the region. Prior to this each member Centre has to make surveys of these documents and manuscripts in a number of these places together with making transcriptions and photocopying.

The Gulf and Arabian Peninsula Studies Centres and Bodies approved to hold the next session in Qatar at the opening of 1982 (1402 A.H.) The Centre For Historical Documents of Qatar will notify the General Secretariat after consulting the concerned Qatari authorities.

9. Due concern should be given to contemporary documents and their preservation. Government authorities should be encouraged to enact the necessary legistations for that end.

Second - In the field of joint projects :

1. The member Centres and Bodies are requested to support the efiort of the Arabian Gulf Studies Centre of Basra University in preparing the unified 'Who is Who' of the contemporary outstanding intellectual figures of the member Gulf and Arabian Peninsula States. Complete lists have to be provided according to the assigned specifications.

2. King Abdul Aziz Research Centre of the Kingdom of Saudi Arabia shall prepare an integrated working paper on the Gulf and Arabian Peninsula encycloepedia. The Centre shall set the methodology, the objectives and the scientific content of the encycloepedia before submitting it for discussion in the 'Sixth Session'.

3. King Abdul Aziz Research Centre shall finance publishing the first yearbook which will contain researches done by the member Centres. The book cover shall bear the name of the General Secretariat.

4. It was approved to go on with the project of the Gulf and Arabian Peninsula Atlas in successive stages. The first shall be the historical atlas based on the plan of the Magazine for the Gulf and Arabian Peninsula Studies. The atlas has to cover the whole regoin. The member Centres are requested to supply the Magazine with the available materials (documents, maps or manuscripts). As for the work process separate maps have to be prepared. The parts completed are to be sent to the General Secretarit' meetings to authorise their publication.

Third - In the field of foreign Arab Relations.

1. The General Secretariat is requested to prepare a list of the local, regional and international conferences, concerned with the problems of the area, and to have this list distributed among the member Centres and Bodies. Participations in these conferences have to be co-ordinated to ensure a permanent Arab Gulf presence in such meetings.

2. The reports submitted to these conferences by any member Centre should be sent, likewise, to the other member Centres and Bodies.

Second - Recommendations

First — In the field of boosting co-operation among the eight member Scientific Centres and Bodies :

The participants confirmed the importance of promoting relationships among the Gulf and Arabian Peninsula Studies Centres and Bodies to guarantee a more effective work performance and a positive joint co-operation. To accomplish this the following steps should be observed :

1. The exchange of bibliographical data of their library holdings of reference books, documents, manuscripts, Arabic and foreign publications and periodicals as preliminary to preparing a unined bibliographical directory.

2. The exchange of maps and aerial photographs as necessary for a unified cartcgraphic directory.

3. The exchange of statistical data in demographic, petroleum, economic, social, and other fields. This constitutes materials for issuing a unified statistical yearbook.

4. To support the Yemeni Research and Studies Centre through publishing some of its works and providing the expertise it needs. The Centre for Arabian Gulf Studies of Basra University offered to finance the publication of two books of the Yemeni Centre.

5. The General Secretariat, with the help of the member Centres and Bodies, is requested to provide training facilities in documentation for the local cadres. This shall be done through contacting the regional and international specialized agencies.

6. The participants recommend the use of the word 'Session' instead of Seminar' for the annual meetings.

7. The "Session on Libraries" will be held at the Gulf Studies Centre of Basra University in January 1982. A worknig paper is recommend to be sent beforehand to the Centres and Bodies for any additional suggestions.

8. The approval of the General Secretariat's proposal to make a show, at every meeting, of the documents, manuscripts and publications acquired by the member Centres and Bodies, and to participate in the annual bookfairs under the name of the General Secretariat.

acquired by the different centres provided that this exhibition coincides in time with the future sessions of the general Secretariat.

There was also an agreement on the necessity of joining the general secretariat to the Arab Organization for Education, Culture and Science of the Arab League, and asking the Secretary General of the Gulf and Arabian Peninsula Studies Centres and Organizations to take the necessary measures in this respect.

The two requests submitted from the Gulf Arabic Studies affiliated to the Gulf House of Press, Printing and Publishing and the Arab Education Bureau of the Gulf States to Join the membership of the General Secretariat of the Gulf and Arabian Peninsula Studies Centres and Organizations. were considered. It was decided to delay the consideration of their membership until laying down the regulations of joining other organizations and centres to the membership of the Secetariat.

The meeting ended at 6 p.m.

personalities in the Gulf and Arabian Peninsula was also discussed. The Arabian Gulf Studies Centres of Basra, Iraq presented a model of this work. It was agreed that the General Secretariat shall distribute this book among the member centres so that they might be able to study it thoroughly and complete any deficiency that may arise.

The subject of the year book having researches from the different Centres was discussed as well. King Abdul Aziz Research Centre expressed its readiness to print that book at its expense. The idea of issuing a calendar having the title of the Centres and Organizations interested in the Studies of Gulf and Arabian Peninsula was considered. It was agreed that each centre or organization shall have its own calendar. The subject of designing an emblem having the name of General Secretariat was also discussed. The Historical Documents Centre of Qatar was entrusted to present the said design for endorsement in the next session.

The Third Session

The third session began at 4 p.m. on Thursday 17/6/1401 H. corresponding to 21/4/1981 A.D. A discussion took place concerning recommendations of the coordinating committee of historical documents of Bahrain State on 3/4/1401 H. (7/2/1981 A.D.). The delegates exchanged information on what has been achieved in the field of collecting and indexing of documents and urging the different centres to expedite the work of indexing. This matter was referred to the different centres to be defined according to their capabilities taking into consideration the general framework of indexing. The subject of translating the documents as well as the necessity of cooperation and the exchange of experience in this respect were also discussed.

The meeting of the libraries seminar in Basra was discussed as well. It was approved in principle to hold the next meeting in next January on condition that the Arabian Gulf Studies Centre of Basra shall submit a working paper to be despatched to other Centres for consideration. Proposals for the promotion of work in the general secretariat was dicussed too. Dr. Mustapha Al Najjar displayed his conception in this matter by submitting a comprehensive working paper of his own. The Seminar adopted most of the items of that paper. Dr Najjar requested the joining of Kuwaiti proposals in this respect to the paper of the Arabian Gulf Studies Centre of Basra.

The delegates in this meeting agreed to hold an exhibition of publications documents and manuscripts published or

The First Session

The First Session started at 5 p.m on Monday 16/6/1401 H. corresponding to 20/4/1981 A.D. Sheikh Abdul Malik Ibn Abdullah Al Al Shiekh Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre was chosen as chairman of the seminar and Abdul Rahman Al Sarra as ràpporteur. The wording committee was chaired by Dr. Abdullah Yusuf Al Ghoneim. Then the head of each centre, organization or his representative spoke of the activities of the centre or organization he represented, its achievements in the past years and future. at the end of this session Dr. Mustapha Al Najjar expressed the readiness of the Arabian Gulf Studies of Basra, Iraq to carry out the following : -

(A) Bearing the expenses of printing of two books prepared by the Yemeni Studies and Research Centre the latter wishes to publish.

(B) Extending invitation to Dr. Khalid Al Hamidh representative of United Arab Emiràtes University to visit the Arabian Gulf studies Centre of Basra, Iraq. Mr. Ahmad Al Enany head of the Historical Documents Centre of Qatar expressed his readiness to furnish all Centres with copies of the book entitled "The Arabs in the Sind" by an Indian author. This book speaks about the role of the Arab tribes in the conquest of the Sind.

The Second Session

The Second Session was held at 9.30 a.m. on Tuesday 17/6/1401 H. corresponding to 21/4/1981 A.D. The recommendations endorsed in the previous seminar were discussed in order to define what were executed of their items and exploring the sufficient means to consolidate cooperation among centres in different fields that serve their objectives. The working paper submitted by the Magazine of the Gulf and the Arabian Peninsula Studies was discussed as to the preparation and execution of the Gulf and Arabian Peninsula Atlas. The steps taken in this project have been reviewed so that the step taken by the Gulf studies Magazine shall be the historical atlas. The competent centres shall provide the Gulf Studies Magazine with the pertinent scientific matter and maps necessary for the execution of the project. The subject of editing an encyclopaedia of the Gulf and Arabian Peninsula was also discussed. It was decided that King Abdul Aziz Research Centre shall prepare an integrated project for the encyclopaedia. And the subject of the contemporary intellectual

adopted in the Fourth Seminar held at Abu Dhabi last year as well as the outcome of the bi-meetings that took place in Kuwait and Bahrain. The meeting ended approximately at 8 p.m.

At 10 a.m on Monday morning 16/6/1401 H. (20/4/1981 A.D.) the opening session began by a recital from the Holy Koran. Then His Excellency Sheikh Abdul Malik Ibn Abdullah Al Al Sheikh, Secretary General of King Abdul Aziz Research Centre delivered his speech where he welcomed the participating delegations and audience. Sheikh Abdul Malik pointed out that the establishment of these Scientific Centres and Organizations in the Arab Gulf States was an evidence of enlightenment and progress in the field of scientific research. He also stressed that the acquisition, collection and studying of documents should be one of the most important subjects for discussion in addition to other scientific issues.

Then Dr. Mustapha Abdul Kader Al Najjar Secretary General of Scientific Centres and Organizations interested in the Studies of the Gulf and Arabian Peninsula was given the floor. He spoke of the dire need for integration and coordination among scientific research centres in this area. He also stressed the necessity of the establishment of common scientific projects and the collaboration of these centres in the publication and original studies that adopt the sound Arab point of view and the study of our legacy manuscripts and Arabic manuscripts.

Then, His Royal Highness Prince Salman Ibn Abdul Aziz Governor of Riyadh Region delivered his speech where he welcomed heads and delegates of Scientific Centres and Organizations interested in the Studies of the Gulf and the Arabian Peninsula. He extended to the delegates the compliments of His Majesty King Khalid Ibn Abdul Aziz and His Royal Highness Crown Prince Fahd Ibn Abdul Aziz. He said that King Abdul Aziz Research Centre was established in commemoration of King Abdul Aziz who propagated enlightenment, knowledge and education in the Kingdom. At the end of the opening ceremony Sheikh Abdul Malik Ibn Abdullah Al Al Sheikh presented the shield of king Abdul Aziz Research Centre to His Royal Highness Prince Salman Ibn Abdul Aziz in appreciation of his patronage of the opening ceremony.

The opening session ended at 11 a.m The Seminar took three working sessions as follows :

Concluding Report and Recommendations of the Fifth Seminar of Scientinc Centres and Organizations interested in the Studies of the Gulf and Arabian Peninsula held at King Abdul Aziz Research Centre, Riyadh Kingdom of Saudi Arabia in the period from 16 — 18/6/1401 H. Corresponding to 20 — 22/4/1981 A.D.

First . The Report

At the invitation of "King Abdul Aziz Research Centre", Kingdom of Saudi Arabia, the Fifth Seminar of Scientific Centres and Organizations interested in the Studies of the Gulf and Arabian Peninsula was held in the city of Riyadh in the period from 16 — 18/6/1041 H. corresponding to 20 — 22/4/1981 A.D. under the patronage of His Royal Highness "Prince Salman Ibn Abdul Aziz" Governor of Riyadh Region and the supervision of His Excellency Sheikh "Hassan Ibn Abdu llah Al Al Sheikh", Minister of Higher Education and Chairman of the Board of Directors of King Abdul Aziz Research Centre.

The Seminar was attended by delegations from the following Scientific Centres and Organizations.

1. Documents and Studies Centre of Abu Dhabi.
2. Historical Documents Centre of Bahrain.
3. King Abdul Aziz Research Centre, Riyadh.
4. The Gulf Studies Centre of Basra University, Iraq.
5. Historical Documents Centre of Qatar.
6. The Magazine of the Gulf and Arabian Peninsula Studies of Kuwait University.

7. The Yemeni Studies and Researches'. Centre of the Yemeni Arab Republic.

The delegation of the Omani Archives and Publications of Oman did not attend the meeting.

A Supervisor for United Arab Emirates attended the Seminar ....

A preparatory meeting of the executive committee of the General Secretariat of Centres and Organizations interesed in the Studies of the Gulf and Arabian Peninsula was held at 6 p.m. on Sunday 15/6/1401 H (19/4/1981 A.D). The items of the agenda, schedule and general regulations of the Seminar were approved taking into consideration the recommendations

ADDARAH

Notice :

— All Correspondence should be directed to the Editor in- Chief
P. O. Box 2945 — Riyadh

— Articles are arranged technically, regardless of the writers' **prestige.**

— This English section contains summaries of some of the essays written in Arabic.

— **Price :**

a) **In Saudi Arabia :**
2 Riyals a copy.
15 Riyals per annum.

b) **In Arab Countries :**
The equivalent of 50 S. piastres a copy.
The equivalent of 15 riyals per annum.

c) **Non Arab Countries**
$1 a copy.
$6 per annum.

ADDARAH

QUARTERLY JOURNAL

by

King Abdul Aziz Researeh Centre
Concerned with

the Intelletual and Historical Heritage
of the Kingdom and the Islamic World.

♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦♦

EDITOR IN CHIEF
MOHAMMAD HUSSEIN ZEIDAN

EDITORIAL BOARD
ABDULLAH BIN KHAMIS
Dr. MANSOUR AL-HAZIMY
ABDULLAH BIN IDRIS
ABDULLAH AL-MAJID

General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

SHAABAN 1401 SIXTH YEAR
DUN 1981 NO. : 4

P.O.B. 2945 RIYADH
Tel. : 4038646 KINGDOM OF SAUDI ARABIA

مطابع واعلانات الشريف

ADDARAH

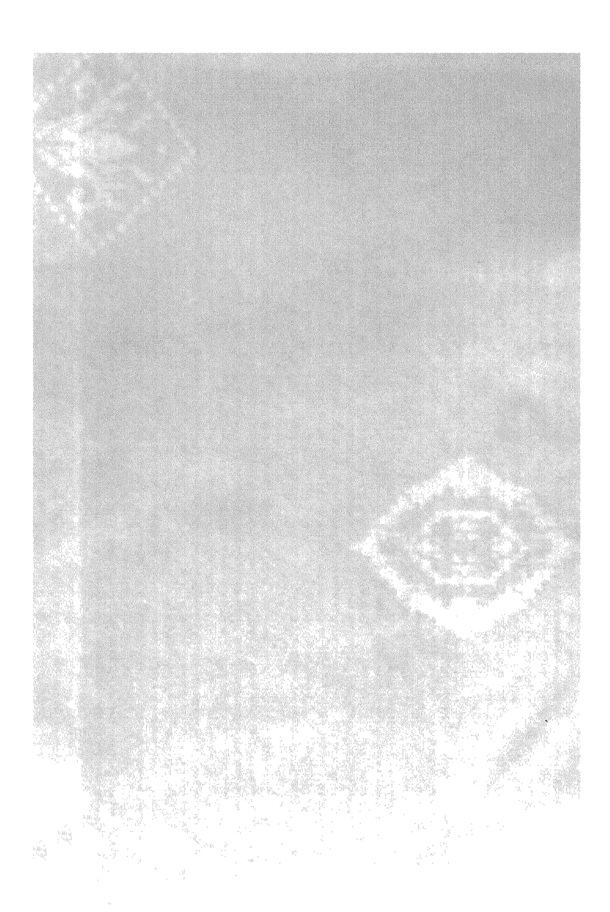


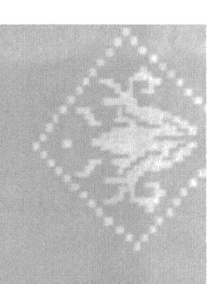
QUARTERLY JOURNAL by KING ABDUL AZIZ RESEARCH CENTRE
VHLUME 4 (6) 1401 A.H./1981 A.D.

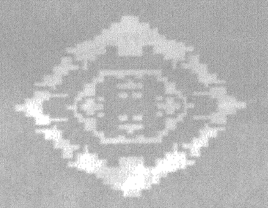
Fifth Seminar

The Gulf Arabian Peninsula Scientific Studies Centres and Organisations

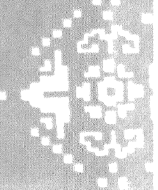
RIYADH 16 — 18 JUMADAH 11 1401 A. H. 20 — 22 APRIL / NISAN 1981 A. D.

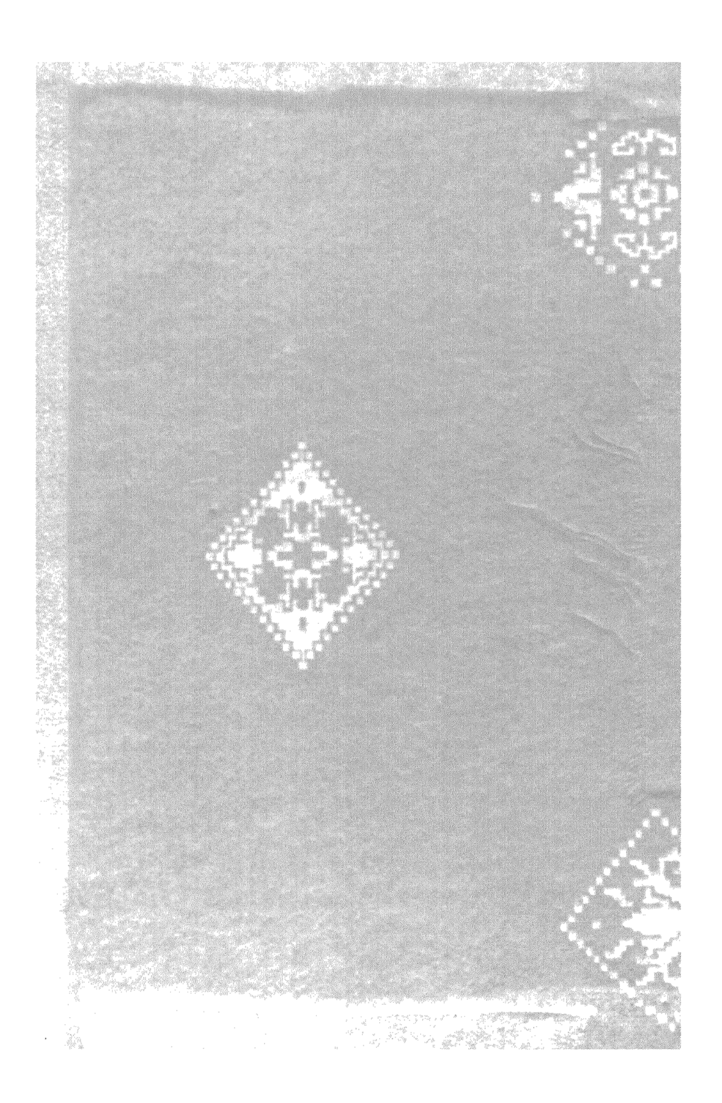


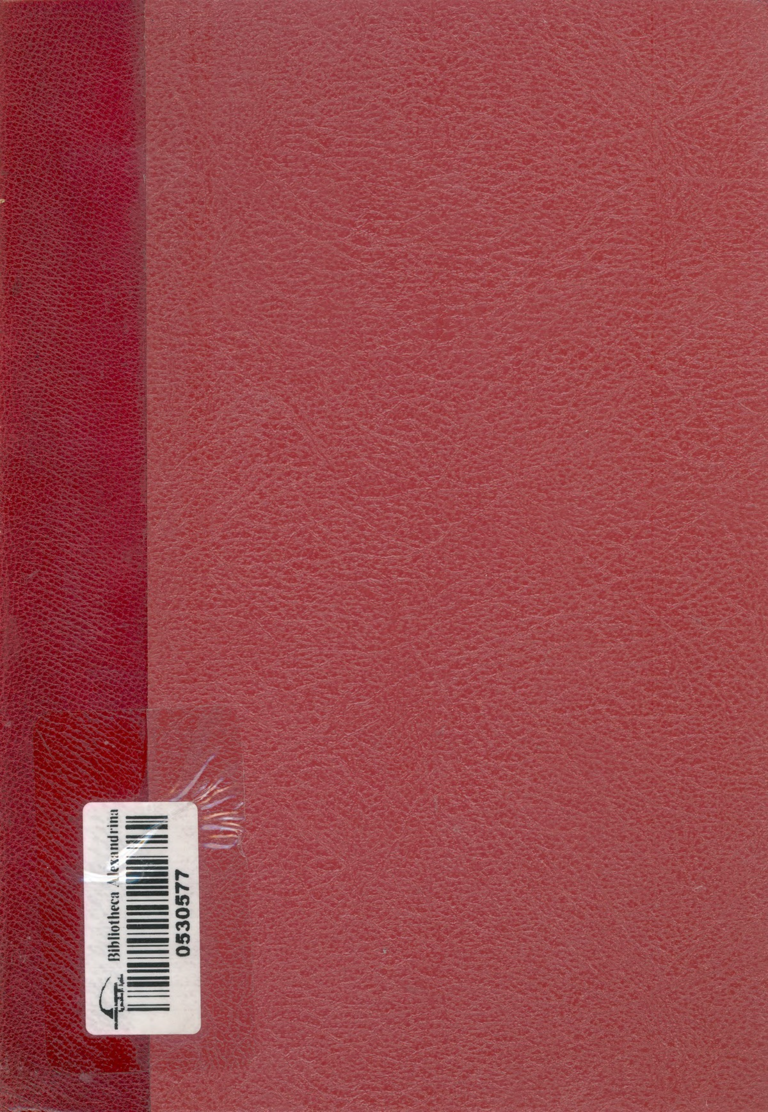




General Organization Of the Alexandrina Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina






Bibliotheca Alexandrina
05305577